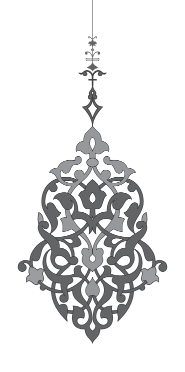


مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الثاني



حسن بن موسى الصفار

مسارات
في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الثاني

الطبعة الأولى: 1436هـ-2015م



أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمـدُ للّهِ ربِّ العَالمِين اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتمِ النَبِيين وتَمَام عِدّة المُرْسَلِين وعَلَـى آلـهِ الطَيّبِيـن الطَاهِريـن وَصَحْبِـه المُنْتَجَبِين.



أول المسار

الأحداث التي عصفت بالمنطقة العربية منذ عام ٢٠١١م عند انطلاق ما عرف بثورات الربيع العربي، وتداعياتها المستمرة، كشفت عن كثير من الخلل والثغرات في بنية التفكير والثقافة السائدة، وفي شبكة العلاقات الاجتماعية، إلى جانب ما أظهرته هذه الأحداث من شعور عميق بالمرارة والغضب لدى شعوب المنطقة، من واقعها المتخلف، وشدة توقها وتطلعها إلى الخلاص والتغيير.

لقد بذلت الشعوب تضحيات كبيرة، وخاضت معارك قاسية، وقدمت أثماناً باهظة، لكنها لا تزال بعيدة عن تحقيق أهدافها وتطلعاتها في الحرية والعدالة والتنمية.

بل قد يبدو حال بعض الشعوب الثائرة، وكأنها أصبحت أسوأ مما كانت عليه قبل حراكها الثوري، حيث فقدت أمنها واستقرارها، وتفكك نسيجها الاجتماعي، وتحطّم كيانها الوطني، وعصفت بها الفتن والنزاعات المدمرة.

ومع الاعتراف والاقرار بأن التحوّلات الجذرية في مسيرة الشعوب وانتقالها من حال الاستبداد والتخلف، إلى مسار الديمقراطية والتقدم، يحتاج إلى مدى زمني، وإلى مراكمة الجهود والمحاولات، والعبور من بين محطات التجارب والمنعطفات الخطيرة، كما تدل على ذلك تجارب الأمم والشعوب.

لكن مستوى نضج الوعي السياسي والثقافة السائدة، ومدى سلامة بنية العلاقات الاجتماعية، لهما دور مؤثر في اختصار زمن الانتقال، وتقليل حجم الخسائر والتضحيات.

وحين نجري تقويماً موضوعياً، ونمارس نقداً ذاتياً لواقع مجتمعاتنا الثقافي والاجتماعي، سنرى بوضوح عمق الخلل وسعة الثغرات في هذين البعدين، وأن ذلك يشكل عاملاً رئيساً في تعثّر محاولات النهوض، وعرقلة مسار الإصلاح والتغيير.

وما تتداوله أوساط عريضة في مجتمعاتنا، من إلقاء اللائمة على الخارج، وتحميل الأعداء مسؤولية اجهاض الثورات، وانقسام المجتمعات، واندلاع الفتن والاضطرابات، وأن ذلك كله بسبب المؤامرات الأجنبية، هذا التفسير السائد والمتداول هو أحد مظاهر هشاشة التفكير، وخلل الثقافة والوعي.

إن وجود قوى كبرى طامحة للهيمنة والنفوذ، تسعى لخدمة مصالحها وأطماعها، هو أمر قائم لا يمكن انكاره، وفي ذات الوقت لا يمكن انكار قدرة الشعوب على الدفاع عن سيادتها واستقلالها، وعلى تحصين واقعها من محاولات الاختراق والنفوذ.

إن ضعف الإرادة في أي أمة، وافتقادها للرؤية والمشروع الحضاري، واعتلال ثقافتها، وهشاشة بنيتها الاجتماعية، هو ما يكرّس تخلف تلك الأمة، ويدفع بمكوناتها نحو التصادم والنزاع، ويجعلها ساحة مكشوفة أمام الأطماع والتدخلات الخارجية.

فالمشكلة الأساس في الداخل والذات، قبل أن تكون من الخارج والغير.

وهذا ما أراد القرآن الكريم تبيينه وتقريره في الحكاية عن ردّ الشيطان يوم القيامة على الناس الذين يحمّلونه مسؤولية شقائهم وضلالهم، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[سورة ابراهيم، الآية:٢٢].

وفي أكثر من مورد يؤكد القرآن الكريم على المسؤولية الذاتية للمجتمعات عن واقعها الذي تعيشه، حتى لا يشطح بها التفكير نحو خداع الذات وتبرئتها، وإلقاء

اللائمة على الخارج، فتتغافل عن مكامن ضعفها الذي ينتج تخلفها، ويعطي الفرصة لنفوذ الآخرين إلى ساحتها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[سورة الشورى، الآية:٣٠].

ويمكن القول أن ما حدث ويحدث الآن في المنطقة العربية، يكشف بجلاء ووضوح مدى اعتلال الثقافة السائدة في هذه المجتمعات، وخاصة في البعد الديني.

ومن أبرز مؤشرات هذا الاعتلال عرضان خطيران:

الأول: نمو حركات التطرف والعنف، التي سجلت أرقاماً قياسية في ممارسة الإرهاب والبطش، وروّعت العالم بفظاعة مشاهدها من الذبح والنحر وحرق البشر أحياء، وسبي النساء وبيعهن، واستهداف المدنيين الأبرياء بالتفجيرات والعمليات الانتحارية، وتحطيم الآثار التاريخية، وهدم أماكن العبادة لمختلف الديانات والمذاهب، كل ذلك باسم الإسلام وتحت راية الدين.

الثاني: تعميق الانقسام المذهبي والاحتراب الطائفي في مجتمعات الأمة، بدءاً من تبادل التكفير والتحريض على الكراهية، عبر الفتاوى والخطب والفضائيات المتخصّصة في تأجيج الصراع الطائفي، ومواقع التواصل الاجتماعي، وصولاً إلى التصفيات والاغتيالات، والتهجير والإبادة، ومن ثم تفتيت المجتمعات وتقسيم الأوطان على أساس طائفي.

إن هذه الثقافة المدمرة التي أفرزت هذا الواقع المرعب، لم تأتنا من كوكب آخر، ولم تظهر علينا بشكل مفاجئ، وإنما هي حصاد مرّ لتراث تهيبنا نقده وغربلته، وتبانينا على تقديسه وتمجيده، مع كل ما علق به من شوائب عصور التخلف، ومحدودية فهم الأسلاف.

وطالما حذّر المصلحون من علماء هذه الأمة ومفكريها من خطورة الاستسلام

للتراث، وتغييب دور العقل، وإطلاق العنان للعصبيات المذهبية، والاستغراق في الاهتمامات القشرية من الدين، على حساب القيم الأصيلة، والمقاصد الرئيسة من التشريع الإلهي.

وبعد كل ما حدث هل ثمة عذر للتقاعس، أو مبرر للتردد في القيام بواجب الإصلاح الثقافي، وتنقية تراثنا الديني من آثار نزعات الاستبداد، وتوجهات التعصب، ومقولات التشدد والغلو؟

وهذه الصفحات الماثلة بين يدي القارئ الكريم تمثل استجابة متواضعة للشعور بهذا الواجب العظيم، وهي تتضمن مجموعة من الخطب والكتابات، وتوثّق لجانب من النشاط الثقافي الذي وفقني الله تعالى للقيام به خلال عام ١٤٣١هـ.

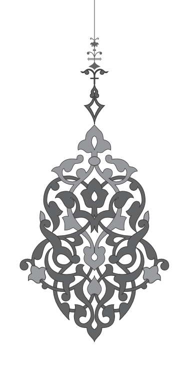
وهي تتمحور بمجملها حول قضايا الإصلاح الثقافي والاجتماعي، أرجو أن يكون في نشرها ما يخدم رسالة التنمية والإصلاح، ويسهم في تدوير وتبادل تجارب الدعوة والتبليغ، وأسأل الله تعالى القبول والتوفيق.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

1436/5/14هـ

2015/3/5م



خُطَبُ الجُمُعَة



الخطبة الأولى

الإصلاح ونتائجه المستقبلية

﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٧٠].

حينما يكون هناك فساد في المجتمع، لا بد وأن يكون هناك مصلحون يتصدون لمواجهة هذا الفساد، وإلا فإن الفساد سينتشر أكثر، وسيسبِّب أضراراً كبيرة في المجتمع البشري، فمِن لُطف الله سبحانه وتعالى أنه مَنح الإنسان عقلاً، وضميراً يدرك به قبح الفساد، وبه ينبري مَن كانت ضمائرهم حيّة لمواجهته.

كما أن الله سبحانه وتعالى بعث أنبياء ورسلًا، وجَعل لهم أئمةً وأوصياء وخلفاء يتابِعون مسيرتهم في التصدي للفساد والإفساد، وكلُّ مؤمنٍ، وكلُّ إنسانٍ، بمقدار وعيه وإدراكه، عليه أن يَتحمّل مسؤوليته في مواجهة الفساد، وأن يسعى من أجل الصلاح والإصلاح، كلٌ في موقعه، وكلٌ حسب إدراكه وقدرته.

إنَّ مهمة الإصلاح مهمة صعبة؛ ذلك لأن الفساد يَجِد له أرضيةً خصبة في الأهواء والشهوات، بينما توجُّهات الإصلاح في الغالب تُصادم الشهوات والأهواء؛ لذا فإن الفساد والمفسدين يَلقون أعواناً أكثر؛ لأن ذلك ينسجم مع الأهواء والشهوات.

ثمار الإصلاح آتية

من ناحية أخرى، فإن هناك قوىً تستفيدُ من الفساد، وتحافِظ عليه، وتواجه من يريد إزالته، وهذه القوى كثيراً ما تبرز في شكل سلطات حاكمة، وأثرياء جشعين، وعلماء

منحرفين، وفي مختلف الأشكال.

هذه الجهات ترى الضرر على مصالحها من مسيرة الإصلاح، ومن دور المصلحين؛ لهذا فإن من يتصدى لمهمة الإصلاح، عليه أن يدرِك أن المهمة التي يَتصدى لها مهمةٌ صعبة، ونتائجها ليست سريعة؛ فيَحتاج المصلِح إلى التحلي بالإرادة القوية، والبصيرة الثاقبة، والأمل الطويل.

إنَّ في القرآن الكريم آيات كثيرةً تحث وتُطَمْئِن المصلحين، بأنَّ عليهم ألا يتراجعوا أمام الضغوط، وألا يصابوا بالإحباط، وعليهم أن يؤدوا مسؤوليتهم، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّا لا نُضِيْعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾؛ الأجر بمعنى الثواب، والأجر بمعنى نتائج عملية الإصلاح، فمَن يَسعى من أجل إصلاح المجتمع، عليه أن يكون مطْمَئِناً وواثقاً مهما كانت العوائق، ومهما كانت الصعوبات، عليه أن يَطْمَئِن بأنّ أجره محفوظٌ عند الله سبحانه وتعالى، وأنّ لعمله نتائج؛ قد لا تكون فورية، سريعة؛ فكم من المصلحين قَضوا حياتهم قبل أن يروا نتائج إصلاحهم؛ لأن مسيرة الإصلاح قد لا تؤتي ثمارها في زمنٍ قصير، ولا في جيلٍ واحد.

المهم أنْ تَقوم بمسؤوليتك في الإصلاح، والنتائج تأتي فيما بعد، فليس شرطًا أن تجد نتائج عملك الإصلاحي في حال حياتك، النتائج ستأتي، ولكن قد يتأخر الوقت، فالآية تقول بحتمية: ﴿إِنَّا لا نُضِيْعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة هود، الآية: ١١٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [سورة الكهف، الآية: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيْعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٩٥]؛ كلُّ هذه التطمينات والضمانات، من أجل أن يَتحلى المصلِح بإرادة قوية، ويكون عنده أمل بالمستقبل، حتى لو واجه معارضة وعوائق، وتأخرَتِ النتائج، عليه أن يكون واثقاً مطمئنًا.

الحسين والثقة في الانتصار

حينما تَحرك الإمام الحسين ﵇ ونَهض، إنما كان لأجل الإصلاح، قال ﵇: «إنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي»، ولكنه قُتِل، ومن معه قُتلوا واستشهدوا جميعاً، وأصاب أسرته من البلاء الشيء العظيم.

قد لا يَتصور الواحد لأول وهلة ماذا حقق الحسين وهو قد قُتِل؟ لكن الزمن قَدَّمَ إجابة واضحة مشرقة، فقد أصبحنا الآن نَعرف جيداً من الذي قُتل؟ الحسين قُتَلَ أم يزيد وبنو أمية هم من قُتلوا؟

أولئك قُتِلوا، والحسين أصبح خالداً.

نتائج ثورة الحسين ﵇ لم تكن واضحة في ذات اليوم والوقت آنذاك، لكننا نرى الآن وبوضوح أن الإمام الحسين ﵇ كما قال: «مَن لَحق بي منكم استشهد، ومَن لم يَلحق بي لم يدرِك الفَتْح»[1].

لاحِظ؛ إنه يَعتبر شهادته فتحاً؛ لأنّ نتائج هذه الشهادة وهذه الحركة الإصلاحية، ستجيء ولو بعد زمن.

علينا أن نأخذ هذا الدرس، فالمصلِح عليه أن يتحلى بنفَسٍ طويل، وبرؤيةٍ مستقبلية، وبأملٍ عريضٍ واسع، وأن يكون واثقاً بوعد الله سبحانه وتعالى في أنه لا يُضِيْعُ أَجْرَ المُصْلِحِين.

انهزامية النُخب

لقد واجه الإمام الحسين ﵇ حتى نخبة الأمة؛ النخبة في كل مجتمع يُتوقع منهم أن يكونوا مع الإصلاح، ولكن في بعض الأحيان هذه النخبة تصاب بخور العزيمة،

(١) محمد علي بن شهر آشوب. مناقب آل أبي طالب، ج٣، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص٢٢٨.

وبضعف الإرادة، وبتشوش الرؤية، فلا تقف مع الإصلاح، وهذا لا ينبغي أن يفت في عضد المصلِح.

نخبة الأمة، وشخصيات الأمة، ليس فقط لم يَلتحقوا بالإمام الحسين سوى ذلك العدد القليل ممن معه، بل إنهم حاولوا تثبيط عزم الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾، وكانوا يرون أنّ حركته غير مثمِرة، وغير مُجدية، وأنه سيَدفع حياته ثمناً لهذه الحركة.

بعض هؤلاء من إشفاقهم عليه نصحوه بألا يخرج، فلو راجعنا كتب التاريخ والسيرة، لوجدنا أسماءَ كثيرة جاءت إلى الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ تنصحه بعدم الخروج، وعدم الحركة.

عبد الله بن جعفر، وهو ابن عم الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾، وزوج أخت الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾، وهو لا يُتَّهَم في دِينه، لكنه مع ذلك ضِمْن رؤيته وعاطفته تجاه الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ كَتب إلى الإمام الحسين كتاباً، وتَحدث مع الإمام ﴿عليه السلام﴾ حديثاً جاء فيه: «فإني أسألك بالله لَمَا انصرفتَ حين تَنظر في كتابي هذا؛ فإني مشفقٌ عليك من هذا التوجه الذي توجهتَ لهُ أنْ يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكتَ اليوم طفِئ نور الأرض، فإنك عَلَمُ المهتدِين، ورجاءُ المؤمنين، ولا تعجل بالسير؛ فإني في أثر كتابي، والسلام»[1].

وجاء مسرعاً من المدينة إلى مكة، لعل كتابه لا يؤثِّر، فتكلمَ شخصياً مع الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾.

عبد الله بن عباس، وهو أيضاً ابن عم الإمام ﴿عليه السلام﴾، وهو مَن هو في علمه ومعرفته يطلق عليه «حَبْرُ الأُمة»، قال للإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾: «فإني أُعيذك بالله من ذلك، خبِّرْني رحمك الله، أتَسيرُ إلى قوم قَتلوا أميرَهم، وضبطوا بلادَهم، ونفوا عدوَّهم؟! فإن كانوا فَعلوا ذلكَ فسِرْ إليهم. وإن كانوا إنما دَعَوك إليهم وأميرُهم عليهم قاهرٌ لهم، وعمالُه تجبي بلادَهم، فإنما دَعَوك إلى الحرب، ولا آمنُ عليك أنْ يغروك، ويُكذِّبوك،

---

(١) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار. ج٤٤، الطبعة الثالثة١٤٠٣هـ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص٣٦٦.

ويخالِفوك، ويخذلوك، ويستنفروا إليك، فيَكونوا أشد الناس عليك»[١].

عبد الله بن مُطِيْع أيضاً نَصح الإمام الحسين ﷺ، وقال: «أُذَكِّرُك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تُنتهَك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبْتَ ما في أيدي بني أمية ليقتلُنَّك، ولئن قتلوك لا يَهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الإسلام [تُنتهَك]، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تَفعلْ، ولا تأتِ الكوفة، ولا تعرض نفسك لبني أمية»[٢].

أخوه محمد بن الحنفية، وهو أيضاً لا يُتَّهَم في دِينه، وفي صدق عاطفته تجاه أخيه الحسين ﷺ، جاء لأخيه ﷺ، فقال: «يا أخي! إنَّ أهل الكوفة قد عرفتَ غدرَهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أن يكون حالك كحال مَن مَضَى، فإن رأيتَ أن تُقِيم؛ فإنك أعزُّ مَن بالحَرَم وأَمنَعُه»[٣].

وهكذا أم سلَمة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ونخبة الأمة، وكبار الشخصيات.

ذلك لأن نظرتهم كانت نظرةً قصيرة، فمَن كان يَتأمل الأمر، كان يرى أن حركة الإمام الحسين ﷺ لن تصل إلى غايةٍ ونتيجةٍ سريعة.

نعم؛ بهذا المنظار المادي القصير كلامهم كان صحيحاً، لكن الإمام الحسين ﷺ كان يَنظر نظرة أخرى.

كان يتحرك وهو يفكِّر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾. لذلك تحرك وقام بثورته العظيمة المقدسة؛ ونحن الآن وبعد هذه القرون والأجيال، نرى صدق وصحة حركة الإمام الحسين ﷺ، بل نرى منافع ومكاسب هذه الحركة العظيمة.

---

(١) عز الدين علي الشيباني (ابن الأثير). الكامل في التاريخ، ج٤، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي)، ص٣٧.

(٢) المصدر نفسه. ج٤، ص٤١. وفي الطبقات الكبرى في ج٥ ص١٤٤ بدل «أنشدك الله في حرمة قريش» قال: «أنشدك الله في حرمة رسول الله ﷺ»، وفي الذيل: «ولا تعرض لبني أمية».

(٣) بحار الأنوار. ج٤٤، ص٣٦٤.

إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للفضيل: تجلسون وتتحدثون؟ فقال: نعم، فقال: «إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيى أمرنا»[1].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «رحم الله عبدا أحيا أمرنا. فقلت له: فكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[2].

نعيش هذه الأيام في رحاب ذكرى أبي عبد الله الحسين، سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فمِن نِعَم الله على أتباع أهل البيت عليهم السلام، إحياؤهم لهذه الذكرى.

هذا الإحياء يعمِّق الولاء لأهل البيت عليهم السلام، ويعزِّز الارتباط بهم، كما أنه ينفع الناس بالتتلمُذ في مدرسة أهل البيت؛ من خلال تلاوة سيرتهم، واستعراض كلماتهم وتعاليمهم.

لقد واجه شيعة أهل البيت عليهم السلام طوال تاريخهم صنوف الحصار، وصنوف القمع والحملات المضادة، لعقيدتهم ومذهبهم، لكنهم استطاعوا الصمود والاستقامة، ببركة

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة ج١٠، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ص٣٩٢.

(٢) محمد بن علي بن بابويه القمي.عيون أخبار الرضا. ج٢، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص٢٧٥.

هذه المناسبة، وببركة عاشوراء. وكما كان يقول بعض زعامات الشيوعيين في العراق، حينما نشطت الحركة الشيوعية هناك: «إننا نعمل طوال العام، فتأتي عشرة المحرم، فتنسف كل ما عملناه»؛ لأن هذه المناسبة تعيد للناس ارتباطهم بدينهم وبمبدئهم.

إحياء ذكرى الحسين عليه السلام، فيه فوائدٌ عظيمةٌ وكبيرة؛ لذا ينبغي أن يشترك الجميع في إحياء هذه المناسبة، كلٌ حسب قدرته؛ ببذل المال، والجهد، والوقت، والرأي.

لا ينبغي لأحد أن يحرِم نفسه من المشاركة.

أمامك مشروع إيماني حسيني، والناس يشتركون فيه، لا تأخذ لنفسك دور المتفرج، لا ترضَ لنفسك أن تأخذ دور المستهلِك فقط، إنما عليك أن تشارِك عمليّاً في إحياء هذه المناسبة، أن تبذل شيئاً من مالك، ورأيك، ووقتك، وجهدك، في هذه المناسبة العظيمة.

ثمَّ إن من أهم مفردات إحياء هذه المناسبة العظيمة، إقامة المجالس التي تَحدَّث عنها الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «تجلسون وتحدثون؟ قلت: نعم. قال: تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، رحم الله من أحيى أمرنا».

إن المجالس التي يدور فيها حديث أهل البيت، وسيرتُهم وكلامُهم عليهم السلام، هذه من أهم عناوين ومفردات الإحياء.

منهج الإحياء في رؤية أهل البيت عليهم السلام:

في هذه المجالس كما يقول الإمام الرضا عليه السلام، ينبغي أن يكون الاهتمام بتعلّم علوم أهل البيت عليهم السلام، ونشر هذه العلوم للناس؛ لأن أهل البيت ليسوا زعماء قبيلة، ليَكون إرثهم لقبيلتهم؛ بل هم أئمةٌ للورى، وأعلامٌ للهدى؛ لذلك ينبغي أن يُبذل خيرهم، وأن يستفيد الجميع من عطائهم، فلا يصح لأحد أن يكون الحاجز والمانع للاستفادة من عطاء أهل البيت عليهم السلام.

إنني أدعو نفسي، وأدعو إخواني وأخواتي، للاهتمام بهذه المناسبة، وللاهتمام بهذه المجالس، وبذل الرأي في كيف يمكن أن تكون مجالسنا أفضل وأكثر فائدة؟

كل إنسان له رأي، وبإمكانه أن يَبذل رأيه على هذا الصعيد، ويقوم ببذل الجهد، فهذا عمل أهلي وليس عملاً رسمياً؛ كلَّما استطاع الإنسان، فعليه أن يشارِك في الخدمة.

كم يرتاح الإنسان ويفرح عندما يرى أبناء المجتمع وهم يُنظِّمون هذه المجالس، ويخدمون فيها!

أتذكر في إحدى المناطق شخصيات كبيرة وهي تخدم الضيوف في المجلس، توزِّع الماء والقهوة داخل المجلس، حينها كنت أتساءل: أليس عندكم شباب؟ أليس عندكم خدم؟ أليس عندكم عمال؟

كانوا يقولون ـ هم من الأثرياء والوجهاء ـ: هؤلاء الأشخاص يصرون على الخدمة في مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

لذا على الإنسان ألا يحرم نفسه من مثل هذه الأعمال، وأن يقدِّم خدمةً ما لمواكب العزاء، ولمجالس الإحياء، وأن يسهم بماله على هذا الصعيد، وأن يحضر المجالس.

اليوم مع توفر القنوات الفضائية والحمد لله، أصبح الإنسان في بيته يستطيع أن يستمع لأحسن الخطباء، ولمختلف الخطباء، فهناك بث مباشر من بعض المناطق، كما هو الحال من كربلاء المقدسة مثلاً.

إن هذه الخطابات وهذه القنوات مفيدة في معظمها، مع التحفظ على بعض البرامج.

لكن أريد أن أقول بأنه لا ينبغي للإنسان أن يَستعيض عن الحضور بالاستماع إلى تلك القنوات الفضائية؛ ذلك لأن الحضور فيه تفاعل اجتماعي مطلوب، ولأن هذه المجالس تَرفع المعنويات، وتُعرِّف الناس على بعضها بعضًا، وتُظهر قوة المجتمع،

وقوة المبدأ والعقيدة؛ لذلك على الإنسان أن يشارِك حضورياً حتى لو كان يستفيد من الخطاب الذي يسمعه من الفضائية، فالحضور فيه فائدة كبيرة ينبغي ألا نخسرها.

تنسيق البرامج

ينبغي أن يكون هنالك إتقان لهذه المجالس؛ مَن يراها يرانا من خلالها، فيرى عملاً متقناً منسَّقاً.

في بعض الأحيان يكون هناك تزامن بين مجالس متقاربة في وقت القراءة، لا تنسيق بينها في الوقت. وتتداخل الأصوات، وكأنَّ هناك مباراة للمايكرفون الذي يكون صوته أوسع وأقوى.

إنَّ هذا يعطي نظرة مشوهة، غير إيجابية، فالمحافَظة على جو النظام داخل المجالس، وعلى الهدوء أمرٌ واجب.

استقطاب الآخرين

وهناك شيءٌ مهم؛ وهو دعوة من يحيطون بنا لحضور مجالسنا، فهناك تشويه لعقائدنا وشعائرنا، وأفضل جواب على هذا التشويه، هو أن يأتي الآخرون ويرون أمورنا على الطبيعة.

في السنة الماضية جاءتنا بعض الشخصيات من مناطق مختلفة، من رجال ونساء، وعاشوا معنا بعض أيام عاشوراء، وحضروا المجالس، والمواكب؛ فعادوا بانطباعات إيجابية، ووَصفوا ما رأوا، ونحن لا نريد أكثر من ذلك؛ نريدهم أن يصفوا ما رأوا، فبعضهم كتب في الصحف، وعلى مواقع الإنترنت، وهذا أمر مفيد.

علينا ألا نجعل هذه المناسبة محصورة بنا فقط، فلندْعُ الآخرين للحضور، ليس لدينا ما نخاف منه أو نخجل منه، سيرة مشرقة لأهل البيت عليهم السلام، فليأتِ الآخرون وليسمعوا، وليحضروا هذه الاجتماعات والمجالس.

وكذلك علينا أن نوصل إليهم الكتابات المفيدة عن أهل البيت، وعن عاشوراء، فالأمور لم تعُد كما كانت في الماضي، فالإنترنت موجود، وبإمكانك أن تَبعث رابطاً لمقالٍ جيد على الإنترنت لكل معارفك، فهذا لا يضرك في شيء، وهو أمر سهل، أنت تستطيع أن توزِّع مقالاً، وأن توزع كتاباً، أن تنشر «سي دي أو شريط كاسيت».

على كل واحد منا أن يطالِب نفسه بدورٍ ما؛ حتى نسجَّل جميعاً إن شاء الله في موكبِ وقافلةِ مَن يَخدمون الإمام الحسين، ومن يحيون ذكرى الإمام الحسين، حتى يشملنا دعاء: «رحم الله من أَحيا أمرنا». حتى يشملنا هذا الدعاء، ينبغي أن نُساهِم في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام.

الخطبة الأولى

الحسين ﵇ درس التضحية والعطاء

ورد عن الإمام الحسين ﵇ أنه كَتَبَ في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية حينما أراد مغادرة المدينة المنورة: (إني لم أَخرُج أَشِراً، ولا بَطِراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمَن قبِلَني بقَبول الحق فالله أولى بالحق، ومَن رَدَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي اللهُ بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكِمين)[1].

في هذه الوصية يحدِّد الإمام الحسين ﵇ الهدف الأساس لحركته، فهو في خروجه لم يكن طامحاً لحكم أو سلطة، ولم يكن يعبِّر عن نزاع قَبَلي بين قبيلة وأخرى، ولم يكن يَبحث عن مجدٍ ولا مكسبٍ شخصي، وإنما خرج لطلب الإصلاح، خرج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحين نحتفي بذكراه وشهادته، فإن علينا أن نضع هذا الهدف نصب أعيننا.

إن الهدف الذي يستحق أن يُقتل من أجله الحسين، وأن يُسفك دمه، ويَتحمّل ما تَحمّل، هو وأسرته، لا بد أن يكون هدفاً مقدساً عظيماً يَستحق أن يَهتم به كل من يحب الإمام الحسين ﵇، ومن يريد السير في طريقه.

إن هذا الهدف يعني عدة أمور:

(١) مناقب آل أبي طالب. ج٣، ص٢٤١.

الأمر الأول: الاهتمام بالشأن العام في المجتمع.

لو لم يكن لدى الإمام الحسين عليه السلام «اهتمام بالشأن العام» في المجتمع لما تَحرك، ولما خرج.

إنَّ كثيراً من الناس يعيش في حدود أهدافه ومصالحه الشخصية، لا يفكِّر فيما يحصل في المجتمع، و لا يَهتم بذلك، وهو بهذا لا يسير على طريق الإمام الحسين عليه السلام، ولا يأخذ بنهجه.

الإنسان الحسيني، بل المسلم حقَّاً، هو من يحمل هَمَّ المجتمع، وهَمِّ القِيَم الأخلاقية النبيلة. لذلك ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أصبح لا يَهتمَّ بأمور المسلمين فليس بمُسْلِم»[1].

وقال تعالى في ضرورة الاهتمام بالمصالح العامة ، وعن الذين لا اهتمام لهم في المجتمع: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[سورة النساء، الآية: ١١٤].

إننا نجد في المجتمعات الأخرى كيف أن الاهتمام بالشأن العام يكون عبر انضمامهم للمؤسسات الأهلية والاجتماعية والسياسية المختلِفة، فهم يجسدون هذا المبدأ الإسلامي، الذي يجب أن يَلتزم به المسلم قبل كل أحد؛ لأن الاهتمام بالشأن العام مسألة مهمة عظيمة.

إن أفراد المجتمع إذا عاشوا اللامبالاة والأنانية، وكان كل فرد يفكر في حدود شخصه ومصالحه؛ فإن وضع المجتمع سيسير نحو الانحدار؛ لذا كان التفكير في الشأن العام، والانتصار للقِيَم السامية والتوجهات الأخلاقية، هدفاً ودرساً عظيماً

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني. الكافي، ج٢، طبعة ١٤٠٥هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص١٦٤. وأيضًا علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال. ج٩، الطبعة الخامسة١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص٤٠، حديث٢٤٨٣٦.

يجب أن نأخذه من ثورة الإمام الحسين ﷺ.

الأمر الثاني: توقُّع التكلفة ومواجهة التحديات.

إن الاهتمام بالشأن العام يكلِّف الإنسان «ثمناً وتضحية»، فبعض الناس يريد أن يَهتم بمجتمعه، لكن في الحد الذي لا يكلفه شيئاً، وهذا في الواقع اهتمام يمكن التعبير عنه بأنه «في حدود الترَف، أو في حدود رفع العَتَب».

على الإنسان أن يقوم بواجبه، ويتقي الله بمقدار استطاعته. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[سورة التغابن، الآية: ١٦]؛ وهذا يعني أن يكون الإنسان مستعداً للبذل والعطاء.

ولطالما تحدثَتْ آيات القرآن الكريم عن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس؛ قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[سورة النساء، الآية: ٩٥].

العطاء وبذل المال يُعَدُّ أول مرتبة من مراتب الاهتمام بالشأن العام و قضايا المجتمع، ففي أيدي الناس خيرٌ كثير، أو لا أقَل شريحة من الناس بيدها خيرٌ كثير، وحتى من دخلُه محدود، فالبذل في الشأن العام ينعكس على وضع كل فرد، ويجلب البركة للباذل، وإن كان محدود الدخل. قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾[سورة الطلاق، الآية: ٧].

إننا نجد من المستحبات الإسلامية: زكاة الفطرة من الشخص الفقير؛ ذلك لأن الزكاة إنما تجب على الغني، والغني هو «مَن يَملك قوْتَ سنتِه لنفْسِه ولمن تجب عليه نفقتُه بالفعل أو بالقوة»، فالفقهاء يَذكرون بأن الفقير لو كان يجد طعاماً بمقدار صاع؛ أي بمقدار زكاةِ شخصٍ واحد، فإن عليه أن يُدَوِّرَ ذلك القدر ـ ذلك الصاع ـ بين أسرته ثم يخرجه للفقراء.

عوائد البذل والتكافل المجتمَعي:

وكم هي النصوص التي تتحدث عن آثار البذل والعطاء، وعن آثار الإنفاق؛ كـ(الصدقة توسع الرزق)، (الصدقة تدفع البلاء)، (الصدقة تطيل العمر)، فهذا شيءٌ محسوس، كلمَّا أعطى الإنسان زاده الله تعالى من الخير.

جاء في رواية عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله تعالى يقول: ما من شيء إلا وقد وَكَّلْتُ به مَن يَقبضه غيري، إلا الصدقة، فاني أَتلقَّفها بيدي تَلقُّفاً، حتى أن الرجل لَيَتصدق بالتمر أو بشق تمرة، فأُربيها له كما يربي الرجل فَلُوّه وفَصيله، فتأتي يوم القيامة وهي مثل أُحد وأعظم من أُحد»[١]. والفَلُو هو: المهر، سمي بذلك؛ لأنه فُلِيَ عن أُمه؛ أي: فُصِلَ وعُزِل. والفصيل: وَلَدُ الناقة إذا فُصِل من إرضاع أُمه[٢].

وروَى رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «الصدقة تسدُّ سبعين باباً من السوء»[٣].

وجوه الحاجات الاجتماعية:

في مجتمعنا حاجات إنسانية كثيرة، فهنالك أناس يعانون من الفقر، وهناك حاجة من أجل تعزيز القيم الأخلاقية في المجتمع، ونَشرِ ثقافة الخير فيه، فالمؤسسات الثقافية والدينية، والمؤسسات التي تَهتم بحاجات المجتمع ومطالبِه وقضاياه، هذه المؤسسات يجب أن تدعم، وعلى الإنسان أن يَبذل وينفق.

إننا نجتمع في مجالس العزاء ونتحدث عن بذل الحسين عليه السلام الغالي والرخيص

---

(١) الوافي. ج٦، ص٢٦٢، باب فضل الصدقة، وجامع السعادات: ج٢ ص١٣٥. ورد شاهد على ذلك في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[سورة التوبة، الآية: ١٠٤].

(٢) فَصيل: فَعيل بمعنى مفعول، كجريح، وقتيل: بمعنى مجروح ومقتول. وفي الفلو لغتان فصيحتان، أفصحهما وأشهرهما: فتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، وهو ما أثبتناه في المتن. والثانية: كسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف اللام.

(٣) رواه الطبراني في الكبير. ج٤، ص٢٧٤، حديث٤٤٠٢.

في سبيل الدين والقِيَم، فهل يصح لنا، أن يَبخل الواحد منا بشيء من ماله؟! نجد في مجتمعات أخرى نماذج رائعة للعطاء، نلاحِظ كيف يعطي الناس، وكيف يقدِّمون من أموالهم لبناء المساجد، ومساعدة الجمعيات الخيرية والمؤسسات العامة؛ لذا نؤكِّد بأن على الناس أن يَتحملوا المسؤولية تجاه المؤسسات العامة في البلد.

بحمد الله قامت في منطقتنا مؤسسات اجتماعية متعددة، وآخر الجمعيات التي أجيزت بالمنطقة هي جمعية مرضى السرطان، وجمعية أمراض الدم الوراثية، كما أن هناك جمعية أخرى هي جمعية المعوقين.

إن مثل هذه الجمعيات تحتاج إلى تعاون، وينبغي أن تحظى بدعم من المجتمع، فلا ينبغي أن نَقبل لأنفسنا أن يسجَّل علينا في مجتمعنا وفي منطقتنا ضعفٌ في التفاعل مع هذه المؤسسات الخيرية، علينا أن نتنافس مع المجتمعات المحيطة بنا، فالتنافس في الخير أمرٌ مرغوب.

لماذا في المجتمعات الأخرى هناك بذل وعطاء لمثل هذه المنظمات والمؤسسات والجمعيات، بينما في مجتمعنا تكون درجة العطاء في حالة الانخفاض والضعف؟!

هذا لا يليق بمجتمع يحتفي كل عام بصاحب التضحية الكبرى، بأبي عبدالله الحسين عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠].

بذل الوقت والجاه:

وكذلك التضحية بالوقت؛ فالمؤسسات الأهلية، الموجودة في المجتمع، تأخذ من الإنسان وقتاً، والإقبال على هذا المؤسسات بالعمل فيها لا يزال محدوداً؛ والعلة في ذلك ترجع لانشغال الكثير بأعمالهم الخاصة المختلِفة، فنحن نعيش في زمن تعددت فيه الاهتمامات، وكثُرَتْ الانشغالات، لكن علينا أن نطالِب أنفسنا بزكاةٍ من وقتنا،

فكل إنسان منا ينبغي أن يَبذل من وقته ولو ساعات محددة في كل أسبوع للمشاركة في هذه المؤسسات والجمعيات.

وأخيراً؛ على كل إنسان أن يَبذل من جاهه إذا كان صاحب مكانة، ووجاهة، فكل إنسان له وجاهة بمقداره، و«المرء حيث وَضع نفْسَه».

بعض الناس يقول: أنا ليست لي مكانة.

والصحيح هو أنك حينما تسعى وتَحمل قضية، القضية هي التي تُكوِّن لك المكانة، هي التي تجعل لك اعتباراً وشأناً؛ ذلك لأنك حملت قضية.

علينا أن نضحي بأوقاتنا ووجاهتنا من أجل دِيننا، ومن أجل مجتمعنا، وأن نستعد للتضحية براحتنا وبأنفسنا حينما يستلزم الأمر ذلك؛ هذا هو منهج الإمام الحسين عليه السلام.

في قضية الإمام الحسين نتحدث عن تضحيته، ونتحدث عما بَذل، وعانا، وتَحمل في سبيل الله، لذلك يجب أن يدفعنا هذا للاقتداء به، ويُفترَض في مجتمعٍ يحيي هذه الذكرى بهذا الزخم الكبير، وهذا التفاعل العظيم، أن تنعكس آثار هذا الإحياء على واقع المجتمع، وعلى اهتمامات المجتمع.

الحسين عليه السلام يُذكِّرُنا بأنه خرج من أجل هذا الهدف الكبير، فعلينا أن نحمل هذا الهدف، ونسعى في الطريق الذي سعى فيه وهو طلب الإصلاح في الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثيبنا وإياكم بمصيبة أبي عبد الله الحسين، وأن يوفقنا للاحتفاء بهذه المناسبة والاستفادة من دروسها وعبرها ومنافعها العظيمة والكبيرة.

الخطبة الثانية

التعاطف مع المظلومين

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (إن البكاءَ والجزعَ مكروهٌ للعبد في كلّ ما جَزع، ما خلا البكاء على الحسين بن علي، فإنه فيه مأجورٌ)[1].

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال لابن شبيب: (ان كنت باكيا لشئ فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم في الأرض شبيهون)[2].

نحمد الله سبحانه وتعالى أن جعلنا ممن يَحمل هذه العاطفة الجياشة تجاه أهل بيت الرسالة.

هذه العاطفة الجياشة هي وسيلة مهمة للارتباط بأهل البيت عليهم السلام، وهي جسرٌ دائمٌ من أجل الانفتاح على آفاق حياتهم النبيلة المقدَّسة، فالمسألة ليست مسألة أشخاص، وإنما هي مسألة قِيَم هؤلاء الأشخاص التي حملوها، وقَدَّموا من أجلها أعظم التضحيات، فحينما يرتبط الإنسان بهم إنما يضع نفسه على الخط الذي كانوا عليه.

(١) وسائل الشيعة. ج ١٤، ص ٥٠٧.

(٢) عيون أخبار الرضا. ج٢، ص٢٦٨.

المخزون العاطفي وضروريتُّه الفطرية:

إن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان مخزوناً من العاطفة في أعماق نفسه، والإنسان السوي تَتمظهر لديه الحالة العاطفية في المواقف الإنسانية، فحينما يشاهِد مشهداً مؤثراً مؤلماً؛ فإنه يتفاعل ويتعاطف معه، وإذا كان الإنسان لا يتفاعل مع مشاهد الألم ومع المآسي الإنسانية، فإن حالته غير سوية، قد يعاني من قسوة القلب، ومن الجفاء والجفاف في المشاعر.

إن وجود العاطفة الغنية في نفس الإنسان يكشف عن سويته، ويكشف عن حالة الطبيعة الإنسانية.

وكما هو واضح فإن الإنسان حينما يتألم من بعض المواقف والمشاهد، فمِن مصلحته النفسية أن يعبّر عن ذلك الألم، أما إذا كبت حزنه وألمه؛ فإن ذلك قد يَتحول إلى عُقَد تنتج لديه أزمات في داخل نفسه، فما يتحدث عنه علم النفس الآن هو أنّ الإنسان ينبغي أن يعبّر عن انفعالاته في الفرح والحزن، وأنّ التعبير عن الانفعال الداخلي يفيد نفس الإنسان.

وفي نصوصنا الدينية قبل علم النفس ما يدل على ذلك.

- ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «مَن خاف على نفْسه مِن وَجْدٍ بمصيبةٍ فليُفِضْ من دموعه فإنه يسكن عنه»[1]، لهذا فإن الشارع المقدس لا يمانع من أن يحزن الإنسان حينما يواجِه مصيبة من المصائب، ولا يَمنع من أن يظهر الإنسان هذه العاطفة، ولكن ينبغي أن تكون في حدود، فلا تكون نوعاً من إظهار عدم الرضا بقضاء الله تعالى وقدره.
- نحن نقرأ أن رسول الله صلى الله عليه وآله حينما مات ولدُه إبراهيم عليه السلام تَأثر وبكى ودمعت

(١) محمد بن علي بن بابويه القمي. من لا يحضره الفقيه. ج ١، الطبعة الخامسة ١٣٩٠هـ، (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ص ١٨٧.

عيناه، وقال قولته المشهورة: «تَدمع العين ويَحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون»[١].

إنَّ على الإنسان ألا يظهر مظاهر الجزع عند المصائب الدنيوية التي تحيط به، ينفِّس عن نفسه وعن انفعالاته لكن ضمن الحدود المقبولة، ولا يمارس حالة الجزع ومظاهر الجزع، من لطم الرأس، أو شق الجيب، أو لطم الصدر، أو حتى الضرب على الفخذ، فقد وردت روايات تنهى عن ذلك، والعلماء والفقهاء يعتبرونه من المكروهات، وفي بعض الحالات إذا كان فيه اعتراض على قضاء الله وقدره يكون حراماً.

لكن رواياتنا تستثني قضية الإمام الحسين ﷺ، وهذا الاستثناء نفهمه من تعاطف رسول الله ﷺ مع هذه القضية منذ ولادة الحسين، حيث أظهرَ الحزن والبكاء والتفجع، في مناسبة وأخرى، لهذه الحادثة التي لم تقع بعدُ، بكى لها قبل نصف قرن من وقوعها.

إن هذا الفعل منه ﷺ يدل على تميّز هذه الحادثة، وعلى استثنائيتها.

ثم إننا نجد أئمة أهل البيت ﷺ مع ما نعتقده فيهم من أنهم قمةٌ في الصبر والتجلد والتسليم لأمر الله سبحانه وتعالى، لكنهم في قضية الإمام الحسين نرى في حياة كل إمام منهم مشاهد لإظهار التألم والتفجع على ما حصل في كربلاء، وبذلك أوصَوا شيعتهم وأتباعهم.

البعد القيمي والانساني:

القضية ليست مجرد تألم لحادثة حدثت في التاريخ، وإنما تعني تعزيز التعاطف مع القضية، ومع أولئك الأبطال الذين ضَحوا في سبيل الله، وتحملوا ما تحملوا، إن هذا الحزن والألم يعني الرفض للظلم الذي وقع على أهل البيت ﷺ، وتنمية الحساسية تجاه كل مشهد من مشاهد الظلم، والتعاطف مع أي مظلوم يُظلم في هذه الحياة، فهذه

---

(١) سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود. ج١، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية)، ص٥٨.

العاطفة الجياشة، عند الإنسان المؤمن، ينبغي أن تتحرك أيضاً في مختلف الموارد والمشاهد.

حينما نشاهد الفظائع والفجائع التي تحل بالإنسانية في هذا العصر، بإخواننا في فلسطين، في الصومال، في باكستان، في أفغانستان وفي المناطق المختلفة، ينبغي أن لا نمر على هذه المشاهد دون اكتراث، ودون تأثر. علينا أن نشعر بالتألم، وأن نشعر بالتعاطف؛ لأن هذا درجة من درجات التناصرِ والعون للمظلوم، وقد أوصانا ديننا بأن «كونوا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً».

مع الأسف الشديد لكثرة هذه الفجائع والمشاهد تكاد أن تكون قد تطبَّعَتْ في نفوس الناس! فالإنسان بات في كل يوم يشاهد صور الظلم والعدوان على شاشات التلفاز وعلى صفحات شبكة الإنترنت!

على الإنسان ألا يَسمح لنفسه بأن تتكيف وتتطبع مع هذه المشاهد، عليه أن يشعر بالحزن تجاهها، وأن يشعر بالألم عليها، وبالتعاطف تجاه هؤلاء المظلومين المصابين، فالتألم لما أصاب الحسين عليه السلام إنما هو نهج لرفض الظلم في كل مكان، وللتعاطف مع المظلوم في كل عصر.

الخطبة الأولى

كيف نستقبل العام الجديد؟

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[سورة يونس، الآية: ٥].

من أجل أن يُنظِّم البشرُ حياتَه احتاجَ لمعيارٍ ونظامٍ يقيس به الوقت، والتفتَ الإنسان حوله، فرأى حركة الشمس والقمر، ورأى تغيُّر أجواءٍ وأوضاعِ الطبيعة بسبب حركتهما؛ لذلك هدته فطرته فاعتَمَدَ حركةَ الشمسِ والقمرِ؛ من أجل إعداد نظامٍ ومقياس يقيس به الزمن؛ فكانت وحدة اليوم، ووحدة الأسبوع، ووحدة الشهر، ووحدة السنة، وهكذا ما هو أقل؛ كالساعات والدقائق، وما هو أكثر؛ كالعقود والقرون.

إن هذا التنظيم للوقت، كله يعتمد في حياة البشر على حركة الشمس والقمر، لهذا يَمتن الله تعالى على خلقه في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، فبالإضافة إلى الفوائد العظيمة المختلفة المرتبطة بوجود الشمس والقمر، تضاف هذه الفائدة أيضاً؛ إذ من خلال حركة الشمس والقمر، ينظِّم البشر الزمن، ويَجعل مقياساً لحركة الزمن.

مبدأ تأسيس السَّنَة:

من الوحدات الزمنية الأساسية الهامة هي السَّنة؛ والسَّنة عند كل البشر اثنا عشر

شهراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً﴾[سورة التوبة، الآية: ٢٦]. بعضهم لديه حسابٌ شمسي، وبعضهم لديه حسابٌ قمري على حساب القمر ومنازله؛ هناك سنة فيها اثنا عشر شهراً عند مختلف الشعوب، ومختلف الشعوب لديها بداية لسنتها، ولديها حدث تبدأ به تاريخها، نحن كمسلمين نعتمد ـ في منطقتنا العربية ـ التقويم القمري، بناءً على حركة القمر، والشهور عندنا هي شهور قمرية.

إن بداية السنة عند العرب سابقاً لم يكن لها تاريخ محدد، وكانوا يؤرِّخون بالحوادث: عام الفيل؛ حجة الوداع؛ عام الحادثة الكذائية. حتى بالآيات الكريمة، صاروا يؤرِّخون بعض السنين بنزول الآيات أو السور؛ كـ(براءة) مثلاً.

استمرت هذه الحالة عند العرب والمسلمين ؛ لأنه لم تكن لديهم حضارة، فبداية التاريخ واعتماده يرتبط بوجود حضارة عند مجتمعٍ بشري؛ وحينما بدأت الحضارة الإسلامية وشعر المسلمون بأنهم يعيشون ضمن حضارة، ولديهم حركة حضارية، حَصَلَ هناك تفكير في أن يبدؤوا بتاريخ، فيكون لهم تقويم يحدِّد بداية التاريخ عندهم، وتكون هناك بداية للسنة.

اختلف المسلمون، وذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، من أين يبدؤون التاريخ؟ بأي حدث؟

قال بعضهم: نبدأ بميلاد رسول الله ﷺ، ونعتبر سنة ولادة الرسول ﷺ هي بداية التاريخ.

وقال بعضهم: نبدأ بالبعثة.

وقال بعضهم: بحجة الوداع.

وقال بعضهم: بوفاة رسول الله ﷺ. وتشير المصادر الإسلامية إلى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، هو الذي اقتَرح أن تكون بداية التاريخ بهجرة رسول الله ﷺ؛ ذلك لأنها بداية نهوض الأمة، وتكوين كيانها، حينما جاء رسول الله ﷺ للمدينة المنورة،

وبدأ تكوين وإنشاء المجتمع الإسلامي، وبالتالي انطلاق الحضارة الإسلامية؛ فأَخَذَ الأصحاب اقتراح أمير المؤمنين، ثم تداوَلوا حول الشهر، فتقرر أن تكون البداية من شهر المحرم، كبداية للسنة الهجرية الجديدة؛ من هنا بدأ التاريخ عند المسلمين.

أما المسيحيون فقرر زعماؤهم أن تكون البداية بسنة ولادة سيدنا المسيح عيسى ابن مريم ﵇، وما قبل ولادته يعتبر قبل التاريخ، فهناك أحداث تؤرَّخ بما قبل الميلاد، يعني ميلاد السيد المسيح ﵇، ثم بدؤوا يعتمدون ميلاد السيد المسيح ﵇ كبداية للسنة عندهم. وكثير من الشعوب الآن اعتمدوا هذا التاريخ.

عيسى النبي العظيم

في هذا العام البداية متقاربة؛ بداية السنة القمرية الهجرية مع بداية السنة الميلادية.

نحن كمسلمين نقدس نبي الله عيسى ابن مريم، ونحترمه، ونؤمن به، كما نؤمن بجميع الأنبياء والرسل، لا نفرِّق بين أحد منهم.

هذا الرسول العظيم، تحدث القرآن الكريم حوله كثيراً؛ سورة كاملة (سورة مريم) تتحدث عن ولادته؛ بدايته كانت إعجازية، ونهايته كانت إعجازية أيضاً؛ رفعه الله تعالى إليه. البداية كانت إعجازية؛ لأن بداية البشر كانت شخصين من دون أب وأم، وهما آدم وحواء، ثم أصبح النظام والحالة المألوفة في حياة البشر: أنه لا تحصل ولادة إنسان جديد إلا بالتقاء رجل وامرأة، ومن خلال هذا اللقاء وتلاقح الحويمن مع البويضة بقدرة الله تعالى، يتكون الإنسان؛ هذه هي سُنة الحياة، لكن الله تعالى أراد لنبيه عيسى ابن مريم أن ينشأ بطريقة إعجازية، ليس كآدم وحواء، من التراب مباشرة، وإنما عن طريقِ أمٍّ فقط، ومن دون أب؛ لذلك يُنسب إليها عيسى ابن مريم، فهو ليس له أب.

السيدة مريم واجهت مشكلةً كبيرةً جداً، كانت عابدة، زاهدة، معروفة في مجتمعها بالعفاف، منقطعة لعبادة الله سبحانه وتعالى، والمعروف أن المرأة لا تلد إلا إذا غَشاها

زوج، فكيف جاءت بمولود من دون أن يكون لها زوجٌ بزواجٍ معلوم؟!

كانت قضية عصية على الاستيعاب، لكن الله تعالى زودها بمعجزة تثبت طهرَها وعفتَها، وتثبت قدرة الله سبحانه وتعالى، فسورة مريم تتحدث عن هذه الحادثة بتفصيل رائع جميل.

نبارك لأنفسنا ولجميع المسيحيين ولادة هذا النبي العظيم، فلكل أمة مناسباتها، وأعيادها، لا نستنكر عليهم أن تكون لهم أعيادهم، ولا إشكال في أن نبارك لهم، وأن نهنئهم، فالمناسبة مناسبة دينية؛ لأنها ترتبط بولادة نبي من أنبياء الله العظام؛ وإن كان هناك نقاش حول توقيت الولادة، فهو موجود حتى في توقيت ولادة النبي محمد ﷺ، في أي يوم كانت، في الثاني عشر أو السابع عشر من شهر ربيع الأول.

استقبال السنة الجديدة:

أحببت في حديثي أن أشير إلى أن تعامل الإنسان مع بداية السنة الجديدة ينبغي أن يكون تعاملاً مفيداً وإيجابياً، فمجيء سنة جديدة هو بحد ذاته ينبغي أن يثير في نفس الإنسان مجموعة من المشاعر، أهمها:

أن يحمد الله تعالى على أنه بلّغه سنة جديدة؛ ويَستشعر بأنه قد انصرمت سنة من عمره، فيتأمل في نفسه؛ فكل إنسان عنده رصيد محدد من العمر، حينما تدخل عليه سنة جديدة، يجب أن يعلم بأن الرصيد نقص سنة،.

وهذا يَتضمن في البَيْن عدة نقاط:

الإيحاء النفسي

مجيء سنة جديدة وما يصحبها من احتفاء واهتمام، ينبغي أن يوحي للإنسان بحالة من التفاعل والأمل؛ الحياة فيها مشاكل، وآلام، لكن لا ينبغي أن تكون قفراً من الآمال، الأمل هو الذي يعمِّر قلب الإنسان، يعطيه الحيوية؛ لذلك فإن الإنسان وهو يبدأ السنة

الجديدة عليه أن يتفاءل خيراً، وأن يَطلب من الله الخير.

نرجو أن تكون هذه السنة، سنةَ خير علينا وعلى جميع المسلمين، وأبناء البشر.

التفاؤل أمر جيد، وينبغي أن يجدِّد الإنسان نفسيته وحياته.

حينما كنا نعيش في إيران كنا نجد الإيرانيين في بداية السنة الشمسية الجديدة عندهم، التي تبدأ بأيام النوروز حسب مصطلحهم، يَستعد كل واحد منهم لكي يُشْعِر نفسه، ويُشعِر عائلته، بأنه يدخل وضعاً جديداً؛ تغييرات في البيت، يجعلها متقاربة مع السنة الجديدة؛ يغسلون البيت وينظفون أثاثه ويعيدون ترتيبه. يقولون: هذا له فائدة كبيرة؛ فهو يوجِد إيحاءً نفسياً بتجديد الحياة عند الإنسان وعائلته وأبنائه، وكأنه يَستأنف الحياة من جديد، كأنه يفتح صفحة جديدة في حياته.

التخطيط للسَّنة الجديدة

كما للحكومة ميزانية محددة وتخطيط لموارد صرفها كذلك الإنسان ينبغي أن يعتمد هذا النظام في حياته؛ يخطِّط لهذه السنة الجديدة؛ أنا مقبِل على سنة جديدة، فما هي برامجي؟ ما هي خططي؟ ما هو تفكيري؟

وضع الأهداف

ماذا تريد أن تحقق خلال هذه السنة؟ ماذا تريد أن تعمل؟

الإنسان الذي يسترسل يوماً بعد يوم، وأسبوعاً بعد أسبوع، ولا يقف وقفة تأمل يحاسب فيها نفسه؛ قد لا يحظى بما يُؤمِّله من النجاح.

على الإنسان أن يضع له برنامجاً، وأن يخطِّط، ويضع له استهدافات في هذه السنة، وفي آخرها يحاسب نفسه؛ ماذا أنجزَتْ؟ ماذا حققَتْ؟ وماذا لم أحقِّق؟ وما هي الأسباب؟ الشركات والمؤسسات لها هذا النوع من النظام.

لا بأس أن يكون الإنسان على مستوى حياته الشخصية والعائلية، يجلس مع العائلة

ويتذاكر معهم؛ ما هو برنامجنا في هذه السنة الجديدة؟

قد تَحصل مفاجآت وطوارئ، لكن الأفضل أن تكون للإنسان خطة، وميزانية، ويضع له أهدافاً في المجال المعنوي، والاجتماعي، والثقافي، والمادي.

كم كتابٍ تقرر أن تقرأه خلال العام المقبل؟ كم برنامجٍ معرفيٍّ تفكر أن تدخله في السنة المقبلة؟ كم عملٍ عباديٍّ؟ كم نشاطٍ اجتماعيٍّ؟ ارسمْ أمامك أهدافاً؛ فالإنسان إذا وَضع أمامه هدفاً وتَحرَّك باتجاهه يحققه أو يقترب من تحقيقه كما قيل: «ما رام امرؤٌ شيئاً إلا وَصَلَ إليه أو دُونِه».

ضع أمامك عشرة أهداف، وحقِّق على الأقل خمسة أو ستة أو سبعة حسب همتك، المهم أن تضع أمامك أهدافاً، فمِن المناسِب جداً أن يفكر الإنسان بهذه الطريقة.

الجيران الفقراء والمسؤولية الشرعية

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما آمن بي من باتَ شبعاناً وجارُه جائع)[1].

هذا الحديث الشريف يضع مقياساً لحقيقة الإيمان؛ فالإيمان كما يربطك بالله سبحانه وتعالى، فإنه يُحمِّلك المسؤولية تجاه عباد الله وخَلقِه، فالإنسان المؤمن كما يسعى لتدبير أمور حياته، وقُوْتِ عيشه، عليه أن يفكر فيمن حوله، فلا يصح له، أن يكون أنانياً، يفكر في ذاته فقط، ولا يفكر فيمن حوله.

لاحظوا كيف أن النَّص لم يتحدث عن إسلامٍ أو إيمان الجار، بل أطلق القول: (وجاره جائع)، كائناً من كان ذلك الجار، حتى لو كان جارك غير مسلم، وهو جائع، فأنت تتحمل المسؤولية تجاهه. بل يَحْرُم على الإنسان شرعاً أن يَحبس حيواناً إذا لم يطعمه، أو يطلق سراحه؛ كي يجد طريقه لتحصيل قُوْتِهِ؛ فالإنسان يتحمل المسؤولية تجاه من حوله.

بمقتضى هذا الحديث وَضَعَ الإسلام تشريعاتٍ مالية، مثل: الزكاة؛ الخمس؛ الكفارات، وشَجَّع على الصَّدَقة، وفوق ذلك كلِّه حَمَّلَ الإنسان المسؤولية تجاه من حوله، حتى لو لم يكن عليه زكاة، ولو لم يكن عليه حقوق شرعية.

---

(١) الكافي. ج٢، ص٦٦٨.

حدّ الجِوار

الروايات تقول: حدّ الجوار أربعون بيتاً من كل جهة من الجهات؛ وبالتالي أنت تتحمل المسؤولية تجاه المَحلة والمنطقة التي تكون فيها، بحيث يشعر الناس بالتكافل والتضامن فيما بينهم، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «كل أربعين داراً جيران، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله»[١]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «حدّ الجوار أربعون داراً من كل جانب من بين يديه ومن خلفه ومن يمينه وشماله»[٢].

مع الأسف الشديد أننا نعيش في بلد فيه الخيرات والثروات، وهذا النفط المتدفق، والخير المتوفر بأيدي الناس، لكن هناك سوءًا في التنظيم والتخطيط، وهناك إهمال.

وبعض الناس لا يجتهدون في تحصيل رزقهم؛ لذلك نجد حالات من الفقر، نجد أناساً يعيشون في بيوت من الصفيح، وقد أظلهم الشتاء، وداهمهم المرض.

هذه المشكلة موجودة على مستوى الوطن، وأعتقد أنكم قرأتم في الأيام الماضية من خلال الحديث عن «كارثة سيول جدة»[٣]، ومن خلال الحديث عن النازحين في الجنوب؛ بسبب الحرب على الحدود السعودية اليمنية[٤]، فبعض من ذَهبوا من منطقتنا إلى هناك، ورأوا النازحين في الخيام، كتبوا أن هؤلاء النازحين كانوا مرتاحين، يعتبرون حياتهم في الخيام أفضل من حياتهم في قراهم؛ لأن قراهم كانت تفتقد أدنى مستلزمات الحياة الطبيعية السليمة من الخدمات، والآن في الخيام يشعرون بأن عندهم خدمات، ويجدون عناية بهم كنازحين، فهذا أفضل من حياتهم في القرى التي كانوا فيها.

---

(١) الكافي. ج٢، ص٦٦٩.

(٢) الكافي. ج٢، ص٦٦٩.

(٣) يوم الأربعاء ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٩م.

(٤) اشتباكات عسكرية اندلعت بين جماعة الحوثيين والقوات السعودية في منطقة الحوبة التابعة لجازان واستمرت الحرب من ١١ أغسطس٢٠٠٩م إلى ٣ نوفمبر ٢٠٠٩م.

هذا لا ينبغي أن يحصل في بلادٍ مثل بلادنا التي حباها الله بالخيرات والثروات، فهذه الميزانية الضخمة، التي تعلنها الدولة والحكومة، أين تذهب؟!

في الواقع حالات الفساد المستشرية في كثير من الأجهزة، هي التي تعوق وصول الخدمات إلى المواطنين، وأيضاً ضعف المواطنين في متابعة حاجاتهم، والمطالبة بحقوقهم، هو الذي يعطي الفرصة للموظفين الفاسدين، أو الموظفين المهملين، ألا يقوموا بواجبهم تجاه المواطنين؛ لذلك ينبغي الاهتمام، وعدم السكوت عن أي خلل، أو نقص، أو خطأ، ومواجهة الموظفين والمسؤولين بذلك.

قبل أيام يخبرني أحد المواطنين بأنه ذهب إلى المستشفى، وأُعطي وصفة دواء، وذهب إلى الصيدلية، فقالوا له: هذا الدواء غير موجود. فخَرَج، فصادفه شخصٌ وسأله، فأخبره بما حصل، فقال له: اذهبْ إلى المدير؛ لأن هناك تعميماً من الوزارة بأن الدواء الذي لا يتوفر في صيدلية المستشفى، يَتحمل المستشفى كلفة شرائه. وبالفعل أُعطي هذا الشيء، لكن هذا المواطن لم يكن يَعرف، وبمجرد أن قيل له أن الدواء غير موجود اقتنع بذلك.

كثيرٌ من الناس لا يعرفون حقوقهم، وإذا عرفوا، فبمجرد أن يبرر لهم الموظف يقبلون التبرير! وكأنه يمثل الدولة والقوانين!

صحيحٌ هو كموظف يمثل الدولة في وظيفته، لكنه إذا كان في رأيه خلل، عليك ألا تقف عند حدود هذا الموظف؛ اذهبْ إلى من هو أعلى منه، لتتأكد من الوصول إلى حقك.

إذا بدأ الناس يطالبون ويتابعون؛ فإن ذلك يساعدهم على تجاوز الكثير من النواقص والمشاكل؛ ومع ذلك ستبقى هناك حالات تَحتاج إلى تضامن اجتماعي، حتى لو كانت هناك برامج تصل إلى الناس؛ فالإنسان عليه أن يَتفقد أوضاع الفقراء والمحتاجين في بلده ومجتمعه؛ هناك في المجتمع أناس يعيشون العفة مع الفقر، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ

أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾، لا يَطلِبون، ولا يستجْدون.

أوضاع الفلسطينيين في غزة:

مليون وخمسمائة ألفٍ يعيشون محاصرين في غزة، وإسرائيل تَفرض عليهم الحصار، ومع الأسف أن الدول العربية تَفرض حصاراً أكثر من حصار إسرائيل عليهم! خاصة الدول المجاورة لهم!

هؤلاء مسلمون، ومظلومون، وهم إخوانٌ لنا، فكيف نقبل ذلك؟!

كيف ترضى نفوسنا أن يعيشوا هذه الحالة السيئة؟!

أكثر من ثلاث سنوات، وهم يعيشون هذا الحصار الظالم، يُمنعون دخول الدواء إليهم، ويَمنعون عليهم مواد البناء رغم التدمير الذي حصل لهم. والآن ذكرى مرور سنة على العدوان الإسرائيلي على غزة[١].

هذا العدوان الذي قُتِل خلاله (١٥٠٠) شخصٍ، ومعظمهم من النساء والأطفال!

حرب ظالمة استمرت (٢٢) يوماً؛ أما الجرحى، فكان عددهم أكثر من (١٥٠٠٠) جريحٍ، ودُمِّرتْ معظم المراكز والمؤسسات الحكومية، وهُدم (٥٠٠٠) بيتٍ بشكل كامل، و(١٥٠٠٠) بيتٍ بشكل جزئي، ولم يُبْنَ خلال هذا العام إلا بيتٌ واحد من الطين بواسطة المنظمات الدولية،، وتشرّد من خلال تلك الحرب (٤٠٠٠٠٠) إنسانٍ، شُرِّدوا من منازلهم وبيوتهم، ودُمِّرَ أكثر من (٧٠٠) مصنعٍ، إضافة إلى (١٥٠٠) محلٍ، وهُدم (٥٠) مسجداً بشكل كلي، و(١٠٠) مسجدٍ بشكل جزئي، ومِثلها من المدارس، وأُحرِقَتِ المئات من الدّونمات الزراعية، واقتُلِعَتِ الآلاف من الأشجار المثمرة، ودُمرت عشرات المزارع على مسمع ومرأى من العرب والمسلمين والعالم أجمع؛ هذا الحصار الظالم الذي تفرضه إسرائيل ـ ومع الأسف الشديد ـ تشارِك فيه الدول العربية.

---

(١) بدأ العدوان الإسرائيلي على غزة يوم السبت ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨م واستمر إلى أربعة وعشرين يوماً.

«مَعْبَر رَفَح» الذي هو المَنْفَذ الوحيد للفلسطينين على مصر، نتابع كيف أن الحكومة المصرية أعلنت عن عزمها ببناء جدار فولاذي، يَمنع من أن تكون هناك أنفاق تُمكِّن الفلسطينين من أن ينالوا بعض احتياجاتهم، وهذا الجدار سيصل إلى عمق (٣٠) متراً؛ وسيكون هذا الجدار من صفائح فولاذية طول الواحد منها (١٨) متراً، وسمكها (٥٠) سم/ متراً، مزوَّداً بأجهزة تنبِّه لمحاولات خرقه، وسيكون بإشراف كامل من ضباط مخابرات أمريكيين، وفرنسيين.

هذا الجدار أُنجز منه حتى الآن حوالي (٥,٥) كيلومترٍ، من أصلٍ طوله المقرَّر (١٠) كيلومتر.

لماذا هذه المساهمة في حصار هذا الشعب المظلوم المقهور؟!

كيف يَهنأ العرب؟!

وكيف يَرضى المسلمون أن يعيش مليون ونصف إنسان مسلم هذه الحالة من الظلم؟! نساؤهم يستغثن، وأطفالهم يستغيثون، ومَشاهد الدمار، والفقر والألم والحرمان واضحة! لكن: لقد أَسمعْت لو ناديت حَيَّاً، ولكن لا حياة لمن تنادي.

مع الأسف الشديد أن الأمة تعيش مثل هذه الحالة، إلا أن ما يسلينا هو هذه الإرادة الفولاذية عند شعب غزة، والشعب الفلسطيني، بحيث بدأ حتى المفكرون والمنظِّرون الإسرائيليون، يعترفون بأن سياسة الحصار والعدوان على شعب غزة فشلت في أن تحقِّق الهدف منها؛ إذ لم يركع الناس، ولم يستسلموا، ولم يتراجعوا عن مطالبهم.



الخطبة الأولى

التربية الصالحة واحتمالات التمرّد

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة هود، الآيتان: ٤٢ – ٤٣].

يدعو الدين أبناءه والمنتمين إليه إلى أن يكونوا دعاةً ومؤثرين في من حولهم، فلا يكفي أن يكون الإنسان مؤمناً صالحاً وإنما عليه أن يدعو الآخرين إلى الإيمان والصلاح، ويسعى لهدايتهم وإرشادهم، فذلك جزء من إيمانه وصلاحه.

وأقرباء الإنسان وأسرته هم الدائرة الأولى، التي يجب أن يسعى للتأثير عليها، وهدايتها، قبل الآخرين، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى حينما أمر نبيه محمداً ﷺ أن يبدأ بدعوة الناس وإنذارهم، أمره أن يبدأ بعشيرته: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، والله تعالى يأمر الإنسان المؤمن بأن يدعو أهله إلى الصلاح وإلى الخير: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾.

وتأتي التربية الحسنة في الدرجة الأولى من الأمور التي ينبغي للإنسان أن يسعى بكل جهده إلى تحقيقها في القريبين منه، كما ينبغي أن يكون قدوة فيما يدعو إليه. ورغم ضرورة وأهمية هذا الأمر إلا أن الدين يأخذ الواقع بعين الاعتبار، فقد يبذل

الإنسان كل جهوده للتأثير على من حوله، إلا أنه ليس حتمياً أن يؤثر فيهم.

من جانب آخر، فإن استخدام الأب لأفضل الأساليب التربوية يكون له أبلغ الأثر، لما يُمثله الأب من أثر كبيرٍ على أبنائه، وللإستعداد النفسي لدى الطفل في تقبل التوجيه، وهنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ»[1].

فإذا بدأ الأب مع أبنائه منذ صغرهم، واهتم بتربيتهم، وتنشئتهم على الخير والصلاح، فإن مهمته ستكون أقرب إلى النجاح.

ولا يخفى الأثر الكبير للبيئة المحيطة، فحين ينفتح الولد على البيئة من حوله، وخاصة في هذا العصر، حيث وسائل الإعلام والاتصالات، ووجود الثلل، أي مجموعات الأصدقاء، فإن قدرة الأب على السيطرة على أولاده تنخفض تدريجياً.

حتى لو أبقاهم في البيت، فإن وسائل الإعلام والاتصال قد غزتنا إلى غرف نومنا، فالتلفون النقّال الآن أصبح نافذة مفتوحة على العالم كله.

حدود المسؤولية التربوية:

إذاً ماذا يصنع الإنسان؟

على الإنسان أن يبذل جهده، وأن يسعى بالمقدار الممكن لتوجيه أولاده والمحيط من حوله لطريق الخير، وليس مطلوبًا منه أن يكون حتمي التأثير، فذلك أمرٌ قد لا يتحقق، والله تعالى لا يكلف الإنسان بما لا يستطيع: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

ومن أجل إيضاح هذه الفكرة، فإن القرآن الكريم يحدثنا عن عوائل الأنبياء، فرغم الجهود التي يبذلها الأنبياء، إلا أن أقرب المقربين إليهم قد لا يستجيبون لدعوتهم،

(١) الشريف الرضي. نهج البلاغة، الطبعة الأولى١٣٨٧هـ، (بيروت: دار الكتاب اللبناني)، من وصية له عليه السلام لابنه الحسن بن علي، كتاب ٣١.

القرآن الكريم يتحدث عن زوجتي نبي الله نوح عليه السلام ونبي الله لوط عليه السلام، فيقول تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[سورة التحريم، الآية:١٠].

وهنا يتساءل البعض: هل يعني ذلك أن النبي كان مقصّراً؟ بكل تأكيد كلا، فالمطلوب من النبي الاجتهاد في التبليغ، وليس مطلوبًا منه أن يكون حتمي التأثير على من حوله.

ويُقدّم لنا القرآن نموذجاً آخر يحكي قصة ابن نبي الله نوح، الذي تمرّد على دعوة أبيه، ولم يتمكن نبي الله نوح من التأثير عليه؛ فكان ممن غرقوا في الطوفان، فقد عمّ الغرق والعذاب قوم نوح الذين رفضوا الاستجابة له بعد سنين طويلة متمادية، فعاقبهم الله بهذا العذاب الأليم. والآيات الكريمة تحكي تفاصيل ما حدث بإيجازٍ بليغ.، يقول تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [سورة القمر، الآيتان: ١١-١٢]

نبي الله نوح كان يقود سفينة الخلاص والنجاة، لكن ابنه رفض أن يركب فيها، فكان من المغرقين.

ورغم الجهود التي بذلها نبي الله نوح عليه السلام لإقناع ابنه للالتحاق بهم، إلا أن جهوده لم تنجح، وحين بدأت علامات نزول العذاب لم ييأس نبي الله نوح عليه السلام من توجيه الوعظ لابنه، حتى حال بينهما الموج فكان من المغرقين.

حينما يأتي القرآن بهذه القصة فذلك من أجل أن يعطينا عبرة، بأن الأب يجب أن يبذل جهده، إلا أن تأثيره ليس بالضرورة أن يكون حتمياً.

ونقرأ في سيرة الأئمة الأطهار ما يُشبه ذلك، فبعض أولاد الأئمة وبعض زوجاتهم لم يكونوا مستجيبين لتوجيههم وهدايتهم، ومنهم عبد الله الافطح ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الذي كان مخالفاً لأبيه؛ وأيضاً جعفر الكذاب ابن الإمام الهادي عليه السلام، الذي كان يكذب على آبائه وأجداده، فضلاً عن جعدة زوجة الإمام الحسن التي دست

إليه السم فقضت على حياته.

وخلاصة القول: حين يقوم الأب بدوره على أكمل وجه في توجيه عائلته والقريبين منه، فإنه ليس بالضرورة أن يكون تأثيره حتمياً.

وهذا الأمر يجعلنا نتأمل كثيراً في واقع الناس، فحين نجد أن ابناً شقياً يمارس الإجرام، فليس معنى ذلك أن عائلته قصّرت في توجيهه، رغم احتمالية ذلك. ولذا يأتي التأكيد القرآني على هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾.

وهذا لا يعني أن الإنسان معذورٌ حين يكون مقصّراً، بل ينبغي أن يكون ذلك دافعاً لأن يسعى الإنسان بكل ما يمتلك من جهد وطاقة في سبيل تحقيق الأجواء الصالحة لأبنائه، ليكون طريقهم في الحياة نحو الصلاح والإيمان. وحين يستعصي الأمر، فإن ذلك يؤكد ضرورة أن تتضافر جهود الآباء في صنع بيئة صالحة لأولادهم.

وفي الوقت الذي نشهد فيه الحوادث الإجرامية المرعبة، فإن حصول مثل هذه الأمور، وهي ليست خافية، يُحمّل الآباء المسؤولية بمقدار جهدهم، لصناعة بيئة صالحة سليمة، وحين لا يتحقق ذلك فإن المستقبل ينذر بالكثير من المخاطر.

التزام العدل والاصطفاف مع القبيلة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾[سورة النساء، الآية: ١٣٥]

من الطبيعي أن ينشدَّ الإنسان إلى الدوائر القريبة التي ينتمي إليها، فهو يرتبط بعائلته، وبمجتمعه، وبلده، وبأهل دينه ومذهبه، هذا الانشداد الطبيعي حين يكون في بعده الإيجابي فهو أمر مفهوم ومقبول، أما حين يكون ذلك على حساب القيم والمبادئ فإنه لا يجوز شرعًا.

مثال ذلك حين يكون هناك عدوان من أحد القريبين للإنسان تجاه الآخرين، فإنه لا يصح الانحياز إلى الظلم فذلك مخالف للقيم وللتعاليم الدينية. إن الله تعالى يوجّه المجتمع الإيماني لالتزام القيم السامية في جميع الحالات، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾. فالآية الكريمة لم تستثنِ أحداً بالتزام العدل والشهادة بالحق تجاهه، مهما كانت صلة القرابة معه. وفي السيرة النبوية نجد تأكيداً على ذلك، فقد كان شائعاً في الأعراف القبلية عند العرب، نصرة القبيلة لأي فرد من أبنائها في أي مواجهة مع الآخرين، سواءً كانوا ظالمين أو مظلومين. فكان لرسول الله ﷺ موقفٌ حاسم تجاه هذه الحالة التي لا تمت للقيم بصلة، حيث قال ﷺ: «أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قيل: كيف أنصره

ظالما؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإن ذلك نصره»[١].

وكذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في آخر وصاياه لولديه، قال لهما: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً»[٢]. وقال عليه السلام: «أحسن العدل نصرة المظلوم»[٣].

الاصطفاف الطائفي:

ونشهد في وقتنا المعاصر واقعاً مؤلماً، حيث الاصطفاف بحسب الانتماءات المذهبية؛ وكل أتباع مذهب يقفون ضد أتباع المذهب الآخر، مما يجعل الساحة محمومة بنيران الفتنة.

ومن المؤسف أن تجد هناك من يمارس هذا الاصطفاف حين يكون الخطأ من جماعته، أما حين يكون من الجهة الأخرى فإنه يُطالب بإدانة الخطأ، وهذا من الازدواجية؛ إذ ينبغي أن يُدان الخطأ من أي جهةٍ كانت.

وهنا يأتي دور العقلاء والمصلحين من مختلف الأطراف، أن ينحازوا للقيم ولمصلحة الأمة، وأن يدينوا الاصطفاف المذهبي من أي جهةٍ كانت.

وللإنصاف شاهدنا بعض المخلصين وهم يأخذون على عاتقهم هذا الدور الرسالي، كما شاهدنا من يكابر وتأخذه العزّة بالإثم. وهذا الأمر نجده في مختلف الأطراف من السنة والشيعة.

التحريض نذير الفتنة:

من المهم جداً أن يعي الجميع أن لغة التحريض ليست في صالح أحد، لذا كان ضرورياً أن يتوافق الجميع على الاحترام المتبادل، ليس بين الطوائف الاسلامية فقط

---

(١) كنز العمال. ج٣، ص٤١٤.

(٢) نهج البلاغة. وصية ٤٧.

(٣) عبدالواحد الآمدي التميمي. غرر الحكم ودرر الكلم، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي).

بل حتى مع غير المسلمين.

ومن هنا نؤيد الفكرة التي تطالب الأمم المتحدة بأن تصدر قراراً أو وثيقة تمنع الإساءة إلى المقدسات الدينية بين كل الأديان.

نحن لا نرضى أن يتجاوز أحد من المسيحيين أو غيرهم على مقدساتنا، فحين يقوم أحدهم برسم كاريكاتير مسيء لنبي الإسلام فهذا يوجد الغضب في قلوب المسلمين، ومن حقّهم ذلك، في ذات الوقت فإن الآخرين لا يقبلون بالإساة إلى مقدّساتهم. لذا فإن وجود ميثاق ملزم على المستوى الإنساني والعالمي كفيلٌ بتحقيق هذا المطلب. ونجد أن القرآن الحكيم يؤكد هذا الجانب، ويدعو المسلمين دعوة صريحة لاحترام مقدّسات أصحاب الأديان الأخرى، يقول تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].

فمن حق كل أمة أن تدافع عن مقدّساتها، وينبغي للناس جميعاً أن يحترموا مقدسات بعضهم بعضًا.

وما سمعناه مؤخراً من كلام مسيء لرسول الله ﷺ شغل الساحة الإسلامية، يؤكد أن الإساءة للإسلام لم تعد مجرد مواقف محدودة التأثير، وفي محيط ضيق، فنحن نعيش في عصر العولمة والانفتاح، إذ تتشابك وتتداخل المصالح؛ فربّ كلمةٍ يقولها إنسان هنا قد تسبب مشكلة في أقصى الأرض، ولذلك يجب أن يؤخذ هذا الأمر بعين الاعتبار.

فحين مُنع بناء المآذن في سويسرا، كان هناك موقف إيجابي من قبل الفاتيكان، إذ أصدر بياناً يُخالف فيه هذا الإجراء، وبالتأكيد فإن هذا موقفٌ يستحق الإشادة.

يتعاطفون مع الفلسطينيين:

ونموذجٌ آخر للمواقف الإيجابية تلك القافلة التي جاءت إلى فلسطين (شريان

الحياة رقم ٣)، وهي قافلة يقودها أناس من أوروبا وأمريكا مسيحيون ويهود؛ وتضم ٢٥٠ شاحنة محملة بمساعدات من أوروبا وتركيا وبلدان عربية إلى فلسطين، يرافقهم ثلاثون شخصاً من أمريكا، و ٢٧٠ شخصاً من أوروبا، و١٧٠ شخصاً من تركيا، وفيهم بعض اليهود حتى من حاخامات اليهود؛ لأن هناك اتجاهات في وسط اليهود ضد قيام دولة إسرائيل، ومخالفة للصهيونية، وفيهم امرأة كبيرة في السن، تناقلت وكالات الأنباء خبر مشاركتها، وهي يهودية اسمها: هيدي ابشتاين، وعمرها ٨٥ سنة جاءت مع القافلة، وهي من الناجيات من المحرقة النازية؛ جاءت مع القافلة على كبر سنها، تطالب بحرية غزة، وبحقوق الفلسطينيين، وتسعى لإيصال مساعدات لهم.

وهنا مفارقة غريبة، حيث نجد أن مسيحيين ويهوداً يبادرون لمساعدة المسلمين في غزة، بينما نجد مسلمين وعرباً مجاورين لغزة، ولا منفذ لأهل غزة إلا عبر أراضيهم، يعرقلون هذه القوافل ويعترضونها، ويحملونها المزيد من الأعباء؛ كما أشار منظم هذه القافلة جورج غالاوي وهو نائب بريطاني أن ٢٥ ٪ من المساعدات التي كانت على متن القافلة صادرتها أجهزة الأمن المصرية في العريش، جاء ذلك في مؤتمره الصحفي في غزة، وهو يتحمل مسؤولية كلامه، كما أنهم منعوا كثيراً من الناشطين أن يدخلوا إلى غزة، وحاولوا عرقلة وصول هذه القافلة.

والأسوأ من ذلك هذا الجدار الفولاذي الذي يريدون بناءه في رفح على الحدود المصرية، ليمنع الفلسطينيين من محاولات النفوذ من أجل تحصيل لقمة العيش ووسائل الحياة.

إذن المسألة ليس مسألة انتماء إلى وطن أو قومية أو دين أو مذهب؛ بل المسألة أن هذا الإنسان سوي أو فاسد، فإذا كان سوياً، فإنه ضد الظلم والعدوان، ويساعد المظلومين، بغض النظر عن دينه. وإذا كان فاسداً فإنه سيكون عوناً للظالمين، حتى ولو على أبناء الأمة والقومية والدين الذي ينتمي إليه.

الخطبة الأولى

واقع المسلمين وصورة الإسلام

﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[سورة الممتحنة، الآية: ٥].

هناك منهجان يَنظر الناسُ من خلالهما للمبادئ والأفكار:

المنهج الأول: التقويم النظري العقلي

إذا كان هناك مبدأ، أو فكرة، وأراد الإنسان أن يعرف مدى صواب هذه الفكرة، ومدى صحة هذا المبدأ؛ فإنه يَقوم نظريّاً برؤية الأدلة والبراهين؛ ويقوِّم تلك الفكرة؛ فيَحكم عليها أنها صالحة أو غير صالحة، صحيحة أو خاطئة.

المنهج الثاني: المنهج العملي التجريبي

ويعني تقويم الأفكار والمبادئ من خلال مُخْرَجاتها العملية، وواقع تطبيقها في التجربة؛ فإذا أردنا أن نقوّم فكرة من الأفكار؛ نرى التطبيق العملي لتلك الفكرة، ونرى ماذا أَنتَج؟ فإذا رأينا نتاج تطبيق تلك الفكرة نتاجاً سليماً؛ فإنّ ذلك يدفعنا إلى قبول تلك الفكرة؛ لأننا رأينا صحة النتائج والمُخْرَجات العملية.

مختلف النظريات الاقتصادية أو العلمية، كثيراً ما تحاكم على ضوء مخرجاتها، وكذا مناهج التعليم، إذا لاحظنا مخرجاتها، فسنحكم عليها من خلال الناتج والمخرجات العملية.

بالطبع فإن التقويم بناءً على التجربة، ينبغي أن يكون موضوعياً؛ ففي بعض الأحيان يكون هناك خلل في ممارسة الفكرة والنظرية؛ فتكون النتائج سيئة. وليس بالضرورة لأن النظرية خاطئة، وإنما لأن التطبيق خطأ؛ لأن هناك ثغرات معينة.

في الغالب أن الناس لا ينتبهون إلى هذا الأمر؛ لذلك يحكمون من خلال المظاهر، فليس كل الناس لديهم هذه الموضوعية، وهذا البُعد في النظر؛ بحيث إذا رأوا نتائج معينة لفكرة من الأفكار يتأملون في مدى مطابقة التطبيق للفكرة، ويحاولون أن يفرِّقوا بين الخلل في الفكرة، والخلل في التطبيق، ليس كل الناس يقومون بذلك، وإنما في الغالب يكتفون بالنظرة العامة، لذلك يقولون: «الناس عقولهم في عيونهم»؛ أي يحكمون على الأشياء من خلال ما يرون ويشاهدون.

والآية الكريمة ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ربما يستشف منها الإشارة إلى هذه المسألة؛ لأن الفتنة اسم مَصْدَر، يمكن أن يقصد به الفاعل، ويمكن أن يقصد به المفعول.

قد يكون المعنى ربَّنا لا تجعلنا مفتونين؛ يعني تقع علينا الفتنة من الكفار؛ بأن يهيمِن علينا الكفار فيفتنونا عن ديننا، يكونون سبباً لفتنتنا؛ ندعو الله بأن لا يجعلنا مفتونين من قِبَل الكفار، وأن لا يجعل للكفار سيطرة وهيمنة علينا تمنعنا من إقامة ديننا، فيفتنوننا ويبعدوننا عنه؛ هذا معنى.

والمعنى الثاني:

لا تجعلنا فاتنين للذين كفروا أي لا يكون واقعنا سبباً لإبعاد الكفار عن الدين؛ لا تجعل واقعنا واقعاً ضعيفاً مهزوماً؛ يعطي انطباعاً سيئاً للكفار تجاه الدين ويقولون: لو أنّ هذا الدين فيه خير لَمَا عاش أتباعه بهذه الحالة! وهذا معنىً دقيقٌ ومهمٌ جداً في هذه الآية الكريمة، ينبغي التركيز عليه.

في الغالب معظم المفسرين يركزون على المعنى الأول، أي لا تجعلنا مفتونين

عن ديننا بسبب ضغوط الكافرين المعادين، لكن بعض المحققين من المفسرين التفَتوا إلى المعنى الثاني أي لا تجعلنا سبباً لإعراض الكفار عن الدين، بحيث يكون عندهم انطباع سلبي عن ديننا، فلا يقبِلون على الدين من خلال نظرهم لواقع المسلمين؛ فهذه مسألة مهمة.

ويمكننا أن نلحظ الآن واقع المسلمين من خلال أمرين:

الأمر الأول:

التخلف الذي تعيشه هذه الأمة؛ في المجال السياسي، والاقتصادي، والتكنولوجي؛ فالأمم الأخرى إذا أرادت أن تتعرف على الإسلام، يُفترض أن تعرف عن الإسلام من خلال مصادره؛ يعني «المنهج العلمي»، بأن ترى الدلائل والبراهين؛ لكن إذا أرادت أن تتعرف على الإسلام من خلال واقع المسلمين، فهل يعطيهم هذا الواقع صورة جاذبة للإسلام؟ كلا.

يقول أحد الدعاة المسلمين: كنت في إحدى الدول الغربية جلستُ مع شخص أتكلم له عن الإسلام، قال: لا تُكثِر الحديث، تريدنا أن نكون مسلمين حتى يصبح واقعنا مثل واقعكم؟! نحن الآن نعيش وضعاً أفضل.

كان واقع المسلمين متقدماً، أيام عزِّ الحضارة الإسلامية، فجذبَ الآخرين، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾[سورة النصر، الآية: ٢]؛ لأن فيه قوة، ومَنَعَة، وتَقدُّمَاً، ورقيًّا، في مختلف المجالات.

تجار مسلمون ذهبوا للتجارة إلى ما وراء البحار، واستطاعوا أن يَقودوا تلك الشعوب إلى الإسلام؛ لأن الإسلام كان يتجلى في واقع متقدم حضاري؛ أما واقع التخلف فإنه يسبب نفوراً ونظرة سلبية.

والأمر الآخر:

هو العنف والإرهاب والتشدد، الذي يصدر من بعض الفئات المنتمية للإسلام، أو التي تأخذ عنوان الإسلام؛ هذه الأعمال الإرهابية تفتك بسمعة الإسلام، وتشوّه سمعة المسلمين، فالناس في أمريكا حينما يرون أن شخصاً مسلماً طبيباً نفسياً في قاعدة عسكرية يطلق النار ويقتل ثلاثة عشر شخصاً، ويجرح ثلاثين شخصاً[1]، فأي فكرة سيأخذون عن الإسلام؟.

وكذلك ما يحدث من حوادث في بعض بلاد المسلمين، في تعاملهم مع الآخر؛ يعطي صورة مشوهة.

كالأحداث التي حدثت في ماليزيا مؤخراً، وماليزيا تجربة يُفخر بها في مجال التعايش والنمو الاقتصادي والاستقرار السياسي، لكن التشدد بدأ يتسرب إلى مجتمع المسلمين هناك، وهم أغلبية، وإلى جانبهم تسعة بالمئة من المواطنين الماليزيين من المسيحين «ثمانمئة ألف كاثوليكي مسيحي»، وقد حصلت أخيراً بعض الحوادث التي تهدد هذا التعايش بين الأغلبية المسلمة والأقلية المسيحية.

لسبب لا يستحق أن يؤدي إلى العنف والاضطراب. فما تداولته وكالات الأنباء بأن هناك اختلافاً ونزاعاً حول: هل يصح للمسيحين في كتاباتهم وكنائسهم أن يستخدموا لفظ الجلالة «الله»؟! أو يقتصرون على استخدام كلمة «الرب»؟!

في الثقافة المسيحية حينما يتحدثون عن «الله»، يقولون «الرب»، وكذا في ماليزيا، باللغة المالاوية.

---

(١) إشارة إلى قيام ضابط من أصل فلسطيني بقتل ١٣ من زملائه وأصاب أكثر من ثلاثين آخرين إثر إطلاقه النار بشكل كثيف وعشوائي في قاعدة (فورت هود) العسكرية بولاية تكساس، ويعد هذا الحادث الأكثر دموية بقاعدة أمريكية على أرض الولايات المتحدة. جريدة الرياض. الصادرة يوم الجمعة ١٨ ذي القعدة ١٤٣٠هـ ـ ٦ نوفمبر ٢٠٠٩م ـ العدد ١٥١١٠.

وفي البلاد العربية المسيحيون يتحدثون عن «الله» في الثقافة العربية؛ هذا الأمر طبيعي.

في الثقافة المالاوية في ماليزيا، يعتقد المسلمون أن لفظة «الله» خاصة بهم! والمسيحيون لهم أن يستخدموا لفظة «الرب» فقط.

حَدَثَ جدل بسيط حول الموضوع: وتَقدَّم المسيحيون بطلب إلى المحكمة العليا في البلد لاقرار حقهم باستخدام لفظ الجلالة، المحكمة العليا حكمت لصالحهم، وحتى في القرآن الكريم عندما يَتحدث عن المشركين يقول: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[سورة لقمان، الآية: ٢٥].

لكن جماعة من المتشددين هاجموا ثلاث كنائس، وأحرقوها، وحاولوا الهجوم على كنيسة رابعة، وعملوا مظاهرات، ورفعوا دعوات وشعارات، تعرّض الاستقرار والتعايش في ماليزيا للخطر والاضطراب.

حاولتُ أن أبحث عن السبب من خلال التقارير التي تناولَتِ الحدث، هل هناك بُعد آخر في القضية؟ وما المشكلة في أن يستخدموا لفظة «الله»؟ لماذا هناك عند المسلمين لا يصح أن تُستخدم هذه اللفظة من قبل المسيحيين؟

القضية بهذا الشكل الذي نُقِلَتْ به في وسائل الإعلام لا يصح أبداً أن يكون سبباً للاحتراب، وحتى لو كانت توجَد مشكلة في الموضوع؛ ينبغي التزام القانون، فهناك محكمة، ودستور، ودولة.

لماذا يجري حرق الكنائس؟

إنّ هذه مراكز عبادية! فلماذا يحصل ذلك كما يحصل في بعض الأحيان لأقباط مصر؟! لماذا تعالج هذه المشاكل بالعنف؟!

هجوم على كنيسة! وإحراق كنيسة! وقتل مسيحيين!

لا ينبغي أن يكون هذا هو الأسلوب؛ هذا هو الذي ينفِّر الآخرين من الإسلام.

وحصلت مشاكل في بعض المدن الأمريكية والأوربية لإصرار بعض المسلمين على رفع صوت الآذان، مما يزعج الأكثرية المسيحية المجاورة للمساجد والمراكز الإسلامية.

فهل هذا هو الأولى والأهم في تلك المناطق؟

ينبغي أن يكون هناك حساب للأولويات.

أين قاعدة المهم والأهم؟!

لذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، إذا رأيت الناس يشتغلون بالفضائل فاشتغل أنت بإتمام الفرائض»[1].

البعض يعجبه هذا العمل الشعائري أو النشاط الإعلامي، ويرى فيه إظهاراً لذاته، فيمارسه؛ بغض النظر عن تداعياته السلبية على الدين هذا خطأٌ كبير، يدخل في سياق: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

مشكلتنا هي أننا قد لا نتأمل في كثيرٍ من مقاصد الشرع، ونندفع اندفاعات عاطفية تسبِّب ردَّ فعلٍ من الآخرين تجاه الإسلام، وتجاه المذهب والفكرة.

---

(١) ابن قاسم الحسيني العاملي. المواعظ العددية. الطبعة الثالثة٢٠٠٢م، (بيروت)، ص١٧٨.

الخطبة الثانية

الشيخ علي المرهون عاش للناس فأحبوه

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (موت العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تسد، وهو نجم طمس، موت قبيلة أيسر من موت عالم)[1].

يعيش مجتمعنا هذه الأيام أحزان فقْد وارتحال عالم من العلماء الربانين، هو العلامة الشيخ علي المرهون رحمة الله عليه، هذا الرجل الذي عاش في المجتمع قرابة قرن من الزمن، حيث يبلغ عمره الشريف سبعًا وتسعين سنة.

عاش هذا العمر بين الناس، أَحبَّ الناس وأحبوه.

خَدَمَ الناس؛ فأخلص الناس له الولاء والمحبة، وقد رأينا ورأيتم كيف كان تشييعه المهيب بالأمس! كيف اجتمع الناس من مختلف المناطق والأنحاء! وكيف كانت مسحة الحزن والأسى بارزة على الوجوه والمظاهر، وعلى مراسم التشييع!

إن ذلك يُظهر لنا هوية هذا المجتمع؛ هذا المجتمع بحمد الله ملتزم بهويته الدينية، أعماق الناس طيبة، منجذبة ومنشَدَّة للدين، ويعبرون عن هذا الانشداد، وهذا الالتفاف حول الدين، بالتفافهم حول علماء الدين.

هذا الاحترام والتقدير هو في الواقع تقدير للدين، ففي رواية: عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «مَن وَقَّرَ عالماً فقد وَقَّرَ رَبَّه»[2].

---

(١) كنز العمال. ج١٠، ص١٥٩، حديث ٢٨٨٢٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

هناك صفات إيجابية تجسَّدَت في شخصية الفقيد الراحل رحمة الله عليه، فهو ليس مجرد عالم، ومحبة الناس له ليست فقط لمجرد علمه، وإنما هناك صفتان أساسيتان تميز بهما:

الصفة الأولى: التزامه قِيمَ الدين وأخلاقه.

فالناس رأوا فيه عالماً عاملاً ملتزماً مبادئ الدينِ وأخلاقهِ من خلال ورعه، وتقواه، وزهده، هذه الأخلاق التي رأتها الناس منه، هي التي جذبتهم إليه.

الصفة الثانية: ممارسته للمحبة بين الناس.

فقد كان يحب الناس بقلبه، وكان يتعامل معهم على أساس المحبة.

في بعض الأحيان يريد العالِم أن يُبرِز حالة من الهيبة؛ من المعزة الذاتية الشخصية، فلا يَقترب كثيراً من الناس، ولا يتعاطى ببساطة معهم، وهذا يجعل علاقة الناس به علاقة محدودة، وفي حدود حاجتهم إلى علمه.

كما يقال: قد تحترم الشخص، ولكنك لا تحبه، فهناك فرق بين الاحترام وبين المحبة، فالاحترام قد تفرضه الحاجة والاعتبارات الاجتماعية، لكن المحبة شيء آخر؛ المحبة حالة ذاتية لا تَتحقق إلا إذا كان هذا الشخص قادراً على استقطاب قلبك ومشاعرك.

الشيخ المرهون رحمة الله عليه كان يحب الناس، كان متواضعاً، يتعامل مع الناس ببساطة متناهية، وقد كَرَّس حياته لخدمة مجتمعه، مع أن المجال كان مفتوحاً أمامه كي يذهب إلى مختلف المناطق لممارسة الخطابة مثلاً، أو الإرشاد، لكنه لم يُعْرَف عنه أنه في سنة من السنين ذهب إلى منطقة أخرى.

ليس خطأ أن يذهب الإنسان إلى منطقة أخرى، أو مجتمع آخر لممارسة الخطابة والإرشاد، لكن هذا الشيخ كان منشَدّاً لمجتمعه، ومنجذباً إليه، كَرَّسَ كلَّ عمرِه وحياته من صغر سنه له؛ لأنه عاش في كنف والده، الذي كان عالماً كبيراً، وهو المرحوم الشيخ

منصور المرهون رحمة الله عليه؛ كان منذ صغر سنه ملازماً لوالده، ويقوم بخدمته في مجلسه؛ فنشأ في خدمة الدين، وخدمة المجتمع منذ نعومة أظفاره، ثم اهتمامه بتشجيع أبناء مجتمعه، فكتابه «شعراء القطيف» الذي حاول أن يبرز فيه طاقات هذا المجتمع، يشيد بالأُدباء. وبعض الشعراء الذين كتب عنهم، لم يكونوا من الشعراء الكبار، أو المحترفين للأدب والشعر، فقد تكون له بعض مقطوعات فقط في الشعر والأدب، ولكن الشيخ كان يريد إبراز هذه الكفاءة؛ وتشجيع الناس.

وكذلك طباعته لكتب «أعلام البلد»، فهو لم يَهتم بطباعة كتبه فقط، وإنما طبع عدداً من كتب العلماء الماضين؛ كي يبرز تراث هذا المجتمع، وتراث هذا البلد.

وكذلك اهتمامه بالفقراء. كانت طوابير الفقراء تقف رأس كل شهر على بوابة منزله. بعد ذلك اقتُرِحَ عليه أن يحوِّل مساعدته لهم عبر جمعية خيرية.

هذا كله يدلِّل على أن الرجل كان مهموماً بالمجتمع، فكان يصرف «الحقوق الشرعية» في حاجات الناس، ولا يصرف على نفسه شيئاً من تلك «الحقوق الشرعية»، وهذا واضح في سيرته وحياته.

مرافقته للناس في أداء فرائض الحج، وزياراته للناس من دون تكلف؛ يعود المرضى، يحضر الجنائز، يشيع الجنائز، يصلي على الأموات، يحضر حفلات الزواج، يجري عقود الزواج.

إن هذه الروحية والتواضع والبساطة التي كانت عند الرجل، هي التي زَرعَتْ وغَرست محبته في نفوس الناس؛ فاستحق ما أظهره الناس له من المحبة والولاء، الحديث الوارد عن الرسول صلى الله عليه وآله يشير إلى أن موت العالم مصيبة؛ فقد كان يقوم بدور كبير، وكان يَملأ فراغاً، ويُمثِّل أنموذجاً، يشد الناس إلى الدين، فقدنا هذا الأنموذج، وكما ورد في أحاديث أخرى: لا يَسدُّها إلا خَلَفٌ منه.



الخطبة الأولى

المكاسب العاجلة وخسارة المستقبل

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة القصص، الآية:٨٣].

من طبيعة الإنسان الأولية أنه يفكر في حدود لحظته الراهنة، ويحرص على النتائج السريعة العاجلة؛ لذلك وَصَفَ الله تعالى الإنسان بأنه عجول، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[سورة الاسراء، الآية:١١]، وفي آية أخرى تحدث الله سبحانه وتعالى عن هذه الطبيعة في الإنسان وكأنه خُلِق منها، حيث قال:

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[سورة الانبياء، الآية:٣٧]؛ فطبيعته أنه يفكر في لحظته الراهنة، في المصالح الآنية، ليس لديه نفَس طويل في الغالب كي يفكر في المستقبل، وفي النتائج البعيدة المدى؛ من هنا فإنه يهتم بالدنيا وبمصالحه الدنيوية؛ لأنها عاجلة، يتمتع بها ويراها سريعة بين عينيه، وبين يديه، ويغفل عن أن هناك داراً آخرة ينبغي أن يفكر فيها، يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾[سورة القيامة، الآيتان:٢٠-٢١].

إن المصالح العاجلة ـ في أحيان كثيرة ـ تكون على حساب المصالح المستقبلية العظيمة.

إن العقل السليم يرشد الإنسان لأنْ يفكر في المستقبل، وفي المصالح العظيمة الكبيرة، التي يجنيها من خلال سيره في الطريق القويم. وتعاليم الدين جاءت كي

تتجاوز بالإنسان هذه الطبيعة الأولية؛ طبيعة العجلة، والتفكير في المصالح الآنية.

التعاليم الإسلامية تريد أن تتجاوز بالإنسان هذه الطريقة في التفكير، وتجعله ذا تفكير مستقبلي، لهذا فإن الآية الكريمة تقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة القصص، الآية:٨٣]؛ الإنسان إذا كان يفكر في المصالح العاجلة؛ فقد يندفع في اتجاه الاستكبار على الآخرين، والترفع عليهم؛ لأنه يرى في ذلك نوعاً من المتعة واللذة، حيث يبدو وكأنه أفضل من الآخرين.

لكن هذه اللذة، وهذا الشعور وهمي، الرفعة واللذة الحقيقية تكون غداً عند الله سبحانه وتعالى، في يوم القيامة.

ماذا يفيد الإنسان عندما يعيش في هذه الدنيا في وهم القوة والعلو ثم حينما يغادر الدنيا يكون في حضيض نار جهنم والعياذ بالله؟ فماذا تفيده قصوره الوهمية في الدنيا؟ ماذا تفيده مناصبه في الدنيا؟

إنه سيغادر هذه الدنيا حتماً، اليوم أو غداً، وحينما يغادرها سيكون في قبر ضيق، والنتيجة هي الآخرة، المكانة الحقيقية هناك؛ لأنها مكانة دائمة خالدة لا تنغّصها الأكدار؛ أما المكانة التي يحصل عليها في الدنيا فهي محدودة، حتى لو ملك الدنيا كلها؛ فإنه سيموت، كما تصيبه الأمراض والعلل والدواعي التي تكدِّر صفو عيشه وحياته، لكن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية.

مشخّصات السعادة الحقيقة

لو قرأنا التاريخ وتصفحنا حياة البشر؛ لوجدنا أن الذين يتنعمون تنعماً حقيقياً في الدنيا، هم الذين يعيشون الإحساس بالرضا داخل النفس، فلو كان الإنسان يَمْلك ما يَمْلك، لكنه في داخل نفسه لا يعيش رضاً وارتياحاً، ولا يشعر بالسعادة، فماذا تفيده الإمكانات التي يعيش في رحابها؟

الرضا النفسي، والسعادة لا تتحقق إلا من خلال القِيَم والمبادئ، ومن خلال رضا الله تعالى، فالإنسان المتقي وإن كانت مظاهر حياته لا توحي بالرفاهية والراحة، لكنه في أعماق نفسه يعيش راحة عظيمة كبيرة، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[سورة التوبة، الاية:١٠٠]؛ يشعر بأنه قريب من الله سبحانه وتعالى.

ماذا عن رضا الناس وتقديرهم؟

أكثر الأنبياء كانوا يعيشون في أوساط الجاحدين والمنكرين لهم، لذلك عانوا من أقوامهم ومجتمعاتهم، كانوا يُتهمونهم بأفظع التهم، لكن النتيجة هي الذِّكر الباقي، والثناء، فالأثر العظيم في حياة البشرية هو من تأثير جهود الأنبياء ورسالاتهم.

وكذلك الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم، كل إمام من الأئمة في حياته ما كان يُعْرف قدره، ولا كان يُعْرف مقامه، أمير المؤمنين علي عليه السلام بكل كفاءاته التي تميز فيها عمن سِواه، وبالرغم من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله في فضله وشأنه، نحن نعلم كيف كانت حياته مليئة بالمكاره التي كانت تحيطه، وكان يكرِّر: «ما زِلْتُ مظلوماً منذُ أنْ قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله»[1]؛ لأنه لم تُعرف له مكانته، وحين تولى الخلافة واجهته المشاكل والأزمات، وحينما تقاس فترة خلافته بمن سبقه من الخلفاء؛ تراها مزدحمة بالمشاكل والمعاناة، وبعد وفاته ثمانون سنة وهو يُشتم على المنابر! لكننا الآن نرى الذِّكر الخالد والأثر الكبير لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

يُذكر في هذا المجال أن أحد الشاهات السابقين في إيران، أراد أحدُ العلماء أن يقدم له هدية، فجاء إليه، بنسخة من نهج البلاغة مخطوطة بخط جميل، وقدمها إليه قائلاً: «أنا لم أرَ هدية أجمل من هذا الكتاب؛ نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام».

كان المجلس مزدحماً بشخصيات البلاد من وزراء، وولاة، وعلماء.

---

(١) محمد بن الحسن الطوسي. الأمالي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ص ٧٢٦، حديث ١٥٢٦.

قال له الشاه: اجلسْ؛ فلما خرج كل الناس، اختلى به جانباً، وقال له: «أيها الشيخ العالم! أنت تقدم لي نهج البلاغة، فهل كان صاحب نهج البلاغة ناجحاً في حياته حتى تقدم لي نهجه كي أسير عليه؟! فما هذه الهدية التي جئت بها إلَيَّ»؟!

التفت العالم إليه، فقال له: «لماذا لم تقل لي هذا الكلام أمام الناس؟! هلَّا قلت لي أمام الناس أن هذا الكتاب يحكي تجربةَ إنسانٍ، لم يحقِّق النجاح في حياته، وحكمه وسلطته؟ لماذا لم تقل لي هذا الأمر، وانتظرتَ حتى يخرج الناس جميعاً، واختليتَ بي حتى تقول لي هذا الكلام؟

قال الشاه: لا أجرأ أن أقول كلمة انتقاصٍ لعلي بن أبي طالب أمام الناس!

فقال له العالم: إذن هذا هو النجاح الحقيقي للشخص الذي بعد أربعة عشر قرناً من وفاته، أنت الشاه الحاكم لا تجرأ على أن تقول كلمة في انتقاصه أمام الناس، فهل هناك نجاح أكبر من هذا النجاح؟! هل هناك مكسب أكبر من هذا المكسب؟!.

العباسيون حَكموا، وأهل البيت لم يستلموا الحكم؛ لكن أين تأثير العباسيين في العالم؟ أين ذكرهم ووجودهم وآثارهم؟ في مقابل آثار أهل البيت عليهم الصلاة والسلام!

إن هذا يدفع الإنسان لأنْ يفكر في الأمر؛ بأن لا تهيمِن عليه مظاهر اللحظة الآنية، فقد يجد الإنسان مجالاً لتحقيق المكاسب، لكن عن طريق الحرام، ثم ماذا بعد ذلك؟ بعد ذلك العذاب، ومحاكمة التاريخ.

في أحيان كثيرة يجد الإنسان أمامه فرصة في صراعاته مع الآخرين، من هم قريبون أو بعيدون، بأن يحقِّق انتصاراً، لكن هذا الانتصار إذا كان فيه ظلم وتَعَدٍّ؛ فإنه في الواقع هزيمة وليس انتصاراً.

نجد الآن قضايا كثيرة في المحاكم؛ إنسان يعلم أن ليس له حق، لكنه بشكل أو بآخر يستطيع أن يجعل الحق له، فيبدو وكأنه انتصر؛ لأنه أخذ مكسباً عن طريق المحكمة،

لكن هل هو حق له؟

رسول الله ﷺ كانت تحصل بعض الخصومات في مجلس قضائه، وكان صلى الله عليه وآله يحكم وفق أحكام الدين؛ فلو ادعى شخص يطالبه بالبَيِّنة، وإذا لم تكن لديه بَيِّنة لا يَحكم بأن الحق له، وفي بعض الأحيان يكون الحق له في الواقع، لكن الرسول صلى الله عليه وآله يحكم حسب الظواهر.

لذلك ورد عنه ﷺ قوله: «إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان، وبعضكم ألحن بحجته من بعض، فأيما رجل قطعت له من مال أخيه شيئًا، فإنما قطعت له به قطعة من النار»[1].

حتى لو أَصدر رسول الله ﷺ الحكم، فإذا كان هذا الحق ليس لك، فلا تغتر بهذه المصلحة الآنية السريعة؛ إنها قطعة من نار. إذا كنت تعلم أن هذا الأمر ليس لك؛ فعليك أن لا تغامِر بمصالحك المستقبلة في الآخرة.

علينا دائماً أن نَجعل هذه الآيات الكريمة نصب أعيننا: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

(١) وسائل الشيعة. ج٢٧، ص٢٣٢، حديث ٣٣٦٦٣.

7

الممارسات الدينية وإيذاء الناس

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٦٣].

دعا الإسلام لفعل الخير، وحَثَّ على ممارسته في المجتمع، لكن الأعمال الخيرية يُشترط أن لا يصحبها أذى للآخرين.

أنت تريد أن تعمل عملاً طيباً، فعليك أن تراعي أسلوبك في انجازه، وأداءك له، فإذا كان يسبب أذىً لأحد من الناس؛ فإن هذا العمل لا يكون مقبولاً عند الله، بل يكون فيه إثم.

أن يتصدق الإنسان ويُعطيَ للفقراء وللمحتاجين، فهذا عمل خير، لكن عليه ألا يكون في طريقة إعطائه للصدقة إلحاق أذى بمشاعر أحد من هؤلاء الفقراء وأحاسيسهم، فأنت قد تعطيه مالاً، ولكن تسلبه شيئاً من كرامته وعزته! هذه الصدقة لا يريدها الله سبحانه وتعالى منك.

إذا جاءك فقير وقلت له: «الله يعطيك»، فهذا قولٌ معروف كما تشير الآية الكريمة ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً﴾.

والمغفرةٌ: فسَّرَها بعضهم بألا تتحدث بحاجات الناس، لا تقول فلان محتاج، فلان جاءني؛ فالمغفرة هنا فُسِّرَتْ بمعنى الستر، هذا الموقف خير من صدقة يتبعها

أذى؛ أي: خير من أن تعطيه ولكن تمن عليه، أو تتكلم معه كلاماً نابياً، أو تكشف حاجته أمام الناس، فالله سبحانه وتعالى غني عن هذه الصدقة التي تريد إعطاءها لهذا الفقير.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾.

كيف تمارس عمل الخير؟

المسألة لا تختص بالصدقة، بل كل أعمال الخير، وكل العبادات، ينبغي ألا تتم بطريقة فيها إيذاء للآخرين. فمجيء الإنسان للصلاة ـ مثلاًـ ومشاركته في صلاة الجماعة وصلاة الجُمُعة عليه ألا يسمح بأن تكون هناك جوانب معَيَّنة تسبِّب أذىً لأحد؛ فقد ورد: «أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجعل يتخطى رقاب الناس فقال ﷺ: اجلس فقد آذيت وآنيت الناس»[1]؛ هذا التخطي للرقاب فيه أذى للناس.

الذي يأتي لصلاة الجماعة، أو لسماع محاضرة، أو لقراءة، ويَترك سيارته في مكان على باب الكراج مثلاً، يؤذي الآخرين عندما يريد صاحب المنزل أن يَخرج بسيارته؛ هذا مثل صدقة يتبعها مَنٌّ وأذى، فكما أن الله غني عن تلك الصدقة، كذلك هو غني عن هذا العمل.

وكذا في الطواف حول الكعبة المشرفة، أو في تقبيل الحجر الأسود، بعض الناس يغفل عن هذا الأمر، يطوف ويزاحِم، بحيث يسبب الأذى للذين يطوفون معه، لماذا؟

حتى يقترب أكثر من الكعبة!

كل طواف فيه فضل؛ أما إيذاؤك للناس، ففيه إثم ومعصية. كيف تريد الوصول

---

(١) كنز العمال، ج٧، ص٧٤٨.

إلى الثواب عن طريق الإثم!! لا يطاع الله من حيث يعصَى، لا يصح من أجل عمل المستحب أن تؤذي الآخرين.

مثلاً في شهر رمضان، يستحب للإنسان أن يؤجِّل إفطاره إلى ما بعد أداء صلاة المغرب، لكن إذا كان هناك من ينتظرك، يسقط الاستحباب حتى لا يسبِّب لهم أذى.

من المكروهات: أن يأتي الإنسان إلى المسجد وقد أكل طعاماً فيه رائحة كريهة، تؤذي الآخرين، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «من أَكَلَ شيئاً من المؤذيات بريحها فلا يَقْرب المسجد»[1].

ورد عن ابن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الكراث؟ فقال: «لا بأس بأكله مطبوخا وغير مطبوخ، ولكن إن أكل منه شيئًا له أذى فلا يخرج إلى المسجد كراهية أذاه من يجالس»[2].

انظروا كيف أن الإسلام يراعي حتى هذه القضايا الجزئية؟!

ومثل ذلك مسألة مكبرات الصوت؛ واستخدامها خارج المسجد والحسينية، بما يزعج الجيران، هذا إثم وعمل محرم، وإن كان البعض يقصد منها إظهار الشعائر الدينية، طلباً للأجر والثواب، فإن ذلك لا يتحقق مع حصول الأذى للآخرين ولو لواحد من الجيران.

مع الأسف الشديد هذه الظاهرة نجدها في كثير من المساجد والحسينيات.

المفروض أن المسلم يرتاح بمجاورة المسجد، إلا أن الناس أصبحوا يكرهون مجاورة المسجد والحسينية؛ لِما يلحقهم من الأذى بسبب رفع صوت المكبرات وعدم مراعاة المكان المناسب لمواقف السيارات.

---

(١) الشيخ الصدوق. الخصال، طبعة ١٤٠٣هـ، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي)، ص٦٣٠.

(٢) وسائل الشيعة. ج٥، ص٢٢٧.

كثيرٌ من الناس سَمعْتُهم في مناطق مختلفة يشْكون من هذه الظاهرة.

علينا أن نطيع الله كما أراد، وكما أَمر، ولا يطاع الله من حيث يعصى؛ أما رفْع سلاح الترهيب للناس باتهام من يعترض على هذه الممارسات المؤذية من الجيران، بأنه ضد الشعائر الدينية، فهذا ظلم آخر، واتهام آثم. ولا ينبغي أن يخيف الناس من الدفاع عن راحتهم ومصالحهم.

إذا كان هناك من يعتقد بأن إعلان الشعائر أولى وأهم من مشاعر الآخرين؛ فليعلم أنه مخطئ في تفكيره، إذا كان يريد أن يلتزم بالشرع، فالشرع يقول: مراعاة مشاعر الآخرين، وحفظ حقوقهم، هو الأولى من إظهار الشعيرة بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب؛ لذلك على الإنسان أن يتفقه في الدين، ويعرف أين الأولويات عند موارد التزاحم.



الخطبة الأولى

التأسيس للتسامح الديني

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

ينظر كثير من الدينيين للاختلاف الديني بين بني البشر نظرة سطحية ساذجة، حيث يرى كل منتمٍ إلى دين أو مذهب، أن معتقده هو الحق والصواب، وما عداه خطأ وباطل، وهذا الاعتقاد أمر مفهوم؛ لأنه لو لم يعتقد ذلك في دينه ومذهبه لما صح له اتباعه والأخذ به.

لكن السطحية والسذاجة تكمن في تعجبه من أتباع الأديان والمذاهب الأخرى، كيف يأخذون بدين باطل ومذهب فاسد؟

إنه يرى نفسه على الحق الذي لا نقاش فيه، والصواب الذي لا ريب فيه، فلماذا لا يتبعه الآخرون في دينه ومذهبه؟

ويمكن للإنسان أن يتجاوز هذا الشعور الساذج لو التفت إلى أن الآخرين قد يحملون النظرة نفسها تجاهه وتجاه عقيدته، إنهم يرون أنفسهم على الحق والصواب في انتمائهم الديني، وأن ما عداه باطل وضلال، وهم أيضًا يتعجبون ويتساءلون: لماذا لا يتبع هو سبيلهم؟ وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ

اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].

هذا لا يعني أنه ليس هناك حق ولا حقيقة، فالانتماء الديني قائم على أساس التمسك بالحق ومفارقة الباطل.

لكن ما نريد الإشارة إليه والتأكيد عليه، هو أن المسألة الدينية عند بني البشر تحيط بها الكثير من التعقيدات وعوامل التأثير المختلفة، وهي ليست مسألة سهلة يمكن النظر إليها بسطحية أو يمكن حسمها بمناظرة ونقاش.

إن هذه النظرة السطحية للقضية الدينية هي وراء اندفاع الكثير من الدينيين للتبشير بمعتقداتهم بطرق فجّة ملتوية، لا تتفهم ظروف الآخر، وقد تؤدي إلى الإساءة إليه والاصطدام به.

إن من حق الإنسان أن يفخر بعقيدته ويدعو إليها، لكن عليه أن يدرس حال من تتوجه إليه الدعوة، وأن يتعاطى معه باحترام، ويقرَّ له بحقه في الرفض والقبول، وهذا هو المنهج الإلهي، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، [سورة النحل، الآية: ١٢٥].

والحكمة هي وضع الشيء في مكانه المناسب، فليس كل شخص، ولا كل وقت، ولا كل أسلوب مناسبًا للدعوة. كما لا يصح لك أن تتناقش مع الآخرين المختلفين معك في القضية الدينية، إذا لم تكن مؤهلًا لإدارة الحوار بأفضل أساليبه، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

حيث تشير الفقرة الأخيرة من الآية إلى تجاوز تفاصيل الاختلاف للتأكيد على موارد الاتفاق والاشتراك.

إن القراءة الواعية لآيات القرآن الكثيرة، التي تناولت مسألة الاختلاف الديني، تمنح الإنسان بصيرة ورشدًا في التعاطي مع المخالفين له في المعتقد الديني.

إننا نعيش مشكلة على صعيد اختلاف الانتماء المذهبي والفكري في مجتمعاتنا، حيث يسعى الأفراد إلى تكلف طرح الخلاف المذهبي في أي لقاء أو علاقة مع أحد من أتباع المذهب الآخر، والتيار الفكري الآخر.

روى أبو بصير قال: «قلت لأبي جعفر ـ الإمام محمد الباقر ﷺ ـ: أدعو الناس إلى ما في يدي؟ فقال: لا. قلت: إن استرشدني أحد أرشده؟ قال: نعم، إن استرشدك فأرشده، فإن استزادك فزده، وإن جاحدك فجاحده»[١].

وعن ثابت أبي سعيد قال: قال لي أبو عبدالله ـ الإمام جعفر الصادق ﷺ: «يا ثابت، ما لكم وللناس؟ كفّوا عن الناس ولا تدعو أحدًا إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماء وأهل الأرض اجتمعوا على أن يضلّوا عبدًا يريد الله هُداه ما استطاعوا، كفّوا عن الناس، ولا يقول أحدكم: أخي وابن عمّي وجاري، فإن الله عزّ وجلّ إذا أراد بعبد خيرًا طيَّب روحه، فلا يسمع بمعروف إلا عرفه، ولا بمنكر إلا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره»[٢].

إن مثل هذه النصوص تهدف إلى ترشيد التعامل مع المخالفين في المعتقد، وعدم الابتذال والتهور في طرح قضايا الخلاف العقدي مع الآخرين.

الدين نشأة عائلية:

كما يكسب الطفل اللغة والعادات وأنماط الحياة من عائلته التي يتربى في أحضانها، كذلك يتشرّب معتقدها الديني، وينشأ على حب ذات الرموز والمقدسات التي تؤمن بها عائلته، ويلتزم مذهبها ومسلكها.

---

(١) وسائل الشيعة ج١٦، ص١٩١، حديث ٢١٣١٨.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٩٠، حديث ٢١٣١٥.

هذا هو واقع الناس الديني في كل الأزمنة والبقاع، وهو السبب الرئيس لبقاء الأديان والمذاهب، حيث تتوارثها الأجيال عن طريق التربية والتنشئة.

فمن يولد ويتربى في عائلة مسيحية كاثوليكية يصبح مسيحيًّا كاثوليكيًّا، وسيكون أرثوذكسيًّا لو ولد من عائلة أرثوذكسية، أو بروتستانتيًا إن تربى في أسرة بروتستانتية..

وكذلك من يولد في أسرة يهودية، يصبح يهوديًّا على مذهب أسرته، والشيء ذاته يحصل لدى العوائل الإسلامية، حيث يكون أبناؤها مسلمين على مذاهب أهلهم، سنة وشيعة وغيرها.

وقد يفارق الإنسان فيما بعد دين أهله ومذهب عائلته، إلى دين ومذهب آخر يقتنع به، لكنها تبقى حالات استثنائية قياسًا إلى واقع الحال العام، في مسيرة المجتمعات البشرية..

ذلك الواقع الذي اصطدمت به رسالات الأنبياء عبر التاريخ، فمع ما زوّد الله تعالى به أنبياءه من حق بيّن، ورسالة واضحة، وبراهين صادقة، جاؤوا بها لأقوامهم، إلا أن الانشداد لدين الآباء، وعمق تأثير النشأة والتربية، كان يحول بين معظم أولئك الناس وبين الانقياد للحق، والاستجابة لدين الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[سورة الزخرف، الآيتان: ٢٢-٢٣].

روى ابن عباس ﵁ أن النبي ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه»[(١)].. إشارة واضحة إلى هذه الحقيقة الاجتماعية.

ويتداول الجمهور الشيعي بيتين من الشعر في مجال الاعتزاز بالانتماء للمذهب،

---

(١) ابن حجر الهيثمي. مجمع الزوائد، ج٧، طبعة ١٤٠٨هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص٢١٨. ومثله في بحار الأنوار ج٣ ص٢٨١.

يتضمنان تأكيدًا على دور التربية والتنشئة في كسب الولاء الديني، وهما:

لا عـذب اللـه أمـي أنهـا شربـت حبّ الوصـي وغذتنيه فـي اللبن
وكـان لـي والـد يهـوى أبـا حسنٍ فصرت من ذا وذي أهوى أبا حسن

البيئة الاجتماعية محضن ديني:

لا تكاد تجد مجتمعًا بشريًّا في غابر الأزمان وحاضره، إلا وله صبغة وهوية دينية، وعضوية الفرد في مجتمعه تعكس تلك الصبغة الدينية على حياته، بدءًا من الأعراف والتقاليد الاجتماعية، في استقباله كمولود جديد، وانتهاءً بمراسيم توديعه وتشييعه بعد مفارقة الحياة، مرورًا بقوانين الزواج، وأحكام الطقوس العبادية، ومقتضيات المناسبات والشعائر الدينية التي تسود مجتمعه.

حيث يجد الإنسان نفسه منساقًا للتفاعل والتكيّف مع أجواء بيئته الاجتماعية في بُعْدِها الديني. حتى لو كان غير مقتنع بكلٍّ أو بعض تلك التوجهات والممارسات؛ لأنه لا يريد أن يبدو عنصرًا شاذًّا مخالفًا للجو العام، مما قد يعرضه للضغوط، ويجعله منبوذًا في مجتمعه.

إن معظم الناس في مختلف الأديان والمذاهب لا يتعاطون مع المعتقد الديني كمسألة شخصية وقرار فردي، كما هو الواجب عقلًا على الإنسان، بل يتعاطون مع المعتقد كخيار اجتماعي، فيوفّرون على أنفسهم عناء التفكير فيه، ومسؤولية البحث في الخيارات البديلة.

وقديمًا قال الشاعر العربي دريد بن الصمة:

ومـا أنـا إلا مـن غزيـة إن غـوت غويـت وإن ترشـد غزيـة أرشـد

لذلك يشعر أتباع كل دين ومعتقد بالرضا عمَّا هم عليه، وتوحي لهم أجواء التوافق العام في مجتمعهم بالثقة في معتقدهم، خاصة وهم ينشأون على حبِّ وتقديس زعامات وقيادات تأخذ في نفوسهم موقع التأثير والإجلال، ولا يتصورون أنها تسير

بهم على خطأ، أو توجههم لباطل.

وهذا ما نبّه إليه الإمام جعفر الصادق عليه السلام بعض أتباعه، ممن بدت منهم الحماسة والاندفاع في دعوة الآخرين إلى المعتقد والمذهب، قال عليه السلام: «لا تخاصموا بدينكم، فإن المخاصمة ممرضة للقلب ... ذروا الناس، فإن الناس أخذوا عن الناس»[١].

ثم إن في كل مجتمع مراكز قوى ترى نفسها معنية بالدفاع عن دين المجتمع، وحماية معتقداته ومقدساته، في وجه أيِّ تمرد أو خروج على المعتقد السائد، بدءًا من السلطة السياسية التي قد تستثمر المظهر الديني لتعزيز سلطتها، كما يحدثنا القرآن الكريم عن فرعون، حين يرفع لواء الدفاع عن دين المجتمع، في مقابل نبي الله موسى عليه السلام، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[سورة غافر، الآية: ٢٦].

وهناك المؤسسة الدينية في كل المجتمعات، ووظيفتها حراسة العقيدة، والدفاع عنها، والوقوف بحزم أمام أي رأي مخالف.

إضافة إلى سائر القوى الاجتماعية التي لا تتساهل في ردع من تسوّل له نفسه الخروج على المسار الديني للمجتمع.

هذا الحال للبيئة الاجتماعية يصيّرها محضنًا للمعتقد الديني، تنشأ عليه الأجيال، وتلتزم به، وتنشدُّ إليه، ويحصّنها من التأثر بالدعوات المخالفة، والاتجاهات العقدية الأخرى.

وهو ما يفسّر لنا استمرارية الأديان والمذاهب وتوارثها عبر الأجيال، كما يفسّر لنا صعوبة مفارقة الأفراد للتوجهات الدينية السائدة في مجتمعاتهم. تلك الصعوبة التي لا يتحملها إلا من يوطّن نفسه على مواجهة شتى ألوان المعاناة والضغوط، وهم في العادة قلة من أفراد المجتمعات، كما يتحدث القرآن الكريم في سير عدد من الأنبياء،

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٦، ص١٩١، حديث٢١٣١٦.

ففي سيرة نبي الله نوح ﷷ يقول تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[سورة هود، الآية: ٤٠].

وفي سيرة نبي الله موسى ﷷ يقول تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾[سورة يونس، الآية: ٨٣].

نعم، يسهل الأمر إذا تمكن الاتجاه الآخر والدعوة الجديدة من تكوين مجتمع موازٍ، يوفّر بيئة بديلة تلبّي الحاجة لانتماء اجتماعي، والشعور بالحماية والأمن.

داء التعصب والمصلحية

إن شريحة من الناس يتمسكون بمسلكهم الديني تعصبًا وعنادًا، حتى وإن اتضح لهم الحق والصواب في غيره، وقد ينطلقون في اختيارهم الديني من دوافع المصلحة ونيل المكاسب والمآرب.

وهم بذلك يظلمون أنفسهم قبل أي أحد آخر، ويتحملون مسؤولية موقفهم أمام الله سبحانه وتعالى.

وليس على الأنبياء وأتباعهم المؤمنين تجاههم أي مسؤولية عدا التذكير والتبليغ، ثم تركهم وشأنهم وما اختاروا لأنفسهم.

يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[سورة آل عمران، الآية: ٢٠].

إن بعض حملة المعتقدات والآراء تبرز لديهم نزعة ذاتية، تدفعهم نحو محاولة الهيمنة على الطرف الآخر وإخضاعه، متجاوزين بذلك حدود التبشير بمعتقدهم، وعرض رأيهم، وهذا ما لم يأذن الله تعالى به لأنبيائه، فضلاً عن غيرهم من سائر الناس.

الرؤية القرآنية:

إن من أعظم دلائل صدق القرآن الكريم، واقعية نهجه، وموضوعية تناوله للقضية

الدينية في حياة البشر.

فمع تأكيد القرآن الجازم المدعّم بالأدلة والبراهين على حقانية الإسلام، وأنه وحده دين الله، وما عداه لن يقبله الله تعالى، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ٨٥]، إلا أن القرآن يؤكد ـ إلى جانب ذلك ـ على حرية الإنسان في هذه الحياة، حيث ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٥٦]، ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[سورة الكهف، الآية: ٢٩]، ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية: ٩٩].

وتقتصر مهمة الأنبياء في منطق القرآن على التبليغ والتذكير، وليس لأحد منهم ممارسة الفرض والهيمنة على الناس: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [سورة الغاشية، الآيتان: ٢١-٢٢]، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[سورة الشورى، الآية: ٦]، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[سورة النساء، الآية: ٨٠].

وعلى النبي ألَّا ينزعج إذا لم يستجب الناس لدعوته، فهم يمارسون حقهم الطبيعي في الاختيار، ويتحملون مسؤولية أنفسهم أمام الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة الشعراء، الآية: ٣]، ﴿طَه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾[سورة طه، الآيات: ١-٣].

ويعترف القرآن بوجود أتباع الديانات الأخرى، إلى جانب وجود أتباعه المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[سورة الحج، الآية: ١٧].

ويوصي القرآن أتباعه بحسن التعامل مع المخالفين لهم في الدين، ما لم يكونوا معتدين: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[سورة الممتحنة، الآية: ٨].

ويلفت القرآن النظر إلى أن المسألة الدينية لا تخضع عند أبناء البشر، في الغالب لمنطق الدليل والبرهان، وإنما تتأثر بالميول والانشدادات، وتعتريها حالات التعصب والعناد. يقول تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٤٥].

ويروّض القرآن الكريم نفوس المؤمنين ليتعايشوا مع واقع التنوع الديني، فهو قدر البشرية إلى يوم القيامة، فلا يتوهمنّ أحد بإمكانية الفصل والحسم بين الديانات في هذه الحياة الدنيا، إذ إنها مهمة مؤجلة إلى يوم القيامة، وتتم بين يدي الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[سورة الحج، الآية: ١٧]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[سورة السجدة، الآية: ٢٥]، ﴿إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[سورة المائدة، الآية: ٤٨].

هذه الرؤية القرآنية تؤسس لنهج التعايش والتسامح بين أبناء البشر على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وتحمي أجواء السلم والوئام داخل المجتمعات المتنوعة الانتماءات، وبغياب هذه الرؤية الواقعية تقرع طبول الحروب الدينية، وتتوالى نُذُر صدام الحضارات، وتعاني المجتمعات من التمزق الداخلي والاحتراب المذهبي.

ومن المؤسف جدًّا أن تسود أجواء الصراع المذهبي، والنزاع الطائفي، في ساحة أمة يتلو أبناؤها مثل هذه الآيات من القرآن الكريم كل صبح ومساء ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾؟ [سورة محمد، الآية: ٢٤].

المبادرة الجماعية لمواجهة الأزمات

جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «افْعَلُوا الْخَيْرَ وَ لَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَ قَلِيلَهُ كَثِيرٌ وَ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَ اللَّهِ كَذَلِكَ إِنَّ لِلْخَيْرِ وَ الشَّرِّ أَهْلًا فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ»[1].

من الشواهد التي تستخدم كمعيار لمعرفة المجتمعات المتقدمة هو مستوى فاعلية المجتمع وحيويته، ويمكن رصد تلك الحالة من خلال روح المبادرة في مواجهة الأزمات والمشاكل، وفي المقابل تسود روح التواكل وتنعدم روح المبادرة في المجتمعات المتخلفة.

من هنا يمكننا القول إن المبادرة هي التي تحقق حالة التوازن والتكامل، وبالتالي تجديد حياة المجتمع بشكل دائم مستمر، كما يمكن تطهيره من كل الأمراض التي تعتريه، فبالمبادرة يجد كل فرد موقعه لخدمة المجتمع والدفاع عن مصالحه، بينما التواكل وعدم المبادرة لتحمل المسؤولية قد يؤدي إلى نتائج كارثية في المجتمع، وقد يصبح كل المجتمع مجتمعاً متأزمًا منهاراً، لذلك من أوجب الأولويات دفع أبناء المجتمع إلى المبادرة، وتوزيع الأدوار، وسد الثغرات، وهذا مضمون كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، عندما يقول: «افْعَلُوا الْخَيْرَ» وهو مطالبة النفس دائمًا بفعل الخير، على كل الصعد والمجالات، صغيراً كان هذا الخير أم كبيراً، حتى تتراكم

(١) نهج البلاغة. حكمة ٤٢٢.

جهود الجميع في فعل الخير، «افْعَلُوا الْخَيْرَ وَ لَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ» صغير الخير كبير ينمو، وقليله كثير، حيث تصبح حركة المجتمع في نمو وتكامل، عندما لا يتركون من الخير شيئاً، «وَ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي» وهنا يحذِّر أمير المؤمنين من بعض الثقافات السلبية التي تكرس عدم المسؤولية، أو حالة التمني الكاذب التي نجدها ضمن تكرار قول: «من المفترض، واللازم، والواجب أن يكون كذا..»، من غير أن تكون هناك مبادرة لتحويل هذه التمنيات إلى واقع، فإحساس الجميع بأن كل واحد أولى بفعل الخير يحقق روح التنافس والتسابق الإيجابي، وهكذا تتفجر طاقات وقدرات المجتمع بالتصدي، وحينها يكتشف كل واحد في إطار المجتمع الفاعل حجم ما يمتلك من قدرات وكفاءات. وبما أن مسيرة الخير متحركة بدون توقف في مقابل توجهات الشر التي لا يخلو منها مجتمع، فعلى كل عاقل المبادرة للالتحاق بمسيرة الخير، يقول عليه السلام: «إِنَّ لِلْخَيْرِ وَ الشَّرِّ أَهْلًا فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ».

توصيات لتحقيق الامن الاجتماعي:

من المشاكل التي تسبب قلق الناس، ويكثر الحديث عنها في المجالس، وتمثل مصدر اهتمام وخوف للجميع، زعزعة الأمن الاجتماعي وحالة الانفلات والفوضى، فجرائم القتل والاغتصاب والسرقة وغيرها تشكل تهديداً مصيرياً لأي مجتمع، الأمر الذي يحتاج إلى تضافر الجهود، وتوزيع الأدوار، وتحمل المسؤولية، بتكوين مبادرات جادة تستوعب الازمة وتتجاوز المشكلة.

من المبادرات المطلوبة الحديث الجادّ والملحّ مع الجهات الأمنية المسؤولة في البلد، بأن تتحمل مسؤوليتها، وأن تضع حدًّا لهذا الانفلات الأمني؛ لأن من مهام الدولة الأساسية، ومن مبررات وجودها، هو الحفاظ على أمن الناس وحمايتهم، فتقصير الدولة في الحقل الأمني قد يدفع الناس إلى التفكير في حماية أنفسهم، الأمر الذي يفاقم المشكلة.

ونحتاج إلى مبادرات مجتمعية تعالج جذور المشكلة؛ لأن من يتسبب في هذه الجرائم

هم شباب من أبناء المجتمع، فلا بدَّ من متابعة الظاهرة ورصدها، والعمل على القضاء على أسبابها، ومن أهم ما يجب فعله هو تكوين أطر تهتم بأوضاع الشباب وأركّز هنا على ثلاثة مقترحات:

الأول: على مستوى العوائل والأسر هناك تجارب رائعة لتكوين مجالس أسرية يتفقدون من خلالها أبناءهم وشبابهم، ليتعرفوا على أوضاعهم وهمومهم ومشاكلهم، ويتعاونوا معهم لتجاوز ما يعانونه من صعوبات وعقبات. وبهذه الطريقة يتمكن المجتمع من حل كثير من الظواهر السلبية. من هنا نطالب بتفعيل هذه الفكرة على مستوى كل الأسر والعوائل.

الثاني: تفعيل فكرة مجالس الأحياء، وهي مراكز تضم في عضويتها سكان الحي الواحد، من خلال لجنة منتخبة من قبلهم تعمل على الاهتمام بالمشاريع والنشاطات التي تهم أهل ذلك الحي، وتصبح إطاراً يحقق الانسجام والتعارف والتعاون بين أبناء الحي، وهذا ما لا نجده متحققاً في مجتمعنا إلا نادراً، برغم أن الدولة تشجّع عليه، وبهذا المراكز يمكننا تشكيل مناعة للأمن الاجتماعي توظّف الطاقات وتتدارك السلبيات.

الثالث: توظيف مواكب العزاء التي تمثل ركيزة اجتماعية مهمة، وتوسيع صلاحياتها، لتشمل مناحي متعددة تفيد المجتمع، وبخاصة أن هذه المواكب تجسد الولاء لأهل البيت والإمام الحسين عليه السلام، وبالتالي هي أقرب إلى روح الإصلاح والتغير، والمواكب في حقيقة الأمر تمثل امتداداً لروح النهضة الحسينية، من هنا يجب ألا تكتفي بالجوانب الولائية والشعائرية، وإنما التفاعل الحقيقي مع قيم الثورة الحسينية، فالمأمول منها أن تكون منبراً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما كان الإمام الحسين عليه السلام: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»، ولو استثمرت المواكب في هذا الاتجاه سوف تتحول إلى قوة اجتماعية إيمانية، ذات أثر بالغ في المجتمع.

الخطبة الأولى

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من أتى قبر الحسين عارفًا بحقه كتبه الله عز وجل في أعلى علّيين»[1].

وعنه أيضاً أنه قال: «زوروه ـ يعني الحسين ـ ولا تجفوه فإنه سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة»[2].

للإمام الحسين عليه السلام ولقضيته موضعية خاصة عند أهل البيت، ونحن نعتقد أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو أفضل من الإمام الحسين عليه السلام، ورسول الله صلى الله عليه وآله هو أفضل الجميع، وكما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «جدي خير مني، وأبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني»[٣].

ومع ذلك فإن للإمام الحسين عليه السلام موقعية خاصة فيما يرتبط بإحياء ذكره والارتباط به والبكاء عليه وزيارته، فلماذا هذه الخصوصيات للإمام الحسين عليه السلام؟ هناك أسباب:

السبب الأول:

إن قضية الإمام الحسين عليه السلام هي الأبرز والأوضح لظلامة أهل البيت عليهم السلام، فقد يكون هناك من يناقش في مظلومية الصديقة الزهراء عليها السلام، أو من يناقش في مظلومية

(١) من لا يحضره الفقيه. ج٢، ص٥٨١.

(٢) وسائل الشيعة. ج١٤، ص٤٣١.

(٣) وسائل الشيعة. ج١٦، ص٢٧٢.

أمير المؤمنين علي ﴿عليه السلام﴾، أو من يناقش في مظلومية باقي أئمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، ولكن لا أحد يستطيع أن يناقش في مظلومية أبي عبد الله الحسين ﴿عليه السلام﴾، فهذا عنوان بارز واضح لا يمكن لأحد من الناس أن يناقش فيه، أو أن يعترض عليه، لذلك فإن أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ أمروا بإحياء مظلومية الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾، من أجل أن تتذكر الأمة دائماً وأبداً مظلومية عترة النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾، هذه العترة التي أمر الله سبحانه وتعالى بمودتهم ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[سورة الشورى: الآية٢٣]، هذه العترة التي أوصى رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بهم في أكثر من مورد وأحاديث كثيرة مستفيضة عند كل المسلمين كقوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[(١)].

أهل البيت الذين نصّ القرآن على طهارتهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[سورة الأحزاب: الآية٣٣]، هذه العترة التي كان يجب أن تلتف الأمة حولها، وتستفيد منها، وتهتدي بهديها كما أمر رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾، بينما التاريخ يؤكد أن هذه العترة عانت من الجفاء ومن الظلامات.

هذه الظلامات قد يكون للبعض فيها كلام، ولكن أهل البيت ركزوا على المصداق الواضح؛ فهل يستطيع أحد أن يناقش في ظلامة أبي عبد الله الحسين ﴿عليه السلام﴾ وما حصل له ولأسرته ولعترته يوم عاشوراء، فهو عنوان واضح، وبارز لا نقاش فيه.

السبب الثاني:

إن موقف أبي عبد الله الحسين ﴿عليه السلام﴾ جسد أبرز التضحيات، وأعلى درجات العطاء من أجل الدين و الأمة، وكل الأئمة ضحّوا و أعطوا، إلا أن تضحية الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ كانت الأبرز والأشمل، فقد ضحّى ﴿عليه السلام﴾ بنفسه وأصحابه وأسرته وعائلته.

ويأتي إحياء هذه التضحية الكبيرة التي بذلها الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ من أجل أن تتذكر

---

(١) مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم، طبعة ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار الفكر)، ص١٣١٢، حديث٢٤٠٨.

الأمة ماذا قدم أهل البيت ﷺ من أجل الإسلام والأمة.

السبب الثالث:

أراد أهل البيت ﷺ تعميق روح الرفض للظلم والانحراف، ومن خلال قضية الإمام الحسين ﷺ يكون هذا التعميق و التأصيل.

لذا نجد هذا التركيز الخاص على قضية أبي عبد الله الحسين ﷺ، ومن مفرداته زيارة الحسين ﷺ، فزيارة الرسول ﷺ أو أي أحد من الائمة والأولياء لها فضل، وبشكل عام زيارة القبور لها فضل، كما في الأحاديث والنصوص الموجودة عند جميع المسلمين، ولكن هناك خصوصية لزيارة أبي عبد الله الحسين ﷺ، فالأحاديث الواردة في فضلها ومردود عطائها كثيرة جداً، وإن كان هناك نقاش في إسناد بعض الروايات والأحاديث، لكن مجمل هذه الروايات الكثيرة تفيدنا بالاطمئنان أن هناك مكانة خاصة عند الله سبحانه، وعند أهل البيت ﷺ في زيارة أبي عبد الله الحسين ﷺ.

هذه الزيارة التي تذكر الناس بذلك المشهد العظيم يوم عاشوراء، وبتلك المواقف، إنها ليست رحلة سياحية ولا ترفيهية، بل رحلة توجيهية تربوية، تشدّ الإنسان إلى مدرسة التضحية والفداء في سبيل الله.

فأنت حين تزور مقام شخص ضحى بكل ما يملك في سبيل الله، وتخاطبه وأنت تقف أمامه، أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين.

فهذا يعني استحضار قيم الالتزام وتحمل المسؤولية تجاه الدين والأمة.

كما أن زيارة الإمام الحسين ﷺ أصبحت ملتقى لأتباع أهل البيت، ومظهراً للتمسك بخطهم ومنهجهم الرسالي، لذلك كان الظالمون في مختلف العصور يضعون العراقيل أمام زيارة الإمام الحسين ﷺ، ولكن إصرار المؤمنين وتضحيات أحبة أهل البيت ﷺ، وما منحه الله تعالى للإمام الحسين ﷺ وحباه في مقابل تضحيته: كل ذلك

جعل زيارة الإمام الحسين ﵇ تزداد تألقاً ويزداد الإقبال عليها بين عصرٍ وآخر، وبين حقبة زمنية وأخرى.

في هذا الزمن نرى الملايين تزحف إلى زيارة أبي عبد الله الحسين ﵇، فلم تعد المسألة مسألة أفراد كما كان في السنة الأولى لشهادته، ولم تعد مسألة عشرات ولا مئات ولا ألوف ولا عشرات الألوف ولا مئات الألوف بل بالملايين. ولو أننا جمعنا في كل مناسبة من المناسبات عدد الزائرين للإمام الحسين ﵇ طوال السنة لكانت عندنا عشرات الملايين من دون مبالغة.

اليوم يتحدثون أن عدد زوّار الإمام الحسين ﵇ بمناسبة الأربعين يضاهي ستة ملايين، وهؤلاء يزورون الإمام الحسين ﵇ ويتحملون المغامرات والأخطار، وقد سمعنا ما حدث في الأيام الفائتة من تفجير ومن تقصّد لمواكب الزائرين، وذهب ضحيّتها عشرات القتلى ومئات الجرحى، ولكن ذلك يزيدهم إصرارًا وإقبالًا على زيارة أبي عبد الله الحسين ﵇ فأي جاذبية هذه الجاذبية، وأي انشداد هذا الانشداد.

ورد في رواية: عن معاوية بن وهب قال: استأذنت على أبي عبد الله ﵇ فقيل لي: ادخل فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه ويقول: «يا من خصّنا بالكرامة وخصّنا بالوصية ووعدنا الشفاعة وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا اغفر لي ولإخواني ولزوار قبر أبي عبد الله الحسين ﵇ الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً ادخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله»[١].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيد مقام أبي عبد الله الحسين ﵇ شرفًا وتألقًا.

---

(١) الكافي. ج٤، ص٥٨٢.

العقيلة زينب.. رسالة التحدي والصمود

ورد في التاريخ أن العقيلة زينب عليها السلام لما خاطبها عبيد الله بن زياد بالكوفة وسألها: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ أجابته عليها السلام بقولها: «ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجُّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة».[1]

حينما يحمل الإنسان قضيةً، ويتبنى موقفاً، فإن عليه أن يكون مستعداً لدفع الثمن، ولتحمل أعباء ذلك الموقف.

وقد تجد البعض من الناس يتحمسون ويتشجعون لبعض المواقف، وقد يتحدثون عن بعض القضايا التي تهم الدين وتهم المجتمع، ولكنهم ما أن يلحظوا أن هذا التبني وهذا الموقف سيسبب لهم مشكلة، وسيجلب لهم خسارة ما، أو سيفقدهم شيئاً من راحتهم أو مصالحهم، فإنهم يتراجعون عن ذلك الموقف؛ لأنهم يتصورون أن حمل قضية وأن تبنى موقف سيكون دون دفع ثمن، وهذا مخالف لسنن الحياة الاجتماعية.

فحالة التدافع والتنافس الموجودة في المجتمعات، واختلاف التوجهات، وتضارب المصالح، كلّها أمور تؤدي الى أن أصحاب المواقف وحملة القضايا يتوجب

---

(١) بحار الأنوار. ج٤٥، ص١١٦.

عليهم أن يدفعوا ثمن مواقفهم، وأن يتحملوا المضاعفات التي قد تحصل لهم.

بعض الناس حينما تواجههم المشاكل والمصائب الناتجة عن مواقف قد اتخذوها تصيبهم حالة من الهلع والانهيار، وهذا يدل على ضعف الوعي والإرادة، لأن صاحب الوعي بقضيته وصاحب الإرادة خلف موقفه، يجب أن يكون ثابتاً صامداً.

وحينما نرى مواقف العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام نراها تقدم لنا هذا الدرس العظيم:

أيها الناس، يا من تريدون أن تحملوا قضايا، وأن تتخذوا مواقف، عليكم أن تعرفوا سلفاً أن ذلك يكلفكم ثمناً ويسبب لكم مشاكل، فهل أنتم مستعدون للتحمل أم لا؟

العقيلة زينب عليها السلام هي شريكة الإمام الحسين عليه السلام في نهضته يوم عاشوراء، حيث تجلت عظمة الإمام الحسين عليه السلام في تضحيته وعطائه وصموده، وتجلّت عظمت العقيلة زينب عليها السلام في مواصلتها للمسيرة والمشوار.

وفي يوم الأربعين علينا أن نتذكر صمود السيدة زينب عليها السلام وما قدمته وما تحملته، فلم تكن متورطة فيما واجهته، إذ كان بإمكانها أن تبقى في المدينة، خاصةً وأن لها زوجًا، كفيف البصر، وكان لها أبناء، وكل هذه الأمور تبرر بقاءها في المدينة المنورة، لكنها أصرت على الخروج مع أخيها الحسين عليه السلام، فاستأذنت زوجها، وخرجت مع الحسين عليه السلام.

وحينما جاء مَنْ ينصح الإمام الحسين عليه السلام مثل ابن عباس بألا يصحب معه أسرته، اعترضت عليه العقيلة زينب عليها السلام وقالت له: «يا بن عباس، تشير على شيخنا وسيدنا أن يخلفنا ها هنا، ويمضي وحده، لا والله بل نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره»[1]. فهي أصرت أن تصحب الإمام الحسين عليه السلام.

(١) جعفر النقدي. زينب الكبرى، الطبعة الرابعة، المكتبة الحيدرية، ص٩٤.

وفي أحداث كربلاء كانت تبادر في المواقف المهولة، رغم أنه كان بإمكانها أن تبقى في الخيمة، لكنها كانت تخرج في كل موقف، فكان لها حضور في كل أحداث كربلاء.

ولو لم يكن منها عليها السلام إلا ذلك الموقف العظيم في ذلك اليوم الفظيع، وأمام تلك الكوارث والآلام الجسيمة حيث خرجت عليها السلام إلى أرض المعركة تمشي بين الجثث، وتبحث عن جثة أخيها الإمام الحسين عليه السلام لتقف عند جسده الشريف المقطع، وتُسجّل ذلك الموقف الرهيب من غير أن يدركها الضعف أو الانهيار، مع كل الألم رفعت يديها إلى السماء تخاطب الله تعالى قائلة: اللهم تقبّل منا هذا القربان!

أي إرادة هذه وأي صمود هذا.

وأكثر من ذلك كانت تسلي الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فكما ورد عنه عليه السلام أنه قال: لما أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي، وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة فجعلت أنظر إليهم صرعى، لم يواروا فعظم ذلك في صدري، واشتد لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي؟ فقلت:وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مصرّعين بدمائهم، مرمّلين بالعرىٰ، مسلّبين، لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر، فقالت عليها السلام: لا يجزعنّك ما ترى، فو الله إن ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جدّك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله الميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة، وهم معروفون في أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علمًا

لقبر أبيك سيد الشهداء[١].

هذه هي الروح الرسالية الثاقبة، وعلينا أن نأخذ هذا الدرس العظيم من العقيلة زينب عليها السلام لصبرها ولصمودها، وأن نتحلى بهذه الروحية حينما نحمل قضايا مجتمعاتنا ومبادئنا كما قال أحد الفقهاء، وهو الشيخ هادي آل كاشف الغطاء، رحمة الله عليه:

لله صبر زينب العقيلة ... كم شاهدت مصائباً مهولة
رأت من الخطوب والرزايا ... أمراً تهون دونه المنايا
رأت كرام قومها الأماجد ... مجزرين في صعيد واحد
تمشي على جسومها الرياح ... وهي لذئبان الفلا تباح
رأت رؤوساً بالقنا تشال ... وجثثًا أكفانها الرمال
رأت رضيعاً بالسهام يفطم ... وصبيةً بعد أبيهم يتموا
رأت شماتة العدوّ فيها ... وصنعه ما شاءَ في أخيها

(١) الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي. جامع أحاديث الشيعة. ج١٥، طبعة ١٤٠٣هـ، (قم المقدسة)، ص٢٨٨-٢٨٩.

الخطبة الأولى

نحو ميثاق شرف بين السنة والشيعة

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنفال: الآية:١].

إذا كانت النزاعات والخلافات ضارة بالمجتمع والأمة في كل وقت، فإنها في هذا الوقت أكثر خطراً وضرراً؛ لأن هناك اليوم مَن يتربص بالأمة ومجتمعاتها المتعددة بصورة أخطر وأدق وأوسع، فيسعى للنفوذ من خلال الخلافات والنزاعات؛ لتمزيق وتجزئة أوطانها، واحتلالها والسيطرة عليها، وإضعاف حركة الإسلام والمسلمين، على مستوى أوطانهم، والعالم. هذا أولاً.

ثانياً: الخلافات في الماضي كانت موضعية محلية، فأي خلاف أو نزاع ينشب بين فئتين من الناس، يكون في حدود تلك المنطقة التي وقع فيها؛ أما الآن، فنحن نعيش في عصر العولمة؛ فأي كلمة تقال في أي بقعة في الأرض يتردد صداها في كل مكان، وأي مشكلة أو نزاع يحصل، ولو كان في قرية نائية من القرى الصغيرة، فإن خبر ذلك النزاع ما يلبث أن يصل إلى كل الأسماع، و يتفاعل معه الناس في كل الأصقاع.

ثالثاً: النزاعات والخلافات تعطِّل مسيرة التنمية في المجتمعات؛ إذ يشتغل الناس بها؛ فيلتهون عن بناء أوطانهم، وعن خدمة مجتمعاتهم. وهي فوق ذلك تهدِّد أمن الناس، وتسلبهم الاستقرار، وتؤدي بهم إلى الدمار، تماماً كما رأينا في

أكثر من بلد، بل وفي أكثر من مكان في البلد الواحد.

أخطر أنواع النِّزاع ودورنا تجاهه

ثم إنَّ من أخطر الخلافات والصراعات، هي تلك التي تَأخذ طابعاً دينياً؛ أي الخلافات المذهبية الطائفية، التي من الطبيعي أن تحدث وتحصل في المجتمعات الإسلامية؛ نظراً لاتسامها بالتعدُّد، ففي المجتمعات البشرية تحصل النزاعات والخلافات حتى داخل العائلة الواحدة ذات المنهج الواحد، فكيف برقعة إسلامية هائلة تحظى بالتعدد الديني والمذهبي والفكري والثقافي والعرقي؟! مضافاً لوجود من يغذي هذه التوجهات. هذا واضح لكن: ما هو دور الناس؟ ما هو دور أبناء الأمة تجاه بوادر النزاع والخلاف الطائفي وغيره؟

القرآن الكريم ـ الإسلام ـ يحملنا مسؤولية الإصلاح قِبال أي نزاع وخلاف يظهر؛ حيث يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، فهذا أمر من الله سبحانه وتعالى للإصلاح بين الناس، ومواجهة الفتن، وإطفاء حرائقها المدمِّرة؛ هذا واجبٌ ملقى على عاتق الأمة.

أيضاً يقول القرآن الكريم صراحةً: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[سورة الحجرات، الآية:٩]؛ لذا يجب التوجه بأقصى الطاقات والجهود نحو الإصلاح، والإصلاح الصادق الذي ترسمه الصفات الحقيقية للمسْلِم، لا أي إصلاحٍ كان واتَّفَق!

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[سورة الحجرات، الآية:١٠]؛ هذا أمرٌ سماويٌّ صارخ؛ فالإصلاح مسؤولية عظمى على الجميع.

تقويم النزاع الدِّيني مسؤولية من؟

فيما يرتبط بالجانب الديني، فإن مسؤولية الإصلاح بالدرجة الأولى تكون على

عاتق العلماء؛ صحيح أنها مسؤولية جماعية، يساهم فيها كل فرد بنحو الواجب الشرعي والعقلي، ولكن بالدرجة الأولى هي مسؤولية العلماء؛ كونهم أعرف بالسُّبُل الأصلح، وبتفاصيل مسائل الأخلاق والشريعة وفقهها؛ لذا عليهم ـ كما على غيرهم ـ ألا يَسلك السكوت إليهم طريقه تجاه الخلافات والنزاعات الفتاكةِ القائمة.

إن مما يؤسف عليه ـ وبشِدّة ـ ما نراه من ابتعاد عن القيام بهذا الدور، بل وبعض العلماء والدعاة قد يقعون في فخ الصراعات؛ إما لخطأٍ عارِضٍ، أو لاشتباهٍ عندهم، أو لأن هناك من يحركهم في هذا الاتجاه؛ فيشعلون الفتن بفتاواهم وتصريحاتهم وخطاباتهم ومواقفهم وأفعالهم، وذلك أخطر ما يَكون.

في المقابِل، هنالك قسم من العلماء لا يمتلكون الإرادة للتحرك في اتجاه الإصلاح والمسؤولية؛ يرون الخلافات والنزاعات الهدامة والمدمِّرة، وهم واقعاً لا يقبلون بها، لكن لا يتحركون تجاه الدور الإصلاحي المفروض ـ عقلاً وشرعاً ـ عليهم؛ تجدهم يبدون استياءهم من النزاعات، ولا يقومون بعمل في مقابلها؛ إما لأنهم يشكُّون في جدوى التحرك، أو لأنهم يشككون في جدوى ذلك؛ فتسيطر عليهم حالة من الإحباط واليأس، وغير ذلك من الأسباب والنتائج.

لكن الذي نريد قوله، هو أن هذا الإحباط واليأس، أو الشك والتشكيك في الجدوى، يشكِّل مبرِّراً للكثيرين في أن لا يتحركوا نحو تحقيق التقارب والتواصل، وتطويق الخلافات والنزاعات، كما أن البعض يخشى من العواقب والمضاعفات؛ ذلك لأن من يتحرك تجاه هذه الفتن الطائفية، يناله كلامٌ منها ومن افتعالاتها؛ كأن يُشكَّك في نيّاته، أو يُتهم بالتنازل، أو بالعمالة والنفاق، أو يُقذف باللهاث خلف الآخرين والهرولة وراءهم! وما شابه ذلك؛ فالبعض لا يريد أن يَتحمل تَكَلُّم الناس عليه بالأباطيل، التي قد تناله عند سعيه تجاه وَأْدِ الفتن؛ يريد أن يكون بعيداً عن أي أذىً مفترَض، راكناً للراحة والدّعة، مع أن الإمام علي عليه السلام يقول في إحدى خطبه: «ليس بعاقلٍ مَن انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه، الناس أبناء ما يحسنون، وقدر كل أمرء ما

يحسن»[1]؛ بالنتيجة من يشخِّص الواقع والمسؤولية الدينية، والإنسانية، يكون الواجب الشرعي والإنساني نصْب عينيه، ولا يصحِّح لنفسه أن تيأس، أو يصيبها الإحباط، أو تخشى على نقاء سمعتها من ثلة الجُهَّال الذين لا يخلو منهم مكان، بل ولا يصحِّح لنفسه التواكل والاتكال على الغير للقيام بهذا الدور اللازم.

لا للتشكيك في جدوى حِراك الإصلاح

ونريد أن نقول هنا: إنَّ مَن يشككون في جدوى التحرك، عليهم أن يعيدوا النظر في مواقفهم؛ لأنه أولاً من الناحية الشرعية لا يصح الانطلاق من اليأس، فالأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام كانوا يقومون بواجباتهم، مهما كان إعراض الطرف الآخر، واتهامات الأتباع والشركاء؛ فالطرف الآخر إذا كان معْرِضاً؛ فإن النبي والإمام وولاة الأمر والسائرين على طريق الأولياء، لا يرون ذلك مبرراً للقعود عن القيام بلازم الدعوة وما يستتبعها من إجراءات.

ومن ناحية أخرى، نَلحظ ـ من منطلق التجربة ـ تَوافر مؤشرات وأرضية مناسبة لممارسة الواجب الدعوي الصادق في هذا الجانب؛ نظراً لارتفاع مستوى الوعي عند الناس؛ حيث أصبح هناك شريحة واسعة ممن يعي الأخطار التي تحيط بالأمة في مختلف أنحائها.

إذن لا بد من وجود مبادرات جادة وصارمة ومخلصة، تطوِّق حالة الخلافات المتفلّتة. وكما تعلمون فإن هناك سعياً وانطلاقة فتية بدأت في بلادنا الغالية ضمن برنامج التواصل الوطني، رغم أننا نعيش وضعاً تعبوياً من الناحية الطائفية والمذهبية، ومع أن هناك تياراً متشدداً يَحترف إثارة الصراع المذهبي والطائفي، يتمثل في مدرسة متشددة لا تعطي ـ للأسف ـ مجالاً للتعايش والحوار، بل ولا تَقبل بوجود رأي آخر من أي كائنٍ كان، حتى لو كان من شركائها في الوطن والدِّين والإنسانية، فمع كل ذلك،

(١) الكافي. ج١، ص٥٠-٥١.

ومع صعوبة الأوضاع وقساوة الصراع المَحَلِّي لدينا، نجد أن هنالك سعياً وانطلاقة قد حصلت على أرض الواقع في هذه البلاد، فكيف بالبلدان التي أرضيتها أخصب للحوار، وأكثر تمهيدًا لزهرِه وعبيرِه، وأقل جرحًا ومِحنة؟

حقيقةً هناك واقع تأسَّس هنا على هذه الحالة بمبادرةٍ فعلية، كما أن من الطبيعي أن نواجه في قبالها بعض الصدود والشكوك، لكن ذلك لا ينبغي أن يوقفنا أو يثْنينا عن مواصلة المسير، فديننا عزيز، ووطننا عزيز، وأمتنا غالية وأغلى الأمم، وكلُّ أمةٍ هي أغلى في نظر أبنائها، ولا مشاحَّة في قيمة الأمم الأخرى ومكانتها.

هذا والمسألة لا تتجسد في إلقاء خطاب، أو إصدار بيانٍ عابرٍ فحسب؛ إنما تتجسد في بذل جهدٍ واضح؛ بالتواصل وإزالة القَناعات السلبية، والوهميات، ومفاسد القطيعة، وفسح المجال للتفكير، والتبادل، كما على الجهات المتشددة أن تُطْلِق رحابة صدرها ـ صدر المسلم الـمؤاخي في قاعدة الجسد الواحد لمن هم بالإسلام رحماء بينهم ـ أمام هذا المشروع الوطني والإنساني الرفيع؛ لخَلق جسور صلبة من الثقة والتعاون. هذا ما قام به المخلصون الواعون من أبناء هذا المجتمع النبيل والوطن الطيب.

نعم؛ قد لا تسلَّط الأضواء على كل الجهود التي بُذِلت، لكن هناك جهودًا بُذِلَت لا يمكن إنكارها أبداً؛ زيارات ولقاءات ودعوات، من نماذجها ما يحصل عندنا أيام شهر محرم المحرم، بتَوَجُّه ثلة من أبنائنا وبناتنا في دور مسؤولياتهم لدعوة عدد من الشخصيات من إخواننا الأعزاء أهل السنة، ومن مناطق مختلفة، كي تَتنوَّر مجالسنا بحضورهم الكريم، ويشاركونا في هذا الموسم بآرائهم النيرة ومساهماتهم الفاضلة، كما يرون ما نقوم به عن قرب، يرون اجتماعاتنا ومواكب عزائنا، ويلتقون مع شخصيات المنطقة.

لقد كان لهذا البرنامج (التواصل الوطني) أثرٌ طيب؛ فبعض المشاركين والمشارِكات كتبوا كتابات إيجابية، ونشروها، وتحدثوا عن الواقع الذي رأوه ولاحظوه؛ فهذا جهد كبير صُرِف فيه وقتٌ ومالٌ وإمكانات كبيرة.

نعم؛ قد لا تكون تلك الجهود شيئاً واضحاً كبقية الأشياء الواضحة أمام الناس، فالناس قد يَرون الثمار والنتائج، ولكن لا يَعرفون كم هي الجهود التي صُرفتْ على هذا الصعيد، كذلك الدعوات التي حصلَت، كما حينما يُدعى بعضنا إلى المناطق الأخرى؛ ليتحاور ويلتقي ويتحدث، فحين توجَّه الدعوات لشخصيات من مناطق أخرى؛ لتأتي لمنتدياتنا ومجالسنا، وتتحدث وتتحاور وتلتقي؛ فهذه جهود طيبة، لها ثمار جيدة، ولها آثار مهمة.

كان هناك أيضاً مبادرة جميلة في الليلتين الماضيتين؛ فالإخوة الأعزاء في «مركز الفقاهة» بالقطيف، أقاموا ملتقىً علمياً وفقهياً في «جامع الكوثر» بمدينة صفوى بتاريخ ٢٦-٢٧ صفر ١٤٣١هـ، تحت عنوان «فقه التعايش في الشريعة الإسلامية»، حضره شخصيات من إخواننا أهل السنة، وشارك بعضهم بالبحوث والمداخلات، فكانت فرصة ثرية للتبادل. هذا غير إلقاء البحوث والجلسات التي كانت تحصل بين المشاركين، مما كان له أثره العظيم.

فمثلاً أحد الباحثين من إخواننا أهل السنة كان يقول على طاولة العشاء:

«إن لم يكن في هذا الملتقى إلا ما سمعتُه من حديث هنا على هذه الطاولة؛ لكان يكفي، ولكان يستحق أن أقطع له هذه المسافة، المسألة هي أننا خلفنا تراث فيه كثير من الإساءات المتبادلة، ففي تراث السنة الكثير تجاه الشيعة، وفي تراث الشيعة الكثير تجاه السنة، خَلفنا تاريخ مليء بالمرارات والآلام، كما نعيش واقعاً يمتلئ أيضاً بالأوجاع والمتاعب، وهذا لا يمكن معالجته بين عشيةٍ وضحاها، ولا يمكن تجاوزه بين يومٍ وليلة؛ إذ يجب أن تبذل جهود واسعة وصادقة، وتُدعم بالتشجيع والمواقف الإيجابيّة، وإذا كان يوجَد من لا يَتفهم أهمية هذه الجهود، أو تتملكه هواجس تجاهها؛ فعليه أن يقترب منها، وأن يتعرف حقيقتها، كما ينبغي له أن يشخِّص واجبه الشرعي تجاه ذلك، بعيداً عن دغدغة مشاعر الناس، وإثارة الهواجس والوساوس في أوساطهم تجاه مشروعٍ ضروريٍّ كهذا، غايته الوحدة والتقارب، وإصلاح ذات البين الواجبة

قطعاً وبضرورة الدِّين والعقل».

ميثاق الشرف بين الإصرار ومجابَهة المخرِّبين

لقد طُرِح مؤخَّراً ـ ولعل بعضكم قرأ أو سمع ـ الحديث عن «ميثاق شرف» بين السنة والشيعة في هذا البلد.

أقول: إن وجود مثل هذا الميثاق أو هذه الوثيقة، يُعتبر من العناصر الإيجابية المهمة في هذا المضمار، فلقد رأينا مثلاً في لبنان كيف أن «المقاومة الإسلامية» المتمثلة في «حزب الله» مع قوته وموقعيته، إلا أنه كان يَعمل ـ وبكل جدية واجتهاد ـ من أجل إيجاد ميثاقٍ بينه وبين مجموعة سلفية صغيرة في نفس تلك البلاد ـ لبنان ـ رغم أنها ليست ذات وزنٍ سياسيٍّ أو اجتماعيٍّ يُذْكَر، وخاصة في مقابل قوة كحزب الله، إلا أن الوعي الرفيع هو الذي دفع الطرفين نحو السعي لإيجاد حالة من التقارب المرن، والتواصل الطيب والفاعل.

طبعاً ـ وبشكل طبيعي وفق قانون التخريب واللامسؤولية المعتاد ـ بُذِلَتْ جهودٌ مضادة لإفشال هذا المسعى، أُعلنَتْ في وقتها كما أُعلن ميثاق التقارب في وقته أيضاً، ودون أي تأثُّر أو تذبذب. وكذلك نحن في بلادنا العزيزة، بذلنا بِدَورِنا مع مجموعة من الواعين والمخلصين جهوداً طيبة، ولا نزال نبذل الجهود تلو الجهود، ويوجَد هناك من يحاول عرقلة ذلك.

في إحدى المرات، حصل لقاءٌ في الرياض، شارك فيه معي بعض الأعلام من علمائنا في القطيف، كما شارك فيه من الطرف الآخر شخصيات كبيرة ذات وزن من العلماء السلفيين، لكن هناك مَن تَعمَّد وجاء بمجموعة متشددة لموقع اللقاء؛ بهدف إفساده ومنعه من أن يتم!

فالجهود تبذل بصورة فاعلة، ويجب استمرارها، وإن كنا نعلم بأن هناك عوائق ومواجهة من البعض، سواء في هذا الطرف أو ذاك؛ فحين يتحدث ـ مثلاً ـ متحدث

يعيش خارج البلاد الإسلامية في لندن، ويقول ألفاظاً نابية تجاه إخواننا المسلمين الأعزاء وتجاه السلفيين أو تجاه ملك البلاد؛ فهذا بلا شك من العراقيل التي يستفيد منها من يضع شراكه ومصائده لإفشال الجهود المبذولة، دون أن يشعر ـ إذا أحسنَّا الظن ـ بالأضرار والأخطار التي نعيشها في أوطاننا من قِبل المتحمسين للمشاكل في الفريقين، فيقول كلاماً من هناك ويَترك الأثر السيء هنا؛ فمِن هذا الطرف وذاك الطرف، هناك من يَتشهى لإذكاء وإشعال النار الطائفية، لكنَّ هذا لا يصح أبداً أن يوقِف الواعين واليقظين عن مواصلة المسير.

إننا إنما نتحدث عن ميثاق شرف فيما يرتبط بـ«العلاقات الأهلية»، مع أننا نجزم ونعلم أن المسألة بحاجة لمعالجة رسمية؛ إذ لا بُد من وجود قوانين وأنظمة تحفظ الحقوق بين المواطنين؛ بحيث لا يكون فيها حيف على أحد بسبب انتمائه المذهبي؛ وهذا إنما يتم من خلال معالجة مواقع التمييز الطائفي بين الناس، وتجريم أي إساءة تصدر من طرف تجاه آخر، وهذا ما يتطلب بطبيعة الحال لوضع مواد وأنظمة واضحة وصارمة ومتوازنة، تطبَّق بشكلٍ جادٍ وعادل، فمجرد ندوات أو مواثيق بين مجموعة علماء وشخصيات أو جماعة ناشطة من الشعب؛ فهذا وحده لا يحل مشكلة بهذا الحجم، تحتاج لمساندة حكومية تكافئ وتوازي صعوبتها وحجمها القائم.

إننا نعلم عسر ذلك وحساسيته، لكننا نريد أن نهيء الجو بإرادة الكبار العازمة والصلبة، الباحثة عن صلاح الوطن والأمة، مهما كلف الثمن من تضحيات ومتاعب ومِحَن، ففينا العلماء والقادة والرجال الأكفاء، فما نستهدفه مرحلياً في الوقت الحالي، هو صُنْع الأجواء المناسبة، التي تمهِّد وتدفع نحو تحقيق ما تصبو إليه الإرادة المسؤولة والنزيهة.

لذا نحن بحاجة لمعالجتين: معالجة رسمية عن طريق القوانين والأنظمة التي تجسِّد وتطبِّق المساواة بين المواطنين، فلا يكون هناك تمييز، ولا يُسمح لأن تكون هناك إساءة من طرف لمقابِلِه، ومعالجة فكرية توعوية على الصعيد الأهلي والاجتماعي.

ولتعميق القضية بالوقوف الصريح على شيء من الانزعاجات الحاضرة، نقول:

إنَّ هذا الميثاق الذي يُطرح ويُتحدث عنه، ناشئ من وجود شكاوى متبادلة، فنحن الشيعة نشتكي من صدور كتابات وخطابات وفتاوى تكفرنا، وتحرِّض علينا، وتثير الكراهية ضدنا، وشركاؤنا من أهل السنة أيضاً يشْكون من نفس ذلك؛ باعتبار أن هناك كلامًا ينال رموزهم وشخصياتهم وتوجهاتهم؛ إذن هناك شكاوى متبادلة، فلنتفق بصياغةِ وثيقةِ شرفاء متشاركين متاحبين، تضع حداً لهذه الشكاوى المتوارثة والمتبادلة بين كل من الطرفين، على أن الوثيقة لا يوقِّع عليها شخصان في ظلام الليل بما يسلبها المنفعة ويعدمها الجدوى، بل إنما يتوجب أن تحظى بدعم أكبر رقعة من الفئتين في الجانبين، يمثلهم العلماء والمفكرون من رجالِ ونساءِ الوطن، وشبابه النُّشطاء المؤثرين بوعيهم وقوة إيمانهم بالقضية، كما ترتكز هذه الوثيقة ـ التي تداولنا الحديث حول مجموعة مفاصل منها ووضِعَتْ بعض المسودات لها ـ على بنود ومواد رئيسة، نذكر منها الأمور المهمة التالية.

مرتكزات مشروع الوثيقة المقترحة

أولاً: الإقرار بجامعية الإسلام لكل أبنائه، فلا يكفِّر أحدٌ أحداً، ولا يشكِّك أحدٌ في دِين الآخر.

كما يتضمن هذا الإقرار التركيز على المشتركات الكبرى، من توجُّه لقبلة واحدة يُلْزِم الحكم على الجميع بأنهم مسلمون، تُحترَم أعراضهم ودماؤهم وممتلكاتهم. بالتالي؛ ينبغي أن يدان أي كلام تكفيري أو متشدد يشكِّك في دين أحد الفُرقاء.

ثانياً: تعزيز الاحترام بين الطرفين؛ بإيجادِ نحوٍ من التواصل الودي.

ثالثًا: تعزيز المساواة بين الأفراد، ومواجهة حالات التمييز على أساسٍ مذهبي وطائفي؛ فهذه مسألة أساسية لا يمكن التغاضي عنها.

رابعاً: التعاون في خدمة المصالح المشتركة لخدمة الوطن وأمنه ووحدته، مضافاً لوحدة الأمة والمصالح المشتركة لأوطانها المتعددة.

هذا مختصرُ بعضِ المحاور الأساسية التي نسعى إليها ونبذل الجهد للتوصل لها، ونهدف لأن تحظى برضى وموافقة أكبر رقعة من مشارِكي الطرفين.

نعم؛ بالتأكيد إن الذين يتعاطون معنا بثبات وصمود، واجهوا ويواجِهون مشاكل صعبة، ولو تابعتم ما يُكتب في الإنترنت، وحتى في بعض الصحف؛ لرأيتم كيف أنه ـ تقريباً ـ كل من يتواصل معنا تثار ضده الاتهامات والإسقاطات، وفي أوساط فئته المتشددة يُتهم بالتميع والتنازل والوَهن والخذلان، بل والمخابراتية والعمالة، وما شابه ذلك، تماماً كما أن من يسعى في مجتمعنا لإنجاز هذا المشروع، يُتهم أيضاً وتُكال له الافتراءات والطعون، لكن المرء الصادق الذي يحمل رسالةً، لا يقف أمام مجموعة اتهامات واهنة واهمة، تحاك؛ لتفتيت رسالته وتحطيم أتعابه ومساعيه، فليس بعاقلٍ من انزعج من قول الزورِ فيه، وليس بحكيمٍ من رضيَ بِثناء الجاهل عليه، أو لا أقَل إنْ كان البعض يتأذى؛ فعليه أن يتحمل الأذى في سبيل الله، ومن أجل الله، وإلا فنحن مطالَبون أمام الله سبحانه وتعالى يوم لا ينفعُ أحدٌ أحدًا، كما أن السكوت سيَسلك بأبنائكم وأبنائنا إلى البلايا وأجيج نار الدنيا، ولا أظن أن منا من يرتضي ذلك ويريده.

إنني أَشعر بشيء من التفاؤل؛ لِما ألحظه من تواجد غير مسبوق لجماعة واسعة من العقلاء والمعتدلين، ولِما ألحظه من المواقف الإيجابية والمشرِّفة، التي تَمظهرَتْ من خلال العديد من الكتابات، في الصحف العامة والخاصة، وفي الصفحات الشخصية والمفتوحة، وفي المجالس العلنية والمغلقة، خصوصاً ما شاهدناه من ذلك حول الإساءة الموجَّهة للمرجع السيد السيستاني حفظه الله؛ حيث قرأتم ورأيتم عدداً جيداً من الكتابات، من عشرات الكُتَّاب ليس من كاتبٍ أو كاتبين، فقد كُتِب في الجرائد وتم التحدث على مواقع الإنترنت، بما يُحتذى به في سجل الأحاديث الطيبةِ المشرِّفة، ونحن إذ نشد على الأيدي، نقدِّر هذه المواقف ونشكرها، ونُعلن أنها تزيدنا أملاً، وتزيدنا تفاؤلاً، كما تلقي علينا مسؤولية أكبر في المضي بهذا الطريق.

نشير في هذا السياق لِما نشرت الصحافة الكويتية بالأمس، من أن وفوداً من

الكويتيين زاروا المرجع السيد السيستاني في النجف الأشرف، فجرى الحديث عن هذه الأمور.

صحيفة الدار تَرصد الموقف الحكيم للمرجعية

الصحيفة الكويتية صحيفة الدار تقول: «طَلب المرجع الأعلى للطائفة الشيعية آية الله السيد علي السيستاني من وفود كويتية زارته أخيراً، أن يحافِظ الكويتيون على أمن بلدهم ووحدته، وألا ينجروا إلى أصحاب الفتن، ونَقلَتْ هذه الوفود عن السيد السيستاني، أنه دعا زواره لطلب المغفرة له إذا صح ما قاله عنه الشيخ العريفي، أو أي شخص يتوجه ضده بالشتم والإهانة، وإذا لم يَصح، أن يكون طلب المغفرة للعريفي، أو لسواه، إذا كانوا مخطئين.

وأضاف المرجع السيستاني قائلاً: على جميع المؤمنين نشر ثقافة المحبة، والحرص على قول «أنا أحبك» لجميع المؤمنين؛ حفاظاً على الوحدة الإسلامية، وحرصاً عليها من محاولة تفريغها وشق صفوفها ودفعها بالتي هي أحسن كما أمرنا الله تعالى»[(١)].

هذا هو نهج أتباع أهل البيت وفق ما كان عليه الأئمة عليهم السلام، فهذا الموقف من السيد السيستاني، إنما صدر من تربية مدرسة أهل البيت، إنها تربية الإمام زين العابدين عليه السلام، الذي واجه المسيء له بقوله: «إن كنتَ صادقاً فيما قلتَ لي، غفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً، فغفر الله لك»[(٢)].

إن هذا الموقف الذي يتمثله السيد الجليل حفظه الله، علينا جميعاً أن نسير على خطه، فهو حقاً خط أئمتنا عليهم السلام.

ختاماً أقول: علينا أن نسعى لتحصين أوطاننا من الفتن ومن العبث بوحدتها..

---

(١) جريدة الدار الكويتية عدد الخميس ١١ نوفمبر ٢٠١٠م.

(٢) الحافظ ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، طبعة ١٤١٥هـ، (بيروت: دار الفكر)، ص٣٩٥.

الخَلوة بالله في جنح الظلام

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[سورة الاسراء، الآية:٧٩].

ما أحوج الإنسان للحظات يخلو فيها بنفسه، ويتجه فيها إلى ربه؛ كي يكون على صلة دائماً بمن إليه مصيره.

إنَّ الإنسان منشغل بمشاغل الحياة ومستلزماتها، وبملذاتها وشهواتها، فإذا استمر على هذا النهج؛ فإنه سيكون بعيداً عن الـمَعِيْن الروحي، وعمّا يعصمه من المنزلقات والانحرافات؛ لذلك هو في حاجة ماسة لأن يتجه إلى الله سبحانه وتعالى باستمرار، وخاصة في أوقات الهدوء؛ حيث لا يشغله شاغل ولا يَصْرف ذهنه صارف.

من هنا جاء التأكيد على نافلة الليل؛ إن الإنسان في الليل في جنح الظلام، يَنتصب واقفاً بين يدي ربه سبحانه وتعالى، حيث لا رياء، ولا طلب سمعة، ولا انشغال بأي شائبٍ آخر؛ يتوجه إلى الله يَعرض له نفسه وأعماله وسلوكه، فيرى ما يوافق رضا الله، وما يُغضبه سبحانه وتعالى، كما أنه يَلتجئ لله؛ يَستمد منه العون والتوفيق، ويَستلهم منه الثبات في مواجهة الإغراءات والشدائد ومكاره الحياة.

هذه الآية الكريمة ـ كما تشير الروايات ويرى أكثر المفسرين ـ خطابٌ لرسول الله ﷺ، ويمكن أن نفهمها أيضاً خطابًا موجهًا لكل إنسان.

تقول الآية: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾؛ أي تهجد بالعبادة وقراءة القرآن نافلة لك، والتهجُّد مأخوذ من الهجود والسهر للعبادة؛ يقول الجوهري: «هَجَدَ وتَهجَّدَ: نام ليلاً، وهَجَدَ وتَهجَّدَ: سهرَ»[١]؛ أي للعبادة، والنافلة تعني «الزيادة»؛ قال الطريحي: «النّفل الزيادة، سُمِّيَت النافلة من الصلاة؛ لأنها زيادة على الفرض»[٢].

فالصلاة الواجبة على الإنسان هي الفرائض الخمس، لكن صلاة الليل وإن لم تكن واجبة على سائر الناس، إلا أن هناك كلامًا في وجوبها على رسول الله ﷺ؛ أما بالنسبة لسائر الناس فهي مستحبة ونافلة، ولها عطاء كبير لا يُزْهَد فيهِ ولا يُفَوَّت، فما هي إلا بضع دقائق، قد لا تتجاوز لدى البعض ربع الساعة، فها نحن نصرف الساعات الطويلة في مشاهدة التلفاز، والجلوس مع الآخرين، وغير ذلك من الأمور، فلماذا نزهد في الجلوس والخلوة بمن إليه مصيرنا ومِنه خيرُنا؟!

صلاة الليل، عوائدُها وخَطَرُ مقامِها

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيركم من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام»[٣]، وعنه ﷺ: «مَن صلى بالليل حَسُنَ وجهُه بالنهار»[٤]؛ نفهم من حَسُنَ وجهه الشكل الظاهري، فوجْهُه منظره كما يشير بعض العرفاء؛ فإن صلاة الليل تسبب انبثاق النور من وجه الإنسان؛ بحيث يراه الآخرون حين النظر إليه وجهاً نورانياً؛ هذا هو الموافِق لما في النصوص الأخرى المعبِّرة بابيضَّ وجهه، أو المعبرة بكساهم الله من نوره.

نعم؛ قد لا يَتبدل شكل الوجه، لكنه يشعُّ نوراً يستقبله من يمتلك طاقة استقبال هذه الأنوار. هذا وقد نفهمه بمعنى حَسُنَ اتجاهُه في النهار ببركة التسديد الرباني الذي

(١) فخر الدين الطريحي. مَجمَع البحرين. ج٤، الطبعة الثانية١٤٠٣هـ، (بيروت: مؤسسةالوفاء)، ص٤٠٦.
(٢) مَجمَع البحرين. ج٤ ص٣٥٥.
(٣) عيون أخبار الرضا. ج١، ص٧١.
(٤) بحار الأنوار. ج٤٨، ص١٨٤.

يشتمله، فالذي يتعبد بالليل؛ فإن عبادة الليل تؤثر على مظهر طريقته وسلوكه وتعامله في النهار.

هذا وقد أوصى الإمام الصادق عليه السلام أحد أصحابه بقوله له: «لا تَدعْ قيام الليل، فإن المغبون من حُرِم قيام الليل»[(١)]، كما جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يشتكيه بقوله: «إني محروم من صلاة الليل. فقال عليه السلام له: أنت رجلٌ قد قَيَّدَتْك ذنوبُك»[(٢)]؛ يعني أن الذنوب هي التي تَقعد بالإنسان عن هذه الصلاة ومنافعها العجيبة، فلا يَنال التوفيق إليها ولعوائدها العظيمة؛ ففي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام «إن الرَّجلَ لَيَكذِبُ الكذبة، ويُحرَم بها صلاة الليل؛ فإذا حُرِم بها صلاة الليل، حُرِم بها الرزق»[(٣)].

إن هناك روايات كثيرة وردت حول فضل صلاة الليل، أختمها بهذه الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «ما من عملٍ حسنٍ يعمله العبد إلاّ وله ثوابٌ في القرآن، إلا صلاة الليل، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يُبيِّن ثوابها؛ لعِظَم خطرها عنده، فقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة السجدة، الآيتان: ١٦ و١٧]».

إنك لا تَعْلم ما هو العطاء الذي ستناله من الله ببركة صلاة الليل؛ الآية الكريمة تقول: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾؛ إذا قلنا هذا خطاب لكل أحد؛ فهذا يعني أن هذه الصلاة تَمنح للإنسان مقاماً محموداً يوم القيامة، وإن كان أكثر الروايات تشير إلى أن هذه الآية خطابٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه

(١) وسائل الشيعة. ج٨، ص١٦٠.

(٢) الكافي. ج٣ ص٤٥٠.

(٣) محمد بن الحسن الطوسي. تهذيب الأحكام، الطبعة الثانية١٣٧٨هـ، (النجف الأشرف: دار الكتب الإسلامية)، ج٢ ص١٢٢.

سبحانه وتعالى سيبعثه يوم القيامة مقاماً محموداً يتمثّل بالشفاعة الكبرى.

المقام المحمود

ها نحن نطلّ على ذكرى وفاة رسول الله ﷺ، ويجب أن نَعْلم أننا بحاجةٍ دائمةٍ إليه في الحياة؛ للأخذ بتعاليمه وشريعته ومنهجه، وفي القيامة؛ ليكون شفيعاً لنا بين يدي الله عن هذه المعاصي التي تلازمنا وتتكاثر يوماً بعد آخر، وتقيدنا بظلامها، وتعمينا عن السيرة العادلة؛ لذلك علينا أن نُقْبل بنفوسنا وقلوبنا على رسولنا العظيم ﷺ؛ فالآية تقول: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[سورة الضحى، الآية:٥]؛ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «... تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله عز وجل: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وهي والله الشفاعة ليعطيها في أهل لا إله إلا الله حتى تقول: رب رضيت»[١]. ورسول الله ﷺ لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار ممن تسعهم الشفاعة، فالآيات والروايات كثيرةٌ في هذا الصدد:

ورد عنه ﷺ أنه قال: «لكل نبي دعوة قد دعا بها وقد سأل سؤالًا، وقد أخبأت دعوتي لشفاعتي لأمتي يوم القيامة»[٢].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في روايةٍ طويلةٍ مفصّلةٍ قال: «قالت فاطمة الزهراء سلام الله عليها لرسول الله: يا أبتاه! أين ألقاكَ يوم الموقف الأعظم، ويوم الأهوال، ويوم الفزع الأكبر؟ قال: يا فاطمة! عند باب الجنة ومعي لواء الحمد، وأنا الشفيع لأمتي إلى ربي. قالت: يا أبتاه! فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الحوض وأنا أسقي أمتي! قالت: يا أبتاه! إن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الصراط

---

(١) الشيخ مكارم ناصر الشيرازي. تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. ج٢٠، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: مؤسسةالبعثة)، ص٢٧٨.

(٢) بحار الأنوار. ج٨، ص٣٤.

وأنا قائمٌ أقول: رب سلِّمْ أُمَّتي! قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني وأنا عند الميزان أقول: ربِّ سلّم أمتي! قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على شفير جهنم أَمنع شَرَرها ولهبها عن أمتي! فاستبشرت فاطمة بذلك»[١]؛ هذه بشارة لنا من رسول الله ﷺ أنه بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام لما سُئِل عن شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة؟ قال: «يلْجِم الناسَ يوم القيامة العَرَقُ، فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا عند ربه، فيأتون آدم، فيقولون اشفع لنا عند ربك. فيقول: إنَّ لي ذنبًا وخطيئة، فعليكم بنوح. فيأتون نوحاً؛ فيردهم إلى من يليه، ويردهم كل نبي إلى من يليه، فينتهون إلى عيسى، فيقول نبي الله عيسى عليه السلام: عليكم بمحمد رسول الله ﷺ، فيسألونه؛ فيقول: انطلِقوا. فيَنطلق بهم إلى باب الجنة، ويستقبل بهم باب الرحمن، ويَخر ساجداً لله، فيَمكث ما شاء الله، فيقول الله: ارفع رأسك يا رسول الله، واشفع تُشَفَّع، وسَل تُعطَ، وذلك قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾»[٢]؛ فبإحيائه ﷺ لليل، ينال القرب والرفعة، ويحصل على الشفاعة من أجل أُمته.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق، ص٣٥٠.

(٢) علي بن إبراهيم القمي. تفسير القمي، ج٢، الطبعة الثالثة١٤٠٤هـ، (قم: دار الكتاب)، ص٢٥.

الخطبة الأولى

موافقة الأهل وصعوبة التزويج

عن الإمام الباقر عليه السلام، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا جاءَكم مَن تَرْضَونَ خُلُقَه ودينَه فزوِّجوه، إلا تفعلوه تَكُن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير»[1].

هذا الحديث، الصحيح في سنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله، يحذِّر من عواقب التشدد في أمر التزويج، فإذا ما تَقدم خاطب لفتاة؛ فينبغي للعائلتين وللمجتمع، تسهيل طريق الزواج، فيما إذا كانت تتوفر لديهما المؤهلات والمقومات الكافية شرعاً.

التشدد في الموافَقات

أكَّدَتِ النصوص الواردة، على أنه ينبغي للإنسان أن يُحْسِن الاختيار، ومع الاختيار يَلزم علينا في ذات الوقت، أن نفرِّق بين الأشياء الأساسية اللازمة، وبين الأشياء التفضيلية.

هذا وللمعلومية، فإن المشهور عند علماء الشيعة، هو أن المسلم كُفؤُ المسلم؛ فالكفاءة المشترَطة عندهم، هي أن يكون هناك كفاءة في الدين فقط؛ هذا هو الرأي والحكم المعتبر عند فقهائنا السابقين، وكذا المعاصرين، وبعبارة علمية دقيقة:

المشهور هو أن «المسلم كفؤ المسلمة، والمؤمن كفؤ المؤمنة» ولا شيء غير ذلك؛ والحديث الشريف فيه ما يشير ضمنياً إلى هذا الشرط الوحيد، حيث يقول: «إذا جاءكم من تَرضون خُلُقَه»؛ يعني تعامله مع من سيَقترن به. و(دِينه)؛ أي أن يكون دِينه

(١) الكافي. ج٥، ص٣٤٧.

الإسلام كما أشار صاحب الجواهر بقوله:

«قوله ﷺ: (إذا جاءكم) إلى آخره خطاب مشافهة، ومن المعلوم أن من لا يرضى دينه في زمنه ﷺ من لم يكن مسلما، فلا يستفاد حينئذ منها بقاعدة الاشتراك أزيد من ذلك»[١].

نعم؛ هناك مرجحات تدخل ضمن الاستحباب والكراهة؛ حيث يفضَّل اختيار الزوج الأكمل، ولكن شرط الإسلام يكفي بمفرده في صحة الزواج ولزومه عند مشهور فقهاء الشيعة؛ أما عند إخواننا أهل السنة، فالكفاءة لها بحث مفصل؛ إذ إن هناك العديد من المسائل التي يشترطونها في الكفاءة، حيث تَحدثوا عن خصال أخرى غير شرط الدِّين، نذكر منها مثلاً:

شرط «النَّسب»، فهو مسألة معتبرة عند الشافعية والحنفية والحنابلة؛ بمعنى ألا يكون نسب الزوج أقل مرتبة من نسب الزوجة؛ حيث استدلوا على ذلك بقول الخليفة عمر بن الخطاب: «لأَمنعنَّ تزوج ذوات الأحساب من النساء، إلا من الأكفاء»[٢]، وفي رواية أخرى سُئِل: «مَن الأكفاء؟ قال: الأحساب»[٣].

هذا وعند الشافعية والحنفية والحنابلة، النسب بالآباء؛ فالعجمي أباً وإن كانت أمه عربية، ليس بكفءٍ للعربية، وإن كانت أمها عجمية. إلا أن مالك ذهب إلى عدم اعتبار النسب في الكفاءة[٤]، فالمالكية يقولون بأن أهل الإسلام كلهم بعضهم لبعض أكفاء، فالمذهب المالكي رأيه في المسألة كرأي الشيعة.

---

(١) محمد حسن النجفي. جواهر الكلام، ج١٠، الطبعة الأولى١٤١٢هـ، (بيروت: مؤسسة المرتضى العالمية ـ دار المؤرخ العربي)، ص٦٧٧.

(٢) كنز العمال. ج١٦، ص٥٣٤، حديث٤٥٧٨

(٣) عبدالله بن أحمد بن قدامة. المغني، ج٧، الطبعة الثانية١٤١٢هـ، (القاهرة: هجر للطباعة النشر)، ص٣٧٥.

(٤) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، الموسوعة الفقهية. ج٣٤، الطبعة الرابعة١٤١٤هـ، ص٢٧٢-٢٧٤.

تفاصيل في الكفاءة الزوجية

قالت الحنفية: العرب بعضهم أكفاء لبعض، ولا تكون العرب كُفأً لقريش ـ ومنهم بني هاشم ـ في فضيلة قريش على سائر العرب، والموالي بعضهم أكفاء لبعض، ولا تكون الموالي أكفاء للعرب؛ لفضل العرب على العجم. وكذلك قال الشافعية[١].

والأصح عند الحنفية، هو أن العجمي لا يكون كُفأً للعربية، وإن كان عالماً أو سلطاناً[٢].

وأضافوا كذلك الكفاءة في (الحرفة والمهنة)، فذهب جمهور فقهاء أهل السنة إلى أن الرجل صاحب الصناعة الدنيئة أو الحرفة الخسيسة، لا يكون كفأً لبنت صاحب الصنعة أو الحرفة الرفيعة الشريفة؛ لأن الناس يتفاخرون بشرف الحِرَف ويعيَّرون بدناءتها، وكذا لِما ذكره الحنابلة من أنه نقص في عرف الناس، يشبه عرف النسب.

وقالت الأحناف: تثبت الكفاءة في حرفتين من جنس واحد؛ كالبزاز مع البزاز، والحائك مع الحائك، والصائغ مع الصائغ، وكذلك الحِرَف المتقابلة[٣]، إلى آخر ما ذكروه في هذا المجال. فهم إذن يشترطون الكفاءة في النسب، ويشترطونها أيضاً في المِهَن؛ لكنهم يختلفون في أن الكفاءة شرطُ صحةٍ أم شرطُ لزوم؟؛ يعني أن العقد لا يصح إلا أن يكون هناك تكافؤ في هذه الأمور، بحيث إذا اعتَرض أحد من أهلها ينتقض فلا يَلزم؟ أم العقد لا يقع من أساسه بمجرَّد تخلّف شيء من شروط التكافؤ المذكورة؟ اختلفوا في ذلك.

لذا؛ بناءً على هذه الآراء، رأَيْنا بعض المحاكم في المملكة حَكمت بالطلاق؛ لعدم تكافؤ النسب، مما جعل ذلك من القضايا المثيرة والمتداولة في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى أمام الرأي العام.

---

(١) الموسوعة الفقهية. ج٣٤، ص٢٧٢-٢٧٤.

(٢) وهبة الزحيلي. الفقه الإسلامي وأدلته. ج٧، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، (دمشق: دار الفكر)، ص٢٤٣.

(٣) الموسوعة الفقهية. ج٣٤، ص٢٧٦-٢٧٧.

امرأةٌ تزوجَتْ، وأَنجبتْ طفلين، لكن أخاها اعترض فيما بعد؛ بأن الرجل ليس كُفأً لأخته من حيث قبيلته وعشيرته؛ فرفع الأمر، وأثبت ذلك ضمن المعايير العرفية، والقبلية؛ فأصدر القاضي أمراً بالطلاق، وفُرِّقَ بين الزوجين!

بالنسبة للزوجة كانت قد رفضت ذلك؛ فسُجنَتْ، وبقيتْ في سجن الدمام في المنطقة الشرقية حوالي أربع سنوات؛ أما الطفلان، فطفل بقي مع أبيه، والآخر بقي مع أمه. ثم مؤخَّراً تدخل الملك، وأَمر بتحويل القضية إلى المحكمة العليا؛ فنَقَضَتِ القرار، واجتمع شمل الزوجين، بعد خمس سنوات![1] علماً أنه لا تزال هناك قضايا معلقة في المحاكم ضمن هذا الموضوع، وهناك حالات تطليق من قِبَل المحكمة على أساس أن النسب مختلف، أو لأن المذهب مختلف؛ سني تَزَوَّج شيعية، ثم يعترض أحدٌ من قبيلتها؛ فتفرِّق المحكمة بينهما بحكم الطلاق. وإني على معرفة بزوجين اضطرا إلى أن يَخرجا من المملكة ويَسكنا في بلدٍ آخر؛ لأن المحكمة حكمت بالتفريق بينهما، مع أنهما قد تزوجا، ولهما أبناء وأطفال! هذا رأي فقهي ينبغي أن يعالَج.

هناك كلام في الصحف، من خلال (مجلس الشورى) و(المحكمة العليا)؛ لمعالجة هذه القضية التي تسبب مشاكلَ اجتماعية كثيرة، كما أنها تشوّه سمعة الإسلام، والدولة، والمجتمع الإسلامي، أمام الرأي المحلي، والعالمي.

إن العالمَ الآن تَغيَّر؛ ما عاد التكافؤ يدور مدار الأفكار الرجعية والمعتقدات الجاهلية، التي كانت في السابق تدور مدار الأنساب والمهن والحِرَف، فعلى الأكثر تُعتبَر القضية ضمن مقاييس عرفية، تختلف من زمان إلى آخر؛ فإذا كان يصح التعيير في الماضي، أو الشعور بالدناءة والحقارة، فلم يَعد الأمر قائماً في العصر المتحضر.

بالنسبة للشيعة، المشهور عند فقهائهم أن هذا الشرط غير معتبَر في صحة العقد، فضلاً عنه في لزومه، فالمسلم كفؤ المسلمة، والعكس، حتى لو اختلفت هويتاهما، أو مذهباهما، أو قوميتاهما؛ فهناك روايات عدة تدلِّل على هذا، قام على أساسها رأي

(١) جريدة عكاظ العدد: ٣١٦٨ الصادرة بتاريخ الخميس ٠٤/ ٠٣/ ١٤٣١ هـ الموافق ١٨ فبراير ٢٠١٠م.

فقهاء الإمامية.

كلمة للخاطبِين وعوائلهم

أريد أن أوجِّه هنا كلمة ودِّيّة للخاطبين، والعوائل؛ ذلك لأن الشاب حينما يريد أن يَخطب، إنما يَعتمد ـ غالباً ـ على أمه، وأَخواته، وقريباته؛ ليخترن له.

لقد لاحظتُ، من خلال متابعاتي لبعض القضايا، وما يصلني من مشاكل، أن العوائل ـ أعني مثلاً أُم الشاب وأخواته ـ يتشددن بشكل مفرط حينما يريدون البحث عن زوجة لابنهم؛ لربما لأن ولدهم ـ وفق قراءتهم وتحليلهم ـ أحسن ولد في هذا البلد، مما يستلزم أن يختاروا له أجمل، وأفضل امرأة في المنطقة، أو في أي ناحية أخرى.

في المقابل، كنتُ أخاطب البعض: لماذا تؤخِّرون الزواج سنة أو سنتين مع وفرة النساء العازبات في المجتمع؟!

فإذا حاولنا استخلاص السبب، نلحظ أن الأمر ـ في الغالب ـ ليس من نفس الخاطب، وإنما من نفس الموكول لهم أمر البحث والتنقيب، بحيث لو افترضنا مباشرة الخاطب للاختيار لتم الأمر بيسر وسهولة.

هذا وفي الواجهة الأخرى، النساء المخطوبات، يلاحِظن مشاكل تعويق الزواج والعنوسة، التي تصطنعها هذه التعقيدات التي تساهم في تعويق التقارب وتأخر سن الزواج، أو تزيد من حالات الطلاق، مع أنه بَدَهِّياً، ليس بالضرورة أن تحصل المرأة على ما حصلتْ عليه مثيلتها بنفس السِّمات والـمُشَخّصات، ولا أن تَزهد بسعادتها لأجل بعض القضايا التي ـ بلا شك ـ قيمتها كإنسانة أرفع منها بكثيرٍ جداً.

ثمَّ إنه في متابَعتنا لبعض الأمور، نجد في بعض الأحيان، أن اختيار الفتاة للشاب، قد يحتاج لإجماع وموافقة مجموعة كبيرة ممن حولها؛ كأمها وأخواتها، وحتى خالاتها وعماتها وعدد آخر من الأقارب والمعارف، وفي ظل ذلك، يكفي أن يَضع أحدٌ إشكالاً واحداً، ولو كان ذلك الإشكال ـ كما في الغالب ـ ملاحَظة جزئية من الناحية الشكلية،

أو الأمور البسيطة التي لا وزن لها في قبال الأمور المركزية المتحققة في الخاطب!

الحقُّ أنه لا ينبغي حصول مثل هذه الأخطاء والتعقيدات في التزويج، فـ «الصفات الأساسية» إذا توفرت كفى، وسبحان الله؛ الأم تتمنى لابنتها الرزق السريع، لكن تجدها بالنسبة للبنات الأخريات تتشدد، رغم أن المفروض، أن هذا الأسلوب يُتخذ لديها تجاه بنات الناس، وإلا لم يتحقق ما تتمناه كل أم أو غالبية الأمهات؛ ذلك لأنه لو عملت كل أم بنفس هذا الأسلوب؛ فلن تلقى أي من الأمهات ما توده لابنتها. إلا أننا رغم ذلك ما زلنا ننشئ معايير متشددة يتورط أبناؤنا وبناتنا بها!

على خط الصفات الأساسية للكفاءة

في كثير من الأحيان يجري الكلام عن أوصاف الخاطب أو المخطوبة، فيقال مثلاً فلانة بنتٌ جيدة، وفيها المواصفات المطلوبة، لكن بعض إخوانها عندهم مشاكل بلا ذنْب لها، فيحتجون على سبيل المثال ببعض الروايات، من قبيل: «تخيروا لنطفِكم؛ فإنَّ العِرقَ دَسَّاس»[١]، مع أن هذا الحديث، إنما يشير لـ(السجايا الأخلاقية الأساسية)؛ فهو يعني أن لا تكون المرأة المرادة للزواج، من عائلة سجايا أهلها وطبائعهم العامة سيئة؛ أما الانحرافات السلوكية الجزئية، فهي تحصل لكل الناس، فلا أحد معصوم بتاتاً، سِوى من عصم الله تعالى.

إذا أردتَ أن تتزوج امرأة، فهل يلزم أن يكون والدها وإخوانها تتحقق فيهم صفة العدالة، بحيث لا يكون ارتكب أحدهم أي ذنبٍ من الذنوب بصورة عامة؟ فيا تُرى هل أنت تختار مراجع تقليد أو تريد الدخول في صلاة جماعة لا تجوز إلا بإمام عادل؟! هل المسألة هكذا حينما تتوفر في الفتاة ما هو مطلوب من المواصفات؟!

وحتى موضوع (العِرق دَسَّاس) على مستوى الصفات الأساسية، نحتاج أن نتساءل: لماذا العرق دساس؟ لو وجهنا سؤالاً بهذا المضمون؛ لأجاب الكثير بأن العلة هي

(١) الفيض الكاشاني. المحجة البيضاء. ج٣، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ، (بيروت: دار التعارف)، ص٩٣.

احتمال أنْ تتأثَّر المرأة ببعض الطبائع والسجايا، مما ينعكس على العلاقة، وعلى أبنائها مستقبلاً. فهذا كلام صحيح، لكن إذا أَثبتَت تلك المرأة، بأنها من حيث سيرتها وسجاياها متجاوِزة لسجايا أهلها، ونقية منها؛ فلا ينبغي التوقف عند هذا الأمر، والمفروض في مورد الكلام، أنها بريئة وسليمة من هذه الجهة، غاية الأمر أحد أهلها فيه ما ليس فيها من الـمَناقص، مما لا يعني نسْب ذلك إليها.

انعكاسات التشدد وخطورته

عَرَضَتْ على المجتمع في الآونة الأخيرة قضايا كثيرة حول هذا الأمر، سواء بالنسبة لما يحصل في بعض الأحيان من تشدد ولي الأمر في بعض المواصفات الجانبية.

أو بالنسبة لما يقع في أحيان أخرى، بالنظر للعلاقة تجاه الأم المطلَّقة، فينتقم الأب من ابنتها بالتشدد في الموافقة على زواجها.

أو بالنسبة لتأخر الشباب أو الفتيات عن الزواج، وغير ذلك مما يَفرض جعْل القضية محل بحثٍ سريعٍ ونقاشٍ جاد؛ فالحديث يقول «إلا تفعلوه تَكُن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير»؛ أي تحصلُ مشاكل كبيرة وكثيرة للمجتمع والأفراد؛ يتأخر سن الزواج، وتكون هناك حالات عنوسة رهيبة عند الذكور والإناث، ومن ثم تقع علاقات غير مشروعة، والإثم يتحمله الولي والأهل.

هذا وفي السياق نفسه، نجد مثلاً البعض، وخصوصاً الفتيات، يلجأن إلى الانتحار عندما يَرَين أن لا فائدة ببقائهن في الحياة بهذه الطريقة التي يعاق بها زواجهن، حينما تبقى سنين دون زواج، بالرغم من تقدم الخاطبين لها؛ هذا غيرُ جائزٍ، فهو جريمةٌ، وإثمٌ كبير لا ينبغي أن يَتورط فيه الإنسان بأن يكون السبب فيه، إذا كان الحد الأدنى من المواصفات موجوداً.

ثم إنه إذا حَصل ضمن هذه الانعكاسات، انشداد وتعلُّق عاطفي بين شاب وفتاة، ووَقف الأهل عقبة في طريق زواجهما، فإن ذلك قد ينتج مضاعفات وخيمة، كمحاولة

الانتحار، أو الزواج بطرف دون رغبة حقيقية، مما يؤدي إلى فشل الزواج، أو حدوث علاقات غير مشروعة.

لأن نفس الرجل تميل إلى امرأة ثانية، هي تلك الممنوع منها بلا سبب وجيه، وهي نفسها تميل إلى رجل آخر، هو ذلك الذي كان خطيبها، ففُصِلَت عنه بلا سبب وجيه!

فلماذا نورِّط أبناءنا وبناتنا في مثل هذه التجارب المؤلمة والفاشلة، ونسلب منهم نجاحهم الذي نبحث لهم عنه؟! ولماذا نورِّط أنفسنا مع الله دنيا وآخرة؟! فالفساد الذي يذكره الحديث إنما ينعكس أولاً على صانعيه، ومَن كانوا السبب في حصوله بتشدُّدِهم وتزمُّتِهم.

لذا ينبغي تيسير أمور التزويج، خاصة في هذا الزمن، فهذه الحوادث التي نذكرها، ليست من كيس أوهامنا أو تخميناتنا، إنما هي وقائع رأيناها، وأحداث كُتِبَ عنها في الجرائد، وتقارير تداولتها الصحف في حوادث عديدة.

شرط الولاية للتزويج

فتاة ـ مثلاً ـ تريد مَن خَطبها، أو العكس، لكن أهله أو أهلها يَرفضون!

في مثل هذه القضية، شرعاً، هل قرار المرأة بيدها أم بيد أبيها؟ في المسألة ثلاثة آراء لدى فقهاء المسلمين.

هناك رأي يقول بأن الأمر بيد الفتاة، إذا كانت بالغة رشيدة؛ هذا هو المشهور عند أغلب فقهاء الشيعة السابقين، والمذهب الحنفي.

وهناك رأي آخر يقول بأن قرار الزواج بيد الولي، حتى لو لم توافق ابنته، غاية الأمر أنه يستحب استئذانها، وهذا رأي الشافعية والمالكية.

أما الرأي الثالث، فيذهب للاشتراك؛ أي بمعنى أن توافق الفتاة وولي أمرها معاً، شريطة أن يكون الولي رشيداً، وكذلك هي، وإلا فالرشيد منهما يَستقل بالرضا. وهو رأي الحنابلة ومعظم فقهاء الشيعة المعاصرين.

لكن الحاصل، هو أن هناك الكثير من الأطراف غير المعنية، أصبحت تدخل في أمر الزواج، لا نفس صاحبة الشأن، ولا ولي أمرها فقط.

قبل فترة، كانت هناك فتاة في المنطقة تقدم لها خاطب وهي ترغبه، وأبوها وأمها و إخوانها موافقون، إلا أن خالها لم يكن موافقاً؛ فتعطل الزواج، مع أنه لا يوجَد قانون وضعي، ولا شرعي يعطِّل أمر زواجها باعتبار الرغبات أو المواصفات التي في نفس خالها.

أيضاً يوجد في الوقت الراهن، مجموعة قضايا نتابعها؛ نذكر منها مثلاً: قضية شاب يريد أن يخطب بنتاً، إلا أن أباه غير موافق.

أولاً: من الناحية الشرعية، ليس للأب الحق في الرفض؛ لأن الولد البالغ الرشيد قراره شرعاً بيده، فشرعياً وأخلاقياً من حق الولد أن يتزوج حتى وإن لم يرضَ والده؛ وهذا لا يُعتبَر عقوقًا؛ لأن هذه أمور شخصية للابن، الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أحد أصحابه: «إني أريد أن أتزوج امرأة وإن أبويّ أرادا غيرها، قال عليه السلام: تَزوَّجْ التي هويت ودع التي يهوى أبواك»[1].

ثانياً: الأفضل أن ينسجم الابن مع رغبة والده؛ لكن في بعض الأحيان، تكون هنالك عاطفة ومصلحة يراها الولد في نفسه، فيصر على خياره، فمن الناحية الشرعية يحق له ذلك، ويبقى أنه لماذا بعض الآباء يعوقون ويعرقلون أمور أبنائهم؟!

مساندتهم، وتَفَهُّمُ رغباتهم وقناعاتهم، أفضل من أن يقع أحدهم في علاقة محرمة، أو أن يَفشل في المستقبل الزوجي والعاطفي، خصوصاً ونحن في هذا العصر نعاني ما نعانيه من مشاكل وتحديات، فكثير مما نراه من فتن وتأخير لدى الفتية والفتيات، والصعوبات التي تكتنف أمر التزويج، يحصل من التشدد الذي عند بعض العوائل.

---

(١) الكافي. ج٥، ص٤٠١.

الفراق الجميل .. فراق بالتي هي أحسن

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾[سورة الإسراء، الآية:٨٠]

فلسفة الدعاء

إضافة إلى طلب التوفيق والعون من الله تعالى، يحمل الدعاء في حقيقته ومضامينه ثقافة تربوية، تغذي العقل بالرؤية الواضحة، وتحرك في النفس مشاعر التفاعل الصادق، بحيث يتعاضد الفكر والشعور، لينتج سلوكاً عملياً خالياً من الشوائب، قاصداً التقرب إلى الله تعالى.

من هنا جاء الحثّ والتأكيد على الدعاء، في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وهذه الآية المباركة إحدى الآيات التي تحض على الدعاء، وتوجه الإنسان إلى ضرورة الارتباط بالله تعالى في كل حركة من حركاته، وفي كل أمر من أموره، ضمن منظومة تربوية متكاملة، ونشير هنا إلى أمرين مهمين يستحضرهما الإنسان حال الدعاء:

الأمر الأول: أن يلتمس توفيق الله وتيسيره للأمور.

الأمر الثاني: أن يستحضر القيم والتعاليم الإلهية فيما هو مقبل عليه.

فعلى سبيل المثال حينما يريد الإنسان أن يسافر، يتوجه الى الله لكي يوفقه في سفره.

ماذا يعني ذلك؟!

إنه يطلب التوفيق والسلامة من الله تعالى، ويستحضر القيم والتعاليم الإلهية في سفره ما دام توجه إلى الله سبحانه وتعالى، وهكذا في كل أمر من الأمور وفي كل شأن من الشؤون.

فالآية الكريمة تعليم وتوجيه للإنسان ﴿وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾ أمر بالدعاء، في أي موضوع يدخل فيه، أو قضية أو حركة، أن يدخل ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾، أي بطريقة مناسبة صحيحة. فالصدق هنا بمعنى الكمال.

﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إذا أراد أن يخرج مما دخل فيه، يكون بطريقة مناسبة سليمة. وهو ما نود الحديث عنه في السطور التالية.

الفراق الجميل

يعيش الإنسان علاقات اجتماعية متعددة، ويسعى إلى النجاح في جميع علاقاته ومعاملاته، لكنه قد يضطر لإنهاء بعض هذه العلاقات لأي سبب من الأسباب، وفي لحظات إنهائه لهذه العلاقة أو تلك يغفل عن تحقيق النجاح، فيكون في حالة من التشنج والخلاف، تنتج مشكلة تأخذ لها أبعاداً وتداعيات تتجاوز حدودها الطبيعية.

ونشير هنا إلى بعض مظاهر هذه الحالة السلبية:

المظهر الأول: العلاقات التعاملية.

من الطبيعي أن يحصل الخلاف في بعض المعاملات التجارية بين البائع والمشتري، أو المؤجر والمستأجر، أو أي اتفاق تعاملي بين طرفين، وفي بعض الحالات ينتهي المطاف بالمتعاملين إلى إلغاء العقد، وإنهاء المعاملة، وفي هذه الحالة ينبغي أن يستحضر الإنسان التوجيهات الدينية التي تدعوه إلى حسن التصرف في إنهاء المعاملة مع الآخرين، وقد ورد: «الدين المعاملة»، ولا تقتصر المعاملة على الاستمرار في

العلاقة، بل حتى في طريقة إنهاء هذه المعاملة، بحيث تكون وفق الأخلاق والتعامل الحسن الجميل.

وعلى سبيل المثال، حين يستأجر شخص شقة أو منزلاً، ثم يحصل اختلاف ما، ويريد صاحب الشقة أن يخرج المستأجر، أو يريد المستأجر أن يخرج، ينبغي أن يكون الخروج سليماً، خالياً من النزاع والشقاق، كما تقول الآية المباركة ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾، وكذلك في عمليات البيع والشراء، والتعامل مع الخدم والعمال، أي معاملة تجارية يدخل فيها الإنسان عليه أن يحافظ على حسن الدخول، وحسن الخروج.

من جهة أخرى، فإن من الخطأ أن يحمّل الإنسان الآخرين المسؤولية دائماً، ففي حالات الخلاف يمكن أن تنتهي العلاقة بالصلح والتنازل، لكن البعض يعيش حالة خلاف دائم مع كل من يتعامل معه، فصاحب الحملة التي يسافر فيها من وجهة نظره سيئ، وسائق سيارة الأجرة سيئ، وصاحب المطعم سيئ، فينهي العلاقة معهم في صورة نزاع، ويقرر أن غيره يتحمل مسؤولية هذا النزاع.

المظهر الثاني: في العلاقات والحياة الزوجية

رغم أن الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى، إلا أن بعض الحالات قد تفرض (الطلاق) كحل للمعالجة، حيث يجد الزوجان أن حياتهما الزوجية لا يتحملان استمرارها لوجود مشكلة أو خلاف أو عدم انسجام، أو لأي سبب آخر، وهنا لا بد من التنبه إلى ضرورة إنهاء هذه العلاقة في جو من التفاهم والتعامل الحسن الجميل، كما هو صريح الآية المباركة ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[سورة البقرة، الآية:٢٢٩] بعيداً عن إقامة الدعاوى والدخول في نزاعات ومشاكل تؤثر على حياة الإنسان ومستقبله ومستقبل أبنائه،وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[سورة البقرة، الآية:٢٣١].

فالانفصال لا يؤسس ـ بالضرورة ـ إلى حالة نزاع أو عداوة، بل يمكن أن يكون

في حالة من التراضي والتفاهم كما كانت بداية الارتباط في حالة من الرغبة والاقتناع.

ومن الخطأ الفادح أن يسعى أحد الطرفين أو كلاهما إلى الانتقام من الآخر، يقول الله تعالى: ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[سورة البقرة، الآية:٢٣١]؛ لأن الإضرار بالغير ظلم للنفس، حيث يعيش الإنسان حالة من التوتر والتشنج تؤثر على حياته، و في نفس السياق يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[سورة البقرة، الاية:٢٣٧].

ففي حالات الطلاق والانفصال، على كلا الطرفين أن يقدما التنازل الكاشف عن سلامة المشاعر وبعد الأفق.

يقول تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾[سورة النساء، الآية:١٣٠].

المظهر الثالث: علاقات الصداقة والتعاون الاجتماعي.

يكسب الإنسان في حياته أصدقاء، ويشترك معهم في مشاريع عمل اجتماعية، كالعمل في جمعية خيرية أو نادٍ رياضي، أو لجنة أو مؤسسة ثقافية، وقد تستمر هذه الرابطة لعدة سنوات، وفي بعض الأحيان يقرر أحدهم الخروج من هذه الدائرة لأي سبب من الأسباب، فتأتي هذه الآية لتذكره بالخروج الجميل المناسب ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ خروج لا يخلف وراءه مشاكل، أو أحقادًا أو ضغائن، وهذا يحتاج إلى استحضار حقيقة التدين ومراقبة المشاعر، فهذه المواقف معيار للتدين و الإيمان والتقوى.

هل يفارق الإنسان من معه بطريقة سليمة أم لا؟!

يقول الشاعر:

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى   وفـارق ولكـن بالتي هـي أحسن

في رواية للإمام الصادق عليه السلام يقول: «ان أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يواخي الرجل الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يومًا ما»[١].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «أبعد ما يكون العبد من الله أن يكون الرجل يواخي الرجل وهو يحفظ عليه زلاته ليعيّره بها يومًا ما»[٢].

لذلك على الإنسان المؤمن أن يراعي هذا الامر في علاقاته مع الآخرين.

وفي رواية أخرى جميلة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا تتبع أخاك بعد القطيعة وقيعة فيه، فيسدّ عليه طريق الرجوع إليك، فلعل التجارب ترده عليك»[٣] فالتتبع لعثرات الصديق خلاف الآداب و التدين والأخلاق.

هذه كلها تمظهرات لمعنى الآية الكريمة ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.

فالفراق بالتي هي أحسن يحتاج من الإنسان أن يكون ورعاً في دينه، مسيطراً على انفعالاته و عواطفه، لا ينتقم من الآخرين عندما تحصل أقل مشكلة أو عند الاختلاف في وجهات النظر.

هذه هي آداب الإسلام التي تريد منا أن نكون مسلمين حقيقة وصدقًا، مسلمين يعني ملتزمين بأوامر الله تعالى، ثم تشير الآية إلى حاجة الإنسان إلى عون الله ونصره ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾ ذلك أن الالتزام بهذه الأخلاقيات ليس بالأمر الهيّن، والإنسان محتاج في ذلك إلى توفيق الله سبحانه وتعالى إن هو أراد ذلك.

---

(١) الكافي. ج٢، ص٣٥٥

(٢) بحار الأنوار. ج٧٢، ص٢١٩.

(٣) المصدر نفسه. ج٧١، ص١٦٦.

الخطبة الأولى

الآلام والصعوبات في حياة الأنبياء والأولياء

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى۝ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾

[سورة الضحى، الآيات: ٦-٨]

نلحظ في حديث القرآن الكريم عن أنبياء الله ورسله، أنه يعرض صور المعاناة التي تحملها الأنبياء وواجهها الأولياء، فهم ليسوا أفرادًا نشؤوا في حياة الترف والرخاء، وإنما هم أفراد صقلتهم المعاناة، وأنضجتهم التحديات.

ففي الحديث عن نبينا موسى عليه السلام تحكي لنا آيات القرآن الكريم كيف أن أمه كانت وجلة عند الحمل به؛ لأن فرعون كان يترصد حوامل النساء من بني اسرائيل فيقتل أبناءهم، ويستحيي نسائهم، فعندما ولدته أمه كانت خائفة عليه، حتى أوحى الله تعالى إليها أن تلقيه في النهر في تابوت، والتقطه جنود فرعون، فقد كان مهدداً بالقتل، إلا أن الله سبحانه وتعالى أحاطه برعايته وعنايته، وهكذا فيما بعد واجه المشاكل والصعوبات، حتى أصبح في منطقته ومدينته يعيش الخوف والوجل، وأصبح في المدينة خائفاً يترقب، واضطر للخروج منها.

وفي الحديث عن نبينا عيسى عليه السلام تخبرنا الآيات القرآنية عما أثارته طبيعة ولادته من دون أب، من الشكوك وظنون السوء.

وكذلك في الحديث عن نبي الله يوسف عليه السلام يستعرض القرآن الكريم كيف أن إخوته حسدوه وألقوه في غيابة الجبّ، وبعد ذلك بيع واشتري بثمن بخس، واستخدم

في قصر عزيز مصر، ثم تعرض لتلك المحاولات من زوجة العزيز حتى سجن.

وهكذا يتحدث القرآن الكريم أيضًا عن بلاء نبي الله أيوب ﵇.

النبي محمد ومعاناة نشأته

وفي الحديث عن نبينا محمد ﷺ، نرى أن الله سبحانه وتعالى يذكره بما واجهه في بداية حياته، حيث كان يتيمًا، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ مات عنه أبوه وهو جنين، وكان مسافرًا للتجارة في قافلة قريش، وحينما أتت القافلة من الشام إلى المدينة تمرّض عبد الله، وهو في ريعان شبابه فمات، والنبي حمل في بطن أمه فولد ﷺ يتيمًا لم يرَ أباه، عاش في كنف جده عبد المطلب، وفي أحضان أمه آمنة رضوان الله عليها، ولكن القضاء والقدر كان له بالمرصاد أيضًا، فحينما بلغ السادسة من عمره فقد أمه، فأصبح بلا أب ولا أم، ولليتم تأثير على نفس الإنسان وعواطفه ومشاعره، فتكفل به جده عبد المطلب ﵇ وقام بدور الأب ودور الأم، فكان يحب رسول الله ﷺ ويقربه إليه، لكن عبد المطلب هو الآخر غادر الحياة بعد سنتين، وكان النبي ﷺ في الثامنة من عمره، هكذا عاش النبي حياة اليتم مرة بعد أخرى، وما فيها من مرارة وجرح للأحاسيس والمشاعر، لذلك يمتن الله عليه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ قام أبو طالب ﵇ برعايته وحمايته منذ أن كان في الثامنة من عمره وهكذا واكبته عناية الله سبحانه وتعالى، بعد أن عاش مرارة اليتم المتكرر.

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾، والضلال هنا بمعنى عدم العلم والمعرفة بالقرآن والشريعة؛ لأن القرآن الكريم لم يكن من عند رسول الله ﷺ إنما هو من عند الله، وقد أوحى الله تعالى إليه في الوقت المحدد الذي أراده الله سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القرآن وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[سورة يوسف، الآية:٣]، الضلال ليس بالمعنى المصطلح في مقابل الهداية، وإنما بمعنى أن القرآن لم يوحَ إليه، وأن الشريعة لم تنزل إليه.

ويقول تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾، فقد كان رسول الله فقيرًا، لا مال له، لم يترك له أبوه إلا شيئًا قليلاً من المال، وكفيله أبو طالب كان فقيرًا أيضًا، وكان يصعب عليه إعاشة أبنائه وعائلته.

لماذا الحديث عن معاناة الأنبياء

هكذا عاش رسول الله ﷺ حالة اليتم، وفي أوضاع الفقر. ولكن لماذا يتحدث القرآن الكريم عن هذه الصور في حياة الأنبياء والأولياء؟ هذا ما نريد أن نقف عنده لنأخذ العبرة والعظة:

أولًا: لتقرير طبيعة الحياة؛ وأنها تشتمل على المعاناة، فلا يسلم من معاناتها أحد، حتى الأنبياء والأولياء يواجهون هذه الطبيعة في الحياة، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ﴾ أي في معاناة، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾.

يتحدث القرآن الكريم عن الأنبياء والأولياء وأنهم عانوا وواجهوا الصعوبات من أجل أن تتقرر هذه الحقيقة أمام أعين الناس، ولا يتوهمون أن للحياة حالة وطبيعة أخرى، هذه هي طبيعة الحياة، والأنبياء والأولياء يخضعون لهذه الطبيعة التي أراد الله تعالى أن تكون الحياة على أساسها.

ثانيًا: لتبديد شكوك الإنسان وسوء ظنه بربه، في بعض الأحيان يواجه الإنسان مشكلة عاطفية أو صحية أو اقتصادية أو اجتماعية، فيتذمر ويصل به الأمر إلى حدِّ عتاب الله سبحانه وتعالى، لماذا يصنع الله بي هكذا؟ هل لأن الله لا يحبني؟ هل لأنه يكرهني؟ هل لأنه يريد أن يؤذيني؟ تمر هذه الخواطر والهواجس على نفس الإنسان، وكما يقول القرآن الكريم: ﴿إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾؛ لأن الله سبحانه وتعالى كتب له حياة فيها نوع من الضنك والضيم في فترة او اخرى، لذلك يصبح عنده هذا الهاجس، ونحن نسمع عن كثير من الناس حينما يبتلى بمرض، ويكون

المرض مؤلمًا مزمنًا، تكون هذه الهواجس في نفسه، يرى الآخرين أصحاء فيعاتب الرب، يا ربّ إن هؤلاء يعيشون الصحة والعافية لماذا تجعلني أنا أسير المرض؟ لماذا تصيبني بهذا الابتلاء؟

والإنسان حينما يبتلى بالفقر والحاجة، ويرى الآخرين لديهم الأموال والثروات يتجه إلى الله سبحانه وتعالى معاتبًا، يا رب، لماذا تعطي أولئك وتحرمني؟ ما ذنبي حتى أكون فقيرًا؟ وهكذا من يمر بمشكلة عاطفية، أو مشكلة اجتماعية، قد تكون مثل هذه الهواجس في نفسه.

على الإنسان أن يكون بصيرًا واعيًا، المسألة لا ترتبط بأن الله يحبك أو يكرهك، الله تعالى يحب كل خلقه، وكل عباده، لكن المسألة ترتبط بتقدير الله وحكمته، أنت لا تعرف الأسرار ولا تعرف الخفايا؛ لأن هذا الابتلاء خير وثواب لك، وكما ورد في النصوص والأحاديث أن القدر المتيقن أن الإنسان المبتلى في الدنيا يعوضه الله سبحانه وتعالى عن بلائه في الدنيا برخائه في الآخرة، وإذا خيّر وكان يحسن الاختيار، ماذا يختار الإنسان، هل أنت ستعيش في هذه الدنيا مدة محددة وتنتقل إلى دار هي الحياة الخالدة الباقية، تريد أن تتأذى هنا وترتاح هناك أم العكس؟ الإنسان يريد من الله الخير في الدارين ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ ولكن لو كان بين الخيارين فإن العاقل سيختار الصبر على البلاء المحدود في هذه الدنيا، من أجل أن ينال ثواب الله ورضاه في الآخرة.

لذلك على الإنسان أن يقرأ سير الأنبياء والأولياء، ويرى المعاناة التي تحملوها، لو كان الابتلاء والمحنة كراهة أو إهانة من الله تعالى، لما حدث ذلك للأنبياء والأولياء.

نصوص كثيرة توجه الإنسان أن يكون حسن الظن بربه، ولا يكون سيئ الظن بربه، مع الناس قد يخالجك سوء ظن، ولكن مع الله هل يحق لك أن تسيء الظن في الله، وهو الذي خلقك وأوجدك وإليه مصيرك؟ ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكبر

الكبائر سوء الظن بالله»[١].

عليك أن تطمئن وأن تعتقد أن ما يصيبك من الله هو خير، عليك أن تكون راضيًا بقضاء الله وقدره، ولا يعني هذا ألا يسعى الإنسان لمواجهة الظروف الصعبة وتبديلها، هذا بحث آخر، نحن نتكلم فيما لا يستطيع الإنسان تبديله وتغيره، عليه أن يحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس من عبد يظن بالله خيرًا إلا كان الله عند ظنه به»[٢]، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه»[٣].

المحنة وفرص الاستفادة

ثالثاً: على الإنسان أن يستفيد من المحن ومن مواجهة التحديات بتفجير طاقاته وصقل شخصيته وإرادته، الأنبياء والأولياء شاء الله أن يمروا بالمحن من أجل أن تصقل شخصياتهم وأن تظهر ملكاتهم الفاضلة أمام الناس، كيف يتعرف الناس على الشخص العظيم، والشخص المثالي، إنما يتعرفون عليه حينما يرون مواجهته للتحديات، ويرون حسن إدارته لمشاكل الحياة، لذلك تتجلى شخصيته وكفاءته، فعلى الإنسان أن يسعى ليحوّل المحنة إلى منحة، هذه المحنة التي تمر عليك اعتبرها منحة لصقل شخصيتك وإنضاجها ولتفجير كفاءاتك وقدراتك، وهذا ما رأيناه في حياة البارزين والقادة، كيف أن الصعوبات والتحديات والمحن هي التي صنعت منهم شخصيات قوية صامدة، ودفعتهم لتفجير طاقاتهم وقدراتهم، الحاجة أم الاختراع كما قيل، الإنسان الذي يولد وفي فمه ملعقة من ذهب غالبًا لا يجد حاجة للسعي وللجد وللاجتهاد؛ لأنه يعيش مرفّهًا وكل شيء متوفر له.

---

(١) كنز العمال. ج٣، ص١٣٦.

(٢) بحار الأنوار. ج٦٧، ص٣٨٤.

(٣) وسائل الشيعة. ج١٥، ص٢٣٠.

نرى الآن في المجتمعات الأخرى التي تنتخب زعماءها ورؤساءها كيف ينتخب الرئيس في أمريكا؟ أو في أي مكان آخر؟ ينتخب بعد أن يرى الناس سيرته، وكفاءته، وقدرته، وخاصة من خلال ما تقتضيه عملية الانتخاب من لقاءات ومناظرات.

والتحديات التي يمر بها الإنسان الذي يرشح نفسه للرئاسة أو المقام، والتي يواجهها هي التي تبرز كفاءته وقدرته أمام الناس، هكذا ينبغي أن يفكر الإنسان في حياته، لا يفكر أن يعيش حياة الرفاهية والرخاء، فهي غالباً تصيب الإنسان بالتبلد والكسل، حيث لا يسعى لتفجير طاقاته وقدراته، ليس هذا على نحو التعميم، ولكن من حيث المعظم والغالب، وعلى الناس أفرادًا ومجتمعات وخاصة المجتمعات التي تتعرض لصعوبات، عليها أن تستفيد من محنتها في تفجير طاقاتها وكفاءاتها، وترتقي إلى مستوى التحدي، هذا ما تريد الآيات الكريمة والسيرة الشريفة للأنبياء والأولياء أن توحي لنا به، أن نتعامل مع المشاكل كحالة طبيعية في هذه الحياة التي لا تخلو من المشاكل والصعوبات، وألا نسمح للهواجس السلبية السيئة وسوء الظن تجاه الخالق سبحانه وتعالى أن تتسلل إلى نفوسنا، الله رحيم بعباده، وهو أرحم بك من كل أحد، أرحم بك وأرأف عليك حتى من نفسك، وأخيرًا أن نتحدى المشاكل والصعوبات بتفجير الطاقات والمواهب والكفاءات.

معارف الشريعة وعلوم الطبيعة

عن الإمام مالك بن أنس أنه قال في الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد فيقدم لي مخدة ويعرف لي قدرًا ويقول يا مالك، إني أحبك وكنت أسر بذلك واحمد الله عزّ وجل عليه»[1].

وقال: «وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من محمد بن جعفر الصادق فضلًا وعلمًا وعبادةً وورعًا»[2].

وقال إمام المذهب الحنفي أبو حنيفة النعمان: «ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد عليه السلام»[3].

الإمام جعفر الصادق عليه السلام تميزت حياته بإتاحة الفرصة له لنشر العلم والمعرفة، كل الأئمة كانوا يمتلكون كنوز المعرفة والعلم، لكن الظروف لم تكن مواتية لكل واحد منهم حتى يبث ما لديه من العلوم، الإمام الصادق عليه السلام أتيحت له الفرصة، الدولة الأموية كانت في حالة ضعف في نهايتها، وكذلك الدولة العباسية في حالة ضعف لنشأتها وحداثتها، واستفاد الإمام الصادق عليه السلام من هذه المساحة الزمنية لنشر العلوم

(١) الخصال. ص١٦٧

(٢) مناقب آل أبي طالب. ج٣، ص٣٧٢.

(٣) شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج٦، الطبعة الثالثة١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص٢٥٧.

والمعارف، وأسس جامعة كبيرة انتمى إليها كما تقول كتب التاريخ والسير، أكثر من أربعة آلاف طالب، كانت لهذه المدرسة مزايا كثيرة، نشير لواحدة من تلك المزايا، وهي ميزة المزاوجة بين علوم الشريعة وعلوم الطبيعة، بين علوم القرآن وعلوم الكون، كان فيها علم الكلام، وعلم الفقه، وعلم الحديث، وعلم التفسير، وعلم الاخلاق، ولكن لم تقتصر على هذه العلوم الدينية الشرعية وإنما كان فيها علوم الطبيعة والكون، كان فيها علم الكيمياء، وعلوم الطب والتشريح، التي رصد العلماء بداياتها وبذورها في تلك المدرسة العظيمة.

تجاهل علوم الطبيعة وتخلف الأمة

هذه المدرسة ينبغي أن تكون قوة الحضارة في كل عصر، ومشكلة الأمة في هذه العصور هي ابتعادها عن علوم الكون والطبيعة، رغم أن القرآن الكريم يوجه المسلمين في كثير من آياته للنظر في الكون، في آفاق السماء، وفي أعماق الأرض، وللتدبر في آيات الله سبحانه وتعالى من أجل معرفة سنن الطبيعة، ومعادلات وجود الكون والحياة، ولكن للأسف الشديد أعرض المسلمون في هذه العصور المتأخرة عن علوم الكون والطبيعة، بينما تقدم غيرهم على هذا الصعيد، فأصبحنا نواجه مشكلة كبيرة، حتى على مستوى المجال الفقهي نحتاج إلى علوم الطبيعة؛ لأن الفقه يرتبط بعلوم الطبيعة من زوايا كثيرة، أنه يرتبط بعلم الجغرافيا والطب والفلك والرياضيات، وذلك في مجال التطبيق وتشخيص الموضوعات.

كان في تاريخنا علماء فقهاء لهم باع طويل في العلوم الطبيعية والكونية، مثل نصير الدين الطوسي، الذي كان عالمًا في الفقه، وكان عالمًا في الفلك والجغرافيا، وهو الذي أنشأ تلك المراصد العظيمة، وكذلك جابر بن حيان تلميذ الإمام جعفر الصادق كان ملهم علوم الكيمياء.

في هذا العصر تشعبت العلوم وتوسعت، وأصبح من الصعب أن يجمع العالم

بين مختلف العلوم، لكن الشيء الممكن والمطلوب هو التعاون بين علماء الشريعة وعلماء الطبيعة، بين علماء الدين وعلماء الكون والحياة، أن يكون هناك تلاقٍ وتواصل وتعاون؛ لأن علماء الدين يستطيعون عبر علماء الطبيعة أن يشخصوا كثيراً من الموضوعات، حينما نتحدث عن القبلة، وعن تحديد اتجاه القبلة، نحتاج إلى علم الجغرافيا، وعندما نتحدث عن الأهلّة نحتاج إلى علم الفلك، وحينما نتكلم عن بعض الأحكام المرتبطة بجسم الإنسان، فإننا نحتاج في تشخيصها إلى الاطلاع على علم التشريح وعلوم الطب، وهكذا في سائر المجالات، هذا الانقطاع والابتعاد بين علماء الفقه في معظم المساحة القائمة، وبين علماء الطبيعة والحياة، أوجد مشاكل كبيرة، لا بد من تجاوز هذه الهوة والقطيعة، مشرّع الاسلام هو خالق الكون وفي تطبيق الشرع، كلما كانت معرفتنا بالحياة وبالطبيعة أكثر، كنا أكثر فهمًا للأحكام الشرعية، وحسن تطبيقها.

جدلية العلاقة بين الفلك والفقه

وفي هذا المجال بدأت بعض الجهود تبذل للعودة إلى حالة التلاقي بين علوم الشريعة وعلوم الطبيعة، وقد انعقد مؤخرًا مؤتمر علمي في بيروت كان لي شرف المشاركة فيه يومي الخميس والجمعة الماضيين تحت عنوان: (جدلية العلاقة بين الفلك والفقه)[١] نحن نعلم أن هناك أحكاماً شرعية ترتبط بالهلال، كدخول شهر رمضان، وخروج شهر رمضان، والموقف في عرفة، لكن كيف يثبت الهلال؟

هناك مسائل عديدة أصبحت بحاجة إلى بحث ومناقشة، خاصة أن الأمة الإسلامية أصبحت مترامية الأطراف، والتواصل قائم بين الناس في كل مكان، ربما في الماضي

(١) أقامته مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر في بيروت برعاية سماحة آية الله العظمي السيد محمد حسين فضل الله، وحضره علماء وخبراء من مختلف أقطار العالم الإسلامي، وبمشاركة عدد كبير من المتخصصين في علمي الفقه والفلك في الفترة من ١١ و١٢ ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ٢٥ و٢٦ شباط ٢٠١٠م في قرية الساحة التراثية.

أهل كل بلد يرون وضعهم، ولا يرون ما يجري في البلدان الأخرى، لكننا الآن نعيش كأننا في قرية واحدة، يواجه المسلمون كل عام بداية شهر رمضان، ونهاية شهر رمضان، وبداية شهر ذي الحجة، مشكلة تتعلق بالهلال، وفي كثير من الأحيان يتعدد العيد، فيكون للمسلمين أكثر من عيد، وحتى في البلد الواحد عيد وعيدان وثلاثة أعياد، وحصل في إحدى السنوات القريبة أن كان للمسلمين أربعة أعياد في أربعة أيام، هذا الاختلاف له مردود سلبي على حياة الناس، ويثير تساؤلاً كبيراً في أوساطهم، لماذا يختلف المسلمون في مثل هذه الأمور؟ لذلك كان الأمر بحاجة إلى بحث ومناقشة، هذا المؤتمر الذي أقامته مؤسسة الفكر المعاصر في بيروت، برعاية العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، كان لمناقشة هذا الموضوع، وحضره علماء من مختلف المذاهب الإسلامية، من السنة والشيعة والإباضية، ومن المملكة العربية السعودية حضر بعض العلماء والباحثين الشرعيين من أهل السنة، وأحدهم ينتمي إلى المدرسة السلفية، ومن مصر وسوريا والأردن، ومن إيران وأفغانستان، أكثر من خمسين عالماً وباحثاً، اجتمعوا لكي يناقشوا هذا الموضوع.

ميزة هذا المؤتمر أن فيه علماء شرعيين وباحثين في علم الفلك، جلسوا وتحدثوا وطرحوا ما عندهم، وبيّنوا بالصور والأفلام والوثائق مدى دقة الحساب الفلكي أمام العلماء والفقهاء المشاركين في المؤتمر، كما أن العلماء تحدثوا عن الضوابط الشرعية التي يرونها لاثبات الهلال.

المؤتمر كان فيه دور للمرأة، بعض الباحثات شاركن في المؤتمر، وطرحن أفكارهن وأبحاثهن، وكان مؤتمرًا علميًا نافعًا، نوقشت فيه القضايا التي ترتبط بالهلال، مثلاً هل تشترط وحدة الأفق هو أفق واحد أم آفاق متعددة؟ هذه المسألة محل خلاف بين الفقهاء، إذا ثبت هلال في بلد هل يثبت في البلدان الأخرى المختلفة معه في الأفق أم لا؟

المسألة الأخرى رؤية الهلال، هل يشترط أن تكون بالعين المجردة أم يكفي أن

تكون بالعين المجهزة بالمنظار مثلًا؟

والمسألة الثالثة وهي المسألة الشائكة، هل يشترط رؤية الهلال أم يكفي إمكانية الرؤية، إذا قال الرصد الفلكي إن الهلال قد ولد وخرج ورؤيته ممكنة، ولكن لم تتحقق فعلية الرؤية؟ هل إمكانية الرؤية كافية؟ أم لا بدّ من الرؤية؟ هذه المسائل التي هي محل خلاف نوقشت في المؤتمر.

نأمل أن تستمر المؤتمرات لإنضاج مثل هذه المسائل، كي يستطيع المسلمون معالجتها، وهي مسائل فرضتها عليهم تطورات العصر والعلم، وأننا نأمل أن تكون مثل هذه المؤتمرات حالة قائمة في مختلف البلدان، لمعالجة مختلف المشاكل والأمور، فالإسلام دين عظيم، وهو دين لكل العصور، وللبشرية جمعاء، فلا بدّ وأن تتجلى في تشريعاته ما يؤكد ويعزز هذه الحقيقة.



الخطبة الأولى

الرحمة الإلهيّة وشمولها لكلّ المخلوقات

﴿ما يَفْعَلُ اللَّه بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكانَ اللَّهُ شاكِراً عَليماً﴾[سورة النساء، الآية: ١٤٧].

الوجود والحياة نعمة من نِعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان؛ حيث تفضّل جلّ اسمه عليه بالخلق والإيجاد، وقد أوجد الله هذا الكائن ليعيش في رحاب رحمته ونعمه، وهذا ما قرّرته الآية الكريمة: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[سورة هود، الآية: ١١٩].

لكن إذا كان الأمر كذلك، وأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان للعيش برحمته ورحمانيّته، فلِمَ هذه الآيات القرآنيّة التي تتوعّد بالعقاب والجزاء يوم القيامة؟

إذا قرأنا الآيات القرآنية بمجملها، وتأملنا فيها، نشاهد أن الآيات التي تبشّر الإنسان بعفو خالقه ورحمته هي أشمل وأكثر من الآيات التي تتحدّث عن العقاب والعذاب، بل إن العقاب والعذاب إنما هو لإصلاح الإنسان وتقويمه وردعه؛ فحينما يتوعدّ الله عبده العاصي المنحرف بالعقاب والعذاب، فالمقصود من ذلك: تحذيره وإبعاده عن المعاصي لأنّها تضره، وبغية توجيه الإنسان نحو خيره ومصلحته، وهذا نظير: تهديد المعلّم تلميذه بإنقاص درجاته وعلاماته، والفشل في الامتحان، حينما يريد شحذ همّته للدراسة، هذا التلويح والتهديد إنما يهدف لتوجيه الإنسان للاستقامة والالتزام، وإلا فإن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان ليرحمه كما نصّت الآية الكريمة.

لكن بعض الناس حينما يصرّون على الإجرام والمعصية والذنب، وخاصّة إذا

نازعوا الخالق كبرياء وجوده وتوحيده؛ فأنكروا وجوده أو أشركوا به، مع اتضاح الحقيقة لهم، فلا شكّ في استحقاقهم للعقاب في مثل هذه الحالة.

ظلم الناس جريمة كبرى

إن من يظلم الناس ويمارس الإجرام بحقّهم، فلا إنصاف في مرور جريمته من دون عقوبة وعذاب؛ وإلا عُدَّ إغراءً بالظلم والإجرام، من هنا خاطب الله تعالى البشريّة بهذه اللغة اللطيفة الرحيمة ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾[سورة النساء، الآية: ١٤٧]، فماذا يفعل الله بعقاب الناس؟! هو لا يلتذّ بذلك ولا يتشفّى، وإنما يلجأ لذلك من سكنت نفسه رغبة الانتقام، ومن يريد أن يعوّض عن خسارة خسرها، ولا شكّ أن الله أعلى من ذلك، لهذا لا يريد أن يعذّب أحداً من خلقه، ولا تدخل في دائرته ميزة من وراء هذا العذاب على الإطلاق، فإذا شكرت البشريّة خالقها، من خلال امتثال الواجب الملقى عليها في هذه الحياة فلا عذاب في البين، بل حتى لو أخطأ بعض بني البشر خطأ خارجاً عن دائرة إنكار الله والشرك به، وخارجاً عن دائرة ظلم الآخرين والتجاوز على حقوقهم وحرماتهم... فإن باب الله سبحانه وتعالى مفتوح وواسع أمام من تاب وآمن وعمل صالحاً بعد ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ...﴾[سورة النساء، الآية: ٤٨].

كما نلاحظ التنصيص من قبل الإمام زين العابدين عليه السلام على حقيقة الرحمة الإلهيّة؛ حيث يقول مخاطباً الله سبحانه وتعالى: «اللَّهُمَّ فَإِنِّي امْرُؤٌ حَقِيرٌ، وَخَطَرِي يَسِيرٌ، وَلَيْسَ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَوْ أَنَّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَكَ، وَلَكِنْ سُلْطَانُكَ اللَّهُمَّ أَعْظَمُ، وَمُلْكُكَ أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، أَوْ تَنْقُصَ مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْمُذْنِبِينَ...»[1].

التبشير برحمة الله

وقد وردت نصوص كثيرة في سياق التبشير بواسع المغفرة الإلهيّة نذكر منها على

---

(١) الإمام زين العابدين علي بن الحسين. الصحيفة السجاديّة. ص٢٤٨.

سبيل المثال لا الحصر ما جاء عن رسول الله ﷺ: «...يَهُمُّ الْعَبْدُ بِالْحَسَنَةِ فَيَعْمَلُهَا فَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً بِحُسْنِ نِيَّتِهِ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْراً، وَيَهُمُّ بِالسَّيِّئَةِ أَنْ يَعْمَلَهَا فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا أُجِّلَ سَبْعَ سَاعَاتٍ، وَقَالَ صَاحِبُ الْحَسَنَاتِ لِصَاحِبِ السَّيِّئَاتِ ـ وَهُوَ صَاحِبُ الشِّمَالِ ـ لَا تَعْجَلْ عَسَى أَنْ يُتْبِعَهَا بِحَسَنَةٍ تَمْحُوهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾...»[1].

وورد في حديث آخر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً أُجِّلَ مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى اللَّيْلِ؛ فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ»[2].

كما وتواترت الآيات والأحاديث عن سعة رحمة الله بعباده يوم القيامة، فإن الغفران الإلهيّ يتحصّل لأدنى سبب وأقل مبرّر يصدر من العبد في طريق الأوبة والتوبة؛ فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته[3].

ونختم هذه الفقرة برواية وردت عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال فيها: «إِنَّ آخِرَ عَبْدٍ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ فَيَلْتَفِتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَعْجِلُوهُ، فَإِذَا أُتِيَ بِهِ قَالَ لَهُ: عَبْدِي لِمَ الْتَفَتَّ؟

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا كَانَ ظَنِّي بِكَ هَذَا.

فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: عَبْدِي وَمَا كَانَ ظَنُّكَ بِي؟

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَانَ ظَنِّي بِكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي وَتُدْخِلَنِي جَنَّتَكَ.

فَيَقُولُ اللَّهُ مَلَائِكَتِي: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَبَلَائِي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي، مَا ظَنَّ بِي هَذَا سَاعَةً

(١) الكافي. ج٤، ص ٢٢٤-٢٢٥.
(٢) الكافي. ج٤، ص٢٣٥.
(٣) بحار الأنوار. ج٧، ص ٢٨٧، حديث ١.

مِنْ حَيَاتِهِ خَيْراً قَطُّ، وَلَوْ ظَنَّ بِي سَاعَةً مِنْ حَيَاتِهِ خَيْراً مَا رَوَّعْتُهُ بِالنَّارِ، أَجِيزُوا لَهُ كَذِبَهُ وَأَدْخِلُوهُ الْجَنَّةَ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا ظَنَّ عَبْدٌ بِاللَّهِ خَيْراً إِلَّا كَانَ عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِين﴾[سورة فصّلت، الآية: ٢٣]»[1].

هكذا هي الرحمة الإلهيّة واسعة وعظيمة، من هنا وجب على الإنسان أن يعيش بين الرجاء والخوف من عذاب الله وسخطه.

كيف يشكر الخالق عبده

لقد وصف الله نفسه بالشاكر العليم، كما جاء ذلك في آيات عديدة من الكتاب الكريم، التي وصفت الله بالشاكر والشكور، من قبيل: ﴿وَكانَ اللَّهُ شاكِراً عَلِيماً﴾[سورة النساء، الآية: ١٤٧]، ﴿إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[سورة فاطر، الآية: ٣٤.]، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ عَلِيم﴾[سورة البقرة: الآية: ١٥٨]، ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيم﴾[سورة التغابن، الآية: ١٧].

ونتساءل هنا عن معنى هذا الشكر من الله تعالى، فالشاكر يأتي من الشكر، والذي هو الثناء في مقابل المعروف، فماذا يقدم العبد لربه حتى يقدم الله تعالى له الشكر؟

والجواب: حينما يطيع الإنسانُ ربه من خلال الأعمال الصالحة، فإن الله سبحانه وتعالى يكافئه بالخير، وهذه المكافأة يعبّر عنها الخالق بأنها شكر مقدّم منه للإنسان المطيع، وكم هو شرف عظيم للإنسان أن يتقدّم خالق الوجود ومفيضه بالشكر له، حينما يصليّ، ويصوم، ويتصدّق، ويمارس عملاً صالحاً، ويبتعد عن معصيّة الله عزّ وجلّ؟ وليس الشكر الذي يقدّمه الخالق للعبد شكرًا بالألفاظ والكلام، وإنما يتعامل مع الإنسان المطيع على هذا الأساس، فيزيد له الخير ويجزل له الثواب، حنانيك يا ربّ ما أعظمك وألطفك بعبادك، وعلينا الاقتراب من الوجود الذي يرحمنا وإليه مصيرنا، فلا أحد ينفعنا سواه، ولا أحد يحتضننا غيره.

---

(١) الشيخ الصدوق. ثواب الأعمال وعقابها، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، (قم: منشورات الرضي)، ص١٧٣.

الإحساس بالرحمة الإلهية

ولعل الإحساس بالرحمة الإلهيّة يتجلّى حينما يصاب الإنسان بمرض عضال، بحيث يقرّر الأطباء عدم إمكانيّة أن يقدّموا له شيئًا يُسهم في علاجه وتسكين ألمه، وعندها تنهمر دموع أقاربه وأصدقائه المحيطين به، إثر مصيره المحتوم الذي لا حول لديهم ولا قوّة في تغييره أبداً، لكن التوجّه والرجاء إلى الله يتحرّك ويثور في أعماق الإنسان، وكم هي الحوادث التي نسمع بها من هنا وهناك، عن أشخاص قد انتهت حياتهم ظاهراً، لكن الله تعالى منّ عليهم بالصحّة والعافية والحياة، وقد سمعنا قبل أيام[1] بالزلزال الذي حصل في جزيرة هايتي بقوة ٧ درجات على مقياس رختر، و قد أودى بحياة أكثر من ٢٠٠ ألف شخص وشرّد حوالي ١,٥ مليون شخص من منازلهم.

وقد تمكنت فرق الإنقاذ من انتشال فتاة (١٦ سنة) من تحت الأنقاض وذلك بعد مرور ١٥ يومًا كاملًا من وقوع الزلزال، في حادثة تعد نادرة من نوعها في قضايا الناجين من الزلازل. ووصف أحد رجال الإنقاذ اكتشاف الفتاة المراهقة التي كانت تحت الأنقاض بعد أسبوعين من الزلزال بأنه «معجزة»[2]، وهذا مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية.

أمثال هذه الشواهد الحيّة تدعونا إلى التوجّه إلى الله بشكل دائم، بقلوبنا ونفوسنا وعواطفنا، وأن نبتعد عن معصية الله، وأن نقبل على طاعته؛ فإنه سبحانه وتعالى يحبّ من اقترب منه، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل قال: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي وَاللَّهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا»[3].

---

(١) وقع الزلزال في ١٢/ ١/ ٢٠١٠م.

(٢) موقع بي بي سي عربي، الأربعاء، ٢٧ يناير/ كانون الثاني، ٢٠١٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ج ٤، ص ٢١٠٢، حديث ٢٦٧٥.

الخطبة الثانية

النظام العربيّ ومرض الأحاديّة

روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام إنّه قال: «... الْعَدْلُ جُنَّةُ الدُّوَل»[1].

ثمّة توصيات أساسيّة حملتها النصوص الدينيّة للحكّام والقادة بغية نشر الأمن والتعايش السلميّ في مناطقهم، ولعل أهم هذه التوصيات هو تفعيل العدل كسياسة حاكمة في إدارة الدولة في جميع مفاصلها، وشبّهته النصوص بالدرع الذي يُتقى به في الحرب؛ فإن المحارب من أجل أن يدفع السهام عنه يكون له درع يستقبل به السهام، والجُّنة هي الوقاية، وقد أراد أمير المؤمنين من هذا التعبير أن يقرّر: إن العدل هو الذي يقي الحكومات والدول من شرّ الانهيار والاضطراب والأزمات؛ فأيّ دولة من الدول يسود فيها العدل تكون أبعد عن الأزمات والاضطرابات، أمّا الدولة التي لا يتحقّق فيها العدل فإنها ستكون عرّضة لكلّ ذلك، والعدل هو: إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.

وعلى القادة في أي بلد ومجتمع أن يمنحوا عموم الأطياف والمكوّنات التي في بلادهم حقوقها، مهما اختلف حجم هذه المكوّنات، وحينما يكون هناك حيف وتهميش لأيّ مكوّن وطائفة، فإن هذا يفتح أبواب المشاكل على تلك الدولة، ونحن نرى في التأريخ وفي الواقع المعاصر، كيف أن الحكومات التي يسودها العدل، وتكون هناك مشاركة في السلطة لكل فئات الشعب، تحقق حالة الاستقرار، بينما الحكومات

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ٣٤٠.

التي لا تصل إلى هذا المستوى عادة ما تعاني من أزمات وصراعات واضطرابات، كما هو الحال في الكثير من دول العالم الثالث حسب الاصطلاح المتداول.

الانتخابات النيابية في العراق

وفي هذا السياق نجد من المناسب الإشارة إلى ما حدث في الأسبوع الماضي من انتخابات نيابيّة في العراق[١]، هذا البلد الذي عاش أوضاعاً قاسية من الظلم في ظل أغلب الأنظمة التي توالت عليه؛ وأخيراً انهارت الدولة بجيشها وقواها الأمنيّة وجميع هيكليّاتها، تحت وطأة الاحتلال الامريكي، ولا يوجد عاقل أو حرّ يرضى أن يحصل في العراق كالذي حصل، لا يقبل غيور بالاحتلال الاجنبيّ، وبانهيار كيان الدولة في العراق، لكن سياسة الظلم التي اعتمدها النظام الزائل، ووجود القوى المستكبرة في العالم، التي تتحين الفرصة لتحقيق أطماعها وتعزيز نفوذها، هو الذي أدّى إلى حصول ما حصل في هذا البلد العريق.

وإن من نعم الله على الشعب العراقي في هذا المنعطف التاريخ الخطير، وجود مرجعية دينية واعية حكمية تتمثل في سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني، حيث أصرّ سماحته على أولوية وضع دستور يحكم العملية السياسية في العراق، وأن يدوّن الدستور ممثلون ينتخبهم الشعب العراقي، ليعبر الدستور عن إرادة شعبية حقيقية، وليكون مرجعية وإطاراً لسياسة الدولة، وفشلت كل المحاولات والضغوط على المرجعية الدينية لكي تتنازل عن هذه الأولوية، أو أن تناط مهمة وضع الدستور بأي جهة غير منتخبة.

جرت الانتخابات ووُضع الدستور العراقي الجديد بمشاركة كلّ الأطراف وفئات الشعب، وحصلت الانتخابات البرلمانية الأولى، بتاريخ ٣٠ يناير ٢٠٠٥.، رغم أن البلد كان يعيش أوضاعاً صعبة بسبب الإرهاب والعنف، واختلاف الإرادات المتصارعة،

---

(١) انتخابات مجلس النواب العراقي جرت في ٧ مارس ٢٠١٠م.

لكن توجيهات المرجعيّة ووعي أبناء الشعب العراقي، ووقوف المخلصين في هذا البلد، قد مكّن العراقيّين من اجتياز ذلك المنعطف الخطير.

وهذه الانتخابات الجديدة قد تمّت بنجاح وأفرزت نتائج طيبة، فنبارك للعراقيين نجاحهم في إجراء هذه الانتخابات، وبنسبة إقبال عالية على صناديق الاقتراع، رغم كلّ التهديدات والتهويلات.

كما أن التحالفات التي حصلت، والقوائم الانتخابيّة التي تشكّلت، تجاوز الشعب العراقي من خلالها الاصطفافات الطائفيّة؛ فقد حملت كلّ قائمة من القوائم تشكيلات من مختلف القوى في الشعب العراقي.

وابتعد الجميع عن الشعارات الطائفيّة، بل تنافس الجميع في البراءة من هذه الشعارات، ولا شكّ أن هذا مكسب كبير للعراق وشعبه، فبعد كلّ ما سبق من سياسات طائفية، نجد إصراراً من القوى السياسيّة الواعيّة في العراق، على ألا تتورّط في شعارات وبرامج طائفيّة؛ فلم تتحدّث قائمة من القوائم عن مصلحة طائفة من الطوائف، أو عن حقوقها، ولم نسمع حديثاً عن حقوق الشيعة في العراق ولا عن حقوق السنّة والأكراد أو التركمان، وإنما كان الحديث عن حقوق الشعب العراقيّ، وعن تقدّمه وحماية وطنه، وهذه اللغة بحدّ ذاتها تعتبر إنجازاً كبيراً للشعب العراقيّ، وللتجربة العراقيّة.

نأمل أن يواصل الشعب العراقيّ مسيرته الناجحة إن شاء الله؛ لأن مرحلة ما بعد الانتخابات لا تقلّ خطورة عمّا قبلها.

فهل سينجح العراقيّون في بناء تشكيلة حكوميّة توافقية جديدة؟ لقد آن للعراق أن يتجاوز حالة الأزمات والاضطرابات، فالعراق بلد ثريّ، وفيه خيرات كثيرة، وينتظره دور تأريخيّ على مستوى المنطقة والعالم، والأمّة بحاجة إلى دور العراق والعراقيين لإعادة التوازن إلى المنطقة، وهذا ما لا يتمّ إلا بوعيّ أبناء الشعب العراقي، وإخلاص قواه السياسيّة، والاستفادة من هدي المرجعيّة الدينيّة التي أثبتت حكمتها ونضجها

وأبوتها لكلّ العراقيين.

تجاوز الأحادية إلى التعددية

ولا تقتصر إنجاح العمليّة السياسيّة في العراق على تعاون أبناءه فقط، بل إن استجابة المحيط العربيّ معه يسهم في دفع عجلتها نحو الأمام؛ وعلى المحيط العربي التفاعل مع هذه التجربة الجديدة، وأن يساعد العراقيين على النجاح فيها وبناء دولتهم، وهنا لا بدّ أن نقول: إن النظام السياسي العربي يعاني من أمراض مزمنة، وخلل كبير، فالنظام السياسي والاجتماعيّ العربي مصاب بمرض الأحاديّة؛ حيث يصعب عليه أن يقبل التعدّدية والاعتراف بالآخر، وهذه الأحاديّة الدينيّة أوالقوميّة أو السياسيّة، هي المرض العضال في العالم العربيّ، نعم غالبيّة سكّان المنطقة العربيّة هم من العرب السنّة، لكنّ هناك مكوّنات وديانات أخرى لا بدّ من احترامها ومراعاة حقوقها، فماذا نفعل مع الأقباط المسيحيين في مصر؟ وماذا نصنع مع الموارنة وسائر المسيحيين في لبنان؟ ومع المسيحين في جنوب السودان؟ وغيرهما من الوجودات الدينيّة؛ فجميع هؤلاء شركاء في هذه الأوطان، ولا يمكن إغفال كامل حقوقهم، وحينما يشعر بعض المسيحيين في أيّ منطقة من المناطق العربيّة بأن هناك حيفاً على حقوقهم، فإن ذلك يفتح على البلد الذي يقطنونه ثغرةً واضطرابات كان بإمكان قادة البلد أن يتجاوزوها.

وصحيح أن الأغلبيّة القومية هم من العرب، لكن هناك أكراداً وتركماناً كما هو الحال في العراق وسوريا، وهناك بربر في بعض دول المغرب العربي، فهذه مكوّنات وطنيّة يجب أن تضمن حقوقهم، وأن يشعروا بالمشاركة، وأن يأخذوا حقّهم من الثروة والسلطة في البلد، أما إذا شعر أحد هذه المكونات أن هناك حيفاً عليهم، فلا شكّ أنهم لن يقبلوا، نعم قد يصبرون ويغضون الطرف لمدّة زمنيّة معينّة، لكن يبقى الشعور بالغبن الذي قد يدفعهم لممارسات ولتوجهات أخرى كما حصل بالفعل.

فمن المؤسف مثلاً أن نسمع بعض التصريحات من جهات إسلاميّة وقومية تقول:

إن العراق بلد عربيّ ولا بدّ أن يكون رئيسه عربياً أو سنياً، إننا ندين ـ وبشدّة ـ هذا اللون من المنطق الذي هو بعيد كلّ البعد عن المبادئ الإسلاميّة؛ فالإسلام لا يفرّق ولا يميّز بين عربيّ وأعجميّ إلا بالتقوى، ولا يمكن أن يقرّ هذا المنطق الشعوبيّ؛ فلماذا لا يكون رئيس العراق كرديّاً إذا كان يمتلك كفاءة واجتمع عليه الناس، فها هو رئيس أهمّ دولة في العالم وهي الولايات المتّحدة الأمريكيّة من أصل أفريقيّ ومن عائلة مسلمة.

الخطبة الأولى

نعمة الماء وضرورة الترشيد

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[سورة الملك، الآية: ٣٠].

يَتعامل الإنسان مع النِّعَم التي تفضَّل الله سبحانه بها عليه ـ وهي تحوطه من كل جانب ـ وكأنها نِعَمٌ باقيةٌ دائمة، مع أنه لو تَفكر وأَمعن النظر؛ لرأى أن كل نعمة من النِّعَم قد تكون مهدَّدة بالانتهاء، ولأَيقن بأنها ليست مضمونة الاستمرار.

إنَّ أبرز نعمة هي الحياة، فالإنسان ـ في الغالب ـ يتصرف في حياته وكأنه لن تَضعف أنفاسه ولن يرحل، بل لا يفكر بأنه سيكون ضمن الأموات الذين سكنوا المقابر بجواره وأمام ناظرَيه!؛ لذا لو أنَّ شخصاً قال له: ستموت الآن أو عما قريب؛ لَوَجدْتَه انصعق من كلامه واعتبره صدمة بالنسبة إليه، تماماً، فيَعتبر الموت شيئاً كان بعيداً لم يكن يترقبه، فتجده مفزوعاً من خبر الموت. فنحن جميعاً نعرف وندرك جيداً بأن وجودنا في هذه الحياة وجودٌ مؤقَّت، وكذا الأمر نفسه بالنسبة لنعمة الصحَّة كأحد أهم النِّعَم الإلهية العظيمة في حياة الكائن البشري، وكذلك كل نعمة من هذه النعم المؤقتة بلا فرق.

لذلك كان المطلوب من الإنسان ما أَمْكنه أن يتفكر في جميع النِّعَم التي يعيش في رحابها؛ ليحفظها الله تعالى له بأَبعَد ما يَشاء ويُقَدِّر، وهذا ما يتحقق بالإجراءات التالية:

إجراءات الحفاظ على النِّعَم:

أولاً: أنْ يشكر الإنسانُ اللهَ سبحانه وتعالى، فهذه النِّعَم ليست من عند الإنسان نفسه، فالله هو المعطي، والله سبحانه وتعالى هو الذي يأخذ ما يشاء.

ثانياً: أن يَستثمر الإنسانُ هذه النِّعَم بالشكل الصحيح.

فالشكر والاستثمار الصحيح هما اللذان يَجعلان النعمة أكثر بقاء لأطول فترة ممكنة في حياة المنْعَم عليه، بينما عدم الشكر وعدم الاستثمار السليم يَجعلان النعمة من تلك النِّعَم معرَّضة للزوال، وقد يكون الزوال الذي لا عودة بعده.

الماءُ النعمة الكبرى:

نعمة الماء من النِّعَم العظيمة، التي خَلق الله سبحانه وتعالى منها كل الموجودات الحية، حيث تقول الآية المباركة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[سورة الانبياء، الآية: ٣٠].

إننا جميعاً نرى كيف أن الماء لا يستغني عنه أي إنسانٍ كان، فهو جزء من تكوين جسده، وهو حاجة دائمة لحياته في عالمه القائم، فهذه النعمة الكبرى يَتوجب حتمًا على الجميع أن يتفكروا فيها، ويمارسوا تجاهها إجراءات الحفاظ على النِّعَم.

وإننا إذ نقترب من اليوم العالمي للمياه ٢٢ مارس، نُلفِت إلى أن هذا اليوم إنما يهدف للتفكير بهذه النعمة وإحسان التعامل معها؛ يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾ غَوْرا: يَغُوْرُ الماء؛ يعني يَذهب في أعماق الأرض، ولا يستطيع الإنسان الوصول إليه.

صحيحٌ أن العلماء يتحدثون عن أن كمية الماء الموجودة على سطح الأرض، هي كمية ثابتة منذ أن خَلق اللهُ الكون، وما يُستهلك من الماء يعود مرة أخرى ضمن الدورة الطبيعية، لكن كيف يصل الإنسان إلى الماء؟ هنا تكمن المشكلة الأولى.

والمشكلة الثانية هي أنه ليس كل ماء يصلح للاستفادة والاستخدام، الكثير منا يَعلم

كم هي نسبة المياه العذبة على سطح الأرض، حيث تساوي ما يقارب ٣٪ فقط، مما يعني أن ٩٧٪ من نسبة المياه الموجودة شديدةُ الملوحة وغير صالحة للاستخدام، أضف إليه أن هذه النسبة العذبة ـ ٣٪ ـ ليست كلها تحت تصرف الإنسان؛ إذ أن أكثر من ٢٪ من هذه النسبة متجمِّد في شكل أنهار جليدية، مما يعني أن أقل من ١٪ من الماء تحت تصرف الإنسان، هذا دون ما لو نظرتَ لمن يشاركه فيه من النبات والحيوان أيضاً!

كل هذا ناهيك عن أن تحويل المياه المالحة إلى مياه صالحة للشرب والاستخدام فيه كلفة باهظة، فالحكومات والدول تبذل كلفة عالية من أجل تحويل الماء من مالح إلى ماء قابل للاستفادة، في طور المساهمة فقط في رفع منسوب المياه العذبة، سواء على مستوى الكلفة البشرية أو الكلفة المالية؛ إذ ليست الكلفة المالية وحدها هي المناط في تحليل المياه وتأهيلها، وإنما الكلفة البشرية تعتبر عنصراً لازماً وضرورياً في ذلك؛ لذا نجد الآية الكريمة تقول:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾؟!؛ أي يغور بأمر الله تعالى ومشيئته، وإن كان الحجم العام للماء على وجه الأرض لا يتغير، ثم لا تصلون إليه في الأعماق ولا تستطيعون الإفادة الميسورة منه، أو لا يمكنكم الاستفادة منه لشدة ملوحته، فمَن يأتيكم عندئذٍ بماءٍ نقيٍّ طاهرٍ متدفِّقٍ ميسور تستفيدون منه ويَعُمُّ الجميع؟!

لذلك نجد من الآداب الدينية الموجَّهة للإنسان، أنه يستحب حينما يشرب الماء أن يقول: الحمد لله.

هذا ويمكن ـ للوهلة الأولى ـ ألا تُتَصوَّر لهذا قيمة كبيرة، لكنَّ وجوده بين يديك خير دليل على أن له قيمة، وقدرتك على شربه له قيمة، فإنَّ هناك بعض الناس تصل بهم الحالة إلى حدّ أنهم لا يستطيعون شرب الماء في ظلِّ وجوده ووَفْرَتِه.

حكاية تُصور عِظَمَ نعمةِ الماء

يحكى أنَّ طاغية من الطواغيت استَنصح حكيماً في يوم من الأيام؛ فقال له الحكيم:

يا هذا! أرأيتَ إن كنتَ في صحراء، وأصابك الظمأ، ولم يكن لك شربة ماء تشربها وتروي بها ظمأك، وجاءك من يَعرض عليك شربةً بنصف مِلْكِك، أكنتَ تعطيه ذلك أم لا؟ فقال:

نعم، أعطيه نصف مِلْكي من أجلِ شربةِ ماء لإنقاذ حياتي.

فقال الحكيم: لو أنك شربتَ هذا الماء، ثم تعذّر خروجه من جسمك وأصبحت تعاني، وجاءك شخص آخر فقال لك: أنا أعطيك دواءً يخرِج لك ذلك، ولكن بنصف مِلْكِك وسلطتك. أكنت تعطيه أم لا؟ قال: نعم أعطيه.

فقال له الحكيم: إنَّ مِلْكَاً يَذهب نصفُه بشربة ماء، ويذهب نصفه الآخر لإخراج سوائل الجسم، حقاً إنه لا قيمة له.

لذا كان على الإنسان أن يتفكر ويشكر نِعَم ربِّه سبحانه وتعالى عليه، وأن يَستثمر هذه النعمة بما وفيما يرضيه، فالمشكلة ـ غالباً ـ إنما تقع للواحد مِنَّا عندما يستهين ويسرف ويبذِّر، كما أن المشكلة تأخذ فعليتها في الأفراد أو الأمم عندما لا يكون هناك تعاون وترشيد لاستخدام هذه النِّعَم.

بلداننا تعاني والكيان الغاصب يَستحوذ!

كما ترون نحن ـ في هذه الوقفة ـ نتحدث عن نعمة الماء، وبلادنا من البلدان التي تقع في منطقة صحراوية جافة، المياه الصالحة للاستخدام فيها قليلة، بل باتت شحيحة؛ لذا نجد المملكة تَستقطب المياه الجوفية من بعض مناطقها إلى مناطق أخرى منها، فالخُبراء يشيرون إلى أن الحال يزداد سوءاً، زمناً بعد آخر، حيث يصبح الماء في مناطقنا أكثر شحًّا ونَدرة، مما يعني بالتالي أن تحويل الماء المالح إلى ماء صالح سيكون أكثر كلفة، خاصة مع زيادة الاستهلاك، وازدياد الحاجة؛ لذلك نجد أن هناك صراعًا على مصادر المياه في منطقة الشرق الأوسط.

إنَّ الكيان الغاصب في إسرائيل يعمل بجدّ، ويبتكر ابتكاراته المتنوعة في كيفية أخذ مصادر المياه من المنابع العربية! إذ تشير الأبحاث ومختلف التقارير إلى أننا سنعود كما كان آباؤنا العرب بتلك الصورة الضَّحْلة التي كانت تَحصل بينهم فيها المنازعات على البئر الصغيرة؛ مستقبلاً سيكون الصراع ليس على آبار النفط، وإنما على مصادر المياه؛ لذلك تسعى دول العالم المختلفة للترشيد تجاه استخدام المياه دون تباطؤ.

الأيام العالمية للثروات:

اليوم العالمي للمياه هدفه تنبيه الناس لهذا الأمر، ونحن كمسلمين تعاليم ديننا الحنيف تنبهنا وتوجهنا لهذا الأمر، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف: من الآية٣١].

وورد عن رسول الله الأكرم ﷺ أنه: «مرّ بسعد وهو يتوضأ، فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار»[(١)]. وورد عنه ﷺ أيضاً أنه قال: «في الوضوء إسراف وفي كل شيء إسراف»[(٢)]. كما كان ﷺ إذا اغتَسل اغتسل بصاع من ماء، وإذا توضّأ توضّأ بمُدّ من ماء، وصاع النبيّ ﷺ خمسة أمداد، أو ستة أرطال، والمُد رطلٌ وثلاثُ أواق، أو رطل ونصف[(٣)].

ويقدر الصاع بـ ٣ كغم، والمد ¾ كغم.

هذا وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: «أدنى الإسراف هراقة فضْل الإناء»[(٤)]؛ لذا أيها الإخوة الأعزاء، ينبغي أن نرتب حياتنا، ونرَشِّد استهلاكنا للماء، وأن نربي أولادنا على ذلك.

(١) أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج٢، الطبعة الأولى١٤١٩هـ، (بيروت: عالم الكتب)، ص٢٢١.
(٢) كنز العمال. ج٩، ص٣٢٥، حديث ٢٦٢٤٨.
(٣) تهذيب الأحكام، ج١، ص١٣٥، ح٦٥.
(٤) بحار الأنوار. ج٧٢، ص٣٠٣.

بعد أسبوع يصادِف اليوم العالمي للأرض، ويتركز حول استهلاك الكهرباء، وكل بلاد العالم ستحتفل بهذا اليوم، الذي يوافق السابع والعشرين من هذا الشهر الميلادي(مارس)، بفصل الكهرباء لمدة ساعة؛ كنوع من الإشارة للناس بأهمية هذه النعمة، إذ مع الأسف أن نجد إسرافاً فاحشًا في استخدام الماء، وإسرافاً في استخدام الكهرباء، وغيرهما من الثروات المشتركة الكبرى.

فعلى سبيل المثال هنالك نسبة كبيرة من المياه الصالحة للاستخدام تذهب؛ بسبب إهمال صيانة الحنفيات ومواسير المياه!

إن هذه ثروة عظيمة ليست لك وحدك، إنها لشركائك وللأجيال القادمة، فلا يصح لك الإسراف فيها، فهذا محرم، وفيه مؤآخاة للشيطان، حيث قال تعالى: ﴿... وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦ و٢٧]، فكي لا تتصف بهذه الصفة الدنيئة النكراء، عليك الاهتمام بصيانة شبكة المياه في المنزل، وفي الأماكن المختلفة، من باب المساهمة في حفظ الثروة لمجتمعك وأُمتك والإنسانية وذريتك الصاعدة، وأيضاً من باب امتثال الواجب الشرعي المتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كي لا يذهب قسم من الماء أو غيره من الثروات بسبب إهدارها، وقلة المبالاة، وعدم الاستخدام السليم لها.

وسائل لترشيد الاستهلاك

ومن جهة أخرى: هناك سُبُل متطورة مجرَّبة ونافعة في مجال ترشيد استخدام الماء، كالحنفيات الذكية المستخدمة في مختلف دول العالم، فهي تعمل بآلية إلكترونية حسية؛ حيث إذا مرّرت يدك تحت الحنفية ينفتح صنبور الماء، وإذا أبعدتها عنها تنغلق الحنفية، فمِثل هذا الاستعمال الذكي مطلوب؛ إذ به لا يذهب شيء من الماء هدراً عند غسل اليد أو الملابس وغير ذلك؛ لذا يَلزمنا البحث عن أفضل أساليب الترشيد وتقليل الصرف.

ثم إنه في كثير من الأحيان نجد ـ مثلاً ـ عامل البيت عندما يمارِس مهامه؛ كغسل السيارة أو المنزل، نجده ـ بفعل عدم تحمُّلِه دفْع الفاتورة، وعدم معرفته بقيمة هذا الأمر ـ يمارِس ذلك بصورة فظيعة في الإسراف بل التبذير؟ مع أن هذا حرام شرعاً، وعقابُه يشمل صاحب البيت حينما يكون مصداقاً له.

وأيضاً في الأمور الشرعية كالوضوء والغُسل ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «الوضوء مُدّ والغُسل صاع، وسيأتي أقوام من بعدي يَستقلون ذلك، فأولئك على خلاف سُنَّتي»[1]؛ والصَّاع ـ بقياس آخر تسهيلي لِما سبق ـ يعادل تقريباً قنينتين من ماء الصحة التي نشربها من الحجم المتوسط، والوضوء مُد؛ أي ما يعادل نصف قنينة. وحتى في حالة التطهر من البول يجب على المتخلِّي ألا يسرف، وأن يتطهر بمقدار مثل ما يتبقى من البول؛ يعني نقطة واحدة، وهناك فقهاء آخرون يقولون مثلاه؛ يعني نقطتان، فهذا يكفي لأن يطهِّر موضع البول، كما هو موجود في الرسائل العملية.

كل هذا لماذا؟

إنما هو من أجل أن يتربى المسْلِم على عدم الإسراف بشتى معانيه، وأن نحمل هذا الهم.

ختاماً لا يَغيب عني أن أشير إلى أحد أبنائنا من منطقة الإحساء، الأستاذ عادل حسن الشبعان، جزاه الله خيرا، فهو مهتم منذ سنوات بهذه القضية، وله موقع على الإنترنت يسمى «القَطْرة»، متخصص في أساليب ترشيد المياه، وفي كل عام يبعث برسائل إلى الجهات والمعنيين يطالب بترشيد استخدام المياه؛ فهذه مبادرة مهمة، ينبغي للبعض منا أن يكون لهم مثل هذه الهموم والاهتمامات الحضارية الكبيرة، نقدِّر من خلالها البيئة والماء والنعم الأساسية؛ ذلك لأن هذه الاهتمامات ربّانا عليها القرآن وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام.

---

(١) من لا يحضره الفقيه. ج١، ص٣٥.

مَنابعُ غَلَبةِ الجماعة في قانونِ السُّننِ الإلهيَّة

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة: من الآية ٢٤٩].

في الصراعات والنزاعات، ليس الاعتبار بقلة العَدد أو كثرته، وإنما بالأخذ بأساليب النصر وأسباب الظَّفَر؛ لذلك يقول الله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾؛ فالكلام عن فئة بغض النظر عن دينها أو عقيدتها، سواء كانت هذه الفئة مؤمنة أو كافرة، إذا أخذتْ بأسباب النصر؛ فإنها ستحققه، لكن الكلام في كيفية كون ذلك بإذن الله؟ وماذا يعني إذن الله هنا؟

إنما يعني اتّباع سُننه تعالى، في كل مجال من المجالات هنالك لله سُنن؛ قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٦٢]، وفي آية أخرى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[سورة فاطر، الآية: ٤٣] ؛ فكما للكون سُنن، أيضاً للحياة الاجتماعية سُنن، فالفئة التي تَأخذ بتلك السُّنن وتحقّق إذن الله؛ يقيناً تَكون غالبة؛ أما الفئة التي لا تَأخذ بتلك السُّنن؛ لا تَأخذ بإذن الله؛ فإذنُ الله مثل المفتاح؛ إذا استخدمتَ المفتاح تَفتح الباب، كذلك هناك سُنن إذا أخذتَ بها تَنجح، تمامًا كما هو الحال في السباحة إذا أردتَ أن تخرج من النهر أو البحر، فهناك طريقة للسباحة، إذا أخذتَ بتلك الطريقة تنجو، وإذا لم تَأخذ بتلك الطريقة ولم يكن هنالك مُنْقِذ تغرق، فالأمر نفسه يجري في مختلف جوانب الحياة، من دون الحالات

الاستثنائية التي يكون فيها تدخل غيبي إلهي مباشر ضمن نظامٍ ومعادلة أخرى.

والسؤال المهم يقول: ما هي تلك السُّنن التي تمكِّن جماعة أو فئة من الانتصار والتَّمكُّن على الجهة المعادية الأخرى؟

سُنن النصر:

أولاً: العزم والإرادة.

يجب أن يكون هنالك عزم وإرادة للوصول إلى المـَطلب والهدف؛ ومن لا يمتلك عزيمة وإرادة؛ لن يكون سائراً في الطريق السليم الذي يمكِّنه من النجاح.

ثانياً: المعنويات الرفيعة.

الإنسان الذي تكون لديه معنويات رفيعة، وثقة، هو المؤهَّل لتحقيق النصر؛ إذ يوفِّر شرطاً مهماً من شروط تحقيق الغَلَبة والانتصار؛ أما مَن تصيبه الهزيمة النفسية؛ فهذا ينال منه الضعف والخُنوع، ويصيبه الشعور بالوهن، ثم بالتأكيد لا يصل لواقع النصر؛ يُنقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «مَا لَقِيتُ رَجُلاً إِلاَّ أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِهِ»[1]؛ لأنه يَخاف ويَحذر وتكون معنوياته متدنية، فيُعِين الطرف المقابِل عليه.

وفي القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى نصر المؤمنين بـ (الرُّعْب)؛ حيث قَذف الخوف في قلب الطرف الآخر؛ لذلك فإن معنويات الإنسان الرفيعة، وثقته بذاته، واطمئنانه بعدالة قضيته، تعتبر سُنة مهمة في الظَّفَر، بل هي الأساس في مجموع السُّنن.

ثالثاً: الأخذ بأساليب القوة.

حينما تواجِه عدواً غاشماً متسلِّحاً ومستعداً لمواجهتك؛ عليك في هذه الحالة أن تتوفَّر على أكبر قدر من القوة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[سورة الأنفال، الآية: ٦٠]، فإذا كان عدوك يمتلك قوة، وأنت تفتقدها، فأنت لا

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٠٩.

تستطيع أن تضمن النصر في مواجهتك له.

رابعاً: الاستعداد للتضحية.

فمِن دون الاستعداد للتضحية والبذل والعطاء، فأنت كمن يريد الفوز بلا مقابِل، والنفع بلا تقديم، وكالتاجر الذي يروم التجارة بلا رأس مال.

وكلما ازداد رأس المال وصَحَّ توظيفه؛ ازدادتِ التجارة أَلَقاً ومَرْجوعا، وكلما قل رأس المال وزُوي عن التوظيف السديد؛ قلّ المستفاد على مستوى الربح، والاستعداد للتضحية هو رأس المال الأساس في كل مواجهة ومقاومة.

خامساً: الصبر والثبات والصمود.

هذه القِيَم من أعظم السُّنن الإلهية نفعاً؛ فكل فئة تَمتلكها؛ تستطيع النصر على من يقابلها.

هَزائمُ أُمَّتِنا على مَحَكِّ السُّنن:

نحن الآن كأمة إسلامية نعيش معركة حاسمة وخطيرة مع الصهاينة الذين احتلوا أراضينا ومقدساتنا، وما زالوا يمْعنون في عدوانهم وغيّهم كل يوم!

من الناحية العددية لا تقاس قلتهم بكثرتنا بتاتاً، فاليهود في العالم كله نِسبتهم تقدَّر بحوالي اثنين وعشرين مليونًا، بينما الأمة الإسلامية عِدادها ما يقارب مليار وأربعمائة مليون نسمة، لكن هذه الفئة الضَّحلة القليلة أَخذت بأسباب القوة؛ فاستطاعت أن تحقق النصر لباطلها، ونحن أصحاب الحق لم نَأخذ بأسباب القوة؛ فأصبحنا خانعين ضعافًا نَتْرَع في وضع الهزيمة، أذلاء.

كل يوم يمعن الصهاينة في عدوانهم وغيهم، ويعلِنون للعالم بأنهم لن يتنازلوا عن شيء أخذوه نَصْباً ونَهبا!

تَعلمون أن إخوتنا في فلسطين يعيشون وضعاً ملتهباً خلال هذه الأيام؛ ذلك لأن

الصهاينة لهم مخطَّطات جديدة للاستيطان، ولن يتوقَّف سعيهم في ذلك إلا بصدٍّ حاسمٍ، ينبع من إرادة حقيقية في المقاومة والتصدي، فالصهاينة في كل حينٍ يأتون بشرذمة من المستوطَنين الغرباء على فلسطين، يَبنون لهم أحياء ومدنًا ووحدات سكنية؛ أما أصحاب الأرض فهم لاجئون خارجها أو محاصرون داخلها، لا يتمكنون من البناء لأنفسهم، فالفلسطيني يَصعب عليه إقامة المأوى لعائلته، إلا أنَّ الأجانب الغرباء الذين يأتون بهم من مختلف الأنحاء يتمتعون بالسَّكن المرْهَف والعيش الرَّغيد، لأنهم يهود من عنصر يهودي، فها هي ألف وستمئة وحدة سكنية جديدة قُرِّر مجدَّداً بناؤها من قِبَل الحكومة الإسرائيلية الغاصبة، لتضاف إلى حصيلة ما بُني وسيُبنى ويُغتَصب.

وقد بَنوا أخيراً كنيسة جديدة فاخرة، أسمَوها «كنيسة الخراب»، مقدمة لبناء«هيكل سليمان» المزعوم، الذي يريدون بناءه على أنقاض المسجد الأقصى حسب أساطيرهم الصهيونية، لذلك يَعتبرون أنفُسهم في الطريق نحو تحقيق ذلك الحلم الأسطوري، لا أنالهم الله ذلك.

ماذا عن موقف العرب والمسلمين؟!

إن أول شيء يجب أن يتحقق يتمثَّل في إرادة المواجهة، ثم المعنويات الرفيعة، والثقة بالنفس، وهذا مفقود عند العرب والمسلمين، عدا تلك القِلَّة الصّابرة الصّادقة من المقاومين المستبسِلين في بعض ضواحي فلسطين ولبنان، وإلا فمُجْمل الأنظمة العربية والإسلامية ليست مع توجه المقاومة والمواجهة!

يقول رئيس السلطة الفلسطينية وبصراحة: نحن نريد أن نقيم دولة فلسطينية عبر المفاوضات والطُّرُق السلمية! كيف يكون ذلك؟! للأسف أصبحنا نرى أمثال هذه الحلول الواهمة، التي ليست إلا كحُقَن وجُرُعات تخديرية؛ ليمر المشروع الدَّنيء بأقل كُلفة من الصُّراخ والوجع.

لستُ أدري على وجه التحديد، ما العلة وراء عدم تَوافر الثقة بالنفس لدى أُمَّتِنا؟

هناك من يُروِّج للاعتقاد بأننا لن نستطيع مقاومة القطيع الإسرائيلي، توهّماً من أن له جيشاً لا يُقهَر، وأنَّ إسرائيل خلفها أمريكا وأوروبا.

لكن ألم يندحر مقاتِلو ذلك الجيش في جنوب لبنان رغماً عن أنف أمريكا وأوروبا؟!

ألم يَبوؤوا بالهزيمة والفشل في حرب تموز قريبة العَهد بنا؟!

ألم تنكسر صخرتهم بمَعاول الصمود التي أعملها شعب غزة؟!

ألم يستطع المقاومون الأبطال في لبنان وضواحي فلسطين قهر الجيش الإسرائيلي.

كلُّنا يَعلم بأنَّ أمريكا لا تريد أن تصل أسباب القوة للمسلمين، والدِّليل عليه هذه الضجة الساخطة على برنامج إيران النووي، فهم يريدون لإسرائيل أن تتميز في المنطقة بالقوة الرادعة.

في العراق كان هناك مفاعل نووي، فقصفته إسرائيل بهمجيتها العدوانية وقنابلها، ولما حصلت محاولة إنشاء مفاعل نووي في سوريا، قامت إسرائيل بقصفه، فلماذا إذن هم الآن يسعون بكل الطرق لعرقلة البرنامج النووي الإيراني؟؛ لأنهم لا يريدون للمسلمين أن يصلوا لأسباب القوة، بمختلف أشكالها، نووية كانت أو وحدوية أو غيرها.

والواقع نفسه يأخذُ موقعه في الزوبعة الإسرائيلية الأخيرة؛ حيث أثارت إسرائيل الدنيا ولم تقعدها لأن هناك خبراً عن وصول صواريخ مضادة للطيران قد تسربت للمقاومة في لبنان!

ولماذا لا يحق للناس في لبنان أن يدافعوا عن أنفسهم؟ الجواب بكل بساطة أيضاً: لأن إسرائيل وأمريكا لا تريدان ذلك، فهما ترغبان في أن تكون الأجواء اللبنانية مفتوحة للطيران الإسرائيلي في كل لحظة وفي كل وقت! وحتى الجيش اللبناني لا

يسمحون له بأن يحصل على هذه الإمكانات، رغم كونه جيشَ دولةٍ ذات سيادة، فهم يعطونه الإمكانات حسب سقف محدد، ويتحكمون في مقدارها ومجالات استعمالها، بينما إذا أرادت المقاومة أن تتوفر على هذه الإمكانات؛ فإنهم يضعون العراقيل في طريقها، بل ورأينا كيف أن بعض الدول العربية تحاصر الفلسطينيين في غزة وتمنعهم من الاستفادة من الأنفاق تحت الأرض، وتقيم الجِدران الفولاذيّة التي تَمنع هؤلاء المحاصرين من الوصول إلى الدواء والطعام، فضلاً عن حاجاتهم على مستوى القوة والسلاح، فما هذا العالم؟ وما هذه الأمة العربية؟!

عجباً، ما هذه العقلية السائدة في المنطقة؟ بماذا يَردُّ هؤلاء على عنجهية إسرائيل؟!

كل ما سيحدث أنه: سيَجتمع مؤتمر القمة العربية، ويصدرون بياناً بالإدانة والشجب، إضافة إلى آلاف البيانات التي صدرت، والتي لا تساوي عند إسرائيل قيمة الحبر المكتوبة به، وهي لن تُرجع للفلسطينيين أقلَّ حقوقهم، كما لن تَسمح بقيام دولة فلسطينية عبر المفاوضات.



الخطبة الأولى

العلاقات قوة مطلوبة

عن رسول الله ﷺ أنه قال: « المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللّهِ منَ المؤمنِ الضّعيفِ »[1].

للقوة منبعان: منبع روحي معنوي، وآخر مادّي.

الجانب الروحي والمعنوي: هو الأساس، فالإنسان حين يمتلك معنويات رفيعة وروحية صامدة يشعر بالاطمئنان والقوة، وهذا ما يجب أن يتوفّر في المؤمن؛ لأنه متّصل بالله سبحانه وتعالى، واثق به، ومتوكّل عليه، ومطمئنّ بذكره، ومتطلّع إلى دعمه ونصره.

وفي الجانب المادي: يحصل الإنسان على القوة إذا أخذ بالأسباب المؤدّية إليها، والإسلام يشجّع الإنسان ويدفعه إلى الأخذ بأسباب القوة؛ لأنّ الله تعالى خلق الإنسان من أجل عمارة الأرض، ومن أجل حاكمية القيم الحقّة، وهذا يستلزم امتلاك القدرة والقوة، لذلك يفترض في المؤمن أن يكون أقوى من غيره؛ لأنّه يمتلك روحيّة إيمانيّة، ولأنه يستجيب لأمر الله تعالى بالأخذ بأسباب القوة المادية، وحينما نرى ضعفاً في أوساط بعض المؤمنين، فإنّ ذلك ناتج عن خلل، إنْ لم يكن هناك سبب قهري أدّى إلى وجود ذلك الضعف.

---

(١) صحيح مسلم. حديث ٢٦٦٤.

القوة سِمَةٌ إيمانية

فعندما يكون المؤمن قويًّا فإن قوّته تكون لصالح الدين، وقِيَمِه، المؤمن القويّ يجلب الاحترام، ويستقطب النفوس والأفكار؛ لأنّ عقول الناس في عيونهم، القويّ يستطيع أن يمارس القيم والشعائر التي يؤمن بها، ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى يريد من المؤمنين أن يكونوا أقوياء، ففي القرآن الكريم يخاطب الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، وفي آية أخرى يخاطب تعالى بني إسرائيل بقوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾، وخاطب الله نبيّه موسى عليه السلام حينما كلّفه بالرسالة بقوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾، كما خاطب تعالى نبيّه يحيى عليه السلام بقوله: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾، كلّ ذلك من أجل التأكيد على أهمية دور القوة في خدمة الرسالة الايمانية.

سئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن القوة المقصودة في هذه الآيات، هل هي قوة الأبدان أم قوة القلوب؟ قال عليه السلام: «جميعاً»[1]، والمقصود من قوة البدن هنا هي القوة المادية؛ لأنّ مفهوم القوة في زماننا أصبح واسعاً، ففي الماضي كان يتبادر إلى الأذهان أن القوة محصورة في العضلات المفتولة والعتاد الكثير، إنّ هذا مظهر من مظاهر القوة، أمّا المظاهر الأخرى فمتعدّدة، منها: القوة الاقتصادية، وقوة العلم والمعرفة، وقوة الإعلام، وسائر المجالات المختلفة.

اللوبيات قوة ضاغطة

إنّ الحديث عن كلّ مجالٍ من مجالات القوة يحتاج إلى بحث تفصيلي، لكنّ حديثنا سيدور حول لونٍ من ألوان القوة، وهو قوة العلاقات، ومن مصطلحاته في عالم اليوم القدرة على الضغط، أي وجود جماعات تمثّل قوة ضاغطة، أو ما يُعبّر عنها باللّوبيات، إذ أصبحت قوة على مستوى العالم والمجتمعات. فإذا أرادت جهة من الجهات في العالم أن تكسب قوة سياسية ودعماً في أيّ مجال من المجالات،

(١) بحار الأنوار. ج٦٧، ص٢٠٩.

فإنّها بشبكة علاقاتها الواسعة والمؤيّدين لها تستطيع أن تستقطب أكبر دعم وتأييد في العالم، ولو كان موقفها باطلاً، والشّاهد الحيّ يتمثّل في الكيان الصهيوني الغاصب، فمع كلّ ما يمارسه من احتلال وعدوان، إلا أنّ الصهاينة بنفوذهم ولوبياتهم التي تعمل في مختلف أنحاء العالم، استطاعوا أن يقلبوا الباطل حقاً، وتمكّنوا من إقناع العالم بأهمية تقديم الدعم المادّي واللوجستي لكيانهم.

يتحدث رئيس أقوى دولة في العالم ـ أمريكا ـ عن وقف الاستيطان، ويصرّح تصريحات، ويعد وعوداً، ويضع خططاً في هذا الاتجاه، لكن اللوبي الصهيوني كان قوة ضاغطة عليه فنسف كلّ وعوده وأقواله، وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ اللوبي الصهيوني لديه قوة مؤثرة في أمريكا، وفي كلّ الدول، فاليهود يبذلون جهداً كبيراً في هذا الجانب، مع أنهم غير مشهورين بالكرم، وتاريخهم يثبت أنهم ليسوا من الشعوب المعطاءة، لكن مصالحهم دفعتهم لأن يكونوا أسخياء في هذا المجال، الأثرياء اليهود وشركاتهم، وأصحاب رؤوس الأموال منهم، في أمريكا وفي مختلف أنحاء العالم ينفقون على الإعلام والعلاقات، يمولون الجهات السياسية، ولذلك استطاعوا أن يخلقوا لهم شبكة من العلاقات الضاغطة المؤثرة في مختلف دول العالم.

لنشارك في صناعة القرار

على صعيد البلدان، في كلّ بلدٍ هناك تيارات واتجاهات وطوائف وجماعات، الجماعة القوية هي التي تمتلك علاقات واسعة تستفيد منها، وتتقوى بها، أيّ جماعة في أيّ بلد ترى أنّ لها حقوقاً وقضية، عليها أن تمتلك وسائل القوة المساعدة لها، فما عاد يكفي أن تكون مقتنعاً بحقّك وقضيتك، وإنما عليك أن تسعى لإقناع الآخرين بحقّك وقضيتك، وأن تصل إلى الجهات المؤثرة في صناعة القرار، وبكلّ وضوح، فإنّ مجتمعاتنا تعيش هذه المعادلة، فمن الواضح أنّ بعض الجهات المتشدّدة دينياً، قد صنعت لها لوبيات قوية في الضغط، بعلاقاتهم مع مراكز القوة والجهات المتعددة،

وبقدراتهم الإعلامية في تحريك الشارع، ولذلك تمكّنوا من تحقيق معظم تطلّعاتهم وما يريدون، القرارات التي تصدر من أيّ جهة من الجهات في الغالب يكون لهم نظر فيها، فإن وُجدت مفردة في قرار لا تنسجم مع توجّهاتهم، فإنهم لا يسكتون، بل يتحرّكون ويضغطون ويعملون على تغيير القرار، فإن لم يستطيعوا تحرّكوا لإفراغ القرار من محتواه، أو سعوا لتعطيل تنفيذه وتطبيقه، ونحن لا نتحدّث عن أمر سرّي، هذا ما كتب في الصحافة ووسائل الإعلام.

عقدت ندوة في مجال التعليم عن المنهج الخفيّ في التعليم، ونشرت الصحف تحقيقات ومقالات عن وجود جهات داخل سلك التعليم تسعى لنشر أفكار معينة وتوجيه الطلاب نحو توجّهات خاصة، يمارسون ضغوطهم ونشاطهم، ولا شك أن هناك قوى أخرى لديها تطلّعات وحقوق وتوجّهات، لكن عليها أن تسلك ذات الطريق حتى يكون هناك توازن.

لا بُدّ من التحرك في مجال العلاقات، فأيّ مسؤول في أيّ جهاز أو مؤسسة هو بشر يتأثر بما يسمع، وبما يصل إليه من أخبار، إذا كان ذلك الطرف فقط هو الذي يصل صوته إلى سمع المسؤول تحريضاً ونكاية بأطراف أخرى، أو دفعاً باتجاهات معينة، فإنه سيكون منفرداً بالتأثير عليه. لماذا لا يصل الآخرون إلى المسؤولين ويتحدثون بآرائهم بما يرون فيه مصلحة مختلفة وذلك عبر الإعلام وعبر العلاقات المختلفة؟

بعض الناس يستعجلون النتائج، يقولون: نحن كانت لنا علاقات بهذه الجهة أو تلك، وتحرّكنا مع هذا الطرف أو ذاك، ولكن لم نحصل على ما أردنا. وهذا كلام يحتاج إلى تدقيق؛ لأن صناعة العلاقات وصناعة اللوبي المؤثر لا تتمّ بين عشية وضحاها، ولا تؤتي ثمارها بوقت قصير وجهد قليل، لا بُدّ من الاستمرار في هذا التوجّه والتفكير في الاهتمام بالعلاقات.

لا لليأس

في بعض الأحيان يتصل بعض المؤمنين يشكون في مواقع عملهم أنّ هناك محسوبيات ووساطات، هذه هي اللغة السائدة في كثير من الأماكن والأجهزة، صحيح أنه ينبغي أن تتغيّر هذه اللغة، وألا تكون الأمور ضمن الوساطات والمحسوبيات، هذا ما يجب أن نطالب به جميعاً، ولكن حتى يتحقق ذلك الأمر، لماذا لا نسعى إلى تكوين علاقات مؤثرة كما يفعل الآخرون؟ علاقات الارتباطات والوساطات تستطيع أن تؤثر.

إنّ تصريح البعض بعدم تمكّنهم من تكوين علاقات مؤثرة، كلام ضعيف وواهن؛ لأنّه «ما رام امرؤ شيئاً إلا وصل إليه أو دونه» كما ورد عن علي عليه السلام، وأعتقد أنّ السبب الأساس يكمن في أنّ معظم الناس غير متوجهين نحو هذا الجانب، ويجب علينا أن نتوجّه، يجب على القوة الواعية التي لا ترضى بحالات التعصّب والتطرف والتشدّد، والتي ترى أن لها حقوقاً أن تعمل أيضاً على هذا الطريق، فهو طريق من الطرق السالكة.

إنّ الاهتمام بجانب العلاقات أمرٌ ضروري، فهي الطريق الذي بواسطته نعرض أفكارنا وقضايانا ومشاكلنا للآخرين، للجهات المؤثرة، ينبغي أن نستقطب أكبر قدر من الدعم حتى نتمكن من الوصول إلى ما نعتقد أنه وضع مناسب لجميع المواطنين، إن المؤمن القوي في كل مجال من المجالات أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، كما يقول الحديث النبوي الشريف.

السعي لتحقيق التطلعات

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ مبدأ قرآني يحثّ المؤمنين على السّعي لإيجاد كلّ مظهر يجعلهم أقوياء في دينهم ودنياهم، وبهذا لا يُعذر من يدّعي أن ليس لديه علاقات، هل تريد من الله أن يتحنّن عليك وأنت لا تقوم بجهد في أن تخلق لنفسك أجواء مناسبة؟ لا تكن مؤمناً ضعيفاً، لا في العلم ولا في الاقتصاد ولا في العلاقات،

المجتمع المؤمن عليه أن يمتلك هذه القوة، وأن يتحرك في هذا الاتجاه، وكما في أيّ مجال من المجالات له آليات وأساليب، وأمامه معوقات، هذا المجال مثله مثل المجالات الأخرى، علينا أن نكون متمسكين بديننا، وأن نأخذ بتعاليم ديننا في جميع المجالات، ليس في مجال دون آخر، التعاليم الحقيقية تصنع منّا مجتمعاً آخر، الضعف وعدم القوة نتاج خلل، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ لأن إيمانكم يوصلكم إلى هذا المستوى من العلو معنوياً وماديّاً.

المعاصي والذنوب في الخلوات

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: «اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم»[1].

يترك الإنسان بعض الأعمال، إمّا لقناعة منه بقبحها وضررها فيتركها، سواءً كان أمام الناس أو وحده، فالطعام أو الشراب القذر لا يشربه الإنسان؛ لأنه يستقبحه ويعرف ضرره، وهناك أشياء يتجنب الإنسان فعلها أمام الآخرين، ليس لأنه مقتنع بضررها، ولكن لأن الناس لا يرتضونها، فيتجنبها خوفاً من أن يُعاب عليها، أما إذا خلا بنفسه فيمارسها، ويمارس في الخلوات ما لا يمارسه أمام الناس.

وحالة أخرى أن الإنسان يتجنب هذا العمل؛ خوفاً من العقاب الذي ينتظره إن عمله. ومن الأمثلة الواضحة على هذه الحالة، ارتكاب المخالفات المرورية مثلاً، فإذا علم السائق بخلوّ الشارع من رادار أو دورية مرور تُحصي عليه مخالفته، فإنه لا يتورّع عن ارتكاب المخالفة تلو الأخرى، فهو إنما يلتزم هرباً من العقوبة. وهكذا في كثير من المجالات، يتجنّب الناس ممارسة بعض الأعمال حينما يشعرون أن إقدامهم على هذا العمل أو ذاك تنالهم بسببه عقوبة من جهة مقتدرة، ولذلك يتجنبونه.

---

(١) وسائل الشيعة. ج١٥، ص٢٣٩، حديث ٢٠٣٧٨.

واعظٌ من القلب

وهنالك مرتبة أرقى، وهي أن الإنسان يتجنب ممارسة بعض الأعمال بغضّ النظر عن كونها ضارّة أو غير ضارّة؛ لأنّ من يحبه يكره هذه الأعمال، فمثلاً قد يتجنّب الإنسان ممارسة عملٍ مّا؛ لأنّه يكنّ مشاعر الحبّ والاحترام لوالده أو صديقه، اللذين يمقتان ممارسة هذا العمل، وإن لم يكونا شاهدين وقت ارتكاب العمل، فالباعث على الترك هنا أمر وجداني، سببه حبّ وتقدير، فإذا كان كذلك، فمن بابٍ أولى ينبغي أن يكون سلوكنا هكذا مع الخالق جلّ وعلا، فهو المنعم الحقيقي المستحقّ للشكر، ولعلّ أدنى درجة من درجات الشكر العملي تتجلّى في تجنّب الذنوب والمعاصي، التي هي دون شكّ أو ريب سبب لكلّ ضررٍ وسوء تظهر آثاره على الفرد المجتمع؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بشيءٍ عبثاً، فلو لم يكن فيه مضرّة لما حرمه الله ويقول تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[سورة الأعراف: الآية١٥٧]، لو لم يكن خبيثاً ضارًّا لما منعنا الله منه.

فليكن ترك المعاصي والذنوب أمراً نابعاً من تعلّقنا بالمنعم الخالق الذي إليه مآلنا ومصيرنا، بغضّ النظر عن الآثار المترتبة على العمل، ضارّة كانت أو غير ضارّة، فهو تعالى يقول لنا إني أكره لكم ممارسة هذا العمل، وفي خطابه تعالى لنا رادع قويّ للكفّ عن ارتكاب المعاصي، إذْ يكفي أن نتذكّر أنه سبحانه وتعالى مطّلع علينا في جميع أحوالنا، فالنصوص والروايات تشير إلى أنّ المعاصي في الخلوات إثمها كبير، وإن كان الجهر بها إثمه مضاعف، وفي الخوف من الناس والجرأة على الله في الخلوات استهانة به جلّ شأنه، ففي حديث عن رسول الله ﷺ أوصى به أحد أصحابه، قال: «أُوصيكَ أنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ كما تَسْتَحِي رجلًا من صالِحِي قَوْمِكَ»[1].

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الطبعة الأولى١٤١٢هـ، (الرياض: مكتبة المعارف)، حديث٧٤١.

من هنا جاءت النصوص مكثّفة تلفت نظر الإنسان إلى أن يكون في حالة يقظة ووعي ليحاسب نفسه في الخلوات، الإمام الصادق عليه السلام يقول: «من خلا بذنب فراقب الله تعالى ذكره فيه، واستحيى من الحفظة، غفر الله عز وجل له جميع ذنوبه، وإن كانت مثل ذنوب الثقلين»[1].

وقال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾[سورة النساء، الآية:١٠٨].

وقال الشاعر:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيْبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحْيِي مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

والإمام الباقر عليه السلام يؤكّد أنّ المعصية في الخلوة هي استهانة بالله، يقول عليه السلام: «من ارتكب الذنب في الخلاء لم يعبأ الله به»[2]، ولا شك أنّ الإنسان لا يريد أن يصل إلى مستوى يكون فيه بعيداً عن لطف الله ورحمته به، فلو جعلنا هذا النّص نُصب أعيننا عندما يغرينا الشيطان، وتهيمن علينا شهوة من الشهوات، لكنّا بعيدين عن غضب الله وسخطه، وفي الحديث القدسي يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيّه موسى عليه السلام: «يا موسى، .... واذكرني في خلواتك وعند سرور لذاتك أذكرك عند غفلاتك»[3].

---

(١) من لا يحضره الفقيه. ج٤، ص٤١١، حديث ٥٨٩٥.
(٢) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٤٧.
(٣) الشيخ الصدوق. الأمالي، ص٣٢٧.



الخطبة الأولى

رشاوى الموظفين فساد وإجرام

﴿وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة المائدة، الآية:٦٢]

من أخطر ما يبتلى به الإنسان في هذه الحياة هو القضية المالية، وهي من الامتحانات التي تُؤدي إلى انزلاقات خطيرة على مستوى الفرد والمجتمع، واهتمام الإنسان بالمال أمر ظاهر لا يحتاج لجمع الشواهد والإثباتات؛ لأن حاجات الإنسان الضرورية التي تحقق له الاستمرار في الحياة متوقفة على المال، من هنا نجد الشارع قد أولى القضية المالية اهتماماً خاصاً، وبيّن كثيراً من الضوابط والمحاذير فيها.

ومن أهم ما يمكن الإشارة إليه هو أكل المال بالسحت، ﴿... أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ وهو وصف لكل مال يؤكل بالباطل، وكل ما خبث وقبح من المكاسب، وفي اللغة: سحَت الشيء أهلكه واستأصله، ومنه قوله تعالى: ﴿لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾.

وقد يطلق على المكاسب المحرمة سحتاً لجهتين: الأولى: لأنها تسحت حسنات الإنسان. والثانية: أنها تسحت البركة مما اكتسبه الإنسان بالباطل.

والعناوين التي يمكن أن تكون مصداقاً لأكل السحت لا حصر لها، تشمل كل مال يكسبه الإنسان بدون وجه حق.

الرشوة من أعظم السحت

ومن تلك الظواهر التي تعدّ مصداقًا للسحت (الرشوة) وهي من العوامل التي تؤدي إلى تأخير حركة المجتمع، وتصل إلى مستوى تدمير طاقاته وقدراته، وقد تفشت هذه الظاهرة في مجتمعاتنا، حتى أضحت من المنكر الذي يُرى معروفاً، من هنا وجب التصدي لها وبيان ما يترتب عليها من آثار سيئة.

أصل الرشوة في الاصطلاح الشرعي تتعلق بالقضاء، بأن يُعطي القاضيَ مالاً من أجل تغيير مجرى القضية التي ينظر فيها ليصدر حكماً لمصلحة من رشاه، وقد وردت نصوص كثيرة تنبه من خطورة الرشوة في الحكم. عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم»[١]. وفي حديث آخر أنه ﷺ قال: «الراشي والمرتشي في النار»[٢]. وعنه ﷺ: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما»[٣]. و عنه ﷺ: «إياكم والرشوة فإنها محض الكفر ولا يشم صاحب الرشوة ريح الجنة»[٤].

ويكتسب هذا التحذير من الرشوة في القضاء أهميته، بوصف القضاء أعلى رتبة في المجتمع، والحصن المنيع الذي يصون حقوقهم، وهو محط اهتمام الناس وملجأ خلافاتهم وقضاياهم، والمؤتمن على دماء الناس وأعراضهم وأموالهم، فإذا فسد هذا المقام بالرشاوي تحطمت أسس العدل والحق في المجتمع.

وقد يتسع مفهوم الرشوة ليشمل كل (مال) يدفع لأي موظف من غير وجه حق، ويمكن أن نتفهم تخصيص الرشوة في مجال القضاء كما هو لسان بعض الروايات، من باب كونها ناظرة إلى الظرف التاريخي الذي كان فيه علاقة الناس بالسلطة محدودة في بعض المجالات وأبرزها وأهمها القضاء، وهو عكس ما عليه الناس اليوم من توقف

---

(١) كنز العمال. ج٦، ص١١٣، حديث ١٥٠٧٩.

(٢) المصدر نفسه. ج٦، ص١١٣، حديث١٥٠٧٧.

(٣) المصدر نفسه. ج٦، ص١١٣، حديث١٥٠٨٠.

(٤) بحار الأنوار. ج١٠١، ص٢٧٤، حديث١٢.

اكثر معاملاتهم على مراجعة أجهزة الدولة، ومن هنا جاز توسيع حرمة الرشوة لتشمل كل موظف يقوم بعمل عام، وهو المفهوم العرفي للرشوة حالياً.

ولا شك ولا شبهة في حرمة هذا العمل لدخوله تحت عنوان أكل السحت، وقد تتجاوز هذه الظاهرة كونها مجرد (مال حرام) إلى كونها ظاهرة ذات آثار سلبية شاملة، وإذا نمت في مجتمع أفسدت الضمائر والذمم، وعرقلت التقدم والتطور، وأضاعت مصالح البلاد والعباد.

تفشي الرشوة في المجتمعات النامية

وتنشط هذه الظاهرة وتتسع في المجتمعات النامية المتخلفة بشكل كبير، لفساد الأنظمة، وانعدام الرقابة، وهذا ما تعاني منه معظم المجتمعات الإسلامية والعربية، مما يفسر لنا التأخر الواضح في إنجاز المشاريع العامة والخاصة، وتخلف بلدان المنطقة، حيث يؤدي تفشي الرشوة إلى تعطيل مصالح الناس وخرق الأنظمة والقوانين، وهذا خطر مدمر؛ لأن القوانين وضعت لجلب مصلحة أو دفع ضرر، وفي كلتا الحالتين فإن الرشوة تفويت للمصلحة أو جلب للضرر، وفي ذلك نقض لمبرر وجود الموظف، الذي وضع في منصبه حتى يكون مؤتمناً على تنفيذ النظام والقانون.

ومن الرشاوى السيئة الفظيعة ما تكون على حساب حياة الناس وصحتهم، حيث تتحدث التقارير عن الفساد في عالم الصحة والطب، فشركات إنتاج الدواء مثلاً قد تنسج علاقات مصلحية مع بعض الأطباء لتسويق منتجاتها، وإن كان فيها ضرر على صحة الناس، والدخول في كشف هذه الملفات وبيان ما فيها من فساد يسبب رعباً حقيقياً للناس، ويُظهر تجاوزات تستعصي على التصديق.

وكذلك ما يحدث داخل مؤسسات الدولة ووزاراتها من رشاوي وصفقات فاسدة، وعطاءات ومناقصات يتجاوزون فيها كل معايير الجودة وسلامة المنتج لصالح صاحب الرشوة الأكبر، وفي النتيجة الإنسان والمجتمع هو الضحية.

و لمحاربة هذه الظاهرة نوصي بالاتي:

أولاً: امتناع المواطن من التجاوب مع حالات الرشوة وعدم الرضوخ لهذا الشكل من المعاملات، حتى وإن أدت إلى تأخير عمله وتعطيل معاملته.

ثانياً: على الجميع أن يمارس دوراً في فضح حالات الفساد، حتى تتحول إلى ثقافة عامة مناهضة لظاهرة الرشوة، ويمكنهم الاستفادة من وسائل الإعلام المتطورة التي هي في متناول أيدي الجميع.

ثالثاً: تفعيل دور المؤسسات المعنية بمكافحة الفساد والرقابة على الموظفين كديوان المظالم وهيئة مكافحة الفساد.

ويجب أن يتحلى الجميع بالجرأة للدفاع عن مصالحهم ومصالح بلادهم، في مقابل الفاسدين محترفي الرشوة والنهب.

الخطبة الثانية

الذنوب تهتك ستر الله

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الْحَذَرَ الْحَذَرَ فَوَاللّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ»[1].

الذنوب والمعاصي في حقيقة الأمر أفعال قبيحة، ليس فقط في نظر الشرع، وإنما في نظر الأعراف الإنسانية، وكما قيل أن الأحكام الشرعية تتبع المصالح والمفاسد الواقعيتين، ولذلك كل ذنب هو (قبح في ذاته) تحرّمه الشرائع، وتنفّر منه مكارم الأخلاق، من هنا يكون الذنب عيباً يُعيب شخصية الإنسان، ونقصاً يقلل قدرها وشأنها.

وبما أن الإنسان بطبيعته قد ينجرف وراء المعاصي فهو بحاجة إلى ظل يستره، فالمذنب إذا ظهر ذنبه وانكشف بين الناس، كان ذلك سبباً لفضحه وتوهيناً لقدره، من هنا كان من مظاهر رحمة الله تعالى على عباده ستر عيوبهم، ومساوئ أعمالهم صيانةً منه تعالى لحرمة الإنسان، ولو أن كل مذنب أذنب ذنباً كشفه الله، لسقطت قيمة الإنسان ولم تبق له حرمة، وكما ورد في الدعاء: «فكم من قبيح سترته».

وبرغم أن تخفي الإنسان وتستره على الذنب أمر ضروري، حتى لا تشيع الفاحشة، إلا أن ذلك التخفي لا يمكن أن يكون عن الله المطلع على كل شيء ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، فالإنسان يتستر بالذنب خوفاً من الناس، والله أحق أن يُخاف؛ لأن الله هو الذي ستر ذنبه وحبس عيون الناس عنه.

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٠.

والخطير في الأمر غفلة الإنسان وجهله وغروره بستر الله، فيصر على المعاصي، ويسترسل معها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَ مَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ»[١]، فتكرار المعصية من الإنسان فيه تحدٍّ لله، واستهانة برحمته، وكفراً بنعمة الستر، فعلى كل مؤمن أن يتحسس هذه النعمة، وأن يقابلها بالشكر باجتناب المعصية، وعدم تكرار الذنب، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبد يعمل عملاً لا يرضاه الله إلا ستر الله عليه أولاً فإذا ثنّىٰ ستر الله فإذا ثلث أهبط الله ملكاً بصورة آدمي يقول للناس: فعل كذا وكذا»[٢]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن لله تعالى على عبده أربعين جنّة، فمن أذنب ذنباً رفع عنه جنّةً، فإذا عاب أخاه المؤمن بشيء يعلمه منه، انكشفت تلك الجنن عنه، فيبقى مهتوك الستر، فيفتضح في السماء على ألسنة الملائكة، وفي الأرض على ألسنة الناس، ولا يرتكب ذنباً إلا ذكروه، ويقول الملائكة الموكلون به: يا ربنا قد بقي عبدك مهتوك الستر، وقد أمرتنا بحفظه، فيقول الله عز وجل: ملائكتي لو أردت بهذا العبد خيراً ما فضحته فارفعوا اجنحتكم عنه»[٣].

ومن أسوأ أنواع الذنوب أن يرتكب الإنسان ذنباً وهو متستر بالدين، فمضافاً إلى كونه ذنباً فيه مخادعة وتشويه وتدليس للدين، وتوجيهه إلى غير وجهته، وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين بقوله: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَ لَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَ قَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَ شَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَ زَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَ اتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ»[٤] فالفضيحة في الدنيا عار، وفي الآخرة عار ونار، فمن يخشى فضيحة الدنيا فمن باب أولى أن يخشى الفضيحة على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ١١٦.

(٢) بحار الأنوار. ج٦، ص٦

(٣) الحاج ميرزا حسين النوري. مستدرك الوسائل. ج١١، الطبعة الثالثة١٤١١هـ، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ص٣٢٩، حديث١٣١٧٢.

(٤) نهج البلاغة. خطبة٣٢.

على الإنسان أن يتستر بستر الله، وذلك بالاجتناب عن الذنوب، وأن يجعل الله دوماً بين ناظريه، في كل ما يقوم به من عمل، وقد أورث أهل البيت عليهم السلام هذه الأمة أدباً رائعاً في الدعاء والمناجاة، فعلينا التعلم منها والتوجه بها إلى الله، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته «ما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى عليّ»، وفي دعاء كميل المروي عن الإمام علي عليه السلام: «فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ اَنْ لا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعائي سُوءُ عَمَلي وَفِعالي، وَلا تَفْضَحْني بِخَفِي مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرّي، وَلا تُعاجِلْني بِالْعُقُوبَةِ عَلى ما عَمِلْتُهُ في خَلَواتي مِنْ سُوءِ فِعْلي وَإساءَتي وَدَوام تَفْريطي وَجَهالَتي»، «اِلـهي قَدْ سَتَرْتَ عَلَيَّ ذُنُوبًا في الدُّنْيا وَاَنا اَحْوَجُ إلى سَتْرِها عَلَيَّ مِنْكَ في الآخْرةِ، إِذْ لَمْ تُظْهِرْها لِاَحَد مِنْ عِبادِكَ الصّالِحينَ، فَلا تَفْضَحْني يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى رُؤُوسِ الأشْهادِ».



الخطبة الأولى

الحزم سمة الناجحين

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇ إنّه قال: «الْحَزْمُ صِنَاعَةٌ[1]، ثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلَامَةُ[2]، مَنْ لَمْ يُقَدِّمْهُ الْحَزْمُ أَخَّرَهُ الْعَجْزُ»[3].

النجاح والفشل سمتان تلازم الأفراد في هذه الدنيا، فنلاحظ أشخاصاً ناجحين، كما نجد أشخاصاً فاشلين، ونرى أشخاصاً متميّزين، كما نرى أشخاصاً عاديين، والنجاح أو الفشل، والتميّز وعدمه، ليسا أمراً عبثيّاً يحصل بالصدفة، أو كضربة حظ كما يقولون، وإنما هناك صفات وسمات دخيلة في صنعهما وافتقادهما، سمات تجعل من الإنسان متميّزاً في حياته، وإذا افتقدها فإنّه يكون شخصاً عاديّاً في هذه الحياة.

ولعل من أهمّ تلك الصفات التي تصنع النجاح وتقود إلى التميّز هي: «صفة الحزم»، ولكن دعونا نحدّد مفهوم الحزم في بداية الأمر، لنلاحظ بعد ذلك شروطه وأوصافه التي حدّدتها النصوص الدينيّة.

معنى الحزم وتجلياته:

الحزم هو ضبط الإنسان أمره، والأخذ فيه بالثقة والجد.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٤٧٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه. ص٤٧٥.

حينما يريد الإنسان الإقدام على مشروع ما، فعليه أن يضبط أموره بشكل عام، وأن لا يتحرّك فيه دون تفكير وتخطيط، بل يأخذ الاحتياطات الكافيّة لإنجاحه، ويتحرّك فيه بثقة، وهذا هو الإنسان الحازم.

لكن المشكلة التي يعاني منها كثير من الناس، هي عدم التعاطي مع الأمور بجديّة؛ فتراهم يقبلون على الأعمال والمشاريع دون التفكير في عواقبها، والتخطيط لها، ودون أخذ الاحتياطات الكاملة لإنجازها وإنجاحها، ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ؛ بل نلاحظ البعض مترددين في مشاريعهم؛ يقدّمون رجلاً ويؤخّرون أخرى، ويتراجعون فوراً أمام الصعوبات والاعتراضات، ولا شكّ أن من يضعف أمام التحدّيات الحياتيّة سيفتقد صفة الحزم.

التعامل بجدّية ضرورة حياتيّة، ينبغي لكلّ إنسان التخلّق بها، لكن ما نجده: إن كثيراً من أبناء المجتمع تتاح لهم الفرص، ويمكن لكلّ واحد منهم تحقيق مكاسب ونجاحات، وتميّز وتفوّق، لكن الحالة المزاجيّة، والتسيّب والتهاون، هي التي تضيّع الفرص على الناس، وهي التي تجعل استفادتهم من الفرص محدودة.

زارنيّ قبل ليال أحد الطلاب المبتعثين القادمين من الولايات المتّحدة، فسألته عن أحوال مبتعثينا الطلبة هناك، وكيفيّة أوضاعهم مقارنة بطلاب بقيّة الدول المبتعثين معهم؟

فتحدث عن مفارقة طالما يتكرّر الحديث عنها، وهي: تقدّم وحزم الطلاب الذين يأتون من بلدان فقيرة على حسابهم الشخصيّ في الغالب، على طلاب البلدان الغنيّة الذي توفّر لهم بلدانهم كلّ الإمكانيّات اللّازمة للدراسة والعيش الرغيد؛ فطلاب البلدان الفقيرة يوزّعون اهتماماتهم وأوقاتهم بين الدرس الجادّ المثابر، والعمل في ساعات الفراغ لتوفير احتياجاتهم، وطلابنا الذين توفّرت لهم كلّ وسائل الدراسة يبتلي بعضهم بضعف الإرادة وعدم الجديّة، وكان عليهم أن يعوا: إن أمامهم فرصة

عظيمة عليهم استثمارها من أجل أنفسهم وأُسرهم ومجتمعهم ووطنهم، لكن المسألة تكمن في ضعف الجديّة وانعدام صفة الحزم.

وفي ميدان الأعمال الوظيفيّة منها والحرّة؛ نلاحظ الترهّل الوظيفيّ في كثير من مؤسّساتنا، وعدم الانضباط، والتسيّب في الالتزام بالوقت، وفي إنجاز المشاريع، وخاصة من قبل مسؤولي تلك المؤسسات والدوائر، إن الانضباط لا يتحقق ما لم يكن رأس الهرم في المؤسسة منضبطاً في دوامه، وفي حرصه على إنجاز مهامّه، وجرّاء هذا التسيّب نسمع عن عمليّات الاختلاس والإفلاس الذي تعانيّ منه هذه المؤسّسات.

من هنا ركّزت النصوص الدينيّة على تربيّة الإنسان على الجديّة والاهتمام، وألا يسيّر أموره بحالة مزاجيّة عبثيّة استرساليّة، فلا بد من تنمية هذه الصفات في نفسه، وفي مختلف المجالات.

الحزم في ثلاث مراحل

وعندما نراجع النصوص الدينيّة الواردة حول الحزم نجدها على طوائف ثلاث:

الطائفة الأولى:

تتحدّث عمّا قبل الإقدام على العمل، فيما يرتبط بالتفكير الجيّد في الأمر قبل الإقدام عليه؛ فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال: « الْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ»[1].

وإجالة الرأيّ تعني التفكير في مختلف أبعاد الموضوع، وعدم النظر إلى زاوية واحدة، وخيار واحد، بل التجوال والتنقل بالرأي للنظر في مختلف الجوانب والاحتمالات والخيارات.

وعنه عليه السلام: «الْحَزْمُ النَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ وَ مُشَاوَرَةُ ذَوِي الْعُقُولِ»[2].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٤٧٤.

(٢) المصدر نفسه. ص٤٧٥.

إن كثيراً من الناس تتعثر مشاريعهم بسبب عدم التفكير في العواقب، وعدم استشارة ذوي التجارب والخبرات.

وعنه ﷺ: «الْحَازِمُ لَا يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ»[1].

فلا بدّ من استشارة ذوي الرأي، خصوصاً ممّن يكون له علاقة في القرار، وشريك في التأثّر بالقرار.

وجاء عنه أيضاً: «الْحَزْمُ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ»[2].

حيث على الحازم أن يستفيد من تجاربه وتجارب الآخرين.

الطائفة الثانية

ونجد طائفة ثانية من النصوص تتحدّث عن آليّة القيام بالعمل؛ فحينما يقرّر الإنسان أن يبدأ مشروعاً، فلا بدّ أن يعي تماماً طريقة تنفيذه، من هنا وجّهتنا النصوص الدينيّة إلى الجديّة، وإلى عدم التهاون والتباطؤ في تنفيذ البرامج والقرارات، فالخالق عزّ اسمه يأمر نبيّه ﷺ قائلاً له: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩].

فلا حاجة بعد العزيمة والتفكير إلى التردّد في تنفيذ المشروع.

وقد سئل أمير المؤمنين ﷺ عن الحزم فقال: «أَنْ تَنْتَظِرَ فُرْصَتَكَ وَ تُعَاجِلَ مَا أَمْكَنَك»[3].

وعنه ﷺ: «مِنَ الْحَزْمِ الْعَزْمُ»[4].

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٥، ص١٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٤٤٤.

(٣) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، طبعة ١٣٧٩هـ (قم: مؤسسة النشر الإسلامي)، ص٤٠١.

(٤) الحسن بن علي بن شعبة الحراني. تحف العقول، الطبعة الخامسة١٣٩٤هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص٨٠.

وعنه عليه السلام: «مَنْ قَلَ حَزْمُهُ ضَعُفَ عَزْمُهُ»[١].

وعنه عليه السلام: «الْحَازِمُ لَا يُؤَخِّرُ عَمَلَ يَوْمِهِ إِلَى غَدِهِ»[٢].

الطائفة الثالثة:

أمّا الطائفة الثالثة من النصوص الدينيّة حول الحزم، فهي: التي ترفع من معنويات الإنسان أمام الصعوبات التي تواجهه في عمله ومشاريعه؛ فمن الواضح أن أغلب المشاريع الجادّة التي يقدم عليها الإنسان، ستترافق معها صعوبات وعقبات وصيحات من هنا وهناك، وحينها سيضطر الإنسان غير الحازم إلى التراجع فوراً، من هنا روي عن عليٍّ عليه السلام القول: «مَنْ لَمْ يُقَدِّمْهُ الْحَزْمُ أَخَّرَهُ الْعَجْزُ»[٣].

وعنه عليه السلام: «لَا يَدْهَشُ عِنْدَ الْبَلَاءِ الْحَازِمُ»[٤].

فالإنسان الحازم حينما يواجه عقبات لا يُدهش؛ لأنه يتوقّع ذلك، من أوّل خطوة يخطوها في مشروعه.

وعنه عليه السلام: «مِنْ أَفْضَلِ الْحَزْمِ الصَّبْرُ عَلَى النَّوَائِبِ»[٥].

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفّق الجميع للإقبال على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، وأن يتحلّوا بمكارم الأخلاق.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٤٧٤.

(٢) المصدر نفسه. ص٤٧٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه. ص٢٨٣.



الخطبة الأولى

بشائر التغيير الثقافي

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّروا ما بأنفُسِهِم﴾[سورة الرعد، الآية: ١١].

يتأثر واقع حياة الإنسان بالأفكار والمفاهيم والمشاعر التي يحملها؛ فإذا كانت أفكاره ومشاعره إيجابية؛ يَكون واقعه ـ نتيجة لذلك ـ أقرب إلى الإيجابية والتقدم؛ أما إذا كان يحمل أفكاراً سلبية، وتسيطر على نفسه مشاعر سيئة؛ فإنّ واقعه سيكون واقعاً سيئاً.

هذا بالنسبة للفرد، كذلك بالنسبة للمجتمع أيضاً، بل إنّ الآية الكريمة، للوهْلة الأولى، تتحدث في ظاهرها عن هذه السُّنَّة على صعيد المجتمع ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفُسِهِم﴾.

أيُّ مجتمعٍ يعيش واقعًا معيَّنًا، ويتطلع إلى تجاوزه وتغييره؛ عليه أن يعرف أن طريقه إلى ذلك هو تغيير الفكر والمشاعر النفسية أولاً؛ كي يستطيع أن يسلك طريق التقدم والخلاص من ذلك الواقع، فهذا ما يشهد به التاريخ وتشهده التجربة؛ فإنّ أي شعب لم يتحقق له تقدم، ولم يغادر واقعه المتأخر، إلا بعد أن مر بثورةٍ وصحوةٍ وتغييرٍ فكريٍّ ثقافي.

عرب الجزيرة وشعوب أوروبا

كان العرب في الجاهلية يعيشون واقعاً متخلفاً، فكيف تغيروا؟

لقد كان تغيرهم عبر رسالة الإسلام التي قَدَّمَتْ لهم فكراً جديداً؛ فغيرت نفوسهم بشكل يختلف عما كانوا عليه فيما قبل؛ بذلك تغير واقعهم الذي كانت الدعوة تجاهه في البدء هي الكلمة، وكل أنبياء الله العظام إنما أتوا للناس بالكلمة والهدي الإلهي، الذي يعني تصحيح أفكارهم وتطوير ثقافاتهم؛ ليتجاوزوا الثقافة التي صَنعت لهم واقع التخلف.

وكذا في أوروبا كانت حياة الأوروبيين متخلفة، وكانت الكنيسة تحكمهم، وكان القمع يسيطر عليهم، والإرهاب السياسي والفكري يذيقهم الأمَرَّيْن، فكيف تغير واقعهم بحيث انتقلوا إلى واقع التقدم الذي نعاينه اليوم وننبهر به؟ هذا الواقع الصناعي التكنولوجي العلمي السياسي المتطور، هو نتيجة «عصر التنوير أو عصر الأنوار أو عصر النهضة»، العصر الذي انبثق فيه من أوساطهم مفكرون علماء واجَهوا تلك الأفكار السلبية والثقافة المتخلفة، وحين استجابت الشعوب الأوروبية لأفكارهم التنويرية التقدمية؛ تطور واقعها وحققت هذا التقدم الهائل.

والتغيير الذي حصل في أوروبا، لم يحصل بين عشيةٍ وضحاها، وما تم بيسر وسهولة، بل استلزم عقوداً من الزمن، وفي بعض المجتمعات قروناً، وكانت هنالك تضحيات وآلام.

ألوفٌ من الناس قُتلوا؛ لأنهم بَشَّروا بهذه الأفكار التحررية، وأُحرِق ألوف، وسُجِّن الكثير، ونُبِذ من الناس مجاميع كبيرة، نُبِذوا اجتماعياً بين أقوامهم، لكن النتيجة كانت تَغيُّر واقع المجتمع تبعاً لتغير الأفكار والثقافة والمشاعر السائدة في تلك الأوساط.

ونحن الآن في أمتنا الإسلامية، وفي أوطاننا ومجتمعاتنا، حينما نشعر بسوء الواقع الذي نعيشه؛ فإنّ علينا أن نعرف بأن الطريق هو تغيير الثقافة والفكر أولاً، وليس انتظار

التغيير من الغيب.

نحن ندعو: اللهم غَيِّرْ سوءَ حالِنا بحُسن حالِك، لكن هذا الدعاء إذا لم يكن باعثاً ودافعاً للعمل؛ سنبقى ندعو آلاف السنين دون تغيُّرٍ وتغيير؛ فالله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيِّر القوم أولاً ما بأنفسهم.

ادعُ ما شئتَ، وليتصاعد صوتك؛ إذا لم يكن الدعاء باعثاً للتغيير فهو خداع وتضليل للنفس.

وكذلك انتظار الزمن فإنه شعار العاجزين.

بعض الناس يريدون أن يتغيروا، لكن مع الحفاظ على كل شيء؛ فأفكارنا يَلزم أن تبقى في قوالبها كما هي، وثقافتنا يجب أن تبقى كما هي، وطريقة التعامل كمجتمع وأمة لا بد أن تبقى كما هي، ثم نريد أن نتغير!

هذا لن يحقق التغيير، وهو خلاف ما يقوله الله سبحانه وتعالى، حيث يقول صراحةً ﴿حتى يغيِّروا ما بأنفُسِهِم﴾.

نظرة على واقعنا الوطني

نعيش في بلاد حباها الله تعالى بنعم كثيرة؛ شعبٌ متجانس، قوميًّا، ودينيًّا، عنده استقرارٌ سياسي، له ثرواتٌ روحية؛ كوجود الحرمين الشريفين مهبط الوحي والرسالة، وأيضاً ثرواتٌ مادية عظيمة.

هذه المقومات، وغيرُها، يمكن أن تَصنع من بلادنا أفضل بلاد، على صعيد التقدم العلمي والتكنولوجي والسياسي والاجتماعي، وفي مختلف المجالات الرائدة، لكننا نرى أن الواقع الذي نعيشه ليس في مستوى أدنى طموحاتنا وتطلعاتنا.

ما هو المعوِّق؟ ما الذي يصدّ بلادنا؟ ما الذي يقيد مجتمعنا عن أن يكون في وضع أحسن مما هو عليه؟

لا أحد يستطيع القول بأنّ هذا الشعب العريق يعيش في واقعٍ أحسن، وإنما هناك تطلع للإصلاح، للتطوير، للتغيير، إلا أنّ الكلام: كيف يكون التطّوير والتغيير، وما هو المعوِّق الحقيقي؟

يبدو أنّ مِن أبرز المعوقات: وجود أفكار سلبية، وثقافات غير قادرة على التحرك والإبداع، هذه الأفكار والثقافات المعوقة بعضها تفرضها العادات والأعراف الاجتماعية، والتمسك بالموروث الاجتماعي، وبعضها يبرزه فهم ديني خاطئ، متزمِّت، متشدد، يريد فرض رؤيته على الناس كافّة، وعلى كل البلاد! فهذا من أهم معوقات التقدم والتغيير؛ ولا يمكن أن يخطو مجتمعنا وبلدنا نحو التغيير الأفضل، إلا إذا كان هناك تجاوز لهذه العلل الشللية الفاتكة.

الله سبحانه وتعالى حينما يصف نبيه ﷺ ويصف رسالته يقول: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٥٧].

والإصر هو القيود والحالات النفسية والأفكار، والأغلال هي القيود الخارجية؛ فالنبي ﷺ والرسالة الإسلامية حَرَّرا الناس من القيود الخارجية، ومن الأفكار والمعوقات الذاتية الداخلية.

بحمده تعالى بدأنا نشعر في هذه الأيام بالتفاؤل؛ لوجود بداية للتغيير الفكري والثقافي، ونحن شعب متمسك بدينه وهويته كسائر المسلمين، بل وأكثر؛ بسبب وجودنا في هذا الأرض التي انبثق منها نورُ الإسلام؛ لذا لا داعي للمزايدة على الهوية الدينية، فالمهم هو كيف نفهم الإسلام ونفسر مفاهيمه وأحكامه؟

نحن نَعلم أن الإسلام ليس مشكلةً أبداً، بل على العكس؛ الإسلام هو الدافع للتقدم والحضارة كما نعتقد، وكما أَثبت الإسلام بنفسه في عصر بزوغه الذهبي، غايته أن المشكلة تكمن في سوء الفهم لمفاهيمه وتعاليمه، وسوء التطبيق لها، وإخضاع الدين لا الخضوع له؛ هذا هو المشكل الحقيقي.

إنّ من دوافع التفاؤل وبشائره: أنّ بلادنا بدأت السير في طريق التغيير عبر هذا الحراك الفكري الثقافي، الذي نجده الآن يعج به مجتمعنا السعودي.

في الماضي كان هناك فكر أُحادي يفرض نفسه، ولا يمكن لصوتٍ آخر وفكرٍ آخر أن يعلِن عن ذاته، ويعبِّر عن نفسه وطروحاته؛ لذلك بقي مجتمعنا يراوح مكانه؛ أما الآن بدأنا نجد مجالاً لإبداء الرأي الآخر والاستماع إليه.

مظاهر للحراك الفكري في البلاد

يمكننا ـ هنا ـ أن نتحدث عن ثلاثة مظاهر لهذا الحراك الفكري الثقافي في بلادنا، وهي كما يلي:

المَظهر الأول: التوجه النقدي.

في الماضي ما كان أحد يستطيع أن ينتقد شيئاً على الصعيد السياسي، ولا على الصعيد الديني، ولا على الصعيد الاجتماعي.

أيُّ نقدٍ يظهر كان يُنظر إليه نظرة ريبٍ وغرابة، ونظرة شك، وكان يُقمع مباشرة ولا يعطى مجالاً.

أما الآن فقد أصبحَتْ في بلادنا فسحة للنقد؛ فمثلاً في المنتديات الثقافية القائمة في مختلف أنحاء البلد، حينما تَقرأ عناوين مواضيعها، وتطلع على النقاشات التي تدور في المجالس والصروح الثقافية؛ تجد أن هناك نقداً ومناقشة للواقع، لا خضوع واستسلام له، ولا تقديس للخطأ.

في الماضي كان كل شخص يعلِن ويتحدث بأن كل شيء على ما يرام، لا من دافع القناعة والرضا؛ وإنما لأنه لا يستطيع أن يَنتقد ويعترض، بخلاف الحاضر؛ حيث هناك نقاش وطرح لمختلف الأمور؛ وهذه هي الخطوة الصحيحة على الطريق الفكري والثقافي، فالتطور والتقدم يحتاج لوجود أجواء نقد، وتسليط أضواء على مواقع الخلل، ومعالجتها. هذا مؤشرٌ جميل، يبعث على الأمل.

المَظهر الثاني: الانفتاح على الآخر.

مفاد هذا المظهر أو المؤشر، هو أنه في الماضي كان الانفتاح على الآخر متعذرًا في بلادنا، ومحظورٌ أن يكون هناك انفتاح على المستوى الاجتماعي والثقافي، وكان المجتمع عبارة عن وجودات منغلقة على نفسها، وأطراف متخندقة في عُزلتها، فلا انفتاح على الفكر والثقافات والتجارب الإنسانية القادمة من الخارج ـ باعتبار أنها ثقافات الكفار والدخلاء الأجانب؛ لا يصح لنا الاقتراب منها ـ، ولا انفتاح على المستوى الداخلي ضمن الوطن أيضاً؛ فالوطن فيه توجهات مذهبية وفكرية متنوعة مختلفة، لكن اتجاهًا معينًا فرض نفسه، فلا مجال للتعارف ولا للاطلاع على الآخر؛ أما الآن بدأنا نشهد تجاوزاً لهذه الحالة الرجعية المتأزمة.

والتجاوز بالطبع لا يحصل بالكامل بين عشيةٍ وضحاها، وإنما بخطوات تدريجية قد بدأت.

لقد أصبحنا اليوم نشهد مثلاً قيام معارض للكتاب، تدخل فيها مختلف أنواع الكتب العلمية والثقافية، مما لم يكن من الممكن دخوله في الماضي.

هذه الفسحة التي حصلت أمام الناس؛ بوجود معارض للكتاب فيها ألوان مختلفة من الكتب، هي مؤشر طيب وعقلاني.

وحتى في المجال الإعلامي، تجد قناة أو جهة شيعية تنفتح على جهة سلفية أو جهة سلفية تنفتح على جهة شيعية، فهذا يشير لوجود حالة من الطرح المتعدد، وإن لم نرضَ عن مستوى الحوار وطريقته، لكن هذا بحد ذاته شيء جديد، ففي الماضي ما كان هنالك وجود لهذا النوع من الطرح، وكذا تجد عالمًا سلفيًا يأتي إلى مجتمع شيعي ويتحدث في وسطه، ويَأخذ ويعطي ويتحاور، كل هذا لم يكن يحصل فيما مضى.

المَظهر الثالث: طرح الآراء الجديدة.

نرى الآن في صحافتنا آراء تخالف المألوف والسائد، في تفسير بعض القضايا

الدينية، وفي فهم بعض القضايا الاجتماعية، وفي العلاقة مع الأطراف المختلفة، وهذا أيضاً شيء جديد، لم يكن في الماضي، فقد أصبحت الدعوة إلى الحوار موجودة، فنفس شعار (الحوار) وعنوانه هو بحدّ ذاته أمر إيجابي.

المجتمعات لا تتغير فجأة، ولا تتغير بسرعة، لكنه بالمبادرات الجريئة، واستغلال التفاعل؛ يحصل التغيير بشكل أسرع، وتَستحكم الثقة في قلوب الناس، وهذا يساعد بشكل رئيس في تحقيق التطور المنشود.

وقد أَصدر أخيراً المركز الوطني للحوار مجلة باسم (الحوار)؛ مجلة فيها من أول عدد مقالات للتوجهات المختلفة، تجد فيها مقالاً لعالم شيعي، وكذا لعالم سلفي، وآخر لمن يصنف ليبراليًا. هذه خطوة إيجابية وقيمة ومتقدمة.

المطلوب تفاعل إيجابي

أولاً: أن ننفتح على هذا الحراك الثقافي.

البعض منا لا يزال يعيش ضمن قوقعته، لا يعرف ما يدور عند الطرف الآخر، يعيش ضمن مذهبه وجماعته، يقرأ للعالم الفلاني، ويسمع للخطيب الفلاني، ويقرأ الكتاب والمقال من الجانب الفلاني وكفى!

لا بد أن ننفتح وينفتح علماء الدين والخطباء وغيرهم من المثقفين وأهل الخير على الحراك الموجود، في مختلف أرجاء الوطن؛ كي يعرف الجميع ماذا يدور وماذا يجري، ومِن ثم يَتوسَّم التغييرات المستقبلية؛ فالنتاج الطيب بحاجة لمساهمة الجميع، لا أن تترقب النتائج الجميلة دون أن تقدم أو تساهِم في صناعتها!

إنّ النظرة التعميمية النمطية عن الشيعة، وكذلك النظرة التعميمية النمطية تجاه السلفية، كل هذا خطأ، ففي كل مجتمع هناك تنوعات في داخله، وكل فئة فيها وجهات نظر مختلفة، والتعميم لا إنصاف فيه للوجهات المتعددة في الجهة الواحدة، فلا نقْبله في حقنا ولا في حق غيرنا.

هناك صقور، وهناك حمائم؛ هناك معتدلون، وهناك متشددون؛ هناك آراء إيجابية، وآراء سلبية، فلا للنظرة النمطية التعميمية.

يَلزم علينا أن ننفتح على ما يدور في ساحة الوطن من حراك وفكر وثقافات.

ثانياً: أن نتفاءل مع هذا الحراك في ظل المساهمة، ومعالجة الهموم الوطنية العامة.

صحيح أننا كمجتمع لدينا بعض الهموم الخاصة، التي ترتبط بشعائرنا الدينية، أو بحقوقنا كمجتمع وطائفة، ومن حقنا أن نهتم بها، وأن نعطيها الأولوية، لكن لا يصح لنا أن ننعزل بها، وأن نجد أنفسنا غير معنيين بما يجري على صعيد الوطن والواجبات الدينية الأخرى. نحن جزء من الوطن، وحينما يكون هناك حراك فكري في مجالات ترتبط بالأوضاع العامة في بلادنا؛ فإن المطلوب منا أن ننخرط في هذا الحراك.

أما إذا كنتَ تنتمي لمذهب ومعتقد، وعندك ثقافةٌ وفكرٌ ومعرفة، وكنت تتحدث في حدود مشكلةٍ حسينية مثلاً، أو عزاءٍ أو مسجد، فماذا إذن عن القضايا العامة الأخرى والمشتركة؛ كحقوق الإنسان، والتنمية الاقتصادية، وإصلاح مناهج التعليم، وعلاج البطالة، وكالمواضيع المختلفة التي تطرح التشدد الديني والإرهاب وفقدان الأمن الاجتماعي، وغيرها من القضايا الساخنة؟

فهذه القضايا تطرح على الصعيد الوطني العام، وكل شريحة من شرائح المجتمع عليها أن تساهم وتساعد وتبذل الجهد في معالجتها، وتقدم خبراتها ومعارفها؛ للإعانة على التقدم، وتعزيز التوجهات الإيجابية.

ثالثاً: أن نواكِب هذا الحراك الفكري بحراكٍ داخليٍّ مقابِل.

لا يصح لنا أن نَعتبر أن كل ما عندنا كامل وتام، لا يحتاج للتدبر، ولا يمكن مناقشته، هذا خطأ، فنحن جزء من واقع التخلف، وكلنا شركاء في صنعه، كل جهة تساهم فيه بمقدار، وإن كانت قد تتفاوت المقادير والمساحات، فنحن كغيرنا مطالبون بأن يكون عندنا حراك فكري ثقافي ضمن هذا التوجهات والمظاهر التي سبق ذكرها.

الإنسان في مواجهة المشاكل والتحديات

قال تعالى: ﴿هُوَ الذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[سورة الفتح، الاية:٤]

الثقة والقدرة على المواجهة:

تواجه الإنسان في حياته الكثير من العقبات والمشاكل، وبعض التحديات الكبرى، وأهم ما يحتاجه الإنسان ضمن ظروف المشكلة، تعزيز الثقة بالنفس، واستحضار ما يمتلك من قدرات، من أجل مواجهة المشكلة، فالثقة هي الخطوة الأولى لتجاوز أي عقبة، واهمال الإنسان لقدراته، أو انعدام هذه الثقة في نفسه، تمثل سبباً مباشراً للشعور بالعجز، ومن ثم الإحباط والاضطراب، وصولاً إلى الانهيار النفسي التام، وهي الحالة التي يصطلح عليها علماء النفس (بالأزمة النفسية) وهو شعور يصيب الإنسان عندما يقف عاجزاً مستسلماً أمام المشكلة.

الخيارات القاتلة

فالأزمة النفسية، وهيمنة شعور الانكسار، قد تكون عاملاً مؤثراً سلبيًا على مجمل الحياة، فعندما تسودّ الدنيا في عين الإنسان، وينعدم الأمل في قلبه، لا تبقى أمامه إلا

الخيارات السيئة، التي تبدأ بالاستسلام للمشكلة، والخضوع لآثارها، ولا تتوقف عند هذا الحد، برغم كون العجز وحده شعوراً قاتلاً للشخصية، وإنما يضاف إلى ذلك كل المضاعفات التي تترتب على بقاء المشكلة.

أما خيار الهروب والتغافل عن المشكلة، كما نجده عند البعض، مثل اللجوء للمخدرات، أو حالات اللهو والعبث، فهو الآخر يمثل خياراً سيئاً لمواجهة المشاكل، إن البعض من الشباب عند فشلهم في مواجهة مشاكلهم الدراسية أو الاقتصادية أو العائلية والعاطفية، يلجؤون إلى هذه الخيارات القاتلة، بصنع واقع مصطنع من المخدرات واللهو، ومن ثم الهروب إليه، بدلاً من مواجهة المشكلة، مما يفتح الباب أمام مشاكل جديدة تتجاوز الحالة الفردية، لتعم كل المجتمع.

أما الخيار الثالث فهو لجوء البعض من أصحاب النفسية المتأزمة إلى الانتقام من الذات، وتعذيب النفس، وقد يقدم بعضهم على الانتحار، عندما تصل الأزمة إلى درجة عالية من الاكتئاب، وذكرت بعض الدراسات وقوع حالة انتحار جديدة كل أربعين ثانية في العالم.

المواجهة الحكيمة

هذه الخيارات هي مواقف سلبية قبال ما يواجه الإنسان من مشاكل وعقبات، أما الخيار الصحيح فهو المواجهة الحكيمة للازمة وللمشكلة، فالإنسان في كل عصر وزمان مبتلى بكثير من المشاكل والأزمات، فطبيعة الإنسان وطبيعة الحياة في هذه الدنيا تفرض على الأنسان هذه التحديات، وبالتالي لا يمكن أن نتصور برهة من الزمن استراح فيها الإنسان من هذه المشكلات، كما أن الإنسان بدوره لم يستسلم لها بل عمل جاهداً بما عنده من مقدرات على تذليلها، وبذلك سجل نجاحات باهرة في حل كثير من المشاكل التي كانت عقبات كبيرة في الأزمنة الماضية، ومن هنا نجد ما كان مشكلة كبيرة في الماضي أصبح أمراً يسيراً اليوم، كبعض الأمراض التي كانت خطيرة

وأصبحت اليوم يسيرة. وهكذا تجاوز الإنسان بعض مشاكل الطبيعة والبيئية، بما حققه من تقدم علمي، إلا أن نفس هذا التقدم فرض مشكلات جديدة من نوع آخر، فالتطور الذي حدث في التركيبة الاجتماعية، والتحول الكبير الذي نقل المجتمعات إلى مرحلة المدنية المنفتحة، بعد أن كانت تعيش الأطر التقليدية المحافظة، وما صاحب ذلك من تغير في أنماط الحياة، خلق أزمات ومشكلات أخرى، كنتيجة طبيعية ترافق عملية التحول، فبرزت للسطح مشكلات جديدة تتناسب مع واقع الحياة في هذا العصر، على المستوى الفردي والاسري والاجتماعي ...

الثقة والأمل مفتاح الحلول

وما نعانيه اليوم من أزمات في مجتمعنا هو نتاج طبيعي لما تشهده المنطقة من تحول وانتقال، من مجتمع تقليدي محافظ إلى مجتمع يعيش هذا الانفتاح في عصر العولمة، الامر الذي يقودنا أولاً: إلى التأكيد على ثقة الإنسان بقدراته الذاتية، بوصفه المخرج الوحيد لمواجهة هذه الأزمات، فحالة الوعي بحجم المشكلة، والوعي بواقع الذات، وما تمتلكه من قدرات هو الذي يحقق ذلك التوازان على صعيد الفرد والمجتمع، يقول أحد علماء الطبيعة: (إن الإنسان يستطيع أن يعيش أربعين يومًا بدون طعام، وثلاثة أيام بدون ماء، وثمان دقائق بدون هواء، ولكنه لا يستطيع أن يعيش ثانيةً واحدة بدون أمل)، وقد نجد شواهد كثيرة على صدق هذه المقولة؛ لأن الامل هو الذي يعطي معنىً للحياة، وكما قيل: (ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل) والذي يحقق تلك الثقة، ويوفر ذلك الأمل، هو الإيمان برحمة الله ولطفه، فالإنسان الذي يستمد عونه من الله، لا تعجزه المشاكل، ولا تحبطه الصعوبات؛ لأن الله بحكمته قدر الأمور وأمضاها، وأمتحن الإنسان بالصعوبات لأنها الطريقة التي تتجلى فيها قدرات الإنسان..

بالعقل والإرادة يتحقق النجاح

ثانيًا: الإنسان بوصفه عاقلاً مريداً قادر على تجاوز أي مشكلة؛ وذلك بالاستفادة من العقل، بالتفكير الموضوعي في المشكلة، وتحديدها، ومعرفة مسبباتها، والوسائل التي تساعد في حلها، فإن كثيرًا من المشاكل يتعسر حلها لعدم وجود تصور حقيقي لها، كما أن الإنسان بما يمتلك من إرادة قادر على الثبات والجلد والصبر في مواجهة ضغوطات المشكلة، فالإرادة المتزعزعة تؤدي إلى زعزعة الثقة بالنفس، والثقة بالعقل، مما يجعل كل فرص الحل مستحيلة.

والأمر الذي يعمل على تحفيز العقل والإرادة عند الإنسان هو شعوره الدائم بكون الحياة مليئة بالمشاكل، وأن صراع الإنسان معها قدر محتوم، وبالتالي يتعامل معها كحالة طبيعية تلاحق الناس جميعاً، وليس بوصفه استثناءً عن الآخرين.

فأول ما يجب أن يفكر فيه الإنسان هو كونه ليس أول ولا آخر من تصيبه مشكلة، أو تواجهه أزمة، ولا سبيل إلا مواجهتها بثقة واقتدار، كما أن التفكير في مشاكل الآخرين كثيراً ما يهوّن المشكلة في نظر صاحبها، عندما يجدها صغيرة وهينة في قبال مشاكل الآخرين، فالمشاكل والعقبات تتسم دائماً بطابع النسبية، فمهما كانت المشكلة، ومهما تعقّدت، إلا أن هناك من المشاكل ما هو أعقد منها، وذلك يعزّز روح التحدي لدى الإنسان، عندما يستصغر مشاكله ويتعالى عليها بإرادته، حينها تشرق الروح بالأمل، وهي الحالة المطلوبة لتجاوز كل الأزمات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

والسكينة قد تكون تعبيراً عن الطمأنينة والثقة؛ لأننا نجد كل مواردها في القرآن تتنزل على الرسول والمؤمنين في أوقات الشدائد والمحن، ومن هنا جاز للإنسان المؤمن استنزال السكينة بإيمانه ولجوئه إلى الله، والاعتماد عليه، في مواجهة التحديات، كما أن الإنسان بصبره وثباته أمام الشدائد يزداد إيماناً، بعكس الجزع

واليأس، الذي يؤدي إلى ضعف الإيمان ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ فالله وحده بيده مقاليد الأمور ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فليس هناك مشاكل تستحق أن نخسر من أجلها الحياة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾، ويقول الشاعر:

ربَّ أمرٍ ضاقت النفس به   جاءها من قبل الله فرج

ولا يفوتنا التأكيد على أهمية التعاون والتصدي الجمعي، وخاصة أمام المشكلات التي تشكل تهديدا اجتماعياً عاماً، كأن يكون هناك مراكز لتقديم التوصيات التي تناسب كل مشكلة، كما هو الحال في المجتمعات المتقدمة، فمجتمعاتنا اليوم في أمس الحاجة لمثل هذه المراكز، وهي تعيش مرحلة التحول، الذي فرض عليها مشاكل كثيرة متعددة، مما يستوجب توفير المؤسسات التي تقدم الاستشارات النفسية، وفن مواجهة المشكلات الحياتية، مضافاً إلى تعزيز ثقافة التفاؤل والأمل، بدل ثقافة الإحباط والتشاؤم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.



الخطبة الأولى

صمت ضحايا الإجرام

﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾
[سورة النساء، الآية:١٤٨]

إن النظرة الموضوعية لواقع الإنسان وما يمكن أن تتصف به شخصيته، تقودنا إلي رسم توازن بين الغريزة والعقل، النقص والكمال، الخير والشر، الحب والبغض، وهكذا كل الثنائيات التي تتعاكس فيها القيم وتتقابل، فلا وجود للعقل المجرد في واقع الإنسان، كما أنه ليس أسيراً بالمطلق للغرائزية المحضة، فما نعرفه هو هذا الإنسان بما فيه من تركيب وتعقيد، وهذا الوصف لواقع الإنسان وحقيقته ضروري لتأسيس أي خطاب ثقافي، يراد له التفاعل مع مشاكل الإنسان وتحدياته، من هنا نكتشف القصور في بعض الفلسفات التي انطلقت في تقيمها للإنسان من بعد واحد وأهملت البعد الآخر.

فبالقدر الذي يمتلك الإنسان فيه غرائز تدفعه إلى الشر والعدوان، نجد أنه يمتلك عقلًا هاديًا يميل به نحو الخير والصلاح، ولتحقيق التوازن بين هذين الاتجاهين جاءت الشرائع، لتحفّز جانب الخير في الإنسان، ورسمت القوانين والعقوبات التي تردع النفس إذا تمردت.

وانطلاقاً من هذا الفهم نحاول أن نقدم معالجات لبعض الظواهر السلبية التي تعاني منها المجتمعات، ونشير هنا إلى ظاهرة الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين،

التي لا يكاد يخلو منها مجتمع، فعندما تهيمن على الإنسان الغرائز والشهوات تدفعه إلى تجاوز حقوق الآخرين، والاعتداء عليهم، فالأهواء والأنانيات هي المسؤولة عن تفشي هذه الظاهرة التي تسبب الأذى للمجتمع، من هنا فإن مسؤولية التصدي لها تقع على الجميع، ولكن كيف يمكن للمجتمع أن يواجه هذه الحالة؟.

مساران لمواجهة العدوان

هناك مساران لتحقيق ذلك:

المسار الأول: يرتكز على تحفيز جانب الخير في الإنسان، وتهيئة النفس لاكتشاف ما فيها من جوانب مشرقة، وذلك بالتربية الروحية والأخلاقية، وصنع الأجواء الإيجابية في المجتمع، وإثارة الضمير والوجدان في نفوس الناس، وبث الوعي في أوساطهم، من أجل إعادة الإنسان لضميره وعقله وفطرته ووجدانه، واستثمار الجوانب الإيجابية فيه، والنفس إذا تركت من غير تزكية مما يحق بها من ركام الشهوات والأهواء لا يمكن أن تكبح جوامح الشر فيها، من هنا فإن الإنسان في حاجة دائمة إلى التذكير بهذا الخير المدفون في ضميره، هذا التوجيه الروحي له أثر كبير في ردع الظلم والعدوان في أوساط المجتمع، عبر الوقاية والتحصين، وما يؤسف له حقاً أننا نرى في وسط المجتمع الإنساني المعاصر مزيدًا من الدفع والتحريض للشهوات والأهواء والمصالح المادية والمكاسب الآنية، ولا نرى في قبال ذلك ما يوازيه من توجيه تربوي روحي.

المسار الثاني: وجود قوانين رادعة لكل النفوس التي تستمرأ الظلم والعدوان، فبقدر اعتمادنا على الجانب المشرق في الإنسان، يجب ألا نهمل الجانب المظلم في أعماقه، وبالتالي لا بدّ من وجود رادع خارجي

من عقوبات وتشريعات، فليس كل المواعظ والتوجيهات تجد لها أذنًا واعية، فهناك من تبقى نفسه تسوّل له الظلم والعدوان على الآخرين وهنا لا بدّ من روادع خارجية.

جهر المظلوم بمظلوميته:

الخطوة الأولى لمواجهة هذه الظاهرة هو إصرار المظلوم على إظهار مظلمته والإعلان عنها، فإن الظالم يتمادى في ظلمه عندما يسكت ويستسلم المظلوم، فالصمت حالة سلبية، تساهم بشكل مباشر في تفشي ظاهرة الاعتداء، من هنا يحب الله تعالى للمظلوم أن يجهر بظلامته قال تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾[سورة النساء، الآية: ١٤٨]، والاستثناء هنا يكشف عن أهمية الجهر بالظلامة والاعلان عنها.

ففي هذا العصر الذي ازدادت فيه حالات الظلم والعدوان، بسبب ما تبثه وسائل الإعلام من تحريض للغرائز والشهوات، ومن برامج هابطة، وإعلام موجه يخاطب شهوات الإنسان وأنانياته، فتفشت حالات غريبة من المظالم غير المعهودة في مجتمعاتنا المحافظة، من تحرش جنسي بالأطفال، وحالات اختطاف للنساء، وانتهاك للأعراض، ناهيك عن المظالم الأسرية بشتى أنواعها من عنف وتفكك أسري، وأكثر هذه الاعتداءات تحدث تحت ظل التكتم والتستر، خوفاً من الفضيحة، مما يشجع على انتشار الظاهرة، وتمادي العناصر السلبية في المجتمع.

لا نحاول هنا إعطاء وصفة سحرية تقضي على ظاهرة الظلم في المجتمعات، وهو أمر مستحيل طالما كانت هناك نفوس شريرة نشأت على العدوان، كل ما نريد التأكيد عليه هو ضرورة صنع مجتمعات تتصف بالحيوية الفاعلة، لتشكل لنفسها مناعة داخلية، تمنع استمرار الظلم وانتشاره، ويتم ذلك بخلق أجواء إيجابية، وتحصين المجتمع بثقافة تحفز الجوانب المشرقة فيه، مضافاً لكل ذلك لا بدّ من وجود قوة

رادعة تمنع من الاعتداء، والتمادي في الظلم.

ومن الشواهد التي يمكن ذكرها في هذا المقام، والتي تكشف عن أهمية الجهر بالظلامة وعدم السكوت عنها، هو الضجة التي حصلت أخيرًا في أمريكا ودول غربية أخرى، حول فضائح التحرش الجنسي بالأطفال في بعض الكنائس، من قبل بعض القساوسة، فعدم سكوت الأهالي وتصعيدهم الأمر حولها إلى قضية رأي عالمي، حيث رفعت الدعاوي إلى المحاكم في أمريكا ومالطا وأستراليا، حتى اضطر البابا أخيرًا للاعتراف والاعتذار، وبذلك تحققت العدالة بالاقتصاص من المعتدين، ودفعت التعويضات للضحايا.

علينا نحن أيضاً أن نعطي لأطفالنا الثقة بأن يتحدثوا بما يجري لهم، بدل الانطواء على الذات، والعيش في حالة من الخوف الرعب، فالتكتم على المظالم بسبب بعض الثقافات السلبية، كثقافة الخوف من الفضيحة، هي السبب المباشر في التمادي والاستمرار لهذه الظواهر، صحيح أن الستر وعدم إشاعة الفاحشة يعتبر ثقافة إسلامية أصيلة، إلا أن هناك استثناءً واحداً وهو «من وقع عليه الظلم» فيجوّز الله له الإعلان والبوح بما وقع عليه من مظالم، كما يقول تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾.

إذا لم يتأصل هذا الشعور في المجتمع، سيبقى يعاني كثيرًا من تصاعد حالات الجريمة، لذلك نحن بحاجة إلى مؤسسات اجتماعية ترصد مثل هذه الظواهر، وتقدم الاستشارات، وتتبنى الدفاع عن حقوق الناس، فالكثير منهم لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم، يُعتدى عليهم ولا يجدون غير التستر على ما وقع عليهم، ولذلك تزداد الحاجة إلى مؤسسات كما هو الحال في كل أنحاء العالم، حيث نجد المؤسسات القانونية، واللجان الاستشارية، ومنظمات حقوق الإنسان.

اللجوء إلى الله لاستلهام الطمأنينة والأمل

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[سورة النحل، الآية:٥٣]

من تافه القول وسخافة التقدير أن يدعي الإنسان القدرة على الإحاطة بنعم الله تعالى عليه، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ فالإنسان مفتقر في أصل وجوده إلى الله تعالى، وكلما استشعر الإنسان فقره واضطراره استعظم نعم الله عليه، فأول النعم وأعظمها نعمة الوجود، ومن المعلوم بالضرورة أن الإنسان لا يمتلك بذاته إمكانية الوجود، وإنما هو حالة طارئة على الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً مذكورا كما يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْأِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[سورة الانسان، الآية:١].

وإذا كان الإنسان في أصل وجوده محتاج إلى الله، كذلك الحال في ما عنده من كمالات وجودية من عقل وعلم وسمع وشعور وغيرها.

وبرغم وضوح هذه الحقيقة إلا أن الإنسان قد يغفل عن النعم التي يعيش فيها، وتعتريه حالة من الجحود والإنكار، مع كونه لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة، فالشعور بالنعم يبدأ بالاعتراف بها، وتحسسها وتلمسها، ومن ثم التفاعل معها، وشكر منعمها.

تنبيهات إلهية

وقد أجرى الله الكثير من الآيات التي تنبه الإنسان إلى واقع فقره وحاجته، فزوال

النعم ما هي إلا منبه لكونه غير مالك بالذات لهذه النعم، وإنما المالك والقادر عليها هو الله المتفضل على الإنسان بها ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لذلك نجد أن الآداب الشرعية توجه الانسان إلى هذه الحقيقة حتى لا يغفل عنها، فتأمره بالشكر والحمد، عند الأكل والشرب، وعند النوم واليقظة، وعند كل حركة، مما يجعل الإنسان في حالة تذكر دائم بنعم الله.

ومن الأساليب التي تنبه الإنسان من الغفلة، الصدمات التي تصيبه، فهي كإنذار من قبل الله تعالى لتنبيه الغافلين، فما يصيب الإنسان من مرض، أو فقد عزيز، أو خسارة مالية، أو مشكلة اجتماعية، وغيرها، كلها تحمل إشارات تلفت الإنسان إلى ربه وتذكره بنعمه، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ والجأر في اللغة هو تعبير عن الآهات التي تصدر من الألم بلا اختيار من الإنسان، فحينما تصيب الإنسان صدمة أو مشكلة، وخاصة إذا كانت شديدة يصعب عليه مواجهتها، حينها يجد الإنسان في عمق شعوره ووجدانه مدى الحاجة إلى ربه فيجأر إليه.

إن الإحساس بالفقر وتلمس الحاجة في نفس الإنسان، هي شعور حقيقي يعبر عن طبيعة الإنسان المعلقة بإرادة الله، وهذه الصرخة التي يطلقها الضمير عند الصعاب، وهذا الاندفاع والتوجه إلى الله عند المحن، يجب أن تكون حالة أصيلة، وشعورًا مستمرًا عند المؤمن، وقد أكدت نصوص الشرع على ضرورة التوجه إلى الله دائماً وأبداً، وليس عند نزول البلايا فقط، أما الإنسان الذي استحكم فيه حب الدنيا والانشداد إليها، فهو بحاجة إلى استثمار هذه المصاعب للتقرب إلى الله، حتى يستلهم منه المعنويات، ويحقق في نفسه روح الثبات والصمود عند الشدائد.

القرب من الله منبع الطمأنينة والصمود

فكلما ازداد الإنسان معرفة بالله وقربًا منه، ازداد بصيرة في الحياة، وإصرارًا على التحدي والعمل، لهذا فإن الدعاء والمناجاة ليست مجرد ألفاظ تجري على اللسان،

وإنما هي بواعث للتفكير، ومبادي لإعادة صياغة النفس ضد اليأس والإحباط، وحينها تتحول الصعاب عنده إلى فرص حقيقة تعرفه بالله وتقربه إليه، ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «.. وذكر الله على كل حال، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عز وجل عنده وتركه»[١].

وهنا نذكر بعض الروايات التي تحث على اللجوء إلى الله تعالى وخاصة عند الشدائد والمحن، لكي نزداد ثقة وأملاً في الله سبحانه وتعالى، ورد عن الإمام محمد الباقر صلوات الله وسلامه عليه وهو يحدّث أبا حمزة: «يا أبا حمزة! مالك إذا أتى بك أمر تخافه أن لا تتوجه إلى بعض زوايا بيتك يعنى القبلة، فتصلى ركعتين، ثم تقول: يا أبصر الناظرين، ويا أسمع السامعين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، سبعين مرة، كلما دعوت بهذه الكلمات سئلت حاجتك»[٢].

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «إذا خفت أمرًا فقل: اللهم إنك لا يكفي منك أحد وأنت تكفي من كل أحد من خلقك فاكفني كذا وكذا»[٣].

عن أبن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام قال: لابنه يا بني، من أصابه منكم مصيبة، أو نزلت به نازلة، فليتوضأ، وليسبغ الوضوء، ثم يصلي ركعتين أو أربع ركعات، ثم يقول في آخرهن: «يا موضع كل شكوى، ويا سامع كل نجوى، وشاهد كل ملأ، وعالم كل خفية، ويا دافع ما يشاء من بلية، ويا خليل إبراهيم، ويا نجي موسى، ويا مصطفي محمد ﷺ، أدعوك دعاء من اشتدت فاقته، وقلت حيلته، وضعفت قوته، دعاء الغريق الغريب المضطر الذي لا يجد لكشف ما هو فيه إلا أنت يا أرحم الراحمين»

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. ج٧، ص٤١٢.
(٢) جامع أحاديث الشيعة. ج ٧، ص ٢٦٩.
(٣) الكافي. ج٢، ص٥٥٧.

فإنه لا يدعو به أحد إلا كشف الله عنه إن شاء الله»[1].

وغيرها من الأدعية والروايات التي تكرّس الثقة بالله واللجوء إليه، ومن روائع الأدعية، الدعاء السابع في الصحيفة السجادية، الذي ينبغي لكل مؤمن أن يداوم على قراءته، ومطلعه «يا مَنْ تُحَلُّ بِهِ عُقَدُ المَكارِهِ، وَيا مَنْ يُفْثَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدآئِدِ، وَيا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ المخْرَجُ إلى رَوْحِ الفَرَجِ». ومن خلال هذه الأدعية يستطيع الإنسان أن يعزز في نفسه الأمل والاطمئنان والثبات في مواجهة مشاكل الحياة.

(١) الكافي. ج٢، ص٥٦٠.

الخطبة الأولى

دور المرأة بين التهميش والابتذال الأخلاقي

ورد عن جميع بن عمير التميمي قال: دخلت مع عمتي على أم المؤمنين عائشة فسألت أي الناس احب إلى رسول الله ﷺ قالت: فاطمة، فقيل من الرجال، قالت: زوجها علي[1].

وعن ابن بريدة قال: جاء رجل إلى أبي فسأله أيُّ الناس كان أحب الى رسول الله ﷺ قال: من النساء فاطمة ومن الرجال علي[2].

عندما تمر علينا ذكرى ولادة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، ونستذكر بعض ما جاء في فضلها على لسان الوحي من مناقب وكرامات، إنما نحقق بذلك الولاء لرسول الله ﷺ، وذلك بإظهار المحبة لهذه الصديقة الطاهرة التي كانت موضع حب واحترام المصطفى ﷺ، والعلاقة التي تربط بين الزهراء عليها السلام وأبيها ليس مجرد علاقة عاطفية نابعة من علقة الأبوة والبنوة، وإنما هي تعبير عن الرسالة بكل ما تحمل من معانٍ ومضامين، فإذا كانت حقيقة الإسلام هي قيم سامية ومبادئ عالية، فإن الزهراء عليها السلام تجسيد رائع ونموذج باهر لكل هذه القيم والمبادئ، من هنا نتفهم هذا الكم من الأحاديث المتواترة في حق الزهراء عليها السلام، ونستوعب كل هذه الاوصاف، ونصدق بكل هذه المعاني، التي

---

(١) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. المستدرك على الصحيحين. ج٣، الطبعة الأولى١٤١١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص١٥٧.

(٢) محمد بن عيسى الترمذي. سنن الترمذي، ج٥، الطبعة الأولى١٤٢١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص١٤٠، حديث ٨٤٩٨.

خص بها رسول الله ﷺ ابنته الزهراء ؑ.

إن الحديثين وشواهدهما كثيرة فيما ورد عن رسول الله ﷺ، تؤكد المكانة الخاصة لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليها)، في قلب أبيها، ولا شك أننا كمسلمين نتأسى برسول الله ﷺ، نجد أنفسنا مندفعين نحو حب من أحبه رسول الله، ولتعظيم من عظّمه رسول الله ﷺ فإذا كانت فاطمة هي الأحب إلى قلب رسول الله، فينبغي أن تكون هي الأحب إلى قلب كل مسلم ومسلمة، لذلك نحتفي بذكرى ميلاد هذه السيدة العظيمة التي وصفها رسول الله ﷺ بقوله: «فاطمةُ بِضْعَةٌ مِنِّي»[١] وربط بين عواطفه وعواطفها، ومشاعره ومشاعرها، بل ربط بين كل ذلك وبين رضا الله وسخطه حيث قال: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها»[٢]، وفي حديث آخر: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[٣].

هذه المرأة العظيمة التي أجمعت الأمة على عظمتها، ما أحوجنا اليوم للاستنارة بهديها، والاقتداء بسيرتها، فلا نكتفي بمجرد الاحتفال بذكرى ولادتها، وترديد فضائلها فحسب، وإنما يتوجب على الأمة فهم الإسلام من خلال سيرتها العطرة، والتقرب إلى الله بالاقتداء بسيرتها؛ لأنها الانموذج الذي أراده الله سبحانه وتعالى لنساء البشر، والصورة التي يجب أن تكون عليها نساء المسلمين.

بين الاهتمام العائلي والدور الرسالي:

لو قرأنا حياة الزهراء لوجدنا أنها وفّقت بين حياتها الخاصة، وبين مسؤولياتها العامة، ففي مجال الحياة الخاصة كانت أفضل بنت لأبيها، حتى أطلق رسول الله ﷺ تلك المقولة (فاطمة أم أبيها)، كما كانت أفضل زوجة لزوجها، وأفضل أم لأبنائها، وهذه الأوصاف تختصر لنا كل ما حققته من نجاح على مستوى الحياة الخاصة، بكل

(١) مستدرك الوسائل، ج ١٤، ص ٢٨٩. وأيضًا صحيح البخاري، حديث ٣٧١٤.
(٢) بحار الأنوار. ج ٢٩، ص ١٥٧. صحيح مسلم. ص١٣٢٩، حديث ٢٤٤٩.
(٣) مجمع الزوائد: ج٩، ص ٢٠٣.

ما تحمله الحياة الفاضلة، من أخلاق نبيلة، وعبادة خالصة، وزهد وترفع عن ملذات الدنيا، من جانب آخر نجدها وبكل قوة وصلابة تتحمل مسؤولياتها العامة، فقد وقفت بجانب رسول الله ﷺ وهو يواجه العناء والأذى في سبيل الدعوة، فكانت تخرج معه على صغر سنها، وتميط الأذى الذي كان المشركون يضعونه على ظهره وعلى رأسه وهو في سجوده، فكانت قريبة منه، تتحمل معه الأذى، وتداريه كما تداري الأم ولدها، لذا قال رسول الله ﷺ في حقها: «فاطمة أم أبيها»[1].

وكانت تكتب ما يمليه عليها أبوها مما ينزل به الوحي، حتى كونت كتابًا خاصًا أطلق عليه (مصحف فاطمة) الذي كان فيه من المعارف النبوية الرفيعة، التي خصّ بها رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو ليس قرآنًا كما يتبادر إلى أذهان البعض، ويثيرون حوله الشبهات، كما كانت سلام الله عليها تحضر في المسجد، وتسمع خطب أبيها، وتشارك في صلاة الجماعة، وقد فتحت قلبها ودارها لاستقبال النساء الباحثات عن العلم والمعرفة، فكانت تجيب عن أسئلتهن، وتقدم لهن معارف الوحي والرسالة، ولم تقف مساهماتها عند هذا الحد في عهد رسول الله ﷺ، بل خرجت خلف رسول الله ﷺ إلى غزوة أحد، مع بعض نساء المهاجرين والأنصار، ممن كان لهن دور في مداواة الجرحى وفي رفع معنويات المسلمين المقاتلين.

وبعد وفاة أبيها رسول الله ﷺ ومع ما ألمّ بها من ألم وحزن وفجيعة، إلا أنها تحملت مسؤولياتها في الدفاع عمّا تعتقد أنه الحق، من مكانة بعلها علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)، كما أنها دافعت عن حقها الخاص في مضمونه العام، حينما احتجت على مصادرة فدك، ووقفت بكل عزة وقوة أمام الخليفة وجموع المهاجرين والأنصار، وخطبت تلك الخطبة المشهورة في مسجد رسول الله ﷺ، وبينت فيها فلسفة الإسلام، وحِكمة الرسالة، ومكانة زوجها علي عليه السلام، ومكانتها من رسول الله ﷺ، وتحدثت عن مظلوميتها حتى أبكت الجميع، وقد أصبحت هذه

(١) علي بن أبي الكرم محمد (ابن الأثير). أسد الغابة في معرفة الصحابة. ج ٧، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٢٢٠.

الخطبة من مآثر الرسالة، لما احتوته من مضامين عالية، وحِكم رفيعة.

رسالة لكل امرأة

إنها بهذه السيرة العطرة توجه رسالة لكل امرأة في المجتمعات البشرية، بأن المرأة ومع أهمية الدور التي تقوم به كربة بيت، ومربية لأبنائها، فإن عليها أيضًا مسؤولية المشاركة في الشأن العام للأمة والمجتمع، وإذا رأينا من يتحفظ على دور المرأة ومشاركتها في الشأن العام، منطلقاً من تصور محدود، يرى فيه البيت هو المكان الوحيد الذي يجب أن تنحصر فيه اهتمامات المرأة، فإن مثل هذا الرأي لا يبدو منسجماً مع ما نفهمه من تعاليم الدين، ومن سيرة الرسول ﷺ والسلف الصالح من هذه الأمة، حيث إن المرأة آنذاك كانت لها مسؤوليات عامة، حيث كان يؤخذ منها البيعة كما يؤخذ من الرجال بنص القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ وكانت تشارك المسلمين في الغزوات والمعارك في أنحاء مختلفة، وكانت تقوم بالإصلاح الاجتماعي مما نص عليه القرآن الكريم أيضًا ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[سورة التوبة: الآية٧١] هذا التهميش للمرأة، ومحاولة إقصائها، والحظر عليها من المشاركات العامة، السياسية والاجتماعية، إنما هو من رواسب الجاهلية، ومن آثار عصور التخلف، وسوء الفهم لتعاليم الإسلام وشرائعه، وسيرة الزهراء عليها السلام تؤكد ما للمرأة من دور في الشأن العام.

مشاركة المرأة والابتذال الأخلاقي:

والمشكلة التي تواجهها البشرية اليوم، هو ما تروجه الحضارة المادية، من محاولة الربط بين مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية وبين الابتذال الأخلاقي، وعدم مراعاة الحشمة والعفاف، هذا الخلط المتعمد بين الأمرين، كان سببًا لتعقّد الإنسان المسلم من مشاركة المرأة في الحياة العامة، كأنما الابتذال من موجبات المشاركة الاجتماعية، ونحن إذ نفرق بين الأمرين، نعتقد بضرورة المشاركة مع ضرورة العفة

والطهارة، وندين واقع الحضارة المادية التي جعلت المرأة سلعة مبتذلة، لا تراعى حتى ضرورات الحياء والخجل، فتجاوز الحدود الفاصلة بين المرأة والرجل، والتنكر لواقع الغريزة المشتركة بينهما، هو في واقع الأمر تجاوز لطبيعة الإنسان، مما يسبب أخطاراً كبرى تهدد الحياة الاجتماعية برمتها، وهذا من أسوأ أخطاء الحضارة المادية الغربية.

هناك من يتاجر بتحريض الشهوات والأهواء، حتى أصبحت المرأة سلعة يُتاجر بمفاتنها وأنوثتها، وفي الوقت الذي ندين فيه هذا التلاعب بكرامة المرأة نؤكد على ضرورة تفاعلها مع الشأن العام، فلا نجد في الدين أي نص يمنع الاختلاط في حدود الحشمة والعفة، ولا نجد في أحكام الإسلام ما يعزل النساء عن الرجال في أي شأن من شؤون الحياة، هناك بعض المتشددين يبالغون في السعي لعزل الرجال عن النساء، حتى سمعنا مؤخراً بعض الآراء التي تطالب ببناء الكعبة بطوابق عدة بحيث تخصص طوابق للنساء دون الرجال، هذا النمط من التفكير يعدّ إفراطاً في التشدد، ويقابل ذلك تفريط إلى حد الابتذال، كما هو واقع الحضارة الغربية المادية، فالمقدار المسلم به هو حق المرأة بأن يكون لها حضور عام، كما كانت في عهد رسول الله ﷺ، حيث لم نر هذه العزلة التي يسعى المتشددون لضربها على المرأة، كانت المرأة تصلي في المسجد بدون ساتر يفصلها عن الرجال، بخلاف ما هو موجود في مساجدنا اليوم.

فمن حق المرأة أن تطلب العلم في شتى المجالات والتخصصات، وأن تقوم بأدوار مختلفة في شتى شؤون الحياة، بشرط أن تحافظ على حشمتها وعفتها، وعلى الرجال تقديم المساعدة للمرأة حتى تجد مكانها المناسب في المجتمع، وقد قدمت لنا كثير من المجتمعات نماذج مشرقة من النساء الملتزمات الرائدات في مجال المشاركة العامة. فإن المرأة إذا حصلت على تربية سليمة، وهيئت لها الأجواء المناسبة، ومنحت الثقة بنفسها، فإنها تستطيع أن تثبت كفاءتها وسلامة سلوكها، وتكون أكثر إسهاماً في تقدم المجتمعات وتطورها.

الخطبة الثانية

أسطول الحرية وعالمية العمل الأهلي

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[سورة آل عمران، الأية:١٠٤]

من أبرز الأحداث التي مرت علينا في هذا الأسبوع، وانشغل بها العالم، وأثارت اهتمامه، هو ما حدث لأسطول الحرية، وهو قافلة مكونة من عدة سفن، على متنها أكثر من سبعمئة شخص من مختلف الشعوب والمجتمعات متجهة إلى قطاع غزة، لكسر الحصار الظالم عليه، ومن أجل أن يعلنوا للعالم ظلم الصهاينة ومظلومية الفلسطينيين، ورأى العالم ما فعلته إسرائيل، وكيف أنها مارست القرصنة واللصوصية في أقبح وأبشع صورها، حيث هاجمت السفن في المياه الدولية، وهي بذاتها مخالفة للقوانين وتجاوز للشرعية الدولية، كما أنها اعتدت على النشطاء المسالمين المتعاطفين مع قضية إنسانية عادلة، وقد تفاجأ هؤلاء الناشطون بإنزال عسكري على متن السفن بطريقة لم تكن في الحسبان، ثم قامت بإطلاق النار عليهم، فأردت تسعةً منهم شهداء، وأصابت عدداً منهم بجروح، ثم اقتادتهم إلى سجونها حيث الإهانة والتنكيل، ولم تطلق سراحهم إلا بعد ضغط العالم واتساع الاحتجاجات[1].

(١) وقعت الأحداث فجر يوم ٣١ مايو ٢٠١٠م في المياه الدولية للبحر الأبيض المتوسط.

الدور العالمي للعمل الأهلي

إن هذا العمل الإنساني النبيل هو مظهر من مظاهر النشاط الأهلي المجتمعي، وهذا النوع من النشاط المدني أصبح ظاهرة واسعة النطاق في مختلف المجتمعات البشرية، وقد تحقق ذلك بسبب الحاجة التي تفرضها ضرورات الحياة العصرية المعقدة، فلم يعد من المكن أن تقوم الحكومات بكل ما يمثل حاجة للإنسان، برغم توسع الدور الذي تقوم به هذه الحكومات على مستوى شعوبها، أو شعوب العالم، بانتظامها ضمن مؤسسات دولية ترعى الشأن الإنساني في إطاره العام، وكانت النتيجة الطبيعية لقصور دور هذه الحكومات هي تشكل مؤسسات مجتمع مدني، تقوم بأدوار شتى في الحقول الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقد حققت هذه المؤسسات إنجازات كبرى، وقدمت خدمات مهمة للإنسانية، كما حملت هموم الناس في ظروف الحرب والكوارث الطبيعية.

وقد كانت هذه المؤسسات في الغالب محل رضا الأنظمة لما تقدمه من مساعدات وسد كثير من الفراغات، وفي الدول المتقدمة برغم وجود حكومات ذات قدرات وإمكانات ضخمة، إلا أنها تستفيد من الجهد الأهلي وتتكامل معه، لسدّ بعض النواقص التي تحصل بسبب أو آخر في أجهزة الدولة، وفي المقابل فإن الجهد الأهلي يشعر الناس بالمشاركة في المسؤولية، كما يمنع من الاستئثار والاستبداد من قبل السلطات وأجهزتها، ولذلك اتسعت رقعة النشاط الأهلي والمدني في تلك البلدان، بحيث تجد منظمات في مختلف الميادين والمجالات، من التعليم والإعلام وحفظ البيئة ورعاية الأسرة والمسنين والدفاع عن حقوق الإنسان وغيرها.

محدودية النشاط الأهلي في العالم العربي

في العالم العربي والإسلامي ما تزال مؤسسات العمل الاهلي ومنظمات المجتمع المدني محدودة الوجود والتحرك والتأثير، مع تعاظم الحاجة إليها، وتوفر إمكانات

تأسيسها وتشكيلها. هناك مؤسسة عالمية تحت اسم (التحالف العالمي للمشاركة الأهلية) هذه المؤسسة تأسست سنة ١٩٩٣م، من أجل دعم وتشجيع مؤسسات ومنظمات المجتمع الأهلي، تقوم بدور كبير في بلدانها وعلى مستوى العالم، وبرغم أن العالم وصل إلى هذا المستوى من التفاعل مع هذه المنظمات، إلا أن بلداننا وللأسف الشديد لا تزال البيئة القانونية فيها غير مساعدة، وما يوجد فيها من مؤسسات ترتبط بأجهزة الدولة بشكل أو بآخر، مما يحد من النشاط الأهلي والاجتماعي، قد تكون هناك مبررات لدى الحكومات لكنها قابلة للمعالجة، بإيجاد معايير وضوابط كما هو الحال في المجتمعات الأخرى، وإلا ما هو المبرر الذي يجعلنا مختلفين عن بقية المجتمعات في العالم، ولماذا المجتمع العربي والاسلامي لديه قيود على العمل الأهلي مع أننا ننتمي لدين يحمل الجميع المسؤولية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ويقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، إن فلسفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجد طريقها إلى الواقع عبر العمل الأهلي والاجتماعي «مَن رأى مِنكُم مُنكرًا فليغيِّرهُ بيدِهِ، ـ يعني بالنشاط العملي ـ فإن لَم يَستَطِع فبِلسانِهِ، فإن لم يستَطِعْ فبقَلبِهِ. وذلِكَ أضعَفُ الإيمانِ»(١) مع كل ذلك نجد أن الفرصة لا تتاح أمام الناس للقيام بمسؤولياتهم الخدمية.

ومن هنا ندعو **أولاً**: لتحقيق مرونة في الأنظمة والقوانين، بحيث تشجّع الناس على المشاركة والمساهمة لمعالجة مشاكلهم، ولا يتم ذلك إلا بتفهم الحكومات والأنظمة ضرورة هذه المؤسسات الخدمية في تقدم المجتمع وتكامله، والتغلب على الهواجس الأمنية.

ثانياً: نشر ثقافة التطوع وتحمل المسؤولية؛ كخطوة ضرورية لتحقيق تفاعل خدمي

---

(١) صحيح مسلم. ج١، ص٥٠.

داخل مجتمعاتنا، وما يؤسف عليه هذه السلبية التي تمكنت من نفوس الشباب نتيجة الإحباطات المتلاحقة، حتى أصبحت الاتكالية وانتظار الدولة هي الثقافة السائدة في واقعنا، وهنا لا نسقط المسؤولية عن كاهل الدولة، فالقسط الأكبر تتحمله الدولة، إلى جانب تفعيل دور الناس وإعطائهم دوراً في المشاركة.

وبهذه المناسبة أشيد بالمبادرة الطيبة التي قام بها عدد من المواطنين عصر أمس الخميس (٣ يونيو ٢٠١٠م) من أجل حماية البيئة البحرية بمحافظة القطيف، التي انطلقت لتنظيف خليج تاروت، وستقوم بدورها في تنظيف كل الشواطئ في هذه المحافظة، وقد شارك أكثر من ألف متطوع من مختلف المناطق، وقد رأيتهم كيف يعملون بجد ونشاط مع شدة الحر والرطوبة، إنها تجربة جيدة وعمل رائع، نأمل أن يدعمهم المجتمع وأن لا يهمل هذه التجربة، كما نرجو أن يسعى الجميع لتشكيل لجان ومؤسسات ومنظمات أهلية، لتواجه الحاجات الضرورية، وتسدّ مختلف الثغرات.

الطبيعة العدوانية لإسرائيل

ما فعلته إسرائيل تجاه أسطول الحرية لم يكن شيئًا غريبًا عنها ولا عليها، فطبيعتها العدوان والغطرسة، بوصفها جيشاً له دولة، وليس دولة لها جيش، فوجودهم مخالف لكل القوانين والأنظمة الدولية، فلا شرعية لنظامهم لا على مستوى الأنظمة العالمية، ولا على مستوى الإرادات الشعبية والدينية، لأنهم قوة احتلال، ولذلك يواجهون الشعوب بالقهر والقمع والقوة وفرض الهيمنة، وما يؤسف عليه تمكن هذا النظام العدواني من تشكيل لوبيات مؤثرة على السياسة الدولية، وضاغطة على الإدارة الأمريكية، حتى أصبحت إسرائيل البنت المدللة مهما ارتكبت من جرائم يدافعون عنها، ويبررون صنعها.

إننا متفائلون أن تساهم هذه الأعمال في إيضاح الحق، وكشف عدالة القضية أمام

العالم، ويؤسفنا جدًّا أن يبادر آخرون من مختلف مناطق العالم في فك الحصار عن غزة، في الوقت الذي تساهم فيه حكومات عربية في فرض الحصار، فالفلسطينيون ليسوا محاصرين من إسرائيل فقط، وإنما هم محاصرون من الأنظمة المتحالفة والخانعة لإسرائيل ولإدارة أمريكا، وإلا ما الذي يبرر إغلاق معبر رفح وهو الرئة التي يتنفس منها قطاع غزة.

الخطبة الأولى

احترام كبار السن

ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أكرم شاب شيخاً إلا قضى الله له عند سنه من يكرمه»[1].

في حياة الإنسان ومسيرته الكثير من المحطات التي توجب الوقوف والتأمل، وكلما تعمق الإنسان بفكره في مسيرة حياته أكتشف كثيراً من السنن والبصائر، فمراحل عمره تختزن بعض الأسرار و تستوعب كثيراً من الحِكم.

تبدأ مسيرة الإنسان في هذه الدنيا بعد أن يتجاوز عالم الأرحام، وما فيه من تعقيدات تتجلى فيها قدرة الخالق وحكمته، ثم يمر بمرحلة الطفولة التي تمثل البدايات الأولى لتشكيل شخصيته، حيث تتداخل عوامل الوراثة والتربية والبيئة في صناعة الإنسان، بالشكل الذي يؤثر على كل مسيرته في الحياة، وقد أثبتت الدراسات الحديثة مدى تأثير عالم الوراثة والتداخل الكبير بين طبيعة الإنسان وما يحمله من جينات وراثية، أما تأثير التربية والبيئية والمحيط الاجتماعي فهي واضحة وظاهرة، وقد تناولتها البحوث العلمية بالكثير من الدراسات والتحقيقات. كل هذه العوامل والظروف تستدعي انتباه العامل في حقل الإصلاح الاجتماعي بوصفها عوامل مشتركة وذات تأثيرات واضحة على حياة الفرد والجماعة، كما أن معالجة الظواهر السلبية في المجتمع لا تتحقق بصورة جذرية إلا من خلال اكتشاف البنية المحركة لها.

(١) بحار الأنوار. ج٧٢، ص١٣٧.

الشيخوخة المرحلة الحساسة:

وإذا كان الاهتمام بالطفولة يفرض نفسه على المجتمع البشري، بسبب عمق مشاعر الانجذاب والمحبة للأطفال، ولوجود الآمال المعقودة على مستقبلهم، فإن مرحلة الشيخوخة بحاجة إلى إثارة الاهتمام بها؛ لأن الانسان فيها يفقد عوامل الجذب والاستقطاب، وقد يتحول إلى عبء ثقيل في نظر المحيطين به، لذلك يهمنا الحديث عن كيفية التعامل مع كبار السن، ومراعاة مالهم من مشاعر وأحاسيس؛ لأن التكامل الاجتماعي لا يتحقق إلا من خلال إيجاد نوع من الروابط الواضحة بين أجيال المجتمع، ومن أوثق أنواع الروابط هو تحقيق الاحترام لطبقة كبار السن.

وللتأكيد على هذا السلوك لا بدّ من الإشارة إلى الخلفية التي تستدعي هذا النوع من الاحترام، فإن التفكر والتأمل في حقيقة الإنسان تقود إلى اكتشاف كون نمو الإنسان وتكامله يتحقق ضمن بعدين: البعد المادي الحسي والبعد الروحي المعنوي، والتوازن بينهما هو الذي يحقق الاستقرار ضمن المسار المرجو للإنسان، وكثير من المشاكل التي تعترض حياة الإنسان هي نتاج طبيعي لحالات الإفراط أو التفريط في أحد البعدين، فلا بدّ من الوعي والفهم لحقيقة الإنسان المركب من جسم وروح، فلا تهمل الروح لصالح الجسم، كما هو حال كثير من الفلسفات المادية والحسية، ولا يُهمل الجسم لصالح الروح، كما هو موجود في بعض النزعات الصوفية والعرفانية، وبهذه الطريقة نضمن بناء الإنسان بصورة متكاملة ومستوعبة للواقع الموضوعي لكينونته.

ومن المهم الإشارة إلى أن هذه النظرة الشمولية للإنسان يجب أن تُراعى في كل مراحل حياة الإنسان، فلا يكون الاهتمام بالطفل مثلًا منحصراً في الجوانب الحسية على حساب ما له من شعور وإحساس، لأننا نجد بحكم الملاحظة أن الطفل يعيش على أحاسيسه ومشاعره، فأول ما تبدأ في النمو عند الإنسان هي المشاعر والأحاسيس، بل نجد أن نموها أسرع من نمو جسمه، فإن الطفل الصغير يبدأ في الحياه من خلال تفاعل الأحاسيس مع ما حوله من محيط، فالابتسامة تترك أثرها في نفس الطفل، بينما

النظرة الشزراء الغاضبة توجد أثراً سيئاً في نفس الطفل، وحينما ينمو جسم الطفل وتنمو مداركه العقلية، تصبح هناك جهات مزاحمة للمشاعر والأحاسيس، فهناك مدارك عقلية، وهناك قوة جسمية، وهكذا تستمر مسيرة الإنسان بين حاجات جسمه، وإدراكات عقله، ونمو أحاسيسه ومشاعره.

رعاية الجسم واحترام المشاعر:

ومن أهم ما يجب الالتفات إليه، هو وجود علاقة متبادلة بين جسم الإنسان وبين ما له من أحاسيس وشعور، فكلما بدأ ضعف الجسم عند الإنسان من جديد في حالة الشيخوخة، عادت إليه حالت نمو المشاعر والاحاسيس، كما أن الصغير في صغره يعيش على احاسيسه ومشاعره أكثر، فإن الإنسان إذا كبر سنه يحتاج إلى إحاطة معنوية أكبر، فتصبح مشاعره مرهفة ورقيقة تمامًا كالطفل، مع بعض الفوارق، فأقل شيء يرضيه، وأبسط شيء يزعجه، ومن هنا نفهم تأكيد النصوص الشرعية على احترام الصغير والكبير، لوجود قاسم مشترك بينهما، وهي مدى الحاجة في هذه السن للجوانب المعنوية والشعورية، لذلك تؤكد الروايات على الرحمة بالصغير ورعاية مشاعره وأحاسيسه، كما تؤكد على احترام الكبير وتوقيره لنفس السبب، ومن منطلق التقدير لخدماته كإنسان عاش في هذه الحياة، وقدم خدمات، كل حسب دوره، ولا بد أن يشعر بالتقدير في هذا المجتمع الذي عاش فيه.

من هنا يمكننا الجزم بأن من أبرز عناوين الأخلاق والآداب في أي مجتمع إنساني، هي احترام الكبير لكبر سنه، بغض النظر عن الميزات الأخرى، مثل علمه، أو ثروته، أو وضعه الاجتماعي؛ لأن كبر السن بحد ذاته موجب من موجبات الاحترام والتقدير، وبما أن دورة الحياة مستمرة بدون توقف، فإن الجميع يستفيد من تفشي هذه الثقافة، حيث يصبح الاحترام هو أساس العلاقة بين الأجيال، فالصورة التي يريدها كل واحد منا لطريقة تعامل المجتمع معه في حال أصبح كبير السن، يتم تقريرها الآن أي في حالة

الشباب، فإذا عمل الجميع على احترام الكبار، وتمت تربية الأبناء على هذه الثقافة، وتعززت هذه القيمة في المجتمع، حينها سوف نستفيد منها جميعاً عندما نتقدم في السن.

احترام الكبير خلق إنساني:

الاحترام لكبار السن نزعة متأصلة في ضمير الإنسان ووجدانه، وهي تعبر عن الفطرة الإنسانية الصافية القائمة على الرحمة، فالإنسان بطبعه يعطف قلبه ويتحنن على من يمر بسن الشيخوخة والعجز، حتى لو لم يجد من يوجهه لهذا الفعل، من هنا يمكننا القول إن القسوة مع كبار السن تمثل انحرافاً عن فطرة الإنسان، وبذلك نسجل صوت إدانة للتفكك الاجتماعي، وانعدام روابط الصلة بين طبقات المجتمع، الذي تعاني منه كثير من المجتمعات، بل وصل الأمر في بعض المجتمعات الغربية إلى درجة انعدمت معه أواصر الصلة بين الأبناء والآباء، في مظاهر مرعبة، مما استدعى تدخل بعض المنظمات والمؤسسات المدنية لتحدّ من خطر هذا التدهور الخطير في العلاقات الاجتماعية، وهذه حالة من الوعي تحاول استدراك أخطاء الثقافة المادية القائمة على الأنانية الفردية، ومعالجة الآثار السلبية لها على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي، الأمر الذي يؤكد على أن طبيعة الفطرة الإنسانية النقية تدعو لاحترام الكبير، ومضافاً إلى الفطرة فإن الإنسان عادة ما ينشأ ويترعرع في ظل الكبار، ويرى كونهم مصدراً للعطاء وتجارب الحياة، ولذلك يشعر بفضلهم عليه، وهذا موجب للاحترام ايضاً، هذه هي خلفية ضرورة احترام الكبار وتوقيرهم.

وفي مجتمعنا كانت هذه هي الحالة السائدة، سواء داخل الأسرة أو في المجتمع بشكل عام، فتجد الجميع يظهر كل الحبّ والاحترام والتقدير لكبار السن، ولكن مع الأسف الشديد بدأنا نجد بعض الحالات والمشاهد التي تنذرنا بأن هذه القيمة الأخلاقية قد تبدأ في الانحسار، فتجد الشاب المفتول العضلات يمارس عنفوانه

وغطرسته أمام من هم أكبر منه سنًا، بالتأكيد هذه ظواهر سلبية تمثل شذوذاً في السلوك، وانحرافاً في الأخلاق.

التأكيد الديني على احترام الكبير:

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أكرم شاب شيخًا إلا وقضى الله له عند شبابه من يكرمه»[١] هذه ليست من وحي الغيب فقط، وانما تتحدث عن سنة أخلاقية بتعزيزها في المجتمع يعمّ خيرها الجميع، وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: «من عرف فضل شيخ كبير فوقره لسنه آمنه الله الفزع يوم القيامة»[٢] فمثل هذه الأحاديث تقودنا في التفكير لنكتشف أن الأمر ليس مجرد مجاملة، وإنما هو في الحقيقة مسعى لكسب رضا الله، والأمن من عذابه يوم القيامة، فمضافاً إلى كون التعامل باحترام مع كبار السن تعبيراً عن الأخلاق الفاضلة الكريمة، إلا أنها أيضاً طريق إلى عفو الله ورضوانه ورحمته.

وعنه ﷺ: «من تعظيم الله عزّ وجلّ إجلال ذي الشيبة المؤمن»[٣]. الإنسان الذي يوقر كبير السن هو في واقع الأمر يعظم الله سبحانه وتعالى، والعكس صحيح فالذي لا يقدّر ولا يوقر الكبير فإن ذلك يدل على استهانته بالله وعدم تقديره له سبحانه، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «البركة مع أكابركم»[٤]. أي التمسوا البركة في كباركم، لأنهم من سبقوكم في الدين، وعمل الخير، وخدمة المجتمع، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال: رسول الله ﷺ: «إكرام جلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم»[٥] والظاهر من تحديد النص بالمسلم من باب كونه إنسان البيئة التي صدر فيها النص، وبالتالي يمكننا التعميم ليشمل الاحترام كل إنسان بما هو إنسان كبير في السن، وإن

(١) مستدرك الوسائل. ج٨، ص٣٩٣.

(٢) وسائل الشيعة. ج١٢، ص١٠٠.

(٣) وسائل الشيعة. ج٢، ص١٠.

(٤) مستدرك الوسائل. ج٨، ص٣٩٤.

(٥) المصدر نفسه.

كان غير مسلم، فالإمام علي بن أبي طالب ﴿ع﴾ حينما رأى شيخاً كبيراً فاقد البصر، وهو يستجدي الناس غضب، والتفت قائلاً: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني، فقال ﴿ع﴾: «استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه! أنفقوا عليه من بيت المال»[١].

وعن أنس قال: «أوصاني رسول الله ﷺ عن خمس خصال فقال فيها: وقّر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة»[٢] إلى هذا الحد يحقق توقير الكبير مكسبًا للإنسان بحيث يجعله الله من رفقاء رسول الله ﷺ يوم القيامة.

وعنه ﷺ أنه قال: «إن من إجلالي توقير الشيخ من أمتي»[٣].

وعن علي بن أبي طالب ﴿ع﴾ في وصيته عند مماته: «وارحم من أهلك الصغير ووقر منهم الكبير»[٤].

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﴿ع﴾ قال: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا»[٥]. وقد أكدت بعض الأحكام الفقهية هذه الأهمية في تقديم الكبار واحترامهم، ففي صلاة الجماعة إذا تساوت الميزات في المتقدمين للإمامة، وكان أحدهم أكبر فالأفضل تقديم الأكبر سنًا في صلاة الجماعة.

فلنبدأ من خلال عوائلنا وأبنائنا ولنزرع هذا الخلق السامي في النفوس، ولنعزز السلوكيات التي تظهر الاحترام كتقبيل أيدي الآباء والأمهات والأجداد، حتى تكون مظاهر التقدير كأعراف داخل الأسرة، وداخل العشيرة والمجتمع، وأن يكون شعارنا تقديم الكبير في جميع المناسبات.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٦٦، حديث١٩٩٩٦.
(٢) مستدرك الوسائل. ج٨، ص٣٩٤.
(٣) كنز العمال. ج٣، ص١٧٢.
(٤) مستدرك الوسائل. ج٨، ص٣٩٤.
(٥) بحار الأنوار. ج٧٢، ص١٣٨.

الخطبة الثانية

انتشار الفساد والاجرام في ظل المحسوبيات والوساطات

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن لن تقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع[1]».

الإنسان بوصفه كائناً حضارياً يتفاعل ويتكامل مع الآخر في حالة من الانسجام والتعاون، ولا يمكننا أن نتصور إنسانًا وهو يعيش بعيداً عن الإنسان الآخر، كما لا يمكننا حصر اهتمامات الإنسان وحاجاته ضمن حدود الغرائز والشهوات التي تكرس الأنانية والفردية، حيث يتطلع الإنسان إلى آفاق رحبة، تستبطن قيم الكرامة والعدل والحرية والخير، وغيرها من القيم التي تحقق تواصلاً إيجابياً مع شركائه في الإنسانية، ففي الوقت الذي تضغط فيه على الإنسان غرائزه الحيوانية، فإنه ينطوي على نعمة العقل وثروة الفطرة، مما يمكنه من التحليق والتسامي على ضغوط الغرائز والشهوات المادية الضيقة. كل ذلك يقودنا إلى القول: إن حضارية الإنسان تتحقق ضمن المنظور الجماعي لا الفردي، فلا يكون للنظام القيمي واقعية إلا ضمن التفاعل الاجتماعي.

فما ينشده الإنسان هو تحقيق إطار اجتماعي حيوي متكامل، توزع فيه الأدوار، وتراعى الحقوق، وهنا تتعزز الإشكالية وتتعقد في إيجاد صيغة تحقق العيش المشترك.

---

(١) تحف العقول. ص١٤٢.

القانون لحماية العيش المشترك:

ولا يهمنا هنا استعراض النظريات الاجتماعية والفلسفية المتعددة التي حاولت إيجاد مقاربات لهذه الإشكالية، وكل الذي يهمنا هو الإشارة إلى حقيقة ضرورية تمثل ركيزة لأي مجتمع إنساني، وهو القانون الذي يحافظ على دوام هذا النظام واستقراره.

الخلفية المؤسسة لأي قانون هي حاجة الناس للعيش المشترك، وما يفرضه هذا التعايش من تقاطعات في المصالح وتضارب في التوجهات، وإذا أمعنا النظر نجد أن بذرة القانون هي الاعتراف بكون هناك آخر يتقاسم معك الحق في الوجود والحياة، فالاعتراف بوجوده هو اعتراف بكل حقوقه، إذ الإنسان بوصفه جسمًا له الحق في أن يستقل مساحة من الوجود، ويتفرع من ذلك حقه في السكن الذي يحقق أمنه، وبوصفه صاحب حاجات طبيعية فمن حقه الأكل والشرب والزواج بشكل تتحقق معه مستلزمات حياته، وبوصفه عاقلًا من حقه أن يفكر ويتعلم ويبدع، وهكذا تتفرع الحقوق من الاعتراف بكون الإنسان حقيقة وليس وهماً أو خيالاً، وهنا تبرز الإشكالية الاجتماعية في كيفية تحقيق كل هذه الحقوق بصورة جماعية، من غير أن تصادر حقوق البعض لصالح آخرين، ومن هذه النقطة نصل إلى كون العدالة هي القيمة الضامنة لهذه الحقوق.

تفشي ظاهرة الفساد:

وفي هذا المجال يهمنا تناول بعض الظواهر السلبية التي تتعارض مع العدالة، وتكون سبباً للمظالم والمفاسد والفوضى.

ومن أهم هذه الظواهر السلبية هي حال الفساد والمحسوبية في تطبيق القانون، فمجرد الاعتراف بضرورة القانون ليس كافياً لو لم يطبق هذا القانون بالشكل العادل، وكما هو واضح أن الاعتماد في تطبيق القانون على الحالة الأخلاقية للإنسان والنزعة الوجدانية ليس كافياً، في مجتمع تأصلت فيه الأنانية والمصلحية، مما يقودنا إلى

ضرورة وجود سلطة تراقب تطبيق الإنسان للقانون. والإشكالية الأكبر هو فساد هذه السلطة المسؤولة عن حماية القانون بالمحسوبيات والرشاوي، وحينها يمكننا التنبؤ بانهيار تام للتركيبة الاجتماعية التي يمكن أن تصل إلى مراحل خطيرة يسود فيها قانون الغاب.

هذا الحديث وما رواه علي عليه السلام من أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «في غير موطن لن تقدس أمة لن تأخذ للضعيف فيها من القوي غير متتعتع»، وأحاديث ونصوص أخرى إنما تؤكد على أهمية سيادة القانون على جميع أبناء المجتمع، الكبير منهم والصغير، والقوي والضعيف، والشريف والوضيع، فإن أي أمة وأي مجتمع لن (تقدس)، أي بمعنى لن تكون فيها القداسة والطهارة من الإجرام والفساد، إلا إذا توفرت هذه السمة، بأن يكون هناك قانون ينتصر لصاحب الحق، ويأخذ من الظالم للمظلوم.

أما إذا لم يوجد هذا القانون، أو وجد ولكن كان يطبق بطريقة فيها محسوبية ومحاباة، بأن يطبق على الضعيف الذي ليست له واسطة، ولا يمتلك رشوة، ويستثنى منه صاحب النفوذ والمال، فإن مثل هذا المجتمع يكون ملوثاً بالفساد والإجرام، وبعيداً عن النزاهة والصفاء، فإذا لم يكن القانون رادعاً بالشكل الذي لا يستثنى منه أحد، يكون مشجعاً لأصحاب النفوذ في ارتكاب الجرائم، وأخذ حقوق المستضعفين؛ لأن المجرم الذي يريد الإقدام على الظلم يخاف ردع القانون والنظام، بعد غياب الرادع الداخلي، وإذا غاب أيضاً هذا الرادع الخارجي، فلا يجد ما يمنعه من التجاوز على حقوق الآخرين، وقد ورد في الأثر: «إن الله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» فإذا لم يتحقق للمجتمع الإرتقاء إلى مستوى الاحتكام للقيم وللضمير والوجدان، حينها لا بد من رادع خارجي يمنع المجرم من الهروب من القصاص والعدالة. وهذا ما تعاني منه كثير من المجتمعات إما لخلل في القوانين والتشريعات، أو لخلل في الأجهزة التي تطبق النظام.

الدور المحوري للنظام القضائي:

تطبيق النظام يحتاج إلى أمرين أساسيين:

الأمر الأول: وجود قضاء حاسم يبت في قضايا الناس.

والأمر الثاني: وجود جهاز فاعل ينفذ القرارات الصادرة من القضاء النزيه.

فإذا كان هناك نقص في القضاء نوعًا أو كمًا، أو كانت الأجهزة الأمنية التي تنفذ الأحكام ضعيفة، أو مخترقة من قبل المجرمين والفاسدين، فعلى أمن المجتمع السلام.

المؤسسة القضائية عندما تكون عاجزة لا تتوفر لها الإمكانات اللازمة من حيث عدد القضاة، ومن حيث التشريعات والتجهيزات التي يستلزمها القضاء في مختلف المجالات، وكذلك الحال في السلطة التنفيذية، حينها لا يمكن الاعتماد على ورع وضمائر الناس لتطبيق القوانين.

في كثير من مجتمعاتنا العربية والإسلامية هناك خلل وضعف في الجهاز القضائي والتنفيذي، مضافاً لحالات التراخي والاختراق من الجهات الفاسدة المنحرفة، مما يؤدي إلى تفشي حالات الظلم والفساد، والتجاوز على حقوق الناس، ومن هنا نحن مطالبون جميعًا بأن نرفع أصواتنا ضد حالة التراخي أمام الفساد والإجرام، وأن نشيع الثقافة التي تقرر حاكمية القانون والمساواة، جاء في الحديث بأن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ، من يجتريء عليه إلا أسامة، حب رسول الله ﷺ، فكلم رسول الله ﷺ فقال: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟» ثم قام فخطب، قال: «يا أيها الناس، إنما ضلّ من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدّ، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[١].

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، ج٤، طبعة ١٤٢٠هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص٢٧٨، حديث ٦٧٨٨.

اضطراب العدالة دوليا:

هذا على مستوى المجتمعات المحلية، أما على المستوى الدولي والعالمي فإننا نرى الدول الكبرى كيف تنتقي في تطبيق القوانين والأنظمة الدولية، فإسرائيل ومنذ سنوات طويلة تمتلك برنامجاً نووياً خطيراً، من غير أن يسجل المجتمع الدولي أي اعتراض، بل لا يقبلون فتح هذا الملف من الأساس، وقد رفضت إسرائيل التوقيع على اتفاق منع انتشار السلاح النووي، ولكن إذا حاولت دولة أخرى وخاصة من الدول الإسلامية والعربية، أن تمتلك تكنلوجيا نووية، قوبلت بالاعتراض بحجة كونه مخالفاً للسلم والأمن العالمي، فما هو هذا القانون الذي يسمح لإسرائيل ولا يسمح لغيرها، بل يجيز لإسرائيل أن تقصف منطقة في حلب في سبتمبر ٢٠٠٧م بدعوى أن فيها مفاعلاً نووياً سورياً، الأمر نفسه حدث في العراق سنة١٩٨١م، وهذه الضجة المقامة على إيران وبرنامجها النووي تكشف عن هذه الازدواجية في تطبيق القانون.

فالعالم الذي تسوده هذه الحالة الانتقائية غير العادلة، لا يمكن أن يكون مبشراً بتحقيق الأمان والسعادة للإنسان، مع وجود دولة مثل إسرائيل تخترق كل النظم والقوانين من غير رادع، وما تشهده المنطقة من أزمات ومظالم سببها الأساس إسرائيل وممارساتها الإجرامية العدوانية.

وقد نشهد هذه الازدواجية والانتقائية حتى داخل المجتمعات الغربية، فإذا تكلم أحدهم ضد الإسلام والمسلمين يفتح له المجال بحجة حماية الحريات، كما نرى تكرر الاساءات لرسول الاسلام ﷺ عبر الرسوم الكاريكاتورية، ولكن عندما تقوم عميدة الصحفيين في البيت الأبيض الأمريكي (هيلين توماس) بانتقاد إسرائيل تطرد وتعاقب، فكيف نتوقع أن يسود في هذا العالم الأمن والسلام، والجميع يعرف أن العنف وعدم الاستقرار في المنطقة هو بسبب وجود هذا الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين، وقد باتت هذه الحقيقة واضحة، ولكن كما كتب أحد الأمريكيين الأحرار ـ السيناتور الأمريكي بول فندلي ـ كتابًا ضخمًا بعنوان: (من يجرؤ على الكلام؟)

فكل رئيس أمريكي يحاول أن يلامس الملف الفلسطيني ملامسة تقترب من العدل، يواجهه اللوبي الصهيوني بتحرك مناهض. أما آن للعالم أن يستيقظ؟ أما آن للشعوب الغربية والأمريكية أن تستيقظ؟ صحيح أننا كمسلمين مقصرون في طرح قضيتنا، لكن مظلوميتنا واضحة وضوح الشمس، ألا يرون قتل الأطفال وهدم المنازل؟ امرأة أمريكية ـ ريتشل كوري ـ تقف أمام الجرافات الإسرائيلية في مارس ٢٠٠٠م فتجرفها وتقتلها أمام مرأى العالم كله، ولا تحرك أمريكا ساكناً وهي التي تدافع عن ظفر أي مواطن أمريكي، ولكنها تقف عاجزة عندما يتعلق الأمر بإسرائيل.

الخطبة الأولى

الغاية من وجود الإنسان

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية:١١٥].

يعيش الإنسان في هذه الحياة وهو مدرك بأنه قد تميز على سائر المخلوقات التي تعيش حوله في هذه الدنيا الواسعة، هذه الميزة تكمن في استمتاعه بقوة العقل والتفكير، وكذلك الإرادة والعمل، بينما تغيب هذه المزايا عن غيره من المخلوقات. وهناك ميزة أخرى مهمة وجلية، وهي أن هذه المخلوقات مسخرة إليه، لاستخدامها والانتفاع منها ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[سورة النحل، الآية:٨]، كل هذه المخلوقات سخرها الله تعالى للإنسان، ولذا جاء خطابه تعالى لبني البشر: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة الجاثية، الآية:١٣]. وآيات كثيرة تدل على هذه النقطة من تسخير الله كل مخلوقاته لهذا الإنسان، ولم يجعل فوق الإنسان مخلوقاً يستخدمه ويسخره لأجله.

لكن الإنسان يرى أنه يعيش فترة من الزمن في هذه الحياة ثم يموت، وكذلك بالنسبة لباقي المخلوقات فكلها يفنى بعد فترة من الزمن، فهل هناك حياة أخرى بعد الموت؟ وهل ثمة فرق بينه وبين باقي المخلوقات التي انتقلت إلى الموت؟

الدين يمنح للحياة معنى:

كل إنسان صاحب دين سماوي يستطيع أن يجيب عن هذه التساؤلات، فحينما يعيش الإنسان بلا دين، فلن يجد هناك فرقًا بينه وبين سائر المخلوقات في ما بعد الموت. كل مخلوق يعيش فترة من الزمن ثم يموت وينتهي كل شيء، ولكن الإنسان صاحب الدين يعتقد بغير هذا، فهناك هدف لوجوده. هذا الهدف يمضي معه بعد الموت وسوف يسأل عنه، على عكس غيره من المخلوقات، فهي خلقت لأجله، وإذا انتهت فترة حياتها فلن تُسأل عن شيء عملته في الدنيا.

إذًا فالإنسان المتديّن يدرك بأن وجوده كان بهدف توحيد الله عزّ وجلّ وعبادته والخضوع له، وأنه إذا مات فسوف يبعث من جديد ويسأل عن مدى تحقيقه لهذا الهدف. هذه العبادة والخضوع هي الهدف من الوجود، وهي تتمثل في أمور شتى، ولهذا سخر الله عزّ وجلّ كل المخلوقات للإنسان، وخاطبه بالقول: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»[١] كما ورد في حديث قدسي.

فكل إنسان مسؤول عن أعماله التي يقدمها في الدنيا، وهو يعلم بذلك، ولو لم يكن هناك نشر وبعث لعاش الإنسان حياة بهيمية، شأنه شأن غيره من المخلوقات، يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾، فالدين هو الذي يعطي للحياة قيمة ومعنى، ومن ليس له دين يفتقد معنى الحياة.

الدنو من الله عزّ وجلّ:

إذا علم الإنسان أن خلقه وتسخير هذه المخلوقات كلها لأجله لم يكن عبثًا، وأن الهدف من خلقه هو عبادة الله عزّ وجلّ والخضوع له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأنه سوف ينشر بعد الموت ويسأل عن كل شيء، إذًا فعليه أن يقترب من

(١) محي الدين بن عربي الأندلسي. الفتوحات المكية. ج٤، الطبعة الأولى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص٥٢٧.

الله عزّ وجلّ، وأن يسعى لأن يكون أقرب إليه كما في دعاء كميل: «حتى أسرع إليك في المبادرين، وأشتاق إلى قربك في المشتاقين، وأدنو منك دنو المخلصين». وكلما اقترب الإنسان من ربه تجلّت له قيمته والهدف من وجوده، والفرق بينه وبين سائر المخلوقات، وأن خلقه لم يكن عبثًا، وأنه راجع إلى الله بعد الموت.

أزمنة خاصة:

وحتى لا يلهو الإنسان وينشغل في هذه الدنيا على حساب البعد المعنوي من شخصيته، فقد جعل الله تعالى أزمنة خاصة هي كمحطات الوقود التي يتزود منها الإنسان بالخضوع والتقوى والورع، فيكون قريبًا من ربه في كل حين. ومن تلك الأزمنة هذا الشهر الكريم شهر رجب، ونحمد الله أن وفقنا لإدراكه، ونسأله أن يبلغنا شهر شعبان وشهر رمضان المبارك.

شهر رجب شهر عظيم عند الله عزّ وجلّ وهو من الأشهر الحرم، وهناك نصوص كثيرة تدل على أهميته وأهمية العبادة فيه، والتقرب إلى الله عزّ وجلّ، حتى تكون لحياة الإنسان معنى وقيمة. ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «رجب شهر الله الأصبّ، فيه يصبّ الله الرحمة على عباده»[1].

هناك أعمال وبرامج ورد التأكيد عليها في هذا الشهر الحرام، ومنها الصلاة والصوم والصدقة والعمرة وغيرها، والأجر فيه مضاعف وعظيم. فعن علي بن سالم عن أبيه قال: دخلت على الصادق عليه السلام في رجب وقد بقيت منه أيام فلما نظر إليّ قال لي: يا سالم، هل صمت في هذا الشهر شيئا؟ قلت: لا والله يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لي: «لقد فاتك من الثواب ما لم يعلم مبلغه إلا الله عزّ وجلّ، إن هذا شهر قد فضله الله وعظم حرمته، وأوجب للصائمين فيه كرامته»[2].

---

(١) بحار الأنوار. ج٩٤، ص٣٦.
(٢) المصدر نفسه. ج٩٤، ص٣٢-٣٣.

والتأكيد على الصوم إنما جاء للارتقاء على رغبات النفس والملذات المادية، وتحقيق أسمى صور الخضوع والعبادة. وإذا لم يتمكن الإنسان من صيام كل الشهرأو أغلبه، فلا بأس بصيام ولو يوم منه، سيما يوم السابع والعشرين وهو اليوم الذي يصادف ذكرى مبعث رسول اللهِ ﷺ.

ومن تلك الأعمال المندوبة: الدعاء والاستغفار، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «رجب شهر الاستغفار لأمتي فأكثروا فيه الاستغفار فإنه غفور رحيم»[١]. والاستغفار يكون قولًا وعملاً. ومن تلك الأعمال أيضًا صلاة الليل وفيها خلوة العبد بربه والدنو منه، وكذلك الصدقة سيما على ذوي الرحم ممن هو محتاج.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج١٥، ص٥٠٠.

الخطبة الثانية

جهاز مناعة لمقاومة الظلم والفساد

﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾[سورة هود، الآية: ١١٦].

يتعرض جسم الإنسان لدخول وغزو الجراثيم والميكروبات، سيما مع وجود الجروح، لذلك زوّد الله تعالى الإنسان بجهاز مناعة لمقاومة هذه الكائنات الميكروبية المؤذية، عن طريق كريات الدم البيضاء. وإذا ضعف جهاز المناعة أو انعدم تكون حياة الإنسان مهددة بالخطر.

جسم المجتمع كذلك معرض لدخول عناصر الفساد والانحراف إليه، لذلك فهو بحاجة إلى أجهزة مناعة لمواجهة هذه العناصر الدخيلة، التي تقضّ راحته واستقراره. هذا الجهاز المناعي للمجتمع، يتمثل في فئة من المجتمع تنذر نفسها لتحمل المسؤولية، وتمضي قدمًا في دفع الظلم والجور عن كيان المجتمع الذي تعيش فيه. ووجود مثل هذه الفئة في المجتمعات يعني ضمان السلامة والأمن والاستقرار.

من يقرأ أوضاع المجتمعات المتقدمة، يجدهم يشعرون بمسؤوليتهم الشخصية تجاه كل ما يعترضهم من ظلم أو فساد، ويطالبون بحقوقهم، ويشكلون لجانًا لتحقيق تلك المطالب، أما المجتمعات المتخلفة فعادة ما يسكتون عن الظلم والفساد، أو يتجاهلونه، أو يلقون باللائمة على بعضهم بعضًا، ويوزعون المسؤوليات على حسب

أهوائهم، أو ينتظرون الغيب حتى يدفع البلاء عنهم.

الله عزّ وجلّ لا يريد للأسباب الغيبية أن تتدخل في كل شيء، يريد من الناس أنفسهم أن يسعوا إلى إصلاح شأنهم، والكل مسؤول: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾. وفي الآية الكريمة: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ أولو بقية يعني أولو فضل ومكانة في المجتمع، إذا لم يتوافر هذا الصنف من الناس في المجتمع، فإن ذلك يكون سببًا لهلاكه وتضعضعه. كما أن في الآية تحفيزاً للمسلمين بأن يسعوا إلى حل مشاكلهم، ووضع جهاز مناعة لحماية مجتماعتهم.

الظروف تتغير والوسائل تتعدد:

كل فرد من المجتمع عليه أن يشعر بمسؤوليته إذا ما رأى ظلمًا أو فساداً يقع في مجتمعه، ومسؤليته تزداد إذا وقع هذا الظلم عليه. كانت تكاليف مواجهة الظلم والفساد في مجتمعاتنا في الماضي باهظة، وفي الوضع الراهن نشهد حالة إيجابية، في طريق مواجهة الظلم والفساد، فعلينا استغلالها بعدم السكوت عن أي ظلم يقع علينا.

إن قنوات الدفاع عن الحقوق متعددة، ومن تلك القنوات المتاحة تفعيل وسائل الإعلام. في الماضي كنا نشهد صعوبة في نشر أي ظلامة تقع، سيما إذا كانت ضد مؤسسة حكومية، حيث كانت تقرأ على أنها نيل من قوة النظام أو إضعاف لهيبته. لكن الأمر تغير ولو بنسبة معينة. ونحن نقرأ اليوم في الصحف المحلية رصدًا لكثير من المخالفات النظامية التي تقع على أشخاص، أو جهات. حتى ما هو ضد الأجهزة الحكومية فإنه ينشر. وكل شخص يتأكد من أنه صاحب حق فعليه بالدفاع عنه عبر المتاح من وسائل الإعلام.

كذلك من تلك القنوات التي يستطيع الإنسان عبرها أن يطالب بحقه وجود أجهزة رسمية لاستقبال الشكاوى، التي تتمثل في ديوان المظالم، وهيئة وجمعية حقوق

الإنسان، وغيرها. وعلى الإنسان ألا يتشائم من متابعة حقه ولا ييأس، وعدم تمكن بعض هذه الجهات من معالجة بعض القضايا، لا يعني ترك الاستفادة من وجودها، على كل من يقع عليه الظلم أن يرفع صوته وشكواه لهذه الجهات، وتراكم هذه الشكاوى إذا لم تجد طريقها للحل يضع علامات استفهام وموارد شك تجاه هذه المؤسسات، وبالتالي يكون هناك ضغط عليها لحل هذه القضايا.

الكل مسؤول:

إن كل فرد من أفراد المجتمع عليه أن يتحمل دوره في دفع الظلم عن نفسه وعن غيره، بكل ما أوتي من إمكانية. كلنا يعلم قضية وجود التمييز والعنصرية التي كانت تمارس ضد السود في أمريكا، حيث كان القانون يعطي الأولوية والسيادة والمكانة للبيض، هذه القضية قد حُلت وتلاشت بسبب نهضة الشعب ومطالبتهم بحقوقهم، لكن الأهم في الأمر أن الشرارة الأولى لهذه النهضة كانت من قبل امرأة سوداء اسمها روزا باركس.

هذه المرأة كانت ذات يوم في حافلة، وكان النظام يعطي أولوية الجلوس في مقاعد الباص للأبيض، وإذا ما شغر مقعد فيستطيع الأسود أن يجلس فيه. هذه المرأة جلست على مقعد في الباص، وأتى شخص أبيض وطلب منها أن تبرح المقعد ليجلس هو حسبما يقره النظام له، لكنها رفضت باعتبار أن لا فرق بينها وبينه، وتعرضت إثر ذلك للسجن والغرامة، لكنها حركت في الناس مثلها أن ينهضوا للمطالبة بحقوقهم.

المشكلة التي نواجهها في المجتمع أن كثيرًا من الناس غير مستعدين لدفع الظلم عن أنفسهم، فضلًا عن غيرهم. بعض الأخوة يشتكون سوء تعامل مديرهم بسبب انتمائهم المذهبي، وحين أطلب منهم الذهاب للمسؤول الذي بيده التدخل لهذه القضية يخشون من عواقب الأمر! إذا كان الشخص منا غير مستعد للتضحية في سبيل رفع الظلم عن نفسه فكيف يرتجيها من الغير؟ وهل يرجى منه الدفاع عن غيره إذا لم

يطالب بحقه؟ الكل منا مطالب بدفع الظلم عن نفسه وعن مجتمعه، وهذا أمر مشروع ومفروض، بل إن السكوت عن الظلم ظلم آخر.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لرفع الظلم عنا وعن إخوننا المؤمنين، إنه سميع الدعاء، قريب مجيب، والحمد لله ربّ العالمين.

الخطبة الأولى

العطلة الصيفية واستيعاب الشباب

عن أبي بكر بن أبي قحافة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مني بمنزلتي من ربي»[1]..

أحاديث كثيرة وردت في مختلف مصادر المسلمين تؤكد على الصلة الوثيقة التي لا تعدلها أي علاقة بين شخص وآخر، وهي الصلة العظيمة التي تربط بين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. كما أنّ رسول الله ﷺ له منزلة خاصة عند الله لا يدانيه فيها أحد من العالمين، فإن نفس مستوى هذه الخصوصية هي قائمة بين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام. وهذا ما توضحه وتجلّيه الروايات الكثيرة في هذا الشأن وتأريخ وسيرة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام.

من الأحاديث:

قوله ﷺ: «علي مني وأنا منه». هذا حديث أخرجه الترمذي، والنسائي في الخصائص، وأحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني برقم ٢٢٢٣ من سلسلة الأحاديث الصحيحة، من حديث عمران بن حصين أنه ﷺ قال لجماعة من أصحابه كانوا يستشكلون على علي عليه السلام وهو غاضب: «ما تريدون من

(١) أحمد بن محمد الطبري المكي (٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، (القاهرة: مكتبة الصحابة)، ص ١٢٠.

علي؟ إنّ عليًا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمنٍ بعدي»[١]. وقد ورد هذا الحديث في صحيح البخاري برقم ٢٦٩٩ من حديث البراء بن عازب أنه ﷺ قال لعلي: «أنت مني وأنا منك». وهناك أحاديث أخرى أيضًا تدل على هذه المنزلة والرابطة القوية بين رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام كقوله ﷺ: «أما ترضَى أن تكونَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسَى إلا أنه ليس نبيٌّ بعدِي»[٢]، وكذلك الحديث الذي رواه الخليفة الأول أبوبكر عنه ﷺ: «علي مني بمنزلتي من ربي».

ومن التاريخ:

وأما تاريخ رسول الله ﷺ، وتاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، فهو شاهد أيضًا على هذه الخصوصية في العلاقة الحميمة بينهما، وهذه حقائق وليست مجرد روايات تروى. ينقل التاريخ أن رسول الله ﷺ عاش في بيت أبي طالب عليه السلام فهو الذي تكفل به منذ الثامنة من عمره، وكذلك رعته تلك المرأة المؤمنة فاطمة بنت أسد أم الإمام علي، وحين تزوج خديجة بنت خويلد وانتقل إلى بيته الخاص، عندما ولد أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الوقت كانت عند أبي طالب عليه السلام أزمة اقتصادية فاقترح رسول الله ﷺعلى أعمامه أن يأخذوا بعض أولاد أبي طالب كي يخففوا عنه العبء، فأخذ العباس جعفرًا، وأخذ رسول الله ﷺ عليًا. فعاش علي عليه السلام في بيت رسول الله ﷺ، وفي كنفه، وتحت رعايته، منذ نعومة أظافره، وأكدّ عليه السلام على هذا الجانب في خطبة له: «وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَ أَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَ يَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَ يُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَ يُشِمُّنِي عَرْفَهُ وَ كَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَ مَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَ لَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٥، ص٢٦١.

(٢) مجمع الزوائد. ص١١٤، حديث٩.

مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَ يَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ»[(١)].

ميزة لم تكن إلا لعلي عليه السلام:

هذه ميزة خاصة لعلي عليه السلام حيث رباه رسول الله صلى الله عليه وآله يشمله بعطفه وعلمه وخلقه، ورسول الله صلى الله عليه وآله يتلقى عناية خاصة من الله عز وجل تشمل عليًا عليه السلام.

المفكر المصري عبدالكريم الخطيب في كتابه (علي بقية النبوة وخاتم الخلافة) يسجل هذه الكلمات: «والحق أن عليًا أوفر الناس حظًا وأطولهم صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله فمنذ ولد علي وهو بين يدي محمد قبل النبوة وبعدها، لم يفترق عنه في سلم أو حرب، وفي حل أو سفر، بل كان بين يدي النبي وتحت سمعه وبصره إلى أن لحق الرسول صلى الله عليه وآلهبالرفيق الأعلى وهو بين يدي علي حيث سكب آخر أنفاسه في الحياة».

ثم يضيف: «وأنت إذا ذهبت تستعرض جميع الذين كانوا في كنف النبي صلى الله عليه وآله من زوج وولد لم تجد أحدًا منهم قد كان له من طول صحبة النبي ومن مخالطته ما كان لعلي، فقد صحب علي النبي صحبة متصلة أكثر من ثلاثين عامًا، وتلك مدة لم يظفر بها أحد من المسلمين جميعًا»[(٢)].

الاهتمام بتربية الأبناء وإعدادهم:

وهذا أمرٌ متوقع لأن علي بن أبي طالب كان يُعدّ لدور كبير هو امتداد لمهمة النبوة، لذلك حظي بهذه الرعاية والمنزلة الخاصة من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وحينما نجد هذه العناية من رسول الله صلى الله عليه وآله للاهتمام بتربية علي عليه السلام، فإنه في الوقت الذي نستفيد منها تبيان مكانة علي عليه السلام، وإعداده لدور قادم، يكون امتدادًا للنبوة، فإن ذلك يؤكد لنا أهمية الاهتمام بتربية وإعداد الأبناء وواجبنا تجاههم. نحن الآن على

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٩٢.

(٢) علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة. الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، (بيروت: دار المعرفة)، ص٨٥.

أبواب الإجازة الصيفية، وفي هذه العطلة يكون الفراغ لأبنائنا وبناتنا إما فرصة للنمو والارتقاء، أو فرصة للانحراف والفساد لا سمح الله. لذلك ينبغي علينا أن نهتم كثيرًا بهذه الفترة من الزمن.

استثمار العطلة الصيفية

أيام المدرسة ينشغل الأولاد بدراستهم وواجباتهم، وفي العطلة يكون عندهم فائض من الوقت والجهد والطاقة، هذا الفائض إذا لم يستوعب بالشكل الصحيح، فسوف يعود بالضرر على الأولاد، ومن ثم المجتمع بأكمله. وقد أشرنا إلى هذا الجانب في الأعوام السابقة، ونجدد ذكره الآن لأهميته، ففي كل عام يزداد الأمر صعوبة، والأساليب تتطور، وأنماط السلوك المختلفة تتغير. علينا أن نفكر كيف ندير هذا الفراغ ونستفيد منه.

أولًا: على كل أسرة أن تلتصق أكثر بأبنائها في مثل هذه الأيام، بالسفر معهم، أو وضع جدول للنزهات الداخلية، والزيارات العائلية. أحيانًا يغلب على بعض الآباء طبع الأنانية، فيسافر بمفرده مخلفًا أسرته بمفردها، وفي بعض الأحيان ترى الأم كذلك في مكان آخر والأبناء في جهة أخرى.

ثانيًا: وضع برامج للعطل الصيفية. علينا أن نفكر في برامج يستفيد منها الأبناء في عطلة الصيف، وإن كلفنا ذلك جهدًا ووقتًا ومالًا؛ لأن العائد سوف يكون أكبر وأنفع. وهناك عدة أمور يمكننا أن نشير إليها في هذا الجانب:

- **التشجيع على العمل.**

هناك بعض الأنظمة تفرض على الشركات أن تستقطب الأولاد للعمل في فترة الصيف، وهذا ينفعهم ماديًا، ويكسبهم خبرة تفيدهم في المستقبل، ويشغل وقت فراغهم فيما يصلحهم. وكذلك بعض جهات العمل تضع دورات تدريبية، وهذا أمر نافع. ثم إن على أصحاب الشركات والمشاريع أن يفكروا في إفادة المجتمع بدعم

أبنائه، وتقدير كفاءتهم، ورفع معنوياتهم، وحمايتهم من الفساد والضياع.

■ **تفعيل المؤسسات الاجتماعية.**

لدينا مؤسسات كالجمعيات الخيرية، واللجان التطوعية، والنوادي الرياضية، من شأنها أن تصنع الكثير لأبنائنا وهي بحاجة إلى دعم وتشجيع، وإذا كانت رعاية الشباب قد قللت الدعم للأندية، فهذا لا يعني إهمال هذا الجانب من قبلنا، فعندنا تجّار وأهل خير بإمكانهم أن يقدموا ويسهموا في تشجيع هذه النوادي التي هي مكان آمن لأبنائنا، كما هو الحال في الدول المتقدمة، حيث تحظى النوادي بدعم كبير من رجال الأعمال. وهناك المراكز الصيفية التي تقام في بعض المدارس الحكومية بدعم من الدولة، وبعض المدارس الأهلية. لكن الملحوظ أن الإقبال على مثل هذه البرامج ضعيف مما سبب إغلاق بعض المراكز.

■ **تفعيل المؤسسات الدينية.**

كالمساجد والحسينيات والحوزات ومواكب العزاء، بإمكانها أن تقدم برامج توعوية دينية للأبناء في هذه الفترة. وقد تحدثت كثيرًا مع بعض مواكب العزاء في المنطقة حول أهمية تفعيل دورهم تجاه المجتمع، فعلى كل موكب عزاء أن يكون له دور فاعل في استقطاب الشباب واحتوائهم، ليس فقط في فترة المناسبات الدينية، وإنما ينبغي أن تكون عندهم برامج وخطط توضع لهذه الفترة من العطل والإجازات، حتى يحتووا الشباب ويحموهم من الفساد والانفلات.

التذمر والتأفف من كل مشكلة تقع في المجتمع لا يكفي، علينا أن نتحرك قبل وقوع المشكلة، وإلا فالنتيجة انتشار الجرائم وتفاقمها.

علينا أن نحصن أبناءنا ومجتمعنا، كما أريد أن أؤكد هنا على أن نشمل بهذه البرامج بناتنا. فالشاب عادة يجد له متنفسًا وأماكن يقضي فيها وقته، لكن البنات عادة ما يقبعن في بيوتهن، ولا يجدن شيئًا يصرفن فيه وقتهن إلا الإنترنت، وهنا قد تقع مشكلة كبيرة،

إذا ما وجدت الفتاة من يبيع ويشتري معها بكلامه المعسول، لتقع لقمة سائغة لأطماعه ومآربه. علينا أن نهتم بتشكيل لجان وبرامج للفتيات، حتى يجدن لهن متنفسًا ومكانًا يفرغن فيه طاقاتهن، ويقضين وقتهن بما يفيدهن.

نسأل الله للجميع الحفظ والصون والخير والصلاح إنه سميع مجيب والحمد لله ربّ العالمين.

موقف الإمام علي عليه السلام في مواجهة العنف الأسري

روي في المناقب عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «إن عليًا عليه السلام رجع إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى عليّ وحلف ليضربني. فقال: يا أمة الله، اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إن شاء الله. فقالت: إذًا يشتدّ غضبه عليّ. فطأطأ علي رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للضعيف حقه غير متعتع، ثم التفت إليها وقال لها: أين منزلك؟ فدلته إليه. فمر عليه السلام إلى بابه، فقال عليه السلام: السلام عليكم. فخرج شاب فقال علي عليه السلام: يا عبدالله اتق الله في أهلك فإنك قد أخفتها وأخرجتها. فقال الفتى وهو لم يعرف أمير المؤمنين عليه السلام: وما أنت وذاك؟ والله لأحرقنها لكلامك. فسل الإمام سيفه، وقال له: آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف، فأقبل الناس من الطرق وهم يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فسقط الرجل في يديه فقال: يا أمير المؤمنين، أقلني عثرتي، فوالله لأكوننّ لها أرضًا تطأني فأغمد علي عليه السلام سيفه فقال: يا أمة الله، ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه»[1].

(١) بحار الأنوار. ج٤١، ص٥٧.

ونحن نستقبل ذكرى ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نريد أن نتوقف عند هذا المشهد من سيرة الإمام عليه السلام لأخذ الدروس والعبر.

عنف الرجل تجاه المرأة:

قد تحصل مشكلة أو خلاف بين الرجل والمرأة، لسبب أو لآخر، ولكن ينبغي أن تحل هذه المشاكل بالحوار والتفهم، وأن يصبر الزوج على زوجته والعكس، حتى لو اضطر أحدهما للتنازل عن حقه، سيما مع وجود الأولاد، حيث إن شجار الوالدين أمام أولادهما ينعكس سلبًا على شخصيتهم وسلوكهم، ويزعزع أمن واستقرار العائلة.

حل المشاكل بين الزوجين ينبغي أن يكون عبر تعاليم الإسلام السمحة، ولكن عادة ما يستخدم الرجل قوته لحل المشكلة بالعنف والقسوة. هناك تقارير حول عنف الزوجات على أزواجهن بالضرب والإهانة وما شابه، لكنها تبقى حالات محدودة مقارنة بما هو الحال عند الرجال. هذه المشكلة ليست في بلد دون بلد حسبما ما تشير إليه التقارير الدولية:

- ٣٠ ٪ من النساء الأميركيات تعرضن للعنف الجسدي من أزواجهن.
- مليون و٨٠٠ الف مُعنفة سنوياً في الولايات المتحدة الأميركية.
- ٤٢٪ من نساء باكستان يقبلن العنف كمصير محتوم لا يستطعن الإفلات منه.
- ٧٠٪ من حوادث قتل النساء تتم على أيدي أزواجهن.
- ٣٦ ألف امرأة روسية يتعرضن للضرب يومياً على أيدي أزواجهن.
- ١٨٪ من نساء أستراليا تعرضن للضرب خلال عام واحد.
- ٢٠ إلى ٦٠ ٪ من النساء في الدول النامية يتعرضن للضرب داخل الأسرة أو من أزواجهن.

وهكذا في كل البلدان بشكل أو بآخر فإن هذه الحالة موجودة. الرجل يشعر بأنه في موقع قوة، فيمارس العنف تجاه زوجته. وهذا خطأ كبير، وآثاره سيئة جدًا، والنصوص الشرعية تحذر من ذلك كثيرًا، وورد عن أبي جعفر ﵇ قال: «لما حضر علي بن الحسين ﵉ الوفاة ضمني إلى صدره ثم قال: يا بني، أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به قال: يا بني، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله»[1].

لا تسكتي عن حقك أيتها المرأة:

على المرأة ألا تسكت عن حقها؛ لأن هذا يضاعف المشكلة عليها، ويؤسس ظاهرة خطيرة في المجتمع. المرأة التي جرت قصتها مع أمير المؤمنين ﵇ لم تسكت عن حقها، بل ذهبت إلى أعلى موقع في المجتمع، تشكو له ظلم زوجها، وتطالب برفع الظلم عنها. لكن ما نشهده أن كثيرًا من النساء لضعف شخصياتهن، أو لعدم وضوح الرؤية لهن، أو لأي سبب آخر، يسكتن عن حقهن ويتحملن أذى الزوج لهن، حتى يتمادى الرجل في غيه.

من ناحية أخرى، ينبغي الوقوف مع المرأة، كما فعل أمير المؤمنين ﵇، حيث ذهب لنصرة تلك المرأة مع الظروف القاسية، من حرارة الشمس. لكنه تحمل ذلك في سبيل نصرة المظلوم وأخذ الحق له. لا شك أن السعي للإصلاح يعرض الإنسان لكثير من المشاكل والأتعاب والإهانة، لكن مناصرة المظلوم مسؤولية وواجب شرعي لا يجوز الاستهانة به.

كما أن قوانين الدولة ينبغي أن تكون صارمة ورادعة في مثل هذا الجانب. قضايا مأساوية تحصل في المجتمع من قبل بعض الأزواج تجاه زوجاتهن.

علينا ألا نسكت عن ظلم الزوج لزوجته، وألا نرضى بذلك؛ حماية لحقوق المرأة،

---

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٤٨.

وحفظًا لاستقرار المجتمع وأمنه.

تأهيل المرأة:

وأخيراً لا بدّ من تثقيف المرأة وتأهيلها للنجاح في علاقاتها الزوجية، فقد تصدر منها تصرفات أو ممارسات تسبب الخلل في علاقتها بزوجها، ولهذا توجه الإمام علي للزوجة ناصحاً ومحذرًا: «لا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه».

والحمد لله ربّ العالمين.

الخطبة الأولى

المبعث النبوي والبعث الأخلاقي

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[سورة الجمعة، الآية٢]

المتتبع للتاريخ البشري، وما مر به من مراحل، يقف على جهود مضنية، ومحاولات متواصلة، لتغيير حياة الإنسان إلى الأفضل، فقد حاول الفلاسفة والمفكرون إيجاد فهم لأنظمة الوجود والكون، كما حاولوا تفسير ظاهرة الإنسان والكشف عن حقيقته، لذا نجد نظماً معرفية مختلفة تحاول أن تحقق نوعاً من العلاقة بين الإنسان وبقية الموجودات الأخرى، وهذا يمثل الجانب المشرق في التاريخ الإنساني.

أما الجانب المظلم فهو هيمنة الجهل والظلم والفساد والتخلف، فلم تحقق الفلسفات البشرية السعادة المرجوة للإنسان، وذلك لعدم المعرفة الدقيقة والموضوعية بحقيقة الكون والإنسان، وأصبحت الجهود الفلسفية محصورة في جوانب محدودة من تاريخ الإنسان، بل ساهمت بعض الفلسفات في تكريس التخلف والانحطاط، فقد دار الفكر البشري بين فكر مثالي تشكيكي، تنكّر للواقع، وبين فكر حسي مادي أهمل تطلعات الإنسان نحو آفاق حضارية تتجاوز المادة، مما يقودنا إلى التسليم بضرورة تدخل يد الغيب الإلهي في إيجاد نظم وتشريعات تنطلق من فهم واقعي للكون والإنسان، وهذا ما يفسر لنا حِكمة الرسالات، وفلسفة بعث الرسل والأنبياء، حيث لا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان إلا بوجود قيادات إلهية، تقود ركب الإنسان

إلى ما فيه الخير والكمال، فالإيمان بوجود إله لهذا الكون، هو ذاته الذي يقودنا إلى الإيمان بالأنبياء والرسل، كما أن أيماننا بالخالق، واعترافنا بالواقع، يكشف عن وجود حِكمة من وراء هذا الخلق، وبالتالي لا يمكن أن يستقيم فهمنا للواقع، ولا يمكن أن يحقق الإنسان هدفه من الوجود، إلا من خلال ما يطلعنا عليه خالق الوجود عبر رسله ورسالاته، ومهما تمرد البشر على هذا الخط، وحاول الاستقلال بفكره بعيداً عن رسالات الله، فإن الغلبة في خاتمة المطاف لرسالات الله، ولا يمكن أن يحقق الإنسان سعادته في الدنيا والآخرة إلا من خلال هدي الأنبياء والرسل.

انعطافة في تاريخ البشرية

فعندما نحتفل بذكرى المبعث النبوي الشريف، إنما نستذكر جهود كل الأنبياء والرسل، الذين كانت رسالاتهم تمهيداً للرسالة الخاتمة، و المبعث النبوي يمثل انعطافةً مهمة في تاريخ البشرية، بما حققه من صنع واقع جديد للإنسانية، يتجاوز واقع التخلف والجهل والفساد، الذي كان منتشرًا في جميع المجتمعات البشرية.

يقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ إن الله يمتن على الناس عامة، وعلى العرب خاصة، أنه بعث فيهم هذا الرسول العظيم ﷺ، وكلمة الأمّيين إما بمعنى عدم معرفة الكتابة والقراءة، وعدم الإلمام بالمعرفة والثقافة، كما هو المتداول لمصطلح أمّي، وإما أن يكون نسبة لأم القرى؛ لأن مكة المكرمة كان يطلق عليها أم القرى، وقد بعث الله في هؤلاء الأميين الذين كانوا يعيشون الجهل والفساد والتخلف رسولاً منهم، مما يكشف عن لطف الله ورحمته بالإنسان، حيث لا يترك البشرية سادرة في غيها وانحرافها، بل يبعث لها من ينقذها الى طريق الحق والرشاد.

وكلمة ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ تعني من ذلك المجتمع المتخلف الجاهلي، إنه لم يأتِ من مجتمع أكثر تقدمًا من مجتمعه، ولم يأت من بيئة أرقى من بيئته، الأمر الذي يقودنا إلى الإيمان بأن ما جاء به من علوم ومعارف عظيمة تبهر العقول، ومن أنظمة ومناهج

للحياة، لا زالت تثبت صحتها وتقدمها على أرقى ما توصلت إليه البشرية من نظم ومناهج، أن كل ذلك من عند الله، وإلّا كيف أمكن لإنسان من بيئة جاهلة، أن يأتي بهذا المنهج، وهذه الشريعة، وهذا الهدى؟ حيث لا يمكن تفسير ذلك إلا بكون الرسالة من الله سبحانه وتعالى.

مهمتان رئيستان

وقد بينت الآية مهمة هذا الرسول بالقول ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ إنها مهمتان رئيستان:

المهمة الأولى: الارتقاء العلمي والمعرفي بوصفه الأداة المهمة لعامل التقدم والتحضر، ومحاربة الجهل بوصفه أساس التخلف، وسبباً لمختلف أنواع المفاسد والأمراض، فقد كان المجتمع قبل المبعث الشريف مجتمعاً جاهلياً يعتمد الأوهام والخرافات والأساطير، فجاء رسول الله ﷺ برسالة الإسلام ليحرّر العقول من سيادة الأوهام، وهيمنة الخرافات والأساطير، ومن ثم الانفتاح على العلم والمعرفة وكشف الحقائق.

المهمة الثانية: هي الارتقاء الأخلاقي والقيمي، فقد كان المجتمع الجاهلي يعيش تخلفاً اجتماعياً، إلى جانب تخلفه العلمي والمعرفي، وهناك في الغالب تلازم بين هذين النوعين من التخلف، فالتخلف العلمي هو أرضية للتخلف الأخلاقي، كما أن التخلف الأخلاقي هو معوّق للارتقاء العلمي، لذا فإن أي تقدم منشود للمجتمع لا يتحقق إلا بالتقدم العلمي والأخلاقي.

ونحن نرى ما حققته البشرية اليوم من تقدم لم يتحقق إلا بهذين الجانبين، فالجانب العلمي نشهده بشكل واضح في الجامعات ومراكز الأبحاث والدراسات والاكتشافات العلمية، أما في الجانب الأخلاقي نشير إلى مسألة العلاقات البينية بين أبناء المجتمع، ففي الدول المتقدمة تم تحويل الأخلاق إلى أنظمة وقوانين ساعدت

على إيجاد أشكال منضبطة، مكّنت من حفظ الحقوق بين الناس، إلا أنها أهملت بعض الجوانب السلوكية في الأخلاق، وهو مورد اعتراضنا ونقدنا للحضارة الغربية، فقد اعتمدت على النظام والقانون الظاهري، ولم تهتم بالتزكية الداخلية، من تهذيب للنفوس والأرواح، وهي المهمة التي تقوم بها الأديان والرسالات السماوية، لو كان إلى جانب هذا النظام الأخلاقي السائد في الغرب، هناك تهذيب نفسي وروحي، لكان وضع الإنسان الغربي أفضل مما هو عليه الآن، ومع ذلك نشيد بالجوانب الإيجابية في الحضارة الغربية، من تحقيق أنظمة وقوانين ذات منحى أخلاقي في العلاقات البينية، وهي سبب رئيس في تقدم تلك المجتمعات.

حينما بعث الله النبي محمدًا ﷺ لذلك المجتمع كان محور رسالته هذين الجانبين: فقد كانت حياة الناس قبل الرسالة تقوم على الحروب والنزاعات، وتسودهم القبليات والعصبيات، فجاء الرسول ﷺ لينقذهم من كل ذلك، بتوحيدهم وجمعهم ضمن مشروع اجتماعي عظيم، وأمتنا الإسلامية اليوم بحاجة إلى الاهتمام بهذين الجانبين، جانب العلم والمعرفة، وجانب الأخلاق والتزكية، فالعلم هو السبيل الوحيد لتحقيق التقدم والازدهار، والأخلاق والتزكية هي الخيار الوحيد للقضاء على الفتن والصراعات والنزاعات، التي سببها انعدام الجانب الأخلاقي ثقافياً وقانونياً.

ومما يؤسف عليه أن أمة الإسلام التي تمتلك هذه الرسالة الخالدة، وتمتلك هذا الكم الهائل من الأتباع، مليار ونصف المليار من أبناء البشر، مع ذلك يعيشون هذا التخلف والانحطاط والحروب والصراعات. لماذا أمة المسلمين ومجتمعاتهم تعيش كل هذه المشاكل والعقبات؟ إما عنف مدمر من حروب وتفجيرات، وإما نزاعات بينية تمنع الناس من توجيه جهودهم لقضاياهم الأساسية المصيرية.

إننا بحاجة في ذكرى المبعث النبوي الشريف للتأكيد على الجانب الأخلاقي والتربوي، وتهذيب النفوس وتزكيتها من الأمراض المختلفة، كما نؤكد حاجتنا إلى إيجاد أطر ومؤسسات تعمل على تأصيل الأخلاق ثقافياً وقانونياً.

السيد فضل الله أنموذج العالم الرسالي

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٣٩]

من يتصدى لتبليغ رسالات الله يجب أن يتحلى بالصدق والشجاعة والإخلاص، حتى لا تكون الرسالة في معرض المساومة من أجل المصالح والمكاسب، فهناك تحدٍ كبيرٌ وخطرٌ يواجه من يتصدى للدعوة والتبليغ، هو خطر المداهنة والمساومة على حقائق الرسالة ومصالح الأمة، إما خوفاً من بطش السلطان، وإما طمعاً في مكاسب أو حطام، لذلك فإن الأمة تحتاج في كل عصر إلى علماء ودعاة صادقين مخلصين، يقدمون نموذجاً في الثبات على الحق، وشجاعةً أمام التحديات والمواقف، مهما كلفهم ذلك من أثمان وتضحيات، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ والخشية هنا مطلقة بمعنى الخشية من الله في كل موقف وقول وعمل، وفي المقابل عدم الخشية مطلقاً من كل ما هو دون الله، فلا يخشون سلطة، أو مجتمعاً، ولا يداهنون في الحق خشية الفقر والحاجة، وقد وعد الله بأنه سوف يوفي أجور الصابرين، فهو الذي يحصي عمل هؤلاء المبلغين الصابرين الثابتين، وإن تنكّر الناس لهم.

رحيل السيد فضل الله

ولقد فقدنا في الأيام الماضية عالماً فقيهاً ومرجعاً يعتبر نموذجاً متميزاً في عصره

في الثبات والشجاعة والإخلاص والجرأة، وهو سماحة السيد محمد حسين فضل الله رضوان الله تعالى عليه، فقد تحمل هذا العالم مسؤوليته تجاه الأمة عملياً وعلمياً، فقام بتأسيس الكثير من الحوزات العلمية، والمؤسسات الأكاديمية، التي زادت على خمس عشرة مدرسة أكاديمية.

وبعد الحرب الأهلية في لبنان أسس الكثير من المبرات الخيرية لرعاية الأيتام، احتضنت أكثر من ثلاثة آلاف وثلاثمئة يتيم، تقوم بكل شؤونهم الحياتية والتوجيهية والتعليمية، مضافاً لما قام به من تأسيس معاهد لذوي الحاجات الخاصة، كمعهد الهادي للإعاقة السمعية والبصرية، الذي يعتبر من المعاهد الأولى لذوي الاحتياجات الخاصة في الشرق الأوسط، هذا في جانب عمله الاجتماعي.

رعاية المقاومة والدفاع عنها

أما دوره السياسي، فقد كان موقفه واضحاً وصريحاً أمام الاستكبار العالمي، والصهيونية الغاصبة لبلاد ومقدسات المسلمين، فكان صوته مجلجلاً دائماً حتى في أحلك الظروف، وقد عانى كثيراً من أجل هذه المواقف، فوُجّهت له الضغوط، وعُمل مراراً على تصفيته، كمجزرة بئر العبد، حينما استهدفه تفجير غاشم وهو يؤم المصلين، ثم تعرض لمحاولات مختلفة كمحاولة الإسرائيليين عندما دمروا منزله في حرب تموز، حينما كان السيد يقيم فيه، ولم يخرج منه إلا قبل القصف بوقت قصير، حيث أنجاه الله سبحانه وتعالى، وبرغم كل ذلك لم يساوم على مواقفه السياسية في مختلف الظروف والأوضاع، وكان يعبر عنها بحكمة وبلغة متزنة، ولكنها شديدة الوضوح، في الانتصار للحق العربي والإسلامي، وفي مواجهة المستكبرين والطغاة والظالمين، ويعتبر ممن صنع روح المقاومة والتحدي، وقد صرح القادة المقاومون أنهم تخرجوا من تحت منبره، واستمر يرعى المقاومة إلى آخر لحظة من لحظات حياته الشريفة، وقد أجاب ابنه عندما طلب منه أن يرتاح بأنه لن يرتاح حتى تسقط إسرائيل، فقد كان يعيش هذا الهم حتى آخر لحظة من لحظات حياته.

شجاعة الإصلاح الفكري

أما في المجال المعرفي والفكري فقد قدّم نموذجاً للعالم الرسالي الشجاع، الذي يجهر بما يراه حقاً، فلم يكن يجامل أو يخشى على شعبيته ونفوذه الاجتماعي، حينما تتشكل لديه قناعة فكرية بمسألة عقدية أو فقهية كان يتحدث عنها بكل وضوح وصراحة، وقد كان بالطبع يجد بعض المعارضات في بيئتنا الراكدة التي ينقصها الكثير حتى تكون بيئة منتجة علمياً ومعرفياً، فمن حق العالم أن يفكر ويبدع حتى وإن كان في ذلك خلاف لما هو سائد من أفكار، كما من حق الآخرين أن يختلفوا معه، فتتولد بيئة من الحوار الموضوعي المثمر.

ومن المؤسف أن الذي حصل مع سماحة السيد كان تشويهاً لسمعته، ومحاولة لإسقاطه اجتماعياً، باختلاق الافتراءات والاتهامات، وتحريف الكلام، وإثارة الأجواء المعادية، وفي مثل هذه الأجواء لا شك أن أعداء الأمة والمجتمع يجدون الفرصة لصب الزيت على نار الاختلاف والفتنة، فتخرج كتابات ومقالات ونشرات واتهامات من هذه الفئة ضد هذه الفئة، ولعلها من طرف ثالث مخفي، يعمل على تصعيد الخلاف وتعكير الأجواء، وبرغم ذلك صمد السيد كاظماً لغيظه، متجرعاً لمرارة الافتراء والتشويه، وكان يقول في قبال كل من سبه وأساء إليه: «علينا أن ندفع ثمناً للإجهار بما نعتقد أنه الحق»، فعاش حياته خمسة وسبعين عامًا في العلم والعطاء، والجهاد والعمل، من أجل المجتمع، حتى دعاه الله إلى جواره، فلبى بنفس راضية مطمئنة، ولقد خسرنا به علماً فقيهًا ومرجعاً رائداً، نسأل الله أن يوفق العلماء في السير على هذا الطريق، حتى يكونوا مصداقاً للآية ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ ولقد رأينا كيف تفاعل العالم مع فقد هذا العالم الجليل، فقد كان خبر وفاته رئيساً في مختلف وسائل الإعلام، ورأينا التشييع الضخم الحاشد النوعي الذي حصل له وذلك قليل في حقه.



الخطبة الأولى

صناعة المعروف

قال رجل عند الإمام الحسين عليه السلام: إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع. فقال الإمام الحسين عليه السلام: «ليس كذلك، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البر والفاجر»[1].

نعيش هذه الأيام الفاضلة الشريفة من شهر شعبان، الذي حفّه الله بالرحمة والمغفرة والرضوان، وهو الشهر المنسوب إلى رسول الله، وحيث ذكريات موالد الأئمة والصالحين. كذكرى مولد الإمام سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وأخيه العبد الصالح أبي الفضل العباس، وابنه زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وكذلك سائر المناسبات العظيمة، وعلينا أن نستفيد من هذا الشهر وهذه الذكريات العطرة فيه.

منطلقات صناعة المعروف

في سيرة أبي عبدالله الحسين عليه السلام نقرأ الكثير من الرؤى والمواقف الخالدة، ولكن نريد أن نركز هنا على مسألة (صناعة المعروف).

المعروف صُنع الحَسن للناس. أي شي حسن تفعله للناس يسمى معروفًا. وفي الإسلام ينطلق صنع المعروف من ثلاثة منطلقات:

١. **التقرب إلى الله.** حينما ينوي الإنسان فعل المعروف ويسعى لأدائه، عليه أن

(١) تحف العقول. ص٣٤٥.

يكون هدفه الأساس التقرب إلى الله عز وجل، فلا يهمه حينها لمن يقدّم هذا المعروف، لأنه إذا عمل لشخص ما، فسوف ينظر هل يستحق أو لا يستحق، على ضوء صلته الشخصية به.

لكن الإنسان الذي يصنع المعروف طلبًا لرضى الله عز وجل فلا يهمه ذلك، ويكون هدفه الأساس تحقيق رضى الله تعالى، فيعمل لكل عباد الله وخلقه. ولا ينتظر من أحد شكرًا، ولا يعمل بهدف كسب مصالح لذاته. جاء عن أمير المؤمنين ﻋﻠﻴﻪ السلام: «ابذل معروفك للناس كافة، فإن فضيلة المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء»[١]. وقال أيضًا: «عليكم بصنائع المعروف فإنها نعم الزاد إلى المعاد»[٢].

٢. **تعزيز وتكريس صناعة المعروف في نفس الإنسان**. حين يعوّد الإنسان نفسه على صناعة المعروف للجميع بدون استثناء، فإنه سيخلق في نفسه طبعًا وسجية طيبة لا تنفك عنه، أما إذا كان بالانتقاء فهذا لا يخلق تلك السجية في ذاته. وهنا تتجلى ميزة التخلق بأخلاق الله عز وجل، حيث إن الله تعالى يعطي لجميع خلقه، البر منهم والفاجر، المؤمن والكافر، من عرفه ومن لم يعرفه كما في الدعاء: «يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله ومن لم يسأله ومن لم يعرفه تحننًا منه ورحمة». لهذا على الإنسان المؤمن أن يكون معروفه مبذولًا للجميع. وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يشير إلى هذا الجانب أيضًا: «اصطنع الخير إلى أهله وإلى من ليس أهله، فإن لم تصب من هو أهله، فأنت أهله»[٣].

٣. **إقامة الحياة الإجتماعية على أساس المعروف**. حينما يكرّس الإنسان صناعة المعروف في نفسه، فإنه سوف يشجع هذه الحالة في المجتمع؛ لأن هناك من

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ٦٢٢٩.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. ٦١٦٦.
(٣) عيون أخبار الرضا. ج١، ص٣٨.

سيسير على طريقته ونهجه الحسن، وهذا ما تؤكد عليه الروايات والنصوص الدينية.

يقول أحد الشعراء:

ازرع جميلًا ولو في غير موضعه فلا يضيع جميلٌ أينما زرعا
إن الجميل وإن طال الزمان به فليس يحصده إلا الذي زرعا

مأسسة المعروف:

إن أفضل شيء لصناعة المعروف وتكريسه في المجتمع هو مأسسة المعروف. أن نؤسس جهات مختصة لمساعدة الناس، وتلبية حاجات المحتاجين منهم، مهما كانت الحاجة. والمؤسسة في الغالب تكون أدعى لترسيخ هذا الأمر، وتفادي حالة الانتقائية في العطاء، سيما إذا كان هدفها إنسانيًا صرفًا. كما نرى في المجتمعات الغربية كيف يؤسسون جمعيات لمساعدة المحتاجين على مستوى العالم، بغض النظر عن أديانهم وأعراقهم. لا يهتمون بمن هم في بلادهم فقط، بل ينطلقون إلى الدول التي تكون في أمس الحاجة للعطاء. وهذا هو الوضع السليم الذي يشجع عليه الإسلام.

الإمام الحسين ﵇ حين سمع الرجل يقول: إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع. اعترض عليه ونبهه إلى الأمر الصحيح فقال: ليس كذلك ـ يعني هو لا يضيع فأجره عند الله عظيم، وأثره في النفس فعال، وتكريسه في المجتمع نافع ـ ثم أوضح له: ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر، تصيب البَّر والفاجر. ونقرأ في سيرته العظيمة أثناء طريقه إلى كربلاء، وحين رأى الجيش الأموي يلهث من شدة العطش كيف أمر أصحابه بأن يسقوا القوم، وأن يرشفوا خيولهم ترشيفًا؟ هكذا كان سلام الله عليه وعلينا أن نتعلم منه هذا الدرس العظيم.

العباس سجية الإيثار وحسن الإخاء:

وبما أننا نعيش ذكرى ميلاد هذا العبد الصالح أبي الفضل العباس بن علي، فلنأخذ منه درسًا عظيمًا تجلى في شخصيته وهو الإيثار وحسن الإخاء، وقد قال في حقه الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ: «كان عمي العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين، وأبلى بلاءً حسنًا، ومضى شهيدًا»[1].

حينما نسمع عن تباعد الأخوة الذين هم من أب وأم، أو من أحدهما، بسبب الخلاف على الإرث أو أي أمر آخر، فعلينا أن نقدم لهم أبا الفضل العباس ﷺ نموذجًا قيمًا في إيثاره أخيه الحسين، وعيال وحرم أخيه على نفسه. وإذا كان الناس محتاجين للمعروف فإن ذوي القربى أكثر حاجة إليه، ولو بالكلمة الطيبة.

نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق للجيمع وأن يجعلنا ممن يصنع المعروف ويرجو رضى الله عز وجل.

---

(١) الخصال. ص٨٦.

الدعاء وتوثيق الصلة بالله

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [سورة النمل. الآية: ٦٢]

حين يكون الحديث عن الإمام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام فلا يكون بدٌ من الحديث عن الدعاء، هذا الباب المفتوح إلى الله عز وجل، وفي حياة الإمام زين العابدين عليه السلام تراث وثروة عظيمة من الأدعية الروحية. وهناك سؤال يطرح نفسه هنا: لماذا هذه الخصوصية في حياة الإمام السجاد عليه السلام أكثر ظهوراً من سائر الأئمة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين؟ هناك أسباب، ومنها:

- فرصة التوجيه والتوعية في عهد الإمام زين العابدين عليه السلام كانت أقل من سائر الأئمة عليهم السلام بسبب الظروف الضاغطة التي واجهها من قبل الأمويين، فلجأ إلى الدعاء ليبث منه التوجيه والقيم، لذلك نجد أدعيته مليئة بالقيم والتوجيهات، وليست مجرد طلب وابتهال إلى الله عز وجل.
- من جهة أخرى، فقد عاش الإمام عليه السلام ظروفًا صعبة على المستوى الشخصي، وإن كان سائر الأئمة قد واجهوا مثل هذا الأمر، لكن ما واجهه يعتبر أشد وأقسى، فقد رأى قتل أبيه الحسين عليه السلام وأعمامه وأخوته حتى الرضع، ورأى سبي عماته وأخواته، وغيرها من الفظائع، فنالت منه، وهو بشر له أحاسيسه ومشاعره، لذا يثيبه الله عز وجل على صبره وتجلده. وقد عاش معاناة الإذلال والشماتة مع علمه بمكانته التي وضعه الله فيها، حين سأله رجل في الشام:

كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ قال: «أمسينا كبني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، يا منهال! أمست العرب تفتخر على العجم لأن محمدًا منهم، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدًا منها، وأمسينا أهل بيت محمد ونحن مغصوبون مظلومون مقهورون مقتلون مثبورون مطرودون»[١].

هذه أجواء ضاغطة عاشها الإمام، وأكثر من ذلك شماتة الأعداء كما أشار إلى ذلك حين سئل: ما كانت أشد الأشياء عليك؟ قال: الشام.. الشام وشماتة الأعداء. يأتيه شخص يقول له: الحمد لله الذي خذلكم ونصر أمير المؤمنين يزيد عليكم. أي ذل وشماتة أكثر من هذه؟ لكنه في هذه الظروف كان يلجأ إلى الله عز وجل، لكي يعلمنا أن الإنسان مهما اشتدت به الظروف فعليه أن يلجأ إلى الله تعالى، سواء كانت عنده ظروف عائلية، أو مالية، أو جسدية، أو أي ظرف كان، فعليه أن يعرف أن هناك ربًا رحيمًا يسمع نداءه، ويعطيه الثمرة عاجلًا أو آجلًا ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ الله هو الذي يجيب لا غيره. وعند الإمام السجاد عليه السلام أدعية كثيرة تنشر القيم والمبادئ، وتفتح أبواب الثقة بالله مهما اشتدت الظروف.

(١) أحمد بن أعثم الكوفي. كتاب الفتوح، ج ٥، طبعة ١٩٩١م، (بيروت: دار الأضواء)، ص ١٣٣.

الخطبة الأولى

ليلة النصف من شعبان والمنزلة العظيمة

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «سئل الباقر: عن فضل ليلة النصف من شعبان؟ فقال: هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، فيها يمنح الله تعالى العباد فضله، ويغفر لهم بمنّه، فاجتهدوا في القربة إلى الله فيها، فإنها ليلة آلى الله على نفسه أن لا يرد سائلاً له فيها ما لم يسأل معصية»[1].

وأيضاً بسنده عن بن فضال قال: سألت علي بن موسى الرضا عن ليلة النصف من شعبان؟ فقال:« هي ليلة يعتق الله فيها الرقاب من النار، ويغفر فيها الذنوب الكبار» قلت: فهل فيها صلاة زيادة على صلاة سائر الليالي؟ فقال:« ليس فيها شيء موظّف، ولكن إن أحببت أن تتطوع فيها بشيء فعليك بصلاة جعفر بن أبي طالب، وأكثر فيها من ذكر الله والاستغفار والدعاء، فإن أبي كان يقول: الدعاء فيها مستجاب»[2].

وعن زيد بن علي قال: كان علي بن الحسين يجمعنا جميعاً ليلة النصف من شعبان، ثم يجزئ الليل أجزاء ثلاثة، فيصلي بنا جزءاً، ثم يدعو فنؤمن على دعائه، ثم يستغفر الله ونستغفره، ونسأله الجنة حتى ينفجر الفجر[3].

---

(١) وسائل الشيعة. حديث ١٠١٨٣.

(٢) المصدر نفسه. حديث ١٠١٨٣.

(٣) المصدر نفسه. حديث ١٠١٩٢

ما أحوج الإنسان إلى وقفات روحية، ومحطات معنوية يعود فيها إلى نفسه، وينفتح فيها على خالقه، ويستمد منه العون ويطلب منه الصلاح. وأفضل هذه المحطات تكون في الأزمنة المباركة، التي لها خصوصية عند الله تعالى. فكيف نعرف هذه الأزمنة؟ نحن كبشر لا نملك من المعايير ما يكشف لنا عنها، ولكننا نستطيع أن نعلم بها عن طريق الروايات والنصوص الواردة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام ﷺ، كتلك الروايات التي تبركنا بتلاوتها مطلع الخطبة، والتي تؤكد على زمن خاص له فضله ومكانته عند الله عزّ وجلّ، وهي ليلة النصف من شعبان. وقد وردت روايات أخرى كثيرة تدل على فضل هذه الليلة ومكانتها، هذه الروايات لم يتفرد فيها مذهب من مذاهب المسلمين، بل كل المذاهب الإسلامية تروي مصادرها روايات تؤكد على مكانة وعظمة هذه الليلة المباركة. فهناك اتفاق على مكانتها عند الشيعة والسنة.

أحاديث في مصادر سنّية:

أفرد الإمام ابن ماجه القزويني بابًا في سننه بعنوان: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، جاء فيه مسنداً إلى علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها». وبسنده عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن»[١].

وجاء في كنز العمال عن عائشة: عنه ﷺ: «إن الله يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه»[٢].

---

(١) محمد بن يزيد بن ماجه، سنن ابن ماجه. ج١، الطبعة الأولى١٤١٧هـ، (الرياض: مكتبةالمعارف)، حديث٤٢١.

(٢) كنز العمال. حديث ٧٤٥٠.

وفيه عن أبي ثعلبة الخشني: عنه ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان اطّلع الله إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»[١].

وعند السلفيين:

في معظم المصادر الإسلامية إشارات إلى فضل هذه الليلة حتى عند المدرسة السلفية، ففي مجموع فتاوى ابن تيمية: سئل عن صلاة نصف شعبان؟

فأجاب: إذا صلى الإنسان ليلة النصف وحده، أو في جماعة خاصة كما كان يفعل طوائف من السلف، فهو أحسن. وأما الاجتماع في المساجد على صلاة مقدرة، كالاجتماع على مئة ركعة، بقراءة ألف ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ دائمًا، فهذا بدعة، لم يستحبها أحد من الأئمة.

وقال: وأما ليلة النصف، فقد روي في فضلها أحاديث وآثار ونقل عن طائفة من السلف أنهم كانوا يصلون فيها، فصلاة الرجل فيها وحده قد تقدمه فيه سلف وله فيه حجة فلا ينكر مثل هذا[٢].

هل هي بدعة؟!

مجتمعات إسلامية كثيرة تحتفي بليلة النصف من شعبان، وأتباع أهل البيت عليهم السلام يهتمون بها أكثر لما لها من أهمية دينية، ولارتباطها بذكرى الإمام المهدي عليه السلام، فيظهرون التهاني والتبريكات، وينشرون الزينة في الشوارع والمنازل، إظهارًا للسرور وعظمة الليلة، لكننا في كل عام وأمام هذه المناسبة العظيمة، نسمع أصواتًا تفتي ببدعية الاحتفاء بهذه الليلة، وأن ذلك مخالف للشرع!

أن يكون للإنسان رأي آخر فذاك حق مشروع ولا مانع منه، ولكنه لا يصح التراشق

(١) المصدر نفسه. حديث ٧٤٥١.

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي. فتاوى ابن تيمية. ج٢٣، ص ١٣١-١٣٢.

بالتهم كالتبديع والتفسيق ما دام الأمر دائراً في مجال الاجتهاد، فلكل فقيه الحق في الاجتهاد وتبيان رأيه حول المسألة. ليس هناك طائفة من طوائف المسلمين تقبل بالبدعة، فكلهم يروون روايات حولها وبألفاظ متقاربة، وإذا كانت عند السنة أحاديث تحذر من البدعة فعند الشيعة أكثر حول البدع والابتداع والمبتدعة، كتلك الروايات الواردة في الكافي للكليني عن رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»[١].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وَ مَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ فَاتَّقُوا الْبِدَعَ»[٢].

وعنه عليه السلام: «إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة»[٣].

فالبدعة مرفوضة، ولكن متى يكون الأمر بدعة؟

البدعة والاختلاف في الرأي:

البدعة تعرّف بأنها إدخال ما ليس من الدين في الدين. ويعرفها ابن رجب الحنبلي: «ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا»[٤].

وأهل السنة يقسمون البدعة إلى بدعة حسنة وأخرى سيئة. جاء عن رسول الله ﷺ: «من سنّ سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها». وينقلون عن عمر بن الخطاب أنه قال: «نعمت البدعة هي». يعني صلاة التراويح حيث كانت تصلى فرادى في مسجد رسول الله ﷺ في عهده وعهد الخليفة الأول، لكنه رآهم فرادى فاستحسن

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٢٦٩.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٥.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.
(٤) ابن رجب الحنبلي. جوامع العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، (القاهرة: دار السلام)، ص٣٣٣.

أن يجمعهم، ثم رآهم مجتمعين فأعجبه ذلك، والتفت إلى أن الأمر لم يكن كذلك في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر فقال: نعمت البدعة هذه[١].

إذًا فلا يصح لأي أحد أن يطلق على الاختلاف الاجتهادي أنه ابتداع في الدين، ما دام الشخص مجتهداً له رأيه، ولكل مجتهد أتباع يعملون برأيه، فلا يحق أن نرميهم بالابتداع ما داموا يستندون على حجة ورؤية شرعية عن عالم فقيه. المذهب الذي يرى نفسه على صواب في مسألة ما، لا يحق له أن يرمي الطرف الآخر بأنه على باطل ومبتدع، إذا خالفه الرأي، وإلا لجاز للطرف الآخر أن يرميه بنفس التهمة، وإذا كان كذلك فلا قيمة لفتح باب الاجتهاد!

هذه عقدة نعانيها ونعايشها. وقد قلنا أنه يمكن للفقيه أن يقول هذا صواب وذاك خطأ، ولكن لا يحق له رمي من يخالفه بالبدع، فهو منزلق خطير من المزالق التي ابتليت بها الأمة الإسلامية. نحن نختلف في بعض المباني، فالسنة يقولون إن قول الصحابي حجة، والشيعة يقولون: إن قول أهل البيت حجة. فإذا أخذ السنة حجية أمر ما لقول أحد الصحابة بها، أو تقريره لها، ولم يقل بذلك أهل البيت عليهم السلام فهل يقبل أهل السنة من الشيعة أن يرموهم بالابتداع؟ كذلك لو حصل العكس من السنة فإن الشيعة لن يقبلوا.

من حق كل طرف أن يعمل الشيء الذي يعتقد صحته، ما دام في إطار الاجتهاد، فليس بدعة ما ينتجه اجتهاد ضمن ضوابط الاجتهاد، وكذلك من باب الأخذ بباب التسامح في أدلة السنن عند من يراه. ثم إن الأمر يتعلق باختلاف بيئة العالم، واختلاف الزاوية التي ينظر منها، فيختلف رأي هذا عن ذاك، حتى لو كانا من نفس المذهب؛ لأن زاوية النظر قد اختلفت، والظروف المحيطة كذلك اختلفت، فلا يصح حينها الاتهام في الدين، ولا التشكيك في نيات الآخر وتسقيطه ومحاربته.

---

(١) ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي. البداية والنهاية. ج١، الطبعة الأولى١٤٢١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص٧٩.

الشيخ الأنصاري يقدم أنموذجًا:

ينقل المرجع الراحل السيد الشيرازي رحمه الله في كتابه (من أخلاق العلماء ـ ص ٥١) القصة التالية: لما توفي صاحب الجواهر انتقلت الرئاسة العامة بعده إلى الشيخ الأنصاري وكان الشيخ الأنصاري يسلك سلوك الزهد في الدنيا، بينما كان صاحب الجواهر يسلك سلوك الرؤساء والملوك.

فجاء شخص إلى الشيخ الأنصاري وقال: أيّها الشيخ، إن كان مسلككم حقّاً، فإنّ صاحب الجواهر على باطل، وإن كان مسلك صاحب الجواهر حقاً، فإنّ مسلككم على باطل، فأيّهما حقّ وأيهما باطل؟

أجاب الشيخ قائلاً: ليس الأمر كما زعمت محصوراً في الشقّين، بل هناك شقّ ثالث: وهو أنه يمكن أن يكون كلاهما حقّاً، فصاحب الجواهر كان يعكس بسلوكه عظمة الإسلام وشوكته، وأنا أعكس بسلوكي زهد الإسلام ويسره، وحيث إنّ للإسلام جوانب متعدّدة، كان كل واحد منّا يسلك جانباً منه.

هذا أنموذج جميل يعلمنا شرعية الاختلاف والاجتهاد، وإمكانية اختلاف زوايا النظر في المواقف والمسلكيات، من هنا نحن نرفض وندين تلك الأصوات والفتاوى التي ترمي الآخرين بالشرك والبدع والتكفير، أو تتهمهم في دينهم لأخذهم برأي آخر.

برامج العبادة وبرامج إظهار الفرح

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «معاشر الشيعة كونوا لنا زينًا ولا تكونوا علينا شينًا، قولوا للناس حسنا، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول وقبيح القول»[1].

العسكري عليه السلام: «اتقوا الله وكونوا لنا زينًا ولا تكونوا شينًا، جرّوا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح»[2].

كثيرة هي التوصيات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام التي توجه شيعتهم إلى أن يكونوا أنموذجًا حسنًا في سلوكهم، وأن يتميزوا أكثر على غيرهم، كما تميز أهل البيت عليهم السلام على سائر الأئمة في عصورهم. والأضواء أصبحت الآن مسلطة على أتباع أهل البيت عليهم السلام، فهم محل الأنظار على مستوى العالم أجمع. لذا عليهم أن يهتموا بسلوكهم وسيرتهم كما يريد أهل البيت عليهم السلام؛ لأن ذلك سيعطي صورة حسنة مشرقة لأهل البيت، أما التفريط في هذا الجانب فذلك يعطي مجالاً لتشويه الصورة وتنفير الناس.

وجه المجتمع:

لكل مجتمع مناسبات، يقيمها ويهتم بها، فعلى الجميع أن يبذلوا جهدهم لإظهار

---

(١) الشيخ الصدوق. الأمالي. ص ٢٤٠.

(٢) مستدرك الوسائل. ج٨، ص٣١٤، حديث ٩٥٣١.

مناسباتهم بالشكل الحسن، فهي ستكون مرآة لمجتمعهم، حيث إن السلوك الجمعي لكل مجتمع إذا ما كان منظمًا، ومهتمًا بالذوق والأخلاق الفاضلة، فإنه يعطي صورة مشرقة للمجتمع. ونحن على أعتاب مناسبة عظيمة يحتفي بها الشيعة بشكل كبير وهي ليلة النصف من شعبان، ولهذه الليلة عادات وتقاليد في مراسيم الاحتفاء، وهنا نريد أن نركز على ضرورة الحفاظ على الصورة النقية لهذه المدرسة وهذا المذهب العريق، وهذا يكمن عبر عدة نقاط، من أهمها:

أولًا: لا بد من تضافر الجهود حول إقامة هذه المناسبة، والاجتهاد لأن تكون بالشكل الحسن، حتى تعكس وجهًا مشرقًا للمذهب والمجتمع. وكل واحد منا يتحمل قسطًا من المسؤولية.

ثانيًا: التعاون في صدّ العناصر التي تسيء إلى المناسبة بتصرفاتها السلبية، خاصة في هذا الزمن الذي يظهر فيه كل يوم نمط جديد، وأساليب مثيرة، لها تأثير على سلوك بعض الشباب، فيتصرفون تصرفات مخلة تشوه المناسبة. فلا بدّ من برامج للحفاظ على المناسبة وبهجتها، وأن نعطي صورة حسنة للآخرين، سيما أن من يرتادها ليس من الشيعة فقط. كما أن أخبارنا تصل إلى الجميع، فعلينا أن نوصل الصوت الحسن لا السيئ.

حينما نجد ظاهرة سيئة تنشر في المجتمع وتفسد أجواءه، فعلينا جميعًا التصدي لها ومعالجتها، مثلاً ظاهرة التفحيط في الأحياء السكنية، وهي ظاهرة خطيرة على من يرتكبها وعلى الناس، وقد تحدثنا عنها كثيرًا، ولكن لأنها قد تمارس في هذه المناسبات حيث تواجد الناس فمن الضروري أن نشير إليها، وأن ندعو الجميع للتعاون في عمل برامج ودراسات لمعالجة هذه الظاهر السيئة، التي أفقدتنا عدداً من شبابنا. في الأسبوع الماضي فجعنا بفقد الفاضلة والكاتبة فوزية المرزوق، وهي خطيبة ومؤلفة وأستاذة في الحوزة، كانت ضمن برنامج ديني يقام في الأحساء، وحين خرجت صدمها أحد المفحطين مع بعض من زميلاتها، وفارقت إثر ذلك حياتها،

لتترك مكانًا شاغرًا في الساحة الدينية النسوية. نسأل الله تعالى لها الرحمة والرضوان ولذويها الصبر والسلوان.

ثالثًا: اهتمام العوائل في هذه المناسبات بأبنائها وبناتها.

رابعًا: تجنب مزاحمة العابرين في الشوارع العامة. وعلينا أن نتفهم بأن هذه مناسبة من طبيعتها الازدحام، كما يكون الأمر عند تشييع جنازة أو زفاف عريس، فعلينا أن لا ننزعج من هذا الزحام، ولكن من ناحية أخرى على القائمين على برامج الاحتفاء أن يراعوا ظروف الناس، فالأمر يحتاج إلى موازنة.

خامسًا: استقبال الزائرين وخاصة من خارج المنطقة استقبالًا حسنًا، لنعطي انطباعًا وصورة حسنة عن المناسبة والمجتمع.

سادسًا: إقامة البرامج المفيدة للأبناء من مسرحيات وأناشيد ومسابقات، فذلك ينمّي فكرهم، ويربطهم بصورة حسنة بمناسبات أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ويستفيدون أكثر من فكرهم المبارك، ويجوبون الأحياء بأناشيد تربوية هادفة.

سابعًا: توزيع ما يفيد للأطفال وخاصة الكتب والسيديات، فلا ينبغي الاقتصار على الحلوى والعصيرات، فمن النافع أن يتم توزيع القصص المفيدة، وكذلك بالنسبة للسيديات التي تحوي مضامين نافعة، وقد بدأت بعض المجاميع ولله الحمد تقوم بهذا الدور ونأمل المزيد.

وأخيرًا أذكّر نفسي وغيري بالاستفادة الروحية في مثل هذه الليلة بالعبادة والتقرب إلى الله عز وجل، علينا أن نجعل للفرح وقتًا، وللدعاء والعبادة وقتًا. وقد وردت أعمال كثيرة تستحب في ليلة النصف من شعبان، ومنها:

قراءة دعاء كميل، هذا الدعاء العظيم، كما نقل ابن طاووس في الإقبال وغيره، قال: قال كميل بن زياد رحمه الله: كنت جالساً مع مولاي أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه، فذكر ليلة النصف من شعبان في كلامه فقال: ما من

عبد يحييها ويدعو بدعاء الخضر إلا أجيب له، فلما انصرف طرقته ليلاً، فقال: «ما جاء بك يا كميل؟ قلت: يا أمير المؤمنين، دعاء الخضر، فقال: «اجلس يا كميل إذا حفظت هذا الدعاء، فادع به كل ليلة جمعة، أو في الشهر مرة، أو في السنة مرة، أو في عمرك مرة، تُكف وتُنصر وتُرزق ولن تعدم المغفرة، يا كميل، أوجب لك طول الصحبة لنا أن نجود لك بما سألت»، ثم قال: اكتب.

وفي رواية: أن كميلَ رأى أمير المؤمنين ساجداً يدعو بهذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان[١].

وأيضًا من الأعمال المباركة، الغسل، وصلاة جعفر الطيار، وزيارة الإمام الحسين ﷺ وصلاة الليل وغير ذلك من الأعمال الواردة في كتب الأدعية والزيارة. نسأل الله للجميع التوفيق والاستفادة من بركات هذه الأيام، وأن يبلغنا شهر رمضان المبارك وليلة القدر إنه سميع الدعاء قريب مجيب.

---

(١) السيد ابن طاووس. إقبال الأعمال. ج ٣، الطبعة الأولى١٤١٤هـ، (قم: مكتب الإعلام الإسلامي)، ص٣٣١.

الخطبة الأولى

رعاية المعاقين وتأهيلهم للاندماج

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل: من لم يرض بقضائي، ولم يشكر لنعمائي، ولم يصبر على بلائي، فليتخذ ربًا سواي»[1].

الرضا بالقضاء والقدر عقيدة الإنسان المؤمن، الذي يؤمن بأن للكون إلهاً خالقًا حكيمًا، وأن كل ما يجري في الكون من خير الأمور وشرها، هي من تقديره عز وجل، وذلك لحكمة شاءها وقدرها.

انطلاقًا من هذه العقيدة فإن الإنسان يقبل بما يقع عليه من أمور مما لا قدرة له على دفعها، ويتقبلها بطيب نفس. قضية الموت مثلًا أمر بيد الله عز وجل، وليس للإنسان قدرة على دفعه، فإذا وقع الموت على عزيز له، فليس له إلا التسليم لقضاء الله وقدره كما تمليه عليه عقيدته الصحيحة. ومن مظاهر القدر الإلهي هو حصول الإعاقات في هذه الحياة.

الإعاقة:

هذه الإعاقات قد تكون جسمية فيزيائية، كأن يفقد الإنسان عينه، أو سمعه، أو يده. وهناك إعاقات عقلية، كصعوبة الفهم والإدراك. وثالثًا الإعاقات النفسية،

---

(١) بحار الأنوار. ج٥، ص٩٥.

كالاضطرابات والوسواس القهري وما شابه. ويطلق على المصابين بأيّ نوع من أنواع الإعاقات اسم معاقين، أو ذوي الاحتياجات الخاصة.

وتكون هذه الأنواع الثلاثة من الإعاقات ـ التي يبتلى بها الإنسان ـ إما وراثية لا دخل للإنسان فيها، وقد تكون بسبب حادث ما. فالحروب مثلًا تخلف عددًا كبيرًا من المعاقين، والكوارث الطبيعية، وحوادث المرور، وحوادث العمل وما شابه، كلها تخلف وراءها إعاقات بشتى أنواعها.

حينما يبتلى الإنسان بإعاقة ما في جسمه أو في عقله أو في نفسه، وراثية كانت أم طبيعية، فماذا يصنع؟

من يبتلى بإعاقة ما، فهو في أحضان قضاء الله وقدره، فعليه أن ينطلق من عقيدته الإيمانية التي تؤكد له أن ما حصل كان بتقدير الله عز وجل، فعند ذلك ليس له إلا التسليم بقضاء الله وقدره والرضا بهما.

وقد أصبحت الإعاقات على مستوى العالم تُدْرس ويعتنى بها، وذلك لوجود عدد كبير من المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة. في العالم العربي وحده هناك عشرون مليون معاق، وهو رقم أقل بكثير مما تعاني منه الصين وحدها الذي يبلغ ثمانين مليون معاق. وفي بلدنا الحبيب يوجد أكثر من سبعمئة وعشرين ألف معاق، والنسبة الكبرى منهم للذكور حيث تصل ٥٥,٨٠ ٪ في مقابل ٤٤,٢٠٪ للإناث. وأما الإعاقات الوراثية في المملكة فتصل ما بين أربعمئة إلى خمسمئة طفل يولد معاقًا سنويًا حسب بعض التقارير.

النظرة إلى المعاقين:

ما دامت كل المجتمعات يوجد فيها شريحة من المعاقين، فكيف ينبغي أن يتم التعامل معهم وبهم؟

في الماضي كانت بعض المجتمعات تتخلص من المعاق، حيث يعتبرونه عبئاً على المجتمع، ولا فائدة ترجى منه. وفي فترة لاحقة صارت بعض المجتمعات تبقي المعاق، وتعزله عن المجتمع. وفي بعض المجتمعات يتعاملون مع المعاق بازدراء واحتقار، حتى بعض الأسر تخفي معاقها عن الناس، وكأنه عيب ومصدر حرج لهم، وهذا خلاف الرضا بالقضاء والقدر.

الآن ولله الحمد أصبحت لدى كثير من المجتمعات ثقافة جديدة، فهناك اهتمام عالمي بالمعاقين، حتى إنهم استبدلوا بكلمة المعاقين ذوي الاحتياجات الخاصة، حتى لا تؤثر الكلمة في نفوسهم، ويكون لها أثر سلبي عليهم، أما كلمة ذوي الاحتياجات الخاصة، فهي تعني أن هذا الشخص لديه حاجة ناقصة، وهو بحاجة إلى علاجها، أو تجاوزها حتى لا تعيقه عن أداء دوره كبقية الناس.

لقد خطى العالم الإنساني المتقدم خطوات كثيرة إلى الأمام، تجاوزت حالة الإشفاق بالمعاقين، إلى مستوى أكبر وأهم، فبالإضافة إلى هذه النظرة الحانية، صاروا ينظرون إلى أهمية إدماجهم في المجتمع، والاستفادة من طاقاتهم المتعددة، ومعاملتهم كسائر أفراد المجتمع، بل يضعون لهم قوانين، وأنظمة مناسبة لهم، وامتيازات خاصة كما في الطيران، ومواقف السيارات، وغير ذلك، مما يشجعهم للاندماج في المجتمع وهذه حالة متقدمة. وهناك أكثر من ألف وخمسمئة مدرسة تحت عنوان دمج المعاقين هي مدارس شتاينر، وهي مدارس في جميع أنحاء العالم تتبنى نهجًا تربويًا خاصًا بالمعاقين وضعه الفيلسوف النمساوي رودلف شتاينر. وقد بدأت هذه الخطوة تأخذ مجراها في بلادنا وهذا أمر طيب.

لماذا الاهتمام بالمعاقين؟

لا شك أن هناك أسباباً تدعونا للاهتمام بهذه الفئة من الناس:

أولًا: لأنهم بشر ولهم كل مقومات الإنسانية، وهم مكرّمون كبقية الناس،

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

ثانيًا: الدين يدعونا للاهتمام بهم. في السابق كان الناس يزدرون هذه الفئة من الناس بسبب الجهل، أما الآن وبفضل تقدم العلم فقد أصبحوا يهتمون بهم، وتم تجاوز حالة عزلهم، وهذا الأمر يوجهنا له الدين الكريم. ورد عن رسول الله ﷺ قال: «لا تديموا النظر لأهل البلاء والمجذومين؛ لأن ذلك يحزنهم»[1]. الرسول ﷺ يهتم بمشاعرهم، ويرفض إدخال الحزن في نفوسهم الذي قد تسببه نظرة غير طبيعية. الإمام الصادق عليه السلام يقول: «من نظر إلى ذي عاهة أو مَن قد مُثّل به، أو صاحب بلاء، فليقل سرًا في نفسه من غير أن يسمعه: الحمد لله الذي عافاني»[2]. وعنه عليه السلام: «إسماع الصم من غير تضجر صدقة هنيئة»[3]. فثواب الاهتمام بهم ثواب عظيم عند الله.

ثالثًا: الشخص المعاق كسائر الناس، ابتلي بشيء ما، وهذا الشيء قد يصيب أي واحد منا ـ لا سمح الله ـ لاحقًا، فليس هناك من يضمن سلامة جسمه ونفسه وعقله ما دام حيًا، نسأل الله تعالى للجميع السلامة، وإذا سَلِم الشخص نفسه فقد يبتلى بأحد أفراد أسرته، فلا راد لقضاء الله تعالى. ولا شك أن هذا أمر يدفع إلى حسن التعامل معهم؛ لأنه ابتلاء قد يتعرض له أي أحد.

رابعًا: النقص الذي عند المعاق لا يعني عجزه كليًا. لذا لا بد من مساعدة المعاقين على تفجير طاقاتهم، فكم مِن مخترع ومكتشف ومفكر كان معاقاً. البريطاني «نيكولاس سوندرسون»، ولد أعمى وتغلب على إعاقته وأصبح عالمًا في الرياضيات وأستاذًا في جامعة كامبردج. أبو العلاء المعري، الشاعر الفيلسوف أصيب بالعمى وهو في الثانية من عمره، وما عاقه ذلك. والأديب

(١) بحار الأنوار. ج٧٢، ص١٥.
(٢) وسائل الشيعة. ج١٢، ص٦٥.
(٣) جامع أحاديث الشيعة، ج١٦، ص٤٨٩.

طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م) عميد الأدب العربي أيضًا كان أعمى. الأمريكية هيلين كيلر (١٨٨٠ - ١٩٦٨م) أعجوبة المعوقين في العصور، لديها ثلاث عاهات: صماء بكماء عمياء، لكنها عن طريق لغة الإشارة، وما تمليه على من حولها من حركات، أصبحت من كبار الشخصيات، وحققت على ما قدمت جوائز عديدة، وقد تبنّت الاهتمام بتحسين وضع المكفوفين في الدول النامية، ألقت محاضرات في أكثر من ٢٥ دولة، وهي مؤلفة عالمية ترجمت كتبها لأكثر من ٥٠ لغة ومن كتبها: (يجب أن نؤمن بالله). لها كثير من المقولات منها: «عندما يُغلق باب السعادة، يُفتح آخر، ولكن في كثير من الأحيان ننظر طويلاً إلى الأبواب المغلقه بحيث لا نرى الأبواب التي فُتحت لنا»، وأيضًا: «لقد أدركت لماذا حرمني الله من السمع والبصر والنطق فلو اني كنت كسائر الناس لعشت ومت كأية إمرأة عادية»[١].

لذلك لا ينبغي أن يُنظر إلى المعاق أنه عبء على المجتمع، وأنه لا نفع يرجى منه. في سفري الأخير إلى أميركا في مايو ٢٠١٠م رأيت بعضًا من أبنائنا المبتعثين من ذوي الاحتياجات الخاصة، وقد كانوا منبهرين من تعامل الأمريكان معهم، وكيف كانوا يبادرون إلى خدمتهم.

كيف نعامل المعاقين؟

الإعاقة ابتلاء من الله عز وجل، إذا وقعت على شخص ما، فعليه التسليم بقضاء الله وقدره. وأن لا ييأس من رحمة الله عزّ وجلّ. وعليه أن يفجر طاقته ويستفيد من مواهبه التي أودعها الله فيه. وعلى عائلته أن تهتم به، وعليهم أن يعلموا أن هذا الاهتمام هو من أعمال البر، بل من أفضلها، و(صدقة هنيئة) كما يقول الإمام الصادق عليه السلام.

كما أن هناك مبالغ تصرف للمعاقين من قبل الدولة، لكن البعض يتصرفون في هذه

(١) جريدة اليوم الصادرة يوم الخميس الموافق ٧ أغسطس ٢٠٠٣م، العدد ١١٠١٠.

المبالغ خارج مصلحة المعاق، وهذا حرام لا يجوز، وهو أمر غير سوي.

وعلى المجتمع أن يعامل المعوقين باحترام، وأن يشيد المؤسسات للرعاية بهم، والاهتمام بصقل مواهبهم. كدور الرعاية النهارية. كما يجب وضع القوانين من قبل الدولة التي تضمن حقوق هؤلاء الناس في الدراسة والعمل وغير ذلك.

نسأل الله لنا وللمؤمنين الرحمة والصحة والعافية، وأن يلبس المرضى لباس الشفاء، إنه سميع الدعاء قريب مجيب.

معنى التوكل على الله

﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝٥٨ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[سورة العنكبوت: الآيتان ٥٨-٥٩]

هناك مفاهيم إذا لم تعرف على حقيقتها فإنها تسبب للإنسان انزلاقات في فكره وسلوكه، كما أن هناك وسائل تستلزمها الحياة، لكنها إذا لم تستخدم بالشكل الصحيح فإنها تضرّ وتؤذي.

التوكل على الله، هذا المفهوم الذي يتلقاه الإنسان المسلم من بيئته ومن أجوائه الدينية، ماذا يعني؟ وكيف يتعامل معه؟

البعض يفهمه على أنه السكون والركون، وعدم العمل. يتمنى الشيء وينوي التوكل على الله، وهذا لا شك أمرٌ خطأ، يسمى التواكل وليس التوكل. التوكل أن يعمل الإنسان للشيء الذي يريد تحقيقه بمقدار استطاعته، مستمدًا قوته من الله تعالى.

وفي أي عمل يقوم به الإنسان قد يواجه نوعين من المشاكل: مشاكل من داخل نفسه، وهي الهواجس والشكوك التي تدور في باله، حول إمكانية النجاح فيما هو مقدم عليه، وثقته بذاته في إنجازه، هل أستطيع أم لا؟ سهل أم صعب؟ وهذه لها أثر في أن تقعده عن العمل.

وهناك مشاكل خارجية حيث يواجه عقبات في مسيرة حياته، وهي أيضًا تؤثر عليه

سلبًا بأن ترجعه إلى الوراء، بل قد توقفه عن العمل.

هذه المشاكل بنوعيها تتطلب من الإنسان قدرة على مواجهتها والتغلب عليها، والتوكل هي القدرة الخارقة التي تقاوم هذه المشاكل، فما دام الإنسان واثقًا من نفسه، ومن عمله، فهو يمضي في أمره ويقول: توكلت على الله.

التوكل حالة نفسية تصدّ الخوف والفشل، وتدفع المتوكل على الله إلى الأمام، والمضي قدمًا لتحقيق هدفه، بخلاف المتواكلين، أو من لا يتكلون على الله حق الاتكال، فإنهم وأمام أدنى عقبة يتراجعون. ولهذا يمدح الله عباده العاملين المتوكلين وليس القاعدين، كما في الآية الكريمة: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ثوابهم عظيم، وصفتهم الصبر ﴿الَّذِينَ صَبَرُواوَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. ويقول تعالى في آية أخرى، حول من يواجه عقبات اجتماعية تثبطه عن عمله الذي يراه صحيحًا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[سورة آل عمران: الآية١٧٣].

كيف نتوكل على الله؟

هكذا يعلمنا القرآن الكريم كيف يتوكل المؤمن على ربه، ورسول الله ﷺ كان يوضح إلى أصحابه معنى التوكل على الله تعالى وأهميته، كما ورد عن أنس بن مالك قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلُها ـ يعني دابته ـ وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: اعْقِلها وتوكل[١]. وذات يوم رأى رسول الله ﷺ قومًا لا يزرعون، قال: ما أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: لا بل أنتم متواكلون[٢].

وروي أن قومًا من أصحاب رسول الله ﷺ لما نزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا:

(١) سنن الترمذي. ج٤، ص٧٧، حديث ٢٦٣٦.

(٢) مستدرك الوسائل. ج٢، ص٢٨٨.

قد كفينا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم قال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله تكفّل لنا الله بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، قال: إنه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب[١].

وقال ﷺ: «يا أيها الناس توكّلوا على الله، وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أقوى الناس إيمانًا، أكثرهم توكلًا على الله سبحانه»[٣].

وعنه عليه السلام: «من وثق بالله توكل عليه»[٤].

وقال عليه السلام أيضًا: «من توكل على الله ذلّت له الصعاب، وتسهّلت عليه الأسباب»[٥].

وفي رواية أن لقمان قال لابنه: «يا بني، ثق بالله ثم سل في الناس هل من أحد وثق بالله فلم ينجه؟ يا بني توكل على الله ثم سل الناس من ذا الذي توكل على الله فلم يكفه؟»[٦].

هذه الروايات تعلمنا كيف نتوكل على الله؟ وهناك جانب آخر يعلمنا هذا الأمر أيضًا وهو الأدعية الواردة عن أئمة أهل البيت، وهي ذات مضامين عظيمة، وتغرس في نفوسنا مفهوم التوكل على الله عز وجل، وألا تكون المشاكل مهما كثرت سببًا لليأس والإحباط. ومن تلك الأدعية المباركة مناجاة المعتصمين للإمام زين العابدين عليه السلام يقول فيه: «أَللَّهُمَّ يا مَلاَذَ اللائِذِينَ، وَيا مَعاذَ الْعآئِذِينَ، وَيا مُنْجِيَ الْهالِكِينَ، وَيا عاصِمَ الْبآئِسِينَ، وَيا راحِمَ الْمَساكِينِ، وَيا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّينَ». إلى أن يقول: «وَما حَقُّ مَنِ اعْتَصَمَ بِحَبْلِكَ أَنْ يُخْذَلَ، وَلا يَلِيقُ بِمَنِ اسْتَجـارَ بِعِزِّكَ أَنْ يُسْلَمَ أَوْ يُهْمَلَ. إلٰهِي فَلا

(١) الكافي. ج٥، ص٨٤.
(٢) كنز العمال، ج٣، ص٧٠٣، حديث ٨٥١٣.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) بحار الأنوار. ج٦٨، ص١٥٦.

تُخْلِنا مِنْ حِمايَتِكَ، وَلاَ تُعْرِنَا مِنْ رِعَايَتِكَ، وَذُدْنا عَنْ مَـوارِدِ الْهَلَكَةِ، فَإنَّا بِعَيْنِكَ وَفِي كَنَفِكَ، وَلَكَ أَسْأَلُـكَ بِأَهْـل خاصَّتِكَ مِنْ مَلائِكَتِكَ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ بَرِيَّتِكَ، أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْنا واقِيَةً تُنْجِينا مِنَ الْهَلَكاتِ، وَتُجَنِّبُنا مِنَ الآفاتِ، وَتُكِنُّنا مِنْ دَواهِي الْمُصِيباتِ، وَأَنْ تُنْزِلَ عَلَيْنا مِنْ سِكَيْنَتِكَ، وَأَنْ تُغَشِّيَ وُجُوهَنا بِأَنْوارِ مَحَبَّتِكَ، وَأَنْ تُؤْوِيَنا إلى شَدِيدِ رُكْنِكَ، وَأَنْ تَحْوِيَنا فِي أَكْنافِ عِصْمَتِكَ بِرأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

اللهم اجعلنا من العاملين في سبيلك المتوكلين عليك، إنك سميع مجيب.

الخطبة الأولى

مؤسسات للتنمية الأسرية

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّه بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[سورة النساء، الآية: ٣٥].

قوة العلاقة الزوجية:

ليست هناك علاقة في عالم البشر أكثر عمقًا وانفتاحًا من العلاقة الزوجية، التي تكون بين زوج وزوجة. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه العلاقة بمصطلحات فريدة من نوعها ومن ذلك:

- **أنها سكن للطرفين**. حيث يركن الزوج إلى زوجته والعكس، وكأنها المأوى إليه، وكأنه مأوى لها. فقال عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم، الآية: ٢١].
- **أنها لباس للزوجين**. حيث قال تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧]. أترى كيف يحمي اللباس الجسم، ويستره، ويزينه، ويلتصق به؟ كذلك هي العلاقة الزوجية، تحمي الإنسان، وتصونه، وتزينه، ويكون هناك التصاق عميق بين الزوجين.
- **الانفتاح الكبير بين الزوجين**. حيث عبّر عن ذلك تعالى بقوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَى

بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[سورة النساء، الآية: ٢١]. العلاقة الوثيقة بين الزوجين تجعل كلا منهما منفتحاً على الآخر جسمياً ونفسياً وروحياً بلا حدود.

هذه العلاقة المميزة الوثيقة كما تدفع نحو الاندماج والتناغم، قد يشوبها بعض الأكدار أحياناً، فتفسد هذه العلاقة، وقد تفككها. ولأن العلاقة الزوجية واسعة في زمنها وميادينها، فان احتمالات الاحتكاك فيها تكون أكثر من أي علاقة محدودة زمنياً، أو في مجالات محددة.

منغصات العلاقة الزوجية:

هذه العلاقة الوثيقة قد ينغصّها عدة أمور، ومنها:

١. أن كل زوج له طبائعه الخاصة، وقد لا يتفق مع زوجه فيها. حينما لا تناسب الطرف الآخر هذه الطبائع عندها يقع الاختلاف بينهما.

٢. كذلك هناك ضغوط الحياة وصعوبتها، التي قد تسبب احتكاكًا وتنافرًا بين الزوجين.

٣. حتى طبيعة الأجواء وقسوتها لها أثر في ذلك، فهناك إحصائيات تشير إلى أن بعض الفترات الزمنية تزداد فيها الخلافات الزوجية كفترة الصيف.

٤. وقد يكون للتدخلات الخارجية من أهل الزوجين دور في خلق بعض المشكلات.

٥. ثم إن حالة الانفتاح الإعلامي والثقافي تسربت من خلالها كثير من القيم وأنماط السلوك التي أثرت على بساطة الحياة التقليدية في مجتمعاتنا.

من يحل المشاكل الزوجية؟

إذا وقعت المشكلة والخلاف بين الزوجين، فإن الرهان يكون عليهما. أن يبادر أحدهما إلى إرضاء الآخر، وحلّ المشكلة بالتفاهم بينهما، وتحمّل بعضهما بعضًا. ولكن إذا صعبت المشكلة، ولم يمكنهما حلها فهنا يأتي دور العائلتين: عائلة الزوج، وعائلة الزوجة. ينبغي أن يكون للعائلتين موقف مسؤول يسعى للصلح، لا أن يؤجج المشكلة ويفاقهما. في بعض الأحيان ترى أهل الزوجة يصطفون مع ابنتهم ضد زوجها. وأهل الزوج ضد زوجة ابنهم، وهذا غير صحيح، ولا يعود بنفع للزوجين، سيما إذا كان بينهما أطفال.

ينبغي للعوائل أن يكون لها موقف إيجابي لا سلبي، بأن يُشجّع الزوج والزوجة على تفهم بعضهما بعضًا، وأن يتنازل أحدهما عن موقفه وعن بعض حقوقه للآخر، حتى يعيدا جو الألفة بينهما. وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم: ﴿فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا﴾.

والمرحلة الثالثة في حل المشكل بين الزوجين، إذا لم ينفع دور العائلتين، هو دور المجتمع. الخلافات الزوجية لا تبقى في حدود العائلة، وإنما تترك آثارًا في المجتمع. كم زوج انزلق إلى الحرام، وزوجة سعت إليه؟ أطفال ينحرفون، وقوع جرائم قتل، وسرقة، واعتداء، وأمور كثيرة تحصل في المجتمع بسبب المشاكل الزوجية. لذلك كان من المهم وجود من يقوم بإصلاح ذات البين، ولهذا يدعو الله تعالى المؤمنين لذلك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٠]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم»[1].

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٥، ص٩٩.

مأسسة إصلاح ذات البين:

في السابق كان إصلاح ذات البين يتم فرديًا، يقوم به كبير القوم، أو كبير العائلة. ولكننا الآن بحاجة إلى مأسسته حيث إن الأمور تعقدت، والحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تطورت، نظرًا لتغير ظروف الحياة ومتطلباتها، ونظرًا لازدياد التعداد السكاني، فنحن بحاجة إلى أكثر من شخص وأكثر من متخصص ليقوم بهذا الدور، وبحاجة إلى مضاعفة الجهد لحلّ مشاكل الناس.

في ذلك الزمن كان هناك شخص ما يقوم بعلاج المرضى، ولكننا الآن نحتاج إلى مستشفيات ومراكز صحية. وكان هناك معلم واحد لتعليم أبناء الحي، ولكننا الآن بحاجة إلى مدارس، وجامعات. كذلك بالنسبة لموضوع إصلاح ذات البين. فإننا بحاجة إلى مراكز ومؤسسات تقوم بهذا الدور.

في الدول المتقدمة الغربية، تجد عددًا كبيرًا من المؤسسات لمعالجة أسباب المشاكل الزوجية ومحاولة حلها، وتعقد لأجل ذلك المؤتمرات والندوات، وتشكّل دراسات علمية اجتماعية لمعالجة الأمر. في بلادنا بدأ هذا الاهتمام ولكننا نشكو من نقص في المؤسسات، و الدراسات، ومن الباذلين والساعين في هذا الجانب.

الآخرون لا يكتفون بالعلاج بل يهتمون بجانب الوقاية. في ماليزيا يفرض على الشاب والشابة أن يلتحقا بدورة تعليمية تعرّفهما عن الزواج، والحقوق، والواجبات، فهما مقبلان على مرحلة بناء أسرة، ومرحلة قيادة عائلة لها أثرها في المجتمع. كما يُطالب من يقود السيارة باستخراج رخصة القيادة، ولا يكون ذلك إلا بعد تمرين ودراسة، فالمقدم على الزواج أكثر احتياجًا إلى ذلك.

هل فكرنا في أن نعمل دراسات للمشاكل القائمة، كمشكلة العنوسة، وارتفاع نسبة الطلاق، وتيسير أمور الزواج، والتوفيق بين رأسين، واحتواء المشاكل الأسرية؟ نحتاج إلى متخصصين في علم النفس وعلم الاجتماع بالإضافة إلى العلوم الدينية، وكلهم

تجمعهم مؤسسة منظمة. إن عدم وجود هذه المؤسسات يشبه عدم وجود مدارس، ومستشفيات!

نحن بحاجة ماسة إلى هذه المؤسسات، في المنطقة الشرقية يوجد مركز التنمية الأسرية بالأحساء، تأسس عام ١٤٢٦هـ برعاية رسمية. فيه فريق متخصص من طلبة العلم، وأخصائيين تربويين ونفسيين، مهمتهم تقديم الخبرة والمشورة والحل للأسر حتى عن طريق الهاتف. لديهم ستون مستشاراً ومستشارة، ويستقبلون كل يوم ما بين ٤٠ إلى ٨٠ مكالمة هاتفية، وهو رقم يرمز إلى زيادة عدد المشاكل العائلية. وقد نجحوا في حل عدد كبير من المشاكل.

وفي جمعية القطيف الخيرية هناك توجه لإطلاق مشروع مشابه، وقد رصدت له ميزانية أولية من وزارة الشؤون الاجتماعية، لكنه يحتاج إلى الدعم المادي والمعنوي. ونعيد القول مؤكدين بأن مركزًا واحدًا لا يكفي، نحن بحاجة إلى المزيد. وينبغي أن نوسع مداركنا وآفاقنا، وألا نكتفي بالاهتمام ببناء مسجد وحسينية فقط ـ وهو أمر مهم ومطلوب ـ ولكن هناك أمورًا هامة يدعو لها الدين، ويجعلها من أكبر المهمات كإصلاح ذات البين.

والمسألة لا يمكن أن تتوقف عند الدعم الرسمي، فالحمد لله لدينا تجار، وأهل خير وخبرة، وعلماء دين، ومثقفون، وزكاة ما عندهم من خير يكون بإنفاقه. نشرت الصحف أخيرًا بأن أربعين شخصًا من أكبر أثرياء أمريكا تعهدوا بإعطاء نصف ثرواتهم للجمعيات الخيرية والاجتماعية. هذا في أمريكا! فما بالنا نحن المسلمين نعاني من نقص العطاء؟ ينبغي أن ندرك عمق التحديات التي نواجهها في هذا العصر، وأن نسعى لحل مشاكلنا، ومراجعة واقعنا.

في استقبال شهر رمضان

عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: دخلت على أبي الحسن علي بن موسى الرضاE في آخر جمعة من شهر شعبان، فقال لي: يا أبا الصلت إن شعبان قد مضى أكثره، وهذا آخر جمعة فيه، فتدارك فيما بقي تقصيرك فيما مضى منه، وعليك بالإقبال على ما يعنيك، وأكثر من الدعاء، والاستغفار، وتلاوة القرآن، وتب إلى الله من ذنوبك، لِيقبل شهر رمضان إليك وأنت مخلص لله عز وجل، ولا تدعنّ أمانة في عنقك إلا أديتها، وفي قلبك حقدًا على مؤمن إلا نزعته، ولا ذنبًا أنت مرتكبه إلا أقلعت عنه، واتق الله وتوكل عليه في سر أمرك وعلانيتك، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾. وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر: اللهم ان لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه. فإن الله تبارك وتعالى يعتق في هذا الشهر رقابًا من النار لحرمة شهر رمضان[1].

كيف نتهيأ لاستقبال شهر رمضان؟

شهر رمضان شهر يكون فيه الإنسان في ضيافة الله عزّ وجلّ، كما قال رسول

(١) وسائل الشيعة. ج١٠، ص٣٠١.

الله ﷺ: «شهر دعيتم فيه لضيافة الله تعالى». وحينما يدعى الإنسان إلى أن يكون ضيفًا عند شخص بارز، كمرجع، أو قائد، أو ملك، فإنه يفتخر بهذه الدعوة، وينتظرها بفارغ الصبر، ويهيئ نفسه لذلك اليوم حتى يكون في أكمل صورة. هذا مع شخص بارز، فكيف إذا كان الداعي هو الله عزّ وجل؟ وهل هناك أعزّ وأجلّ من الله تعالى؟ فكيف ستلقاه؟ وكيف ستهيأ نفسك للولوج إلى ضيافته؟

علينا أن نفكر بذلك مليًا. ولكي تلقى الله في هذا الشهر الكريم، وتحظى بحسن ضيافته فهناك ثلاثة أمور ينبغي أن تُعد لذلك:

أولًا: التهيؤ الروحي.

وذلك عبر قراءة القرآن الكريم، والتدبر في آياته المباركات، وعن طريق كثرة الاستغفار، والدعاء، وعندنا أدعية كثيرة مباركة تشحن روح الإنسان بالنقاء والصفاء وتهيؤه لضيافة الله عزّ وجلّ.

ثانيًا: التهيؤ النفسي.

روايات كثيرة تؤكد على تزكية النفس وتطهيرها من الأحقاد والأضغان في مثل هذه الأيام، واستقبال شهر رمضان؛ لأنك تريد الاقتراب من الله والفوز بضيافته. وحينما تريد الاقتراب من شخص ما فإنك تتعطر وتتزين إليه، وتلبس أجمل ما عندك، فكيف بك إذا كنت تريد الاقتراب من الله تعالى؟ الأحقاد والأضغان تعتبر أوساخاً وقاذورات تحمل روائح كريهة نتنة، فعليك بتطهير نفسك منها وإزالتها، حتى تدنو من الله وتقترب منه.

لذلك يؤكد الإمام الرضا عليه السلام: «وفي قلبك حقدًا على مؤمن إلا نزعته». الحقد يعرّف بأنه الإمساك على العداوة في القلب. أي إبقاؤها في القلب. قد يغضب الإنسان للحظة، ولكن عليه أن ينسى تلك اللحظة وينسى ذلك الغضب، حتى لا يتحول إلى حقد ينتن نفسه. إذا أراد الشخص منا أن يتخلص من الرائحة الكريهة فإنه لا يحكمها

داخل الغرفة، بل يسعى لفتح منافذ لدخول الهواء حتى يزيلها. الأحقاد تحتاج إلى منافذ حتى تزول من النفس.

ومن أسوأ أنواع الأحقاد أن تحمل حقدًا على شخص؛ لأنه لا يوافقك الرأي، ويختلف معك في توجهك. مثل أن تحقد على شخص ما لأنه يلبس لباسًا لا يروق لك! تحقد على شخص ما لأنه يحمل فكرًا يخالف فكرك؟ لكل شخص اجتهاداته وقناعاته وتوجهاته، كما أنت لديك ذلك، فلماذا تحقد عليه؟ وإذا سألك الله تعالى عن سبب حقدك على شخص ما، فبماذا ستجيبه؟ هل ستقول لأنه يعتقد بالرأي الفلاني؟ أو لأنه يقلد المرجع الفلاني؟ أو لأنه ينتمي إلى هذه الفئة؟ وهل سيقبل الله منك هذه الأسباب؟ هل كلّف الله أحدًا بمحاسبة عباده حتى تضع نفسك في هذا الموضع؟

ينبغي لنا أن نرفض الأحقاد وأن نزيلها من قلوبنا، حتى مع من يخالفنا في الدين أو المذهب، نحن لا نحمل عليهم حقدًا نفسيًا، ولا ينبغي لنا ذلك، ولذلك نسعى لهدايتهم، ولتغيير انطباعاتهم وتفكيرهم. ولنا في سيرة أهل البيت ﭺ أسوة وقدوة.

الدين لا يسوّغ لنا الحقد والكراهية لاختلاف الناس معنا في الفكر والتوجه. هذا أمر يحرمه الشرع. الإمام علي بن أبي طالب ﭼ وردت عنه روايات كثيرة تحذر من الحقد يقول: «الحقد ألأم العيوب»[١]. «الحقد شيمة الحسدة»[٢]. «الحقد من طبائع الأشرار»[٣]. ويقول: «الدنيا أصغر وأحقر وأنزر من أن تطاع فيها الأحقاد»[٤]. تحقد اليوم على شخص ما، لحظة وإذا بك تسمع عن موته، وانتقاله إلى عالم آخر، ولعلك تسبقه إلى الرحيل، ولكن إثم الحقد يبقى. يقول ﭼ: «حقد المؤمن مقامه، ثم يفارق

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٢) علي بن محمد الليثي الواسطي. عيون الحكم والمواعظ. الطبعة الأولى١٣٧٦هـ، ص٣٣.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٤) المصدر نفسه.

أخاه فلا يجد عليه شيئًا، وحقد الكافر دهره»[١].

ثالثًا: التهيؤ العملي.

إذا أردت أن تحظى بضيافة الله عزّ وجلّ وتقترب منه، فلا تترك عليك أي حق للآخرين. عليك الخروج من عهدة حقوق الآخرين، وإن من أصعب المواقف غدًا في المحشر أن يطالبك أحد بحق له عليك. وشهر رمضان محطة مباركة لكي تتخلص من حقوق الآخرين وتؤديها. كما يوصي الإمام الرضا عليه السلام: ولا تدعنّ أمانة في عنقك إلا أديتها.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لاستقبال شهر رمضان المبارك بنفس طيبة زكية نقية حتى يقبلنا الله تعالى في ضيافته. مبتهلين إليه بهذا الدعاء:

اللهم إني أسألك أن تجعل لي إلى كل خير سبيلًا، ومن كل ما لا تحب مانعًا، يا أرحم الراحمين، يا من عفا عني وعما خلوت به من السيئات، يا من لم يؤاخذني بارتكاب المعاصي، عفوك، عفوك، عفوك يا كريم. إلهي وعظتني فلم أتعظ، وزجرتني عن المعاصي فلم أنزجر، فما عذري، فاعف عني يا كريم عفوك عفوك. اللهم إني أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب، عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة، عفوك عفوك.

اللهم أبقني خير البقاء، وأفنني خير الفناء، على موالاة أوليائك ومعاداة أعدائك، والرغبة إليك والرهبة منك، والخشوع والوقار، والتسليم لك والتصديق بكتابك، واتباع سنة رسولك صلواتك عليه وآله.

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٢، ص٢١١.



الخطبة الأولى

تنمية العلاقات الاجتماعية

جاء في خطبة رسول الله ﷺ قبيل شهر رمضان: «أيها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خُلقُه كان له جوازًا على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه ومن كف فيه شره كفف عنه غضبه يوم يلقاه ومن أكرم فيه يتيما أكرمه الله يوم يلقاه ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه»[1].

في المجتمعات التقليدية عادة ما تسير أمورهم في مختلف المجالات بعفوية وتلقائية، بينما في المجتمعات المتقدمة عادة ما تسير وفق تخطيط وبحث ودراسة، وليست بشكل عشوائي، لهذا فإن مصطلح التنمية والخطط والتخطيط أصبح سائدًا عندهم. كل أمر له خطة استراتيجية، هناك خطط خمسية، وخطط عشرية، وقد تكون هناك خطط لمدى أطول. للتعليم خطة، وللاقتصاد خطة، وكذلك الثقافة، والإعلام، وهكذا كل مجال من مجالات الحياة تسير الأمور فيه ضمن برنامج وتخطيط. وقد سارت الدول العربية أيضًا مع هذا النهج من وضع خطط خمسية وغيرها، ولكن مع فارق كبير جوهري وهو مدى الالتزام بتنفيذ هذه الخطة. أم تكون مجرد حبر على ورق، ومجرد بريق إعلامي؟

(١) عيون أخبار الرضا. ج٢، ص٢٦٦.

تنمية العلاقات الاجتماعية:

من المجالات التي يحتاج المجتمع أن يضع لها خططًا، مجال تنمية العلاقات الاجتماعية. فالعلاقات بين الناس مثلًا، هل نتركها للحالة التلقائية العفوية؟ هل نترك الناس على سجيتهم، وليكن ما يكون؟! هذا شأن المجتمعات البدائية المتخلفة، أما الحديثة المتقدمة فهي تعتمد خططًا إستراتيجية ومرحلية، تتمظهر في عدة أمور، أهمها:

أولًا: الدراسات والبحوث. كيف نقرأ الحالة الاجتماعية القائمة بين الناس؟ ما هو وضع الأسر، هل هي متماسكة وقوية البنية؟ أم أن هناك حالات تفكك أسري؟ هذه الأسئلة وغيرها لكي نجيب عنها نحتاج إلى بحوث ودراسات، ثم تحليل واستنتاج. قد يسمع الإنسان عن حالات الطلاق في المجتمع فيزعجه رقمها وعددها، ولكن لا ينبغي أن يسير الأمر هكذا، بل ينبغي أن يكون بالدراسة والبحث، وهل أن الأمر طبيعي أم فوق المعدل؟ فنحتاج إلى مراكز بحوث ودراسات، تعطينا إجابات حول كثير من الأسئلة تخص موضوع البحث.

في مسألة الطلاق مثلًا، سوف تكون هناك عدة أسئلة: كم عدد حالات الطلاق في المجتمع خلال عام؟ ما هي مسببات الطلاق؟ ما هو سن المطلقات؟ هل الأسر حديثة العهد بالزواج أكثر من حيث نسبة الطلاق أم ذات الأمد الطويل؟ كم هي نسبة الشكاوى في المحاكم؟ أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات حتى يستطيع الباحثون التحليل والاستنتاج ثم وضع الحلول والخطط.

ندرس مثلًا حالة العلاقات بين الآباء والأبناء، هل هناك رضى متبادل بين الطرفين في التعامل؟ هل يواجه الآباء عقوقًا من أبنائهم؟ هل يواجه الأبناء إهمالاً أو قسوة من آبائهم؟ وكذلك نحتاج إلى دراسة العلاقة بين الجماعات في المجتمع، كيف هي

العلاقة بينهم؟ هل هي قائمة على الاحترام المتبادل، والتلاقي، والتكامل، أم قطيعة، ونزاع، واحتراب؟

نحن بحاجة ماسة إلى مراكز دراسات، ومع الأسف عندنا فقر شديد في هذا الجانب. الدراسات هي التي تمكننا من ترشيد أنشطتنا، وفهم واقع مجتمعنا، وكيف يمكن إدارته، والنهوض به.

ثانيًا: البرامج والخطط. إذا درسنا حالة ما، واكتشفنا أسبابها، نحتاج بعدها أن نضع البرامج والخطط لاحتوائها. فقضية التفكك الأسري مثلًا، نسأل أنفسنا: كيف نجعل الأسرة أكثر تماسكًا؟ ما هي خططنا لعلاج تلك المشكلة؟ أي الطرق أفضل؟

وقد ظهرت في المنطقة برامج جميلة، ففي مدينة صفوى هناك برنامج لانتخاب ملكة جمال الأخلاق في البر بالوالدين، وهناك تنافس جميل بين الفتيات، وترصد لهذه المسابقة مبالغ، وتعمل لها دراسات، وهذا أمر جيد ومطلوب. وكذلك مركز البيت السعيد في صفوى له نشاطات جيدة نافعة، في التأهيل للحياة الزوجية، وفي مدينة القطيف يواصل مركز الأسرة نشاطه التوعوي والتربوي على هذا الصعيد، وكذلك مركز التنمية الأسرية الذي نأمل أن ينطلق قريبًا من جمعية القطيف الخيرية.

وهناك مبادرات فردية جميلة، فقد أخبرني أحد الشباب، أنه اتفق مع أخوته وأخواته بأن يقيموا حفل تكريم لوالدهم لحسن تعامله وسيرته العائلية، حيث يساعد في الكنس والطبخ وأمور المنزل، بالإضافة إلى رعايتهم وتلبية حاجاتهم. هذه برامج تنمي الالتزام بالأخلاق، ونحن بحاجة لها، وبحاجة إلى تقويتها، وإلى المزيد من أمثالها.

ثالثًا: ثقافة تنمية العلاقات الاجتماعية. ويكون ذلك عبر المجالس والمنابر والإعلام، أن نشجع هذه الثقافة ونضخها في مجتمعاتنا.

رابعًا: مبادرات إصلاح ذات البين وتقوية العلاقات الاجتماعية. كما يحتاج البلد إلى فرق إطفاء لمواجهة الحرائق المادية، فإن الحرائق الاجتماعية تحتاج إلى من يطفئها. في المجتمعات المتقدمة حينما تقع مشكلة بين فئة وأخرى، يبادر المصلحون ويسعون لحل المشكلة، ويحتوونها، ويضعون لها حداً. أما المجتمعات التي ليس لها اهتمام بحال السلم الاجتماعي، فيكتفون بالتفرج، وانتظار من تكون له الغلبة!.

في هذا الشهر المبارك علينا أن نهتم بجانب تنمية العلاقات الاجتماعية، ونسعى لتحسينها، بحسن الخلق، والتعامل الحسن، والاحترام المتبادل بيننا، رسول الله ﷺ يؤكد على هذا الجانب كما في الحديث الذي تلوناه: «أيّها الناس، من حسّن منكم في هذا الشهر خُلُقه كان له جوازاً على الصّراط يوم تزلّ فيه الأقدام» شهر رمضان، شهر يؤهل لتقويم الخلق والسلوك. ويضيف ﷺ: «ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملَكت يمينُه خفّف الله عنه حسابه» ليس عندنا الآن ملك يمين، ولكن عندنا خدم، وعمال، وعلينا أن نحسن التعامل معهم، ونخفف عنهم العبء في هذا الشهر لا أن نضاعفه، حتى يخفف الله علينا يوم القيامة. ويذكرنا رسول الله ﷺ كذلك بكف الأذى عن الناس، وإكرام اليتيم، وصلة الرحم. نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما دعانا له رسول الله، وأن يتقبل منا أعمالنا، إنه سميع مجيب.

الخطبة الثانية

المجتمعات الإسلامية والتميز السلوكي

عن رسول الله ﷺ قال: «لا تساب وأنت صائم، فإن سبك أحدٌ فقل: اللهم إني صائم وان كنت قائماً فاجلس»[1].

مجتمع المسلمين يجب أن يتميّز سلوكيًا وأخلاقيًا عن سائر المجتمعات، حيث لا يكفي تميّزه في الجانب العقدي فقط. أن نتفاخر بأنا مسلمون، أو مؤمنون موالون، وأن عقائدنا صحيحة، هذا وحده لا يكفي. كما أن التميّز التعبدي المتمثل في الصلاة والصيام وسائر مناسك العبادة وحده لا يكفي. التميّز الأهم ينبغي أن يتمثل في السلوك والأخلاقيات. السلوك والخلق الصحيح الذي يمليه علينا ديننا الحنيف، والذي مثلّه رسول الله ﷺ حتى قال عنه عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[سورة القلم، الآية:٤].

إذا كان هناك تميّزٌ في الانتماء، والعقيدة، والعبادة، لكن الجانب الخلقي سيء، فهذا يدل على أن الدين غير متمكن من النفوس. القرآن الكريم في مدح صفات المؤمنين ركزّ على الجانب الخلقي لهم أكثر من أي شيء كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[سورة الفرقان، الآية:٦٣]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ٣].

---

(١) أحمد بن الحسين البيهقي. السنن الكبرى. ج٢، الطبعة الأولى١٣٤٤هـ، (مجلس دائرة المعارف النظامية)، ص٢٤١، حديث ٣٢٥٩.

حسن التخاطب:

ينبغي أن تكون عندنا لغة الأخلاق والأدب، فهي التي تعطي انطباعًا حسنًا عن الدين الذي نعتنقه ونؤمن به. حينما ندخل مجتمعًا ونرى نساءه سافرات، سنسمه بأنه مجتمع غير ملتزم بالدين، وبتعاليم الدين، كذلك حينما نسمع في مجتمع ما لغة التخاطب تسودها السخرية، والسب، واللمز، فلن نستطيع حينها أن نقول إن هذا مجتمع إيماني ملتزم بتعاليم دينه، وذلك لسيادة لغة هابطة يتبادلها أبناء المجتمع. مهما كان عند هذا المجتمع من تميّز في الجانب الديني والعقدي، ولكن ليس لهما انعكاس على السلوك فلا فائدة ترجى من هذا التميّز، وهذا الانتماء. رسول الله ﷺ يقول: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[١].

اللغة التي تسود في مجتمع ما هي التي تعكس صورة عنه، إن كان مجتمعًا إيمانيًا أم لا. ومن السهل الآن أن تتعرف على ذلك. فعالم الإنترنت مثلاً يكشف لك أخلاقيات المجتمعات البشرية. إذا أردت أن تتعرف على وضع فئة معينة من الناس تصفح الإنترنت وشاهد كيف يتخاطبون فيما بينهم، إذا كان كل منهم يدلي برأيه، ويعارض فكرة الآخر وفقًا للحدود والضوابط الأدبية فهذا أمر مشروع، ولكن إذا كان بالسباب، والشتم، وتسقيط الآخر فهذا خلاف الذوق والتعاليم الدينية. فأين إذًا أثر العبادة والعقيدة والانتماء؟

شهر رمضان مركز تدريب وتأهيل:

نحن الآن في شهر رمضان المبارك، وهناك علاقة وثيقة بين هذا الشهر الكريم وبين عفة اللسان، فهو شهر تدريب وتأهيل لنتحكم في لغة التخاطب بيننا، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «لا تساب وأنت صائم» لا تكتفي بالصوم عن الأكل والشرب ـ كجانب ديني، تشريعي ـ بل لا بد من صيام الجوارح. وإذا ما بدأك أحد بالسب

(١) كنز العمال. ج٣، ص١٣، حديث٥٢٠٢.

فأعرض عنه: «فإن سبك أحدٌ فقل: اللهم إني صائم»، لا تُستفز وتعالج الخطأ بالخطأ، فتبادر من سبك بسب مثله. كما أنك مؤمن بعدالة الله عزّ وجلّ وحكمته، فاترك هذا الأمر له تعالى، فهو تكفّل بأن يجعل هذا الأمر رصيدًا يثقل به ميزان حسناتك يوم القيامة، حيث يعطيك من حسنات من أساء إليك، أو يحمّله من سيئاتك. بالإضافة إلى أنك ستنال عفو الله ورضاه.

ينقل عن أحد العلماء أنه كان يقول حين يبلغه أن أحدًا سبه: هذا ثواب ساقه الله إليَّ دون عناء. أي دون عناء في السعي لاكتساب هذا الأجر، وإلا فالنفس البشرية تتأذى من السب والتجريح من قبل الآخرين.

وقد أكد تعالى على أهمية لغة التخاطب بين الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ فأيّ إيمانٍ يجيز لنا السخرية من بعضنا؟، ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ واللمز هو عدّ العيوب. وحين تعيب أخاك المؤمن وتعدد مساوئه، وتحصي عثراته، فأنت من حيث لا تدري تعيب مجتمعك، وتسقطه. ثم إن من يتعاطى هذه اللغة الهابطة يدخل ضمن دائرة الفسق: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ﴾. وكما يقول رسول الله ﷺ: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر»[1]. وهذا الشهر الكريم فرصة كبيرة لتدريب اللسان على العفة عن سب الآخرين والسخرية منهم، ولمزهم. فلعينا ألا نفوّت هذه الفرصة الثمينة، وأن نغتنم هذا الشهر لتدريب أنفسنا، وتقويم سلوكنا.

---

(١) الكافي. ج٢، ص٣٦٠.



الخطبة الأولى

الدور الأساس لخديجة وأبي طالب في نصر الإسلام

﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

[سورة الحديد، الآية:١٠].

كل فكرة من الأفكار، ومبدأ من المبادئ، حينما يطرح في مجتمع من المجتمعات البشرية كشيء جديد، فإن السبق له يحتاج إلى توافر ميزات معينة، من أهمها ما يلي:

أولًا: الوعي والبصيرة

الطرح الجديد، يحتاج بحثاً بدقة وعناية، ليتم إدراك صحته من خطئه. وعادة الناس أنهم يمانعون أي جديد يخالف ما اعتادوا عليه، ولكن ذوي البصيرة يحكّمون عقولهم، فلا يتأثرون بالرأي السائد، ولا يمانعون أو يقبلون جزافًا، وإنما يدرسون ذلك الأمر الجديد ثم يقررون.

ثانيًا: الثقة بالنفس

مخالفة الرأي السائد، والوضع الذي اعتاد الناس عليه، يحتاج ثقة بالنفس؛ لأن طبيعة الإنسان التكيف مع المحيط الذي يعيش فيه، فإذا ما خطرت بباله فكرة يرى أنها الأصوب، لكنه يعلم أن طرحها سوف يواجه الرفض من الناس، وقد يصل إلى إيذائه، فإنه يتردد في طرحها، وقد يحجم عن ذلك. لكن من عنده ثقة في النفس، وتتوفر لديه

الضوابط اللازمة لطرح رأيه فإنه لا يتردد في ذلك.

ثالثًا: الصبر والتحمل

ما دام الشخص واثقًا من نفسه وفكرته، فعليه أن يضع في حسبانه معارضة الناس له، وأن يتحمل ويصبر في سبيل تحقيق هدفه، ما دام مقتنعاً بصحته، وهذا ما لا يتوفر إلا عند النخبة المستعدة للتضحية.

أجيال الرسالة المحمدية:

من هنا فإن القرآن الكريم يتحدث عن هذا التقويم الذي يميز بين المؤمنين، حيث هناك جيلان، جيل آمن بتلك الرسالة الحق منذ البداية، وجيل آمن بها بعد أن تعززت وظهرت قوتها.

تميز الجيل الأول بالوعي والإدراك المبكر، حيث اكتشفوا قبل غيرهم صدق هذه الدعوة، ولأنهم وثقوا بها، وبصاحبها فقد توفرت لهم ميزة الإصرار والإقدام في نشرها ورفع رايتها، فتحملوا الكثير من الأذى في سبيل ذلك.

أما الجيل الثاني فلم يكن في ذات المستوى، ولذلك ميّز الله بينهم: ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾[سورة التوبة، الآية:١٠٠] ومرة أخرى يقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[سورة الواقعة، الآيتان: ١٠-١١] وأيضًا: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية:٦١].

وهذا هو حال واقعنا، حينما يراد إنشاء مشروع جديد يخدم المجتمع، تجد من يبادر في طرح الفكرة، وأناسًا يتفاعلون معها ويدرسونها، ويرون إن كانت نافعة أم لا، وآخرين ينتظرون رأي الناس، ولا يكلفون أنفسهم فعل شيء، والبعض يقف موقف المتفرج، بل ويعارض دون وعي ودراسة. وتجد في الغالب، قلة من الناس ممن

يتفاعل مع المشروع في بدايته. كثير من الناس يتفاعلون مع الشيء القائم. وهنا يتمايز الناس فيما بينهم.

شخصيتان عظيمتان

نعيش هذه الأيام، في هذا الشهر المبارك مناسبتين عظيمتين على قلب رسول الله ﷺ وقد أخذتا منه مأخذهما من الحزن والأسى، وسمى ذلك العام لوقوعهما عام الحزن. حيث فقد رسول الله ﷺ زوجته الطاهرة، أم المؤمنين خديجة، وعمه وكفيله شيخ البطحاء أبا طالب عليه السلام. هذان العظيمان كان لهما دور محوري في نصر دعوة رسول الله، وإقامة الدين الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. ولولا دورهما ـ مع عناية الله عزّ وجلّ وإرادته في إظهار هذا الدين ـ لكان من الصعوبة بمكان أن تشق الدعوة طريقها.

رسول الله ﷺ ولد يتيمًا، وعاش فقيرًا، فلم تكن له شخصية نافذة ـ بالرغم من أن شخصيته كانت محترمة ومقدرة ـ وقد جاء للناس بدين جديد، غير الذي ألفوا عليه آباءهم، فمن الطبيعي أن يقفوا ضده، فكان بحاجة إلى من يدعمه، ويحميه، فهيأ الله له هاتين الشخصيتين العظيمتين: عمّه أبا طالب بوجاهته ومكانته في قومه، وجليل أخلاقه، ونسبه الشريف. وخديجة بنت خويلد ذات الثروة المالية العظيمة، ووفرة العقل، ونبع الحنان.

موقف أبي طالب عليه السلام:

تكفّل أبو طالب عليه السلام بحماية رسول الله ﷺ من أذى قريش، فما كان أحد يمكنه مواجهة رسول الله ﷺ، وكان الوضع يتطلب من أبي طالب ألا يظهر انتماءه للدين فتسقط حمايته، ويحارب معه. كان يشجع أبناءه أن يكونوا في صف رسول الله ﷺ، وهو دليل على إيمانه بما جاء به رسول الله ﷺ. مرّ ذات يوم وبصحبته ابنه جعفر، ورأى رسول الله ﷺ يصلي وعن يمينه ابنه علي. قال لجعفر: صِلْ جناح ابن عمك. ثم

مضى جعفر وصلى عن يسار رسول الله ﷺ فاستبشر أبو طالب وراح يقول:

إنَّ علياً وجعفراً ثِقتي   عندَ احْتدامِ الأمورِ والكُرَبِ
أراهُما عُرضَة َ اللِّقاءِ إذا   سامَيّتُ أو أَنْتَمي إلى حَسَبِ
لا تَخْذُلا وانصُرا ابنَ عَمِّكُما   أخي لأُمِّي مِن بَينِهم وأبي
واللهِ لا أخذُلُ النبيَّ ولا   يخذُلُه من بنيَّ ذو حسبِ

وقال لابنه جعفر: أما إنه لا يدعونا إلا إلى الخير فالزمه.

وله أشعار كثيرة تدل على إيمانه ومنها قوله:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ   من خير أديان البرية دينا

مواقفه المشرفة مع رسول الله ﷺ وشعره، وكلامه، وكلام أهل البيت عليهم السلام في حقه كلها شهود صدق على إيمانه عليه السلام. ونعتقد بأن أبا طالب ـ بعد الإمام علي عليه السلام ـ أفضل الصحابة والمؤمنين. وما القول بكفره إلا فرية أموية، جاءت لمعاداة ابنه أمير المؤمنين. إن ذنب أبي طالب أنه أبو علي! ويحز في النفس أن تُنسى جهود هذا العظيم، وتحمله البلاء والأذى مع رسول الله ﷺ في سبيل الله، ثم يرمى بالكفر والعياذ بالله. يقول ابن أبي الحديد:

ولولا أبو طالب وابنه   لما مثل الدين شخصًا فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى   وهذا بيثرب جسّ الحماما
وما ضرّ مجد أبي طالب   جهول لغا أو بصير تعامى

دور أم المؤمنين خديجة عليها السلام:

خديجة امرأة وقادة الذكاء، امتلأ قلبها حبًا لرسول الله، كما امتلأ قلب رسول الله ﷺ حبًا لها، و ما فتئ ﷺ يذكر خديجة إلى آخر حياته. كان يتحسر عند ذكرها ويقول: وأين مثل خديجة؟ ويغضب إذا ذُكرت بسوء ويعدد أفضالها. وقد سمّى عام فقدها وفقد عمه أبي طالب: عام الحزن.

روي عنه ﷺ أنه قال: أتاني جبرئيل فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي قد أتتك اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[١].

وعنه ﷺ: «خديجة سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله وبمحمد»[٢].

وأحاديث كثيرة تبين مكانة خديجة عند رسول الله ﷺ. تروي عائشة كما جاء في أسد الغابة، تقول: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها. فذكرها يومًا من الأيام فأدركتني الغيرة. فقلت: هل كانت إلا عجوزًا فقد أبدلك الله خيرًا منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب. ثم قال: «لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني وكذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولادًا إذ حرمني أولاد النساء. قالت عائشة: فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها بسيئة أبدًا»[٣].

وتقول عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: ارسلوا إلى أصدقاء خديجة. فذكرت له يومًا فقال: إني لأحب حبيبها»[٤].

وتنقل أم سلمة أنه حينما كلمنه أزواجه في زواج فاطمة الزهراء عليها السلام وذكرن خديجة، بكى وقال: خديجة! وأين مثل خديجة؟ وأخذ في الثناء عليها[٥].

كانت لخديجة شخصية فذة، ولذا فرضت شخصيتها واحترامها في مجتمع جاهلي، لا يرى للمرأة مكانة. كانت وافرة في عقلها، وذات حكمة وفراسة، فاكتشفت شخصية رسول الله ﷺ حين سافر في تجارتها، وسمعت عن سيرته من غلامها ميسرة.

---

(١) كنز العمال. ج١٢، ص١٣٠، حديث ٣٤٣٣٦.
(٢) المصدر نفسه. حديث ٣٤٣٣٤.
(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة. ج٧، ص٨٦.
(٤) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. ج٨، الطبعة الأولى١٤١٥هـ، (بيروت: دارالكتب العلمية)، ص١٠٣.
(٥) أعيان الشيعة. ج١٠، ص٢٧٢.

وحين جاءها رسول الله ﷺ متأثراً من أول لقاء بالوحي، يشعر بثقل المسؤولية، وحكى لها ما جرى، قالت: كلا والله، ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على النوائب.

وبادرت للإيمان به. فحظيت بشرف السبق للإيمان به مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان معه.

بهذه البصيرة النافذة، والروح العطوفة النبيلة، والكفّ السخية المعطاءة، وقفت مع رسول الله ﷺ ووضعت كل ثروتها تحت تصرفه، بالإضافة إلى الدعم المعنوي والروحي، فكانت تشد من عزمه وتسانده.

نساؤنا وخدمة المجتمع:

ونحن نتذكر دورها العظيم، نذكّر نساءنا بأن كل واحدة منهن يمكنها أن تخدم مجتمعها وتعمل لرفعته، وألا تتجاهل طاقتها الكامنة لخدمة الدين والمجتمع. نساؤنا الآن لديهنّ إمكانيات مادية لا يستهان بها، بسبب الوظيفة، أو التجارة، أو غيرها. حيث تشير الإحصائيات إلى أن النساء يمتلكن عام ٢٠٠٩م ٢٧٪ من ثروات العالم. أي بما يساوي عشرين ترليون دولار. وفي الشرق الأوسط بما يعادل ٢٢٪ من الثروات أو نحو خمسمائة مليار دولار. فأين تصرف وتنفق هذه الأموال والثروات؟

للأسف فإن كثيرًا من هذه الثروات تنفق في المظاهر والترف، والأشياء الكمالية، في وقت يكون المجتمع بأمس الحاجة لهذه الأموال. يفترض أن يكن النساء أكثر تفقدًا لحاجات الفقراء والأيتام والأرامل، لما أودع الله في طبيعتهن من عطف ورحمة.

كم في الشرق الأوسط من فقر مدقع، وحاجات اجتماعية؟ فمطلوب من النساء أن يوظفن هذه الثروات في حاجات المجتمع، ويساهمن في نهضته وتقدمه، وأجر ذلك عند الله عظيم.

الخطبة الثانية

المناجاة انفتاح على الله تعالى

جاء عن الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾ أنه قال: «تعرّض للرحمة وعفو الله، بحسن المراجعة. واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء، والمناجاة في الظُلَم»[1].

ما أحوج الإنسان دائمًا وأبدًا إلى مراجعة ذاته، أن يراجع سلوكه ومواقفه وممارساته؟ لا تأخذه العزة بالإثم، فحينما يجد في ذاته خطأ ما لا ينبغي له أن يتردد في التراجع عنه. المشكلة أن الكثير منا يسترسل على ما تعود عليه. الإنسان له إرادة، فلماذا يبقى أسير عادة معينة، وموقف ما؟

اتخاذ القرار الصائب، والموقف السديد يحتاج حسن مراجعة. فكيف يستطع الإنسان أن يخلق ظروفًا تعينه على المراجعة؟

الإمام الباقر ﴿عليه السلام﴾ يجيب عن ذلك بقوله: «بخالص الدعاء والمناجاة في الظلم».

المناجاة مفردة مبتكرة في الإسلام، وهي تعني المَسارّة. أي أن تخاطب شخصاً بحيث لا يسمعك أحد. الإسلام استخدم هذه المفردة في الحديث مع الله عز وجل، أن يتكلم العبد مع الله تعالى وليس معه أحد. هذا الأصل، وقد تطلق مفردة المناجاة على أي حديث مع الله عز وجل.

(١) تحف العقول. ص٢٨٦.

ويؤكد الإمام على أفضل أوقات المناجاة وهي الليل (الظُلم). وهي تجربة الأنبياء والأئمة. كانوا يختلون بأنفسهم في جوف الليل، يبوحون لله عز وجل بما في نفوسهم، ويخاطبونه مباشرة. كما يخاطب الإنسان غيره من البشر بشكل مباشر.

لذة المناجاة:

المناجاة تجربة روحية عظيمة، لكنها تحتاج إلى تهيؤ. التهيؤ للمناجاة هو الذي يشعر العبد بلذيذ المناجاة، وبدونها لا لذة لها ولا طعم. هذا التهيؤ يكون قبل الولوج في المناجاة كحسن المكسب، وحلّية المأكل والمشرب، والاجتناب عن الكبائر، وغيرها. وكذلك بالإقبال على الله تعالى.

وعن برمجة المناجاة ضمن البرنامج اليومي في حياة الإنسان يقول أمير المؤمنين ﵇: «للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرُم معاشه، وساعة يخلّي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمُل»[1]. يعني أنه يوميًا لا بد أن يكون لنا وقت للمناجاة.

لهذا يؤكد الإمام زين العابدين ﵇ في دعائه لله عز وجل: «اللهم احملنا في سفن نجاتك، ومتعنا بلذيذ مناجاتك، وأوردنا حياض حبك، وأذقنا حلاوة ودك وقربك». كما نتشوق للحديث مع حبيب حتى ننشغل عمن حولنا منصرفين له، فإن هذا الأمر أولى أن يكون في حال التخاطب مع الله عز وجل. وهذا ما دأب عليه الأولياء والصالحون. «وزين لي التفرد بمناجاتك بالليل والنهار» كما يقول الإمام زين العابدين ﵇.

وبالإضافة إلى ما في مناجاة الله من لذة وراحة، ومن إقبال العبد على ربه، فإن الله عز وجل يقبل على عبده أكثر، ويفتح له أبوابه ليطلب ما يشاء. جاء عن رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا تخلى بسيده في جوف الليل المظلم وناجاه اثبت الله النور في قلبه، فإذا قال: يا رب، ناداه الجليل جل جلاله: لبيك عبدي سلني أعطك، وتوكل علي أكفك».

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٩٠.

ثم يقول جل جلاله للملائكة: «ملائكتي انظروا إلى عبدي قد تخلى بي في جوف الليل المظلم والباطلون لاهون، والغافلون ينامون، اشهدوا أني قد غفرت له»[١].

لذا علينا أن نحرص في هذا الشهر الشريف أن لا نفوّت أوقات المناجاة على أنفسنا. فكيف يقبل الإنسان على نفسه أن يلتقي الناس، ويقضي جل وقته في الحديث معهم، ويحرم نفسه من مناجاة الله تعالى؟

كيف يسمح لنفسه أن تمرّ عليه ليلة من ليالي شهر رمضان دون أن يختلي بربه ويناجيه؟ وهذا شهر ينبغي أن تكون فيه انطلاقتنا نحو مراجعة الذات، وتغييرها. فأي فرصة أفضل من هذه الفرصة؟ الأئمة الكرام عليهم السلام مع مكانتهم السامية عند الله تعالى، ما كانوا يتركون مناجاة الله والسهر لطاعته، بل لولا هذا الأمر لما نالوا واستحقوا هذه المكانة.

عن أبي الدرداء: قال: شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات النجار، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعد على مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول: « إلهي كم من موقبة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفر انك، ولا أنا براج غير رضوانك».

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغامر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال: «إلهي أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم علي بليتي».

ثم قال: «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول:

---

(١) الأمالي. ص٣٥٤.

خذوه، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء».

ثم قال: «آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آهٍ من ملهبات لظى».

قال أبو الدرداء، ثم أمعن في البكاء، فلم أسمع له حساً، ولا حركة[1].

هكذا تكون المناجاة مع الخالق عز وجل.

نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا لذيذ مناجاته آناء الليل وأطراف النهار، وأن يعمر قلوبنا بحبه، وألسنتنا بذكره، أنه سميع مجيب.

---

(١) بحار الأنوار. ٤١، ص١١.

الخطبة الأولى

العيد ونتائج دورة الصيام

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الفطر فقال: «أيها الناس إن يومكم هذا يوم يثاب به المحسنون، ويخسر فيه المسيئون، وهو أشبه يوم بيوم قيامتكم، فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصلاكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاكم وقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنة، أو النار.

واعلموا عباد الله أن أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان: أبشروا عباد الله، فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون»[1].

إن كل إنسان يمتلك مقومات الحياة الأولية كما يمتلك طاقات قابلة للنمو والتطور، والتمايز الحقيقي بين الناس يتم حسب مستوى تطوير هذه القدرات بالشكل الذي يحقق نمواً إيجابياً على مستوى الواقع المادي والمعنوي، وقد بات من مسلمات الوعي الإنساني المعاصر (أن العلم والتجربة والتدريب والتأهيل والإصرار..) هي الطرق التي يمكن من خلالها تغيير واقع الإنسان والدفع به إلى الأمام، فالإنسان هو

(١) بحار الأنوار. ج٨٧، ص٣٦٢.

المسؤول عن تطوير هذه الإمكانات والاستفادة منها، صحيح أن الله قد منح الإنسان العقل إلا أنه جعل الاستفادة منه مسؤولية الإنسان، كما منحه القدرة والإرادة وغيرها من الطاقات، وجعل أمر إدارتها وتنميتها بيد الإنسان، ومن هنا فإن الفشل نتيجة حتمية لمن يهمل هذه القدرات، والنجاح نتيجة متوقعة لمن يستثمر هذه الإمكانات.

ولتنمية هذه القدرات وتطويرها اكتشف الإنسان طرق ووسائل مختلفة، وما نشهده من تقدم علمي وتكنلوجي هو ثمار تراكم التجربة البشرية الساعية لتطوير الواقع المادي، وقد كافح الإنسان كثيراً في سبيل تحقيق هذا التقدم، فبالإرادة والإصرار، وبالتدريب والتأهيل، تمكن من تحقيق النجاحات، فمن ينتظر قدراً يسوقه إلى الكمال بغير إرادة منه وجهد، فقد حكم على حياته بالركود والتخلف، ومن هنا فإن مصير الإنسان يرتبط بالعلم والعمل، والتدريب والتأهيل، حتى يطوّر ما عنده من قدرات، ومن ثم يحقق لنفسه الحياة التي يطمح إليها.

ولتحقيق هذا التغيير، ولتطوير هذه الطاقات، لا بد أن يتدرب الإنسان؛ لأن التدريب هو طريق تعزيز القدرات وتنميتها، فالرياضي الذي يحصد الجوائز لا يمده الغيب بقدرات خارقة، وإنما هو تطوير لما عنده من قدرات، ويتحقق له ذلك من خلال المداومة على التدريب والتأهيل، وهكذا الحال فإن الإنسان من خلال التدريب يمكنه تنمية قدراته العقلية والروحية والجسدية.

التدريب ونتائجه المطلوبة

حينما يعيش الانسان فترة التدريب في أي مجال من المجالات، فإن المقصود ليس التدريب في حدّ ذاته، وإنما التأهيل للمرحلة التالية، فالجندي إنما يتدرب على السلاح وفنون الحرب والدفاع، لكي يكون مستعداً لمواجهة العدوان، وهكذا في كل مجال يصبح التدريب مقدمة ضرورية لإنجاز أي عمل، ولا ينظر له كغاية مقصودة في حدّ ذاتها، وقد يكون هذا الأمر واضحاً ومعتاداً عليه في المجالات المادية،

بعكس الجوانب الروحية والمعنوية، وما نؤكد عليه: أن الأخلاق الحميدة، والصفات الإيجابية، وقيم الحق والفضيلة، تتحقق أيضًا بالممارسة والتدريب، ومن هنا يمكننا فهم العبادات كمحطات تدريبية لسلوك الإنسان وممارساته، وهكذا الحال في شهر رمضان، فهو فترة تدريبية، ومحطة تأهيلية، لصقل شخصية الإنسان، وتقوية إرادته، لمواجهة مصاعب الحياة.

وما يحققه الصائم في شهر رمضان، يجب أن تتجلى ثماره في بقية شهور السنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[سورة البقرة، الآية:١٨٣] فإن قيمة التقوى هي الثمرة التي يحصل عليها الإنسان من خلال هذه الدورة التدريبية، بأن يخرج من شهر رمضان وهو حائز على الإرادة النفسية الكافية، التي تؤهله لبناء حياة قائمة على التقوى والفضيلة، وقد جاء في بعض النصوص والروايات: أن يوم العيد هو يوم توزيع الجوائز، وقد جعل الله من الفضل الكبير والأجر العظيم لمن يؤدي الامتحان بالشكل الذي أراده الله، فعلى الإنسان أن يتأمل في نفسه، وينظر إلى أي حد استفاد من هذه الدورة التدريبية، حتى تنعكس فائدة تلك المكاسب الرمضانية على حياة الإنسان في بقية شهور السنة، وقد أكدت نصوص الشرع على الاهتمام بالعمل بعد رمضان، بحيث يصبح سلوكه منضبطاً بضوابط الدين، وقيم الحق، فالصائم مطالب بتغير سلوكه وسيرته، وتغير نمط حياته وعيشه، وهذا يمثل حكمة الصيام وغايته، فإن فعلَ الصيام بنفسه، وما يصحبه من برامج روحية، يمثل برنامجاً تدريبياً لضبط سلوك الإنسان، فإذا لم يحقق الإنسان هذا التغيير فإنه لم يستفد من رمضان شيئاً.

قدرة التحكم في الرغبات

من الآثار والمكاسب التي ينبغي الحفاظ عليها من صوم شهر رمضان، هو قدرة التحكم في الرغبات والشهوات؛ لأن من أعقد المشكلات التي تواجه الإنسان هي

الخضوع للشهوات والأهواء، وما تشكله من ضغط كبير على شخصية الإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [سورة النازعات، الآيتان:٤٠-٤١] وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [سورة يوسف: الآية٥٣] وتكشف هذه الآيات وغيرها عن خطورة هذه النفس، بحيث جعلت الجنة في قبال عدم الخضوع والامتثال لأهوائها، ولو تتبعنا معظم ما يعانيه الإنسان من مشاكل وتعقيدات نجدها نابعة من هوى النفس والأنانيات الضيقة، وليس المقصود فقط الشهوات بمعناها الغرائزي، وإنما في كل تفاصيل الحياة نجد الشهوة حاضرة وبقوة، مثلاً: الإنسان قد يندفع للتكلم بكلمة معينة، والدافع لها مجرد شهوة، الأمر الذي قد يعقب أضراراً بالغة، أو حتى ينقل خبراً، أو يعلق على حدث، وغيرها من السلوكيات المألوفة، التي يجب أن يرتدع الإنسان فيها عن متابعة الهوى، وأن يتمسك بقيم الحق والفضيلة، كما ورد في النصوص الشريفة: « لسان المؤمن من وراء قلبه»[(١)] فالتفكير مقدمة ضرورية للقيام بأي عمل، فعلى الإنسان أن يفكر جيداً فيما يريد أن يقول فيتحكم في نفسه، ولا يتكلم إلا بوعي ومعرفة وحِكمة، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد ليقول الكلمة، لا يقولها إلا ليضحك بها الناس يهوي بها أبعد مما بين السماء والأرض»[(٢)]، وهكذا في كل سلوكياته وتصرفاته لا يقدم الإنسان على عمل إلا بعد تأمل وتفكر، فإن تحكم الرغبات والشهوات تردي الإنسان في المهالك.

إن أهم ما يحصل عليه الإنسان من شهر رمضان أن يكتسب القدرة العالية في التحكم في رغباته وشهواته، ومن هنا عللت الآية الكريمة فرض الصيام بأنه وسيلة للتقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فالتقوى من أهم ثمار صيام شهر رمضان، فإذا خرج الإنسان من شهر الصيام ولم يجنِ هذه الثمرة، ولم يحصل على هذه الفائدة، يكون مثله مثل من تدرب على السلاح، أو قيادة السيارة، أو أي مهنة، ولم يمتلك مفاتيح القيام بذلك

---

(١) نهج البلاغة. الخطبة ١٧٦.

(٢) كنز العمال. ج٣، ص٥٥٦.

العمل، ولم يمتلك قدرة الإنجاز، فإن تدريبه لا يكون تدريبًا ناجحًا.

الحفاظ على عادات الخير

الأمر الآخر من مكاسب شهر رمضان هو الحفاظ على العادات الحميدة، والخصال الجيدة، التي يداوم عليها الإنسان في شهر رمضان، والاستمرار عليها فيما بعد رمضان من شهور السنة، فالغالب من الناس يلتزمون بعض السنن الحميدة في شهر رمضان، ثم يتم تركها بعد انقضاء شهر الصيام، مع أن من حكمة هذا الشهر هو تدريب النفس وتهيئتها بفعل الخير، حتى يكون سلوكاً ملازماً للإنسان في بقية عمره، فقراءة القرآن، والالتزام بالأدعية المأثورة، والتصدق على الفقراء، والتواصل مع الناس، ومدّ يد العون للضعفاء، وغيرها من الفضائل يجب أن تكون ديدن المؤمن طوال حياته، ولا يكتفي بهذا الخلق في شهر واحد من شهور السنة، وبهذا يكون قد حقق الإنسان الفائدة المرجوة من شهر رمضان.

وبرغم أن يوم العيد يوم فرح وسرور، نجد أمير المؤمنين في يوم العيد يذكر الناس بالدار الآخرة، وهذا من الطبيعي لأن من حِكمة المناسبات الدينية وفلسفتها تذكير الإنسان بمستقبله الأخروي، وهذا ما يميز الإنسان المسلم المؤمن عن غيره، فإيمانه بالمعاد ينعكس على مجمل فهمه للحياة، لا ينظر إلى الموت بوصفه نهاية وإنما بداية لحياة أخرى.

«أيها الناس، إن يومكم هذا يوم يثاب به المحسنون، ويخسر فيه المسيئون، وهو أشبه يوم بيوم قيامتكم»، ثم يذكر الإمام بشارة للصائمين في هذا اليوم «واعلموا عباد الله أن أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان: أبشروا عباد الله، فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون».

العيد وتعزيز التواصل الاجتماعي

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال لأصحابه: «اتقوا الله، وكونوا إخوة بررة متحابين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[1].

بالقدر الذي يشعر فيه كل إنسان بالفردية والأنا الشخصية، فإنه يشعر بالحنين إلى الآخر، ومن هنا نجد أن التشريع الإسلامي حقق التوازن بين الشعورين، وأوجد البرامج والتوجيهات من واقع كون الإنسان فرداً اجتماعياً، بخلاف النظريات البشرية التي أفرطت في جانب، أو فرّطت في الجانب الآخر، حيث نجد النظم الاجتماعية السائدة تدور بين الرأسمالية التي ألّهت الفرد على حساب المجتمع، وبين الشيوعية التي صادرت إرادة الفرد لصالح المجتمع، في حين أن الوصف الموضوعي لحقيقة الإنسان هو الاعتراف بما له من فردية، في الوقت الذي يحترم فيه ميوله الاجتماعية.

وبرغم واقعية هذا الوصف إلا أننا نجد أن النزعة الفردية تحركها كثير من المحفزات الذاتية والخارجية، مما لا يحتاج الإنسان معها إلى تذكيره وترغيبه للاهتمام بالجانب الفردي والشخصي، بعكس النزعة الاجتماعية، مما يجعل من الضروري خلق محفزات تحرك الإنسان نحو الشعور بالآخر، من أجل التفاعل والتكامل معه، من هذه الزاوية يمكننا وضع كثير من التشريعات والمناسبات الدينية في إطار تشجيع الإنسان

(١) وسائل الشيعة. ج١٢، ص٢٢.

وتحفيزه للتواصل مع الآخر.

من فلسفة العيد

ومن هذه المناسبات التي تعزز الجانب الاجتماعي في الإنسان هي مناسبة العيد، ففلسفة هذا اليوم وهدفه الأساس تعزيز التواصل بين أبناء المجتمع، حيث تصبح الأعياد محطات مهمة، تنقل الإنسان من همومه الشخصية التي تهيمن عليه، إلى الالتفات لمن يشترك معه في الحياة والإنسانية، فكل واحد منا مشغول بهمومه الخاصة، وبالذات في هذا العصر، الذي تعددت فيه الاهتمامات وتشعبت، لكن على الانسان أن يعلم أن عليه التواصل مع أبناء جنسه ومجتمعه، فإن في ذلك فائدة نفسية أولاً؛ لأن الإنسان يشعر بالسعادة ويرتاح نفسياً حينما يكون سويًا في مشاعره وأحاسيسه.

وثانياً فإن طبيعة الحياة تجعله بحاجة إلى الآخرين.

وثالثاً باعتباره مسلمًا يريد رضا الله، فإن التواصل مع الناس طريق مهم لكسب رضا الله وغفرانه.

وبرنامج العيد يدفع الإنسان للتواصل مع أبناء مجتمعه، من خلال صلاة العيد، وزيارة الأرحام، كما يحقق ذلك من خلال زكاة الفطرة، التي تخلق نوعاً من التكافل الاجتماعي، فقد أوجب الله على كل صائم أن يخرج من ماله عنه وعمَّن يعوله مقدار صاع من الطعام للفقراء والمحتاجين، وعلى الإنسان أن يخرج هذه الزكاة قبل صلاة العيد، أو قبل الزوال من يوم العيد، كما من المستحب أن يعطيها لأقاربه المحتاجين، ثم الفقراء من جيرانه وأهل منطقته، ومن لم يجد من يستحق الزكاة، فهناك جمعيات خيرية. إن زكاة الفطرة تعزّز هذا الفهم الاجتماعي في الإنسان، وترتقي بالمسلم إلى مستوى تحمل هموم إخوانه وأبناء مجتمعه.

باكستان وكارثة الفيضانات

كما يجب أن يتسع اهتمامنا ليشمل المجتمعات البعيدة والدول المنكوبة، كما هو الحال في باكستان التي تضررت بسبب الفيضانات، وأصبح أربعة عشر مليون إنسان في دائرة الفقر، عشرة ملايين منهم أصبحوا بدون مأوى، وهؤلاء بشر يرتبطون معنا في الإسلام مضافاً إلى الرابطة الإنسانية[١].

قبل أيام وصلتني رسالة من أحد كبار علماء الشيعة في باكستان، وهو يتحدث عن معاناة المؤمنين هناك، يقول: إن السيول بدأت من المناطق الشمالية، وبعدها دخلت السيول إلى ولاية البنجاب، ثم السند، والبنجاب أكبر ولاية من حيث السكان والمساحة، حيث تشتمل على ثمان وثلاثين محافظة، تسعة منها متأثرة ومنكوبة، ومعظم السكان من الشيعة الذين يعتمدون في معيشتهم على الزراعة والمواشي، وقد تضررت بشكل كامل، وبلغ عدد المتضررين كما أعلن رسميًا أكثر من خمسة عشر مليون، أربعون بالمئة من المتضررين هم من الشيعة، وعلى هذا التقدير عدد المتضررين من الشيعة أكثر من أربعة ملايين إنسان، وعدد قراهم التي تضررت أكثر من ثلاثة آلاف قرية، والبيوت المتضررة عشرات الألوف، وذكرنا للشيعة هنا ليس من باب تميزهم عن الآخرين؛ لأن ما يحركنا هو الجانب الإنساني وليس الجانب المذهبي الضيق، فكل إنسان يتعرض لمثل هذه الكارثة ينبغي أن يدعم، فإذا كان مسلمًا كان هذا الواجب مضاعفاً على المسلمين، فإذا كان يرتبط معك عقديًّا مذهبيًا يكون الاندفاع أكثر، مع التأكيد على ضرورة مساعدة جميع المتضررين.

فمن ثمار يوم العيد استحضار هموم الآخرين، والتفاعل مع مشاكلهم، والتواصل معهم، حيث يبدأ الإنسان بالأرحام والأقرباء، ومن ثم أهل المنطقة، وهكذا تتسع

---

(١) فيضان باكستان كارثة وقعت نتيجة للسيول والأمطار الغزيرة التي هطلت على شمال غربي باكستان في ٢٧ يوليو ٢٠١٠، وقتلت الفيضانات ١,٦٠٠ شخص، وتعتبر هذه الكارثة الأسوأ والأخطر في تاريخ البلاد منذ ٨٠ عامًا.

الدائرة حتى يشمل الاهتمام كل البشر، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من زار أخاه في الله قال الله عزّ وجلّ: إياي زرت وثوابك علي، ولست أرضى لك ثوابًا دون الجنة»[١]، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من زار أخاه في جانب المصر ابتغاء وجه الله فهو زوره، وحق على الله أن يكرم زوره »[٢]. وعن الامام الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زار أخاه في بيته قال الله عزّ وجلّ له: أنت ضيفي و زائري، علي قراك وقد أوجبت لك الجنة بحبك إياه»[٣]. ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «لقاء الإخوان مغنم جسيم وإن قلوا»[٤]. علينا أن نستفيد من هذه المناسبة السعيدة في التواصل مع أبناء مجتمعنا، وتجاوز الحساسيات والإشكاليات التي من الطبيعي أن تكون موجودة بين مختلف أبناء البشر، وأن نجعل هذا اليوم وكأنه صفحة جديدة في العلاقة بيننا وبين الآخرين، هذا من افضل الأعمال التي ينبغي التقرب بها إلى الله تعالى في يوم العيد.

---

(١) الكافي. ج٢، ص١٧٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ص١٧٧.
(٤) وسائل الشيعة. ج١٤، ص٥٨٦.



الخطبة الأولى

النية الحسنة دافع الإنجاز

ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ما ضعف بدنٌ عما قويت عليه النية»[1].

هناك البعض من الناس تكون حياتهم زاخرة بالمنجزات، ومليئة بالحركة والنشاط، فلا يغادرون الحياة إلا وقد تركوا بصمات واضحة عليها، وأوجدوا تغييرًا ملموسًا في المحيط الذي يعيشون فيه. بينما قسم آخر من الناس لا يغيرون شيئًا، ولا يتركون لهم أثرًا، يأكلون ويشربون وينامون ويستمتعون، لكن ليس لهم إنجازات تذكر، وعطاؤهم لمن حولهم معدوم. فلماذا الفرق بين هذين الصنفين من الناس؟ بين ناشطين منجزين، وبين راكدين خاملين؟

نية صالحة وهمة عالية

في كثير من الأحيان تكون هناك تأثيرات تدفع كل صنف للنمط الذي يحذوه، ولكننا عند التأمل نجد أن الفرق الأساس بينهما يتمثل في النية الصالحة، والهمة العالية.

قسم من الناس تجد أن لهم نية صالحة، وهمة عالية، بدواخلهم أفكار وتطلعات يسعون لإنجازها، ويجدون راحتهم في إنجاز هذه التطلعات، وقسم آخر من الناس يشفقون على أنفسهم، ليس فقط من أداء الشيء بل حتى من التفكير فيه، والتطلع إليه،

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص١٨١.

تكون عندهم هيبة حتى من النية في أن يعملوا شيئاً.

ولتقريب الصورة أكثر، خذ مثلًا موقف أناس أمام جبل شاهق، ربما يتساءل بعضهم: هل أصعد وأصل إلى القمة، أم لا؟ فيعزم ويعلو الجبل، بينما ستجد آخرين يتهيبون حتى من التفكير في الأمر، ومجرد تخيل صعود الجبل يأتي له بدوار رأس، ويشفق على نفسه.

الإنسان عليه أن ينوي فعل الخير بداخله، ويسعى لتحقيقه، فالنية أول خطوة لتحقيق النجاح. وكما قيل: «ما رام امرؤ شيئًا إلا وصل إليه أو ما دونه».

هناك نصوص كثيرة تشجع الإنسان على مجرد النية الصالحة، وهذا لا يعني العيش على الأماني، ولكن النية الصالحة تدفع صاحبها إلى تحقيق هدفه. ورد عن أمير المؤمنين ﷺ: «النية الصالحة أحد العملين»[1]. وبمجرد النية المتضمنة للعزم على العمل الصالح يثيبك الله تعالى كما ورد عنه أيضًا ﷺ: «إحسان النية يوجب المثوبة»[2].

غرس النية الصالحة

أولًا: من أجل أن يعوّد الإنسان نفسه التفكير في عمل الخير والصلاح، وهذا بحد ذاته يوجب المثوبة.

ثانيًا: النية الصالحة تجعل أفق الإنسان الفكري والنفسي واسعًا. كل إنسان من طبيعته أن ينشغل بشيء ما، هذا الشيء الذي يملأ فكرك إما أن يكون سامياً يرتقي بك، أو تافهاً ينحدر باهتماماتك.

ثالثًا: النية مفتاح الإنجاز. كما في قول الإمام الصادق ﷺ: «ما ضعف بدنٌ عما

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

قويت عليه النية». مجرد أن تنوي فعل الشيء، فإن قدرتك التي أودعها الله تعالى فيك تدفعك إلى صنع المعجزات. انظر إلى ما حولك من المنجزات ستجدها كانت تبدو مستحيلة، وبعضها ما كان يخطر ببال، لكنها تحققت؛ لأن من حققها نوى وسعى لتحقيقها. الإنسان يكبر بنيته وهمته، كما ورد عن أمير المؤمنين ﵇: «قدر الرجل على قدر همته، وعمله على قدر نيته»[١].

آفاق الهمة العالية

لا بدّ لكل فرد منا أن يملأ نفسه بالاهتمامات الصالحة، ومن أهمها:

أولًا: الاهتمام بالارتقاء الفكري والمعرفي

ليكن عندك طموح في رفع مستواك التعليمي والمعرفي. الله عزّ وجل على ما أعطى نبيه المصطفى ﷺ فإنه يأمره بأن يطلب المزيد: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾. اطلب زيادة العلم بالدعاء، واغرس الهمة في نفسك. وكان ﷺ أيضًا يعتبر اليوم الذي يمر عليه دون أن يستفيد منه معرفة وعلمًا يومًا مشؤمًا كما ورد عنه ﷺ: «إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علمًا يقربني إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم»[٢].

والحمد لله، فإن الأمور قد تيسرت، وما عاد من الصعب كسب العلم، نحن نعيش في عصر لا ينبغي لأحد منا أن يقبل على نفسه أن يعيش أميًا، لا يعرف القراءة والكتابة. الفترات السابقة ولصعوبة الحياة فيها خلّفت جيلًا غير متعلم، ولكن هذا لا يعني النهاية. هناك مدارس لمحو الأمية، فلماذا لا تتعلم. لهذا أدعو وأشد على أيدي الآباء والأمهات على أن يتجهوا للتعلم والدراسة، وألا يضعوا كبر السن عقبة أمامهم، ولا عدم احتياجهم للوظيفة مانعًا من التعلم. فالوظيفة ليست هي المطلب الأساس من التعلم. إذا تعلمت القراءة والكتابة يمكنك قراءة القرآن الكريم، والأدعية

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) كنز العمال. ج١٠، ص١٣٦، حديث ٢٨٦٨٧.

الشريفة، والمسائل الفقهية، ويمكنك أن تكتب رسالة، وتقرأ الوارد لك. وما دامت الفرصة متاحة فلماذا لا تستفيد منها؟ وكذلك أوجّه الأبناء أن يهتموا بتعليم آبائهم، كما اهتم آباؤهم بتعليمهم. بعض الأبناء يرى أن من الواجب عليه أن يوصل ابنه بنفسه للمدرسة، أو يوفر المواصلات له، ولكنه لا يجد نفسه معنيًا بتوفير ذلك إلى والده أو والدته، وهذا خلاف البر.

كما أدعو أبنائي الطلاب للاهتمام بدراستهم، ومواصلة مشوارهم العلمي، لا تكتفوا بالبكالوريوس فقط، بل اطمحوا إلى شهادات أعلى. وأدعو الشاب المثقف إلى الكتابة، فمجالات النشر الآن أوسع. اكتب ولو ورقة واحدة ينتفع بها الناس، ولا تقل لا فائدة مما أكتب، فالعلم يتراكم. اكتب عن تجربتك كمدرس، كمدير، كموظف، اكتب عن أي شيء تراه مهمًا ويمكن أن تنفع به. كنت أقرأ عن سائق تاكسي في باكستان، هذا السائق كان يفتح باب الحوار مع كل راكب معه، سيما السواح منهم، وعند عودته للمنزل يدوّن ما سمعه، ثم جمع ذلك في كتاب واسماه: مذكرات سائق تاكسي. وأصبح من أكثر الكتب مبيعًا في باكستان، ومنح جائزة تقديرية.

ثانيًا: التقرب إلى الله تعالى

«اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك»[١] كما ورد عن رسول الله ﷺ. أنت في كامل قوتك الآن فاستثمرها بالتقرب إلى الله عزّ وجل، بالنافلة بالدعاء، بالتضرع، في الرواية: «ما تقرب إليَّ عبد بشئ أحبّ إليَّ مما افترضت عليه وإنه ليتقرب إليَّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها»[٢].

هذا جانب مهم ينبغي أن نقوي همتنا فيه، أحد العلماء المعاصرين في لبنان

(١) وسائل الشيعة. ج١، ص١١٤.

(٢) الكافي. ج٢، ص٣٥٢.

يختم القرآن كل يوم في شهر رمضان، وذلك لقوة عزيمته وإرادته. تهيأ لصلاة الليل، واصحُ باكرًا لصلاة الصبح، وتقرب إلى الله بالدعاء. فهذه العبادة لها آثارها الدنيوية والأخروية، فلا تفوّت الفرصة على نفسك. ومجرد النية مع العزيمة في نفسك للقيام لصلاة الليل تثاب عليها، حتى لو غلبك النوم وفاتك القيام. ورد عن رسول الله ﷺ: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح، كُتبَ له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه»[١].

ثالثًا: العمل الصالح وخدمة الناس

فكر في نفسك، هل يمكنك أن تقدم شيئًا ينفع الناس؟ ضع نية خدمة الناس في ضميرك، وسوف تحقق لهم ولو بعض الشيء. أنت تحتاج همة وإرادة. الذين أقاموا المساجد والحسينيات، وأسسوا الجمعيات الخيرية وغيرها، هم مثلنا، لهم وضع يماثل وضعنا، بل ربما أقل. ولكنهم عقدوا النية فأفلحوا. الإمام الباقر عليه السلام يقول: « إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمّه الجنة »[٢]. مجرد أنه يهتم بالأمر ويتفكر كيف يمكنه مساعدته فيها، ويحاول وضع الحلول له هذا الاهتمام يثيبه الله تعالى عليه ويكون سببًا لدخوله الجنة.

التقصير في العمل الصالح ظلم للنفس، وتوفيق الله عز وجل بعض الناس لخدمة غيرهم إنما هو بقدر نيتهم وسعيهم لذلك، كما جاء عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «من حسنت نيته أمده التوفيق»[٣].

---

(١) سنن النسائي، ج ٣، ص ٢٥٨.
(٢) الكافي. ج٢، ص١٩٦.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

الخطبة الثانية

خطر الشحن الطائفي

عن عبد الأعلى قال: (قال لي أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام اقرأ الشيعة السلام ورحمة الله، وقل: قال لكم: رحم الله عبدًا استجرّ مودة الناس إلى نفسه وإلينا، بأن يظهر لهم ما يعرفون، ويكفّ عنهم ما ينكرون)[1].

وقال عليه السلام في مورد آخر: (معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول وقبيح القول)[2].

العلاقة بين الشيعة والسنة

هاتان عينتان من عشرات أو مئات الروايات التي تتحدث عن منهج التعامل بين شيعة أهل البيت عليهم السلام وبقية الناس. الشيعة هم جزء من الكيان الإسلامي، يشتركون مع بقية المسلمين في ثوابت متفق عليها، وهناك تمايزات عقدية وفقهية بين الشيعة وغيرهم من الطوائف، كما أن بقية الطوائف بينها تمايز. لكن هذه التمايزات لا تعني أن يعيش الأطراف في نزاع.

من حق الشيعة أن يحملوا معتقداتهم ويدافعوا عنها، كما هو حق لغيرهم. ولكن

---

(١) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٢٧٥.

(٢) الأمالي. ص٤٤٠.

ليس بأن نتنازع ونتحارب فهذا منهي عنه: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. ويبين الله لنا كيف نتعامل مع أصحاب الديانات الأخرى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، وفي مجال الدعوة يأمر أن يتم ذلك باللين لا بالخشونة والقسوة: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

فمن باب أولى أن نتعامل كمسلمين فيما بيننا بهذا الأسلوب، وأن نتحاور بالتي هي أحسن. وذلك لأن الدين هو الخلق السليم. الدين لم يأت ليخلق منك إنسانًا عنيفًا وإنما يريدك مسالمًا. «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١] كما ورد عنه ﷺ.

أنت تمثّل عقيدتك

من جهة أخرى أنت تمثل ديناً ومذهباً، والناس ينظرون له من خلالك. إذا تعاملت معهم بالحسنى أخذوا انطباعًا حسنًا عنك وعن انتمائك، لذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»[٢]. وقال أيضًا: « رحم الله عبدًا حببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعز وما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشرًا»[٣]. وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في حق شيعته: «بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا»[٤].

لكننا مع الأسف الشديد نرى انبعاث تيار يحمل أفكارًا تخالف نهج هذه الروايات، ونحن في عصر ارتفعت فيه معنويات الشيعة، فأوضاعهم أفضل من السابق بحمد الله تعالى، وللتعبير عن هذه المعنويات فإن هناك منهجين:

(١) صحيح البخاري. ج١، ص٨.
(٢) وسائل الشيعة. ج١٢، ص٨.
(٣) الكافي. ج٨، ص٢٢٩.
(٤) الكافي. ج٢، ص٢٣٧.

المنهج الأول: تقديم أنموذج مشرق لفكر أهل البيت ﷩ النيِّر.

المنهج الثاني: يستثمر هذه الإمكانات لتبيين مساوئ الطرف الآخر، وإسقاط رموزه. هذا المنهج هو ردة فعل لما مورس ضد الشيعة من ظلم وتمييز وتعبئة، ولكن الخطأ لا يواجه بالخطأ، سيما ونحن ننتمي إلى أهل البيت ﷩. إذا كان هناك من يريد أن يأخذ بالمنهج الأموي حين سنّوا سبَّ أمير المؤمنين ﵇ سبعين سنة، فهم يأخذون بالمنهج الذي ارتضوه لانفسهم، ولكننا نرفض هذا المنهج، لأن منهج أهل البيت ﷩ خلاف ذلك.

المسألة ليست مسألة شخص يتحدث في لندن أو أي مكان آخر، وإنما وجود تيار، يحمل هذا الفكر والمنهج. الناس الذين يحرضون على السب واللعن فليعلموا أن هذه هي النتائج، وضعوا المذهب في موقف دفاع، وشوهوا صورته النقية، ولو حدث مكروه ـ لا سمح الله ـ لهذه الأمة فهم من أسبابه.

هذا التيار المتشدد يظن أنه يخدم المذهب، لكن الواقع أنه يضر بالمذهب وأهله وقد اتضح للجميع ذلك.

هذا التيار وقع في سوء فهم خطأ ـ إذا أحسنا الظن بهم ـ وإلا فهو لعب على المشاعر ودغدغة للعواطف باسم أهل البيت ﷩، ولكن أئمة أهل البيت ﷩ يرفضون هذا النهج ويحذرون منه، وكذلك علماء الشيعة المخلصون، وقد سمعنا بيان المرجع الأعلى السيد السيستاني الأخير وما كان يردده أمام زائريه من شيعة العراق: «لا تقولوا أخوتنا أهل السنة، بل هم أنفسكم». كذلك خطابات العلماء في إيران ولبنان.

نحن في وضع يتطلب منا أن نبرز صورة حسنة لنا ولمذهب أهل البيت ﷩، السيد البروجردي رحمه الله كان يقول: ينبغي أن نركز على مرجعية أهل البيت العلمية والفكرية. والكثير منا قرأ كتاب المراجعات للسيد شرف الدين رحمه الله، كان نقاشًا عقديًا ولكنه بلغة راقية مؤدبة، وهذا هو المطلوب، أما السب والشتم وتسقيط الرموز

فهذا لا يقبل به أحد. في كتب الأحاديث هناك روايات، ولكن ليست كلها صحيحة. وإذا كان بعضها صحيحاً عند بعض هؤلاء، فهناك روايات أخرى تدعوك لترك هذا الأمر، وعدم الخوض فيه، وهي أكثر.

الإمام الرضا عليه السلام يشير إلى أن هناك من دسّ في رواياتهم ويركز على ثلاث نقاط: الغلو، والتقصير في أمر أهل البيت، والتصريح بمثالب الأعداء. يقول عليه السلام كما في عيون أخبار الرضا: «إن مخالفينا وضعوا أخبارًا في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم، ثلبونا بأسمائنا»[1].

نسأل الله تعالى أن يجنب هذه الأمة الإسلامية كيد الكائدين، وأن يرفع كلمة الإسلام عاليًا. ويهدينا جميعًا إلى سواء السبيل.

---

(١) عيون أخبار الرضا. ج٢، ص٢٧٢.



الخطبة الأولى

الخواطر السيئة والحذر من الانزلاق

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾
[سورة الأعراف. الآية٢٠١].

مسيرة الإنسان في هذه الحياة تتطلب منه أن يؤدي امتحانًا دائمًا وأبدًا، ويظل ينتقل من امتحان إلى آخر حتى يلقى ربه الكريم. وهذه هي العلة من خلق الإنسان في الحياة أن يمتحن، وهذا ما يبينه عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾[سورة الإنسان، الآية:٢]، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[سورة الملك. الآية:٢]. كل إنسان معرض للامتحان، ويبقى في مواجهة هذا التحدي الدائم، فهو يعيش ثنائية المادة والروح، والعقل والشهوة. وطبيعة الحياة فيها ما يستثير الدَافعَين أمام الإنسان. كما أن طبيعة خلق الإنسان تجعله عرضة لتحدٍ دائم، حيث يتكون من نفحة من روح تشده إلى السمو والرفعة، وقبضة من تراب تشده إلى الانحطاط والسقوط. في أعماقه شهوات تدفعه للانحراف، وعنده عقل يدعوه إلى الصمود والمقاومة والثبات.

هذا صراع حتمي بين سمو الروح وانحطاط المادة، وبين إرادة العقل وإغراءات الشهوة، يظل الإنسان يواجهه دائمًا وأبدًا. والإمام زين العابدين عليه السلام يذكرنا بهذا الصراع الذي يعيشه الإنسان يقول عليه السلام في مناجاته: «إلهي أشكو إليك عدوًا يضلني، وشيطانًا يغويني، قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى، ويزّين لي حبَّ الدنيا، ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى».

وكون الإنسان مؤمنًا بالله تعالى، لا يعفيه من الامتحان، بل قد يكون أكثر بلاء. الإنسان الذي ينتمي إلى السلك التعليمي حتى لو كان متفوقًا إلا أن ذلك لا يعفيه من خوض الامتحان كبقية الطلاب. الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إن الشياطين أكثر على المؤمنين من الزنابير على اللحم»[١]. بل إن المؤمن هو الشغل الشاغل للشياطين، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضًا قوله: «لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور فما يقصد فيها إلا أولياءنا»[٢].

طائف من الشيطان:

والسؤال هنا، من أين تبدأ المعركة؟ إنها تبدأ من هواجس وخواطر تختلج في نفس الإنسان. الآية الكريمة تقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾وهذا تأكيد على أن المؤمن معرض للامتحان وتربص الشياطين به. ومعنى قوله: ﴿طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ الطائف أصله ما يطوف حول الشيء، وكأن الهواجس تدور حول الإنسان المتقي، وتتربص به الدوائر. فماذا يعمل المؤمن في هذه اللحظة؟

عليه أن ينتبه لها من بداية الأمر ويقاومها، وإلا فسيكون أسير قبضة الشيطان. وكيف ينتبه لها؟ تجيب الآية الكريمة، بذكر الله تعالى: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾. وذكر الله تعالى لا يكون باللسان فحسب، بل بتذكر أن الله عز وجل عليم بكل شيء، وأنه يرى ويسمع كل شيء، وأننا منه وإليه، وسوف يحاسبنا. وإذا تذكر الإنسان ربه أبصر أمره ودربه: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾. الهوى والرغبة تمنع الرؤية الصحيحة، فلا يرى الإنسان عندها الجوانب السلبية فيما يهوي ويرغب، لكنه إذا تذكر الله عز وجل تزول عنه هذه الغشاوة، فيعي أمره قبل أن يقع في المحذور.

فلا بد للإنسان أن يواظب على ذكر الله في كل لحظة، حتى لا يركن إلى وساوس

---

(١) بحار الأنوار. ج ٧٨، ص ٢١١.

(٢) تحف العقول. ص ٢٢١.

الشيطان. الروايات عن أهل البيت ﭺ تشير إلى مواطن مهمة ينبغي التركيز على ذكر الله تعالى فيها، منها:

عند الغضب: ففي حالة الغضب ينفعل الإنسان وتشتد حركة طائف الشيطان حول نفسه، لتدفعه نحو تصرفات ارتجالية، وقد يندم عليها لاحقًا. فقد يقوم بعمل إجرامي أو شيء يشينه.

في الرواية «لما دعا نوح ﻋﻠﻴﻪ السلام ربه عزّ وجلّ على قومه أتاه إبليس لعنه الله فقال: يا نوح، إن لك عندي يدًا أريد أن أكافيك عليها، فقال له نوح ﻋﻠﻴﻪ السلام: إنه ليبغض إليّ أن يكون لك عندي يد، فما هي؟ قال: بلي، دعوت الله على قومك فأغرقتهم فلم يبق أحد أغويه فأنا مستريح حتى ينسق قرن آخر وأغويهم فقال له نوح ﻋﻠﻴﻪ السلام: ما الذي تريد أن تكافيني به؟ قال: اذكرني في ثلاث مواطن، فإني أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في إحداهن: اذكرني إذا غضبت، واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خاليًا ليس معكما أحد»[١].

وكذلك الحال عند ثورة الرغبة والشهوة، على الإنسان أن يذكر الله وأنه رقيب عليه وأن عذابه شديد، حتى لا يقع تحت أسر الهوى والشهوة، وهو ما أشارت إليه الفقرة الأخيرة من الرواية.

عندما يهم بعمل الخير:

إذا أراد الإنسان أن يعمل خيرًا فعليه أن يبادر لعمله، فإن الشيطان يحول بينه وبين ذلك الأمر. جاء في الرواية «أن إبليس أوصى نبي الله موسى ﻋﻠﻴﻪ السلام: إذا هممت بصدقة فامضها، فإذا همّ العبد بصدقة كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبينها»[٢]. قد يتشجع شخص ما تزوره لتعرض عليه عملًا خيريًا، ولكنه إذا لم يعط منذ البداية فإنه

(١) بحار الأنوار. ج ١١، ص ٣١٨.

(٢) بحار الأنوار. ج ٦٩، ص ١٩٧.

سيكون عرضة لطائف الشيطان، فقد يقلل من عطائه، ولربما امتنع عن العطاء.

على الإنسان أن يبادر لعمل الخيرات. وأن يتذكر الله عزّ وجلّ في كل حين. نسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق والصلاح والسداد إنه سميع مجيب.

رعاية المرضى ومساندتهم

جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:
«ليس للأجسام نجاة من الأسقام»[1].

طبيعة جسم الإنسان تجعله عرضة للعلل والأسقام مهما كانت قوته، ومهما كانت البيئة الصحية التي يعيش فيها، فهناك أمراض وراثية تولد مع الإنسان، وأمراض تنتج عن الحوادث التي تعترض الإنسان، وأمراض تأتي عن طريق العدوى بانتقال الميكروبات والجراثيم، وأمراض تحدث نتيجة خلل وخطأ في السلوك الغذائي والصحي، إلى أسباب أخرى.

لا ينجو إنسان من الأمراض حتى الرسل والأنبياء، وحتى الأطباء وهم من يعالجون أمراض الغير. ولكن تبقى مسؤولية الإنسان في حماية جسمه من المرض ما استطاع، وكما قيل: الوقاية خير من العلاج. وإذا ما وقع المرض فإن الشرع والعقل يوجبان على المريض أن يسعى لعلاج نفسه.

المجتمع والمريض:

كيف يتعامل المجتمع مع المريض؟ قد يقاوم المريض المرض بالعلاج، ولكن هذا وحده لا يكفي، هناك أمر هام وهو تمتعه بقدر كافٍ من المعنويات، وهنا يأتي دور المجتمع في توفير الأجواء المعنوية لمرضاه. نحن نقرأ في الاحاديث والروايات حول

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

أهمية عيادة المريض، لما لذلك من أثر معنوي كبير في نفس المريض. جاء عن رسول الله ﷺ: «عائد المريض يخوض في الرحمة»[١]. وعنه ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني؟ قال: كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»[٢].

لقد دعاني لهذا الحديث بعض المشاهد الجميلة التي شاهدتها خلال رحلتي العلاجية الأخيرة إلى أمريكا[٣]، حيث وجدت جمعيات ومؤسسات لخدمة المرضى الذين هم من مختلف الشعوب والبلدان. وكلما سمعت قصة قلت: سبحان الله! هذا ما يدعو إليه ديننا الحنيف، ونحن أولى بتطبيقه من غيرنا، ولكن هناك غفلة عن هذا الأمر في مجتمعاتنا! يوجد بعض اللجان تهتم بهذا الجانب عندنا في المملكة، ففي الغرفة التجارية هناك لجنة أصدقاء المرضى، تقوم بزيارة المرضى وتفقد أوضاعهم سنوياً، وتقديم المعونة للمستشفيات. وفي الأوجام هناك لجنة فاعلة في هذا الجانب حسبما رأيت وقرأت من تقاريرهم، ولكنا نحتاج إلى أكثر من هذا، إلى عدد من اللجان والمبادرات الفردية والجمعية في كل مدينة وقرية.

بعض القصص والمشاهد:

التقيت في أمريكا أحد المؤمنين من دولة الكويت، كان ذهابه لعلاج طفله المصاب بالورم الخبيث (السرطان). كان يتحدث لي منبهرًا عن المشاهد والمواقف الطيبة التي لقيها من المتطوعين لمساندة المرضى. فهناك فندق خاص أنشأه متبرعون للأطفال الذين يتعالجون عن الأورام الخبيثة، يقيمون فيه بأسعار رمزية، وشركات تتنافس في تقديم الوجبات لهم، وشخصيات المنطقة يتسابقون لحجز موعد لتخصيص وقت لقراءة قصص للأطفال المصابين، ومؤسسات تخصص وقتًا ترفيهيًا لهم بتنظيم الرحلات.

---

(١) كنز العمال. ج ٩، ص ٩٥، حديث ٢٥١٤١.
(٢) وسائل الشيعة. ج ٢، ص ٤١٨.
(٣) سبتمبر ٢٠١٠م.

وقد رأيت في المستشفى الذي كنت أتردد عليه (cleveland clinic foundation) عدة أفراد من المتطوعين بزيٍّ معين، شغلهم الشاغل توجيه المرضى الجدد لأقسام المستشفى، أو تقديم ما يحتاجونه من خدمات معلوماتية، وهم أشخاص متقاعدون، يقضون وقت فراغهم تطوعًا لخدمة المرضى. لماذا تغيب هذه الثقافة عن مجتمعاتنا؟ أليس عندنا متقاعدون، وأناس يقضون فراغهم فيما لا ينفع ولا يفيد؟

بعض الكنائس هناك لها ميزانيات لمساعدة المرضى من مختلف الأديان والبلدان، لا يصنّفون ولا يميّزون، ويسعون للتبشير بدينهم بهذا الأسلوب.

والتقيت أحد الأخوة من بلدنا يقيم هناك منذ ثماني سنوات لعلاج زوجته وابنه، حيث تعرضا لحادث مروري مريع، أصيبت الزوجة إثره بتشوهات في كامل جسمها، وابنه كذلك، والابن الآخر فارق الحياة. ولشدة الضرر الذي لحق بالأم والولد فقد تكفلت الدولة بنقلهم للعلاج في أمريكا.

ذكر لي هذا الرجل قصصًا كثيرة للمواقف الإنسانية التي عاملهم المتطوعون بها. يأتي البعض إليه عندما يرونه يصرف وقتًا كبيرًا مع ابنه في المستشفى، ليطلب منه أن يمضي لقضاء شغله ويبقى هو مكانه يرعى الطفل. وحين سجّل ابنه في المدرسة اهتم طاقم التدريس والإدارة في المدرسة بالطفل، لكونه يعاني من تشوهات في وجهه وشكله، حتى إنهم جمعوا الأطفال وعرضوا لهم فيلمًا عن الحوادث، حتى يهيئوهم ويوضحوا لهم أن هذا الطفل أصيب بمثل هذا الحادث، وأصبح بهذه الحالة ليتعاطفوا معه. اهتموا حتى بأموره الدينية، فلا يقدمون له طعامًا غير شرعي، وعندما تحين وقت الصلاة يعطونه فرصة لإقامتها، بل هم من يذكرونه بوقتها.

البعض يعتبر أن الحديث حول هذا الأمر هو إشادة بالمجتمع الآخر. نحن نشيد بهم في المواقف والأساليب الصحيحة التي عندهم، «الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها

ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها»[١] كما يقول الإمام علي عليه السلام. علينا أن نشير إلى سلوكهم الصحيح، ونوجه الناس للأخذ به. كما نحذر من سلوكياتهم المخالفة لديننا. نحن نحتاج إلى مبادرات ولجان ومؤسسات للاهتمام بالمرضى، وتعزيز هذا الجانب، كما تكونت لجان أخرى وكان لها الأثر الطيب.

ونختم حديثنا بدعاء الإمام زين العابدين عليه السلام عند ما كان يواجه مرضاً أو بلاءً، وهو الدعاء الخامس عشر من أدعية الصحيفة السجادية، جاء في مطلعه: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلَامَةِ بَدَنِي، ولَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْدَثْتَ بِي مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي فَمَا أَدْرِي، يَا إِلَهِي أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ، وأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَكَ؟ أَوَقْتُ الصِّحَّةِ الَّتِي هَنَّأْتَنِي فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ، ونَشَّطْتَنِي بهَا لِابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ وفَضْلِكَ، وقَوَّيْتَنِي مَعَهَا عَلَى مَا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ أَمْ وَقْتُ الْعِلَّةِ الَّتِي مَحَّصْتَنِي بِهَا، والنِّعَمِ الَّتِي أَتْحَفْتَنِي بِهَا، تَخْفِيفاً لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَيَّ ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئَاتِ، وتَطْهِيراً لِمَا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ».

نسأل الله تعالى الشفاء والصحة والعافية للجميع، وأن يلبس مرضانا لباس الشفاء، وأن يداويهم بدوائه إنه سميع مجيب.

---

(١) بحار الأنوار. ج ٢، ص ٩٧.

الخطبة الأولى

روادع المعاصي لطف إلهي

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.[سورة فاطر، الآية: ٤٥]

هناك أسباب لابتعاد الإنسان عن الذنوب والمعاصي، ومنها:

- **إدراك القبح والضرر**: هناك من الناس من يتجنب الذنوب والمعاصي لوعيه بقبحها وضررها، فهو لا يقترف المعصية لأنه يعي أن ذلك شيء يضره ويؤذيه، تمامًا كما يتجنب الإنسان شرب الماء القذر، أو أكل الشيء الفاسد لأنه يدرك ضرره وتنفر منه نفسه.
- **الالتزام بأمر الله تعالى**: أهل الورع والتقوى يتجنبون المعصية التزامًا بأمر الله عز وجل، حتى لو لم يعرفوا العلة من هذا المنع، وما هي الفائدة وما هو الضرر. يسلمون بأمر الله عز وجل فينتهون لنهيه، ويلتزمون بما أمرهم به.
- **تعذر القيام بالمعصية**: وفي الناس من يتجنب المعصية لتعذرها عليه، وهذه درجة من درجات التوفيق. ورد عن الإمام علي عليه السلام: «مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي»[١].

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٤٥.

- **وجود الرادع**: وفي الناس من يترك المعصية لوجود رادع فلا يمارسها، أو لا يستمر عليها، وأكثر الناس هم من هذا الصنف.

حرية العصيان لماذا؟

والسؤال هنا: لماذا لا يكون الرادع من قبل الله تعالى فوريًا؟

والجواب أن هذا ينافي حكمة الله تعالى في خلق الإنسان ووجوده في هذه الحياة، فقد خلق الله الإنسان ليبتليه، وليمتحنه، وإذا أتته العقوبة فورًا فلا يكون هناك فرصة كافية للامتحان.

يريد الله تعالى من عباده أن يتجنبوا معصيته باندفاع من داخل أنفسهم، كما يريد تعالى أن تستمر أمور الحياة ضمن ممارسة الإنسان لحريته واختياره.

لذا شاءت حكمة الله عز وجل أن لا تكون الروادع فورية، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾، إنه يمهل العاصين ليؤاخذهم في الوقت المناسب ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾، وقت الردع قد يكون بعد الموت، أو أن معنى ﴿أَجَلٍ مُسَمّىً﴾ أي محدد بوقت يخصصه الله تعالى وليست عقوبة فورية. الله عز وجل لا يخشى أن يفوته العاصي وعدم القدرة على مجازاته؛ لأن ذلك من الضعف، تعالى الله عن ذلك، وكما ورد عن أبي جعفر عليه السلام: «إنما يعجل من يخاف الفوت»[1]. هناك يوم يحاسب الله فيه الناس ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾ حينما يجتمع الخلق عند الله عز وجل فإن الله يعلم ما قدموا من خير وشر، فيحاسبهم ويكافئهم.

الحذر من الاستدراج:

قسم من الناس حينما لا يجد ما يردعه، فإنه يستمر في المعصية، وهذا هو

(١) بحار الأنوار. ج٥٢، ص١١٠.

الامتحان الكبير، الذي يعبر عنه القرآن الكريم بالاستدراج و الإملاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾[سورة الأعراف، الآية:١٨٢].

وقد تشاء حكمة الله تعالى أن يكون هناك رادع كجرس إنذار يدقه لبعض العباد، وهذا من توفيق الله عز وجل. ومع أن هذا الإنذار هو لطف إلهي، لكن البعض من الناس ينزعج من هذا الرادع. ألا ترى كيف تزود بعض السيارات بجهاز إنذار للتنبيه عند تجاوز السرعة، لكن بعض الناس يزعجه هذا الصوت فيعمد إلى إخماده.

ومن لطف الله تعالى بعباده، فإن طرق الإنذار منه عز وجل متعددة، ومن تلك الطرق:

- **الرؤية المحذرة:** بأن يهيئ الله تعالى حلمًا مخيفًا يحمل إشارات معينة للشخص العاصي أو الذي ينوي المعصية حتى يتعظ وينزجر. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان العبد على معصية الله عز وجل وأراد الله به خيرًا أراه في منامه رؤيا تروعه فينزجر بها عن تلك العصية»[1]. أخبرني أحد الأشخاص أنه كان ذات مرة في سفر مع بعض الشباب، وكانوا ينوون ارتكاب أعمال سيئة، لكنه رأى في المنام وكأنه أمام حريق رهيب، والنار تقترب منه، فاعتبر ذلك إنذاراً وقرر التراجع عما كان ينوي فعله من عمل حرام.
- **العقوبة الدنيوية:** ومن أجراس الإنذار الإلهية، مواجهة العقوبة الدنيوية جزاء المعصية. حيث إن من يعصي ويرى أنه ليس هناك ما يردعه، ولا يشعر بمن يراقبه فإنه يستمر في عمل المعصية، ولكن من يتعرض للعقوبة فإنه يعيد النظر في توجهاته وسلوكه. وهذه هي فلسفة الحدود والتعزيرات وأنظمة العقوبات. وحينما تنتفي العقوبات أو تخف في مجتمع فإن الأمن ينعدم، وهذا ما نلحظه فعلاً من كثرة الجرائم بسبب ضعف الرقابة والردع، حيث تسمع عن القبض

(١) بحار الأنوار. ج٥٨، ص١٦٧.

على مجموعة من المجرمين وثبوت التهمة عليهم، لكن سرعان ما تسمع أنه تم إطلاق سراحهم بالكفالة، أو بالواسطة، وهذا أمر يشجع على الإجرام، فينعدم الأمن في المجتمع.

- **المصائب الدنيوية**: كذلك مما ينذر الله تعالى به عباده، وقوع الإنسان في مشكلة ما، حيث يصاب الإنسان بخسارة مالية، أو مرض، أو فشل، أو أي شيء يعكر صفو حياته ويعترض طريقه، فإن ذلك ربما يكون عقوبة لمعصية، عجّلها الله في الدنيا. وهذه من نعم الله عز وجل كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيرًا عجّل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد سوءًا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة»[١]. كما نقرأ في دعاء كميل: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء».

وقوع الإنسان في مشكلة قد يكون جرس إنذار، وهذه نعمة من الله، وعليه أن يتنبه لها. صحيح أن أي مشكلة تسبب إزعاجاً، ولكن إذا انتبه الإنسان أن هذا جرس إنذار، وابتعد عن المعصية وتاب منها، فإنه سيعلم أن ذلك كان خيرًا له. ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ »[٢]. على الإنسان ألا يغتر لعدم نزول العقوبة، فكما يقول الإمام علي عليه السلام: «كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ»[٣].

نسأل الله أن ينبهنا من نومة الغافلين، وأن يجعلنا من التائبين، إنه سميع الدعاء قريب مجيب.

---

(١) الخصال. ص٢٠.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ١١٤.

(٣) نهج البلاغة. حكمة ١١٦.

أنفقوا لحماية المجتمع

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٩٥].

حينما يواجه المجتمع تحدّيات ومعوقات ولا يهتم بمواجهتها والتصدي لها، فإنه يحكم على نفسه بالدمار والهلاك؛ لأن الإغضاء عنها وإهمالها يزيد من انتشارها وتفاقم أخطارها. اللامبالاة بحل المشاكل يعتبر نذير هلاك للمجتمع. والسؤال هنا كيف يواجه المجتمع المشكلات؟

إن أهم ما تُواجه به مشكلات المجتمع هو الإنفاق. والإنفاق يعني البذل لحل المشكلات، فمجرد الدعاء والتمني والتذمر لا يحل المشكلة، ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ هنا ربط بين الإنفاق وبين إلقاء النفس في الهلاك. والإنفاق لا يعني البذل المالي فحسب، بل يعني بذل كل ما له ربط بحل المشاكل وازدهار المجتمع، من بذل الجاه، والفكر، والوقت والجهد وغير ذلك.

في مجتمعاتنا نواجه تحدّيات خطيرة، سيما التي تتمثل في السلوكيات المنحرفة لبعض أبناء المجتمع، هذه المشاكل والتحديات تواجه بالمشاريع والدراسات لمعالجة الأمر، وإلا فسوف تولد إجرامًا وأخطارًا وخيمة، فلا بدّ من الإنفاق والعطاء، ودعم البرامج الاجتماعية المختلفة.

قد تُدعم الأنشطة الدينية بشكل ما، ولكن ماذا عن دعم الأنشطة الاجتماعية

كالأندية الرياضية والمهرجانات الاجتماعية، والفاعليات الفنية المختلفة؟

احتواء المشاكل:

البعض من الناس كثيرًا ما يفكر أمام حدوث الجرائم والمشاكل في الردع أو التوجيه، فينادي بسن العقوبات، ويطالب الخطباء والوعاظ بالحديث على المنابر، لكن هذه الأمور وحدها لا تكفي. في رحلتي الأخيرة إلى أمريكا ـ بتاريخ سبتمبر ٢٠١٠م ـ حدثني أحد الأصدقاء في هيوستن بولاية تكساس، وهو مهندس حاصل على درجة الدكتوراه، ويعمل في إحدى الشركات الهندسية، يقول: إنه في عمله في الشركة، عرض عليه كغيره أن يتطوع ببضع ساعات في الأسبوع لزيارة بعض المدارس من أجل الاهتمام بمشاكل المراهقين، ومن لديهم سلوكيات خاطئة، وهذه الساعات التطوعية محسوبة من وقت عمل الشركة.

هكذا يهتم ذلك المجتمع بكل فرد من أفراده، ويخطط لنجاحه، فأين برامجنا نحن؟ نحتاج إلى برامج ومشاريع لتغيير واقعنا. في الأسبوع المنصرم كان في القطيف اجتماع للجان المهرجانات في المنطقة، وكلها كانت تشكو من قلة الدعم المالي! لماذا لا ننفق على هذه المهرجانات وفيها شغل لوقت الشباب، وتنمية مواهبهم، وإبراز طاقاتهم؟ فلماذا لا ندعمهم؟

التبرعات إلى جانب الخمس:

وكثيرًا ما تطرح مسألة الخمس والحقوق الشرعية عند الحديث عن البذل المالي، هذه نقطة مهمة ووجيهة، ولكن لا ينبغي أن نبالغ فيها، فكثير منا يتصور أن الأخماس عندنا ذات أرقام قياسية وخيالية، وهي خلاف ذلك. كما يجب علينا معرفة أولويات مصارف الخمس عند العلماء، فالخمس الذي يدعم كثيرًا من المشاريع، من أولويات مصارفه الحوزات العلمية، وشؤون المرجعية. حوزاتنا العلمية ليس لها من يدعمها

سوى الخمس، ليس هناك حكومة تتبنى الدعم المالي لهذه الحوزات. في حوزة النجف الأشرف ما يقارب العشرة آلاف طالب، وفي حوزة قم المقدسة ضعف هذا العدد وكذلك الحال في كثير من الحوزات العلمية في مختلف المناطق والبلدان. بعض المراجع كان يقترض لتغطية الرواتب الشهرية للطلاب، كما كان المرجع الراحل السيد محمد الشيرازي رحمه الله.

نماذج من البذل والعطاء:

نحن معنيون بالحاجات الأخرى، والخمس لا يفي بها كلها، فلا بدّ من التبرع ومضاعفة الإنفاق. ينبغي أن نعتب على أنفسنا تجاه قلة الدعم المالي، وأن يكون دعمنا سخياً. في الصين أكد (شين جوانج بياو) رجل الأعمال الصيني المعروف بتبرعه للأعمال الخيرية، أن أكثر من مئة من رجال الأعمال الصينين، استجابوا لدعوته، بتقديم كل ثروتهم الشخصية للمجتمع. وكان (شين جوانج بياو) قد تعهد بأنه سيتبرع بجميع ثروته البالغة ما يعادل ٧٣٥ مليون دولار أمريكي للأنشطة الخيرية بعد وفاته، وضمّن تعهده هذا في خطاب بعث به للمليارديرين (بيل جيتس)، و(وارين بافيت): استجابة لدعوتيهما للأثرياء بالتبرع لأعمال الخير. وكان (شين) وهو رئيس شركة لتدوير الموارد في محافظة (جيانجسو) في شرق الصين، قد قدم تبرعات خيرية تعادل ١٩٧ مليون دولار خلال السنوات العشر السابقة، وتبرع العام الماضي وحده بما يعادل ٤٧ مليون دولار مثلت ٧٧،٦٠٪ من أرباح شركته لذلك العام.

وفي أمريكا دعا الملياردیران: (بيل جيتس) و(وارين بافيت) أثرياء العالم أن يتبرعوا بما لا يقل عن ٥٠ في المئة من ثرواتهم للأعمال الخيرية. وهما يعتقدان أن الأشخاص الأغنى في العالم يستطيعون أن يقضوا على الكثير من المشاكل التي يعانيها العالم من خلال أعمال البر والإحسان، وقد استجاب لدعوتهما ٤٠ مليارديراً لحد الآن.

وينقل المرجع الراحل الشيرازي رحمه الله في كتابه (أنفقوا لكي تتقدموا) قصة عن أحد التجار أنه لما مرض مرض الموت طلب دفتر حساباته، وأحرق الأوراق التي سجلت فيها طلباته من الناس. قيل له: لماذا تفعل هكذا؟ قال: حتى لا يطالب الغرماء بعدي، فإن الله تفضل عليّ بالمال والعمر وكل شيء، فلماذا يبتلى بي بعد موتي المديونون؟

ونقل كذلك عن المرجع الميرزا محمد حسن الشيرازي (رحمه الله) أنه لما حضرته الوفاة، حضره جمع من خواصه، وفيهم أحد التجار الذي استدان الميرزا منه مالاً لسد العجز في ميزانيته، وكان الميرزا قد أغمض عينيه، ففتحهما وإذا به يرى الحاضرين وفي جملتهم التاجر الدائن، وكان التاجر ينظر إلى الميرزا، قال له الميرزا: أنا اعلم في ماذا تفكر أنت، إنك تفكر في أني لو مت فمن يقضي دينك من بعدي؟ ولكن هل تعلم فيما ذا أفكر أنا؟ أنا أفكر في أنه لو قال لي الله سبحانه: إنك كنت تقدر أن تقترض قروضاً أخرى، وتخدم بها الإسلام وتفرقها في المحتاجين، فلماذا لم تفعل؟ فماذا يكون جوابي؟

وذكر أيضاً (رحمه الله) في نفس الكتاب أن السيد المرجع أبو الحسن الأصفهاني (رحمه الله) توفي وهو مديون، وكذلك المرجع آقا حسين القمي (رحمه الله) توفي وهو مديون أيضاً.

إن رجال الأعمال في مجتمعنا مطالبون بتحمل المسؤولية بشكل أكبر تجاه مجتمعهم، ليعيشوا في محيط اجتماعي مستقر آمن، ولينالوا رضا ربهم، وجزيل الأجر والثواب في الآخرة.

الخطبة الأولى

الاعتبار ومواجهة احتمالات الخطر

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[سورة الحشر، الآية:٢].

قد يتلقى الإنسان تحذيرًا تجاه خطر ما، وهنا عليه أن يأخذ هذا التحذير بعين الاعتبار؛ لأنه لو وقع في المحذور سيكون ملومًا، فالذي وقع عليه لم يكن مفاجئًا، بل سبقه تحذير وإنذار.

في المجال الإداري مثلًا يعطى للموظف إذا أخطأ إنذار، ولكنه في المرة الثانية قد يعاقب لتكرراه الخطأ، وعدم اعتباره من خطئه السابق.

وحينما يسير الإنسان في طريق مليء بالحفر والانحناءات الشديدة، وهناك إشارات تحذير، فإنه إذا وقع في الخطر فهو المسؤول وهو الملام. ولكن الأبلغ أن يرى إنسانًا يسير في نفس الطريق، ويرى وقوعه في المحذور، وبالرغم من ذلك لا يتعظ منه! بعبارة أخرى، قرأ ورأى إشارات التحذير، ثم رأى نتيجة مخالفة ذلك على غيره، وبالرغم من ذلك وقع في الخطر! فهل ثمة مبرر لفعله؟ أوليس هو المسؤول عما حدث له؟

القرآن يدعو للاعتبار:

القرآن الكريم يخاطبنا في أكثر من آية أن نتعامل مع الأخطار في حياتنا تعاملًا جديًّا، فهناك تحذيرات من عقولنا، ومن ديننا، وأكثر من ذلك أننا نرى النتائج العكسية للوقوع

في الأخطار. ولذلك يقول تعالى مخاطبًا بني البشر: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، أنتم يا من تلاحظون، لكم أعين تبصرون بها، ويا من تعقلون لكم عقول يقظة تعي، رأيتم وسمعتم عما حلَّ بالأمم السابقة فاعتبروا منها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[سورة يوسف، الآية:١١١] لمن يُعمل عقله وفكره. والعبرة مأخوذة من مادة (اعتبار) وهي في الأصل العبور من شيء إلى آخر. فيقال للدموع عَبرَة، لأن قطراتها تعبر من العين. وكذلك الناقلة البحرية تُسمى عبَّارة، ولتوضيح فكرة يقال عِبارة، ولتفسير رؤيا المنام يقال تعبير، والحال نفسه للحوادث التي فيها دروس وعظات يقال عِبر.

لماذا لا نعتبر؟

فالعبرة هي الانتقال من الحدث إلى الدرس والعظة، كأن يرى الإنسان شخصًا معاقًا بسبب التفحيط، فيتعظ ويتجنب الأمر. وكم في الدنيا من عبر! ولكن المشكلة أن الإنسان يلهو ويغفل، وتسيطر عليه الأهواء والشهوات.

الإنسان يسمع عن أضرار التدخين، ويرى غيره في حرب مع المرض بسبب التدخين، ولكنه مع كل ذلك، تمنعه الرغبة من أن يعتبر بما يسمع ويرى.

ويسمع عن أهمية النظام الغذائي، ويعلم أن الإفراط في التهام السكريات يؤدي إلى مرض السكري، ويرى كيف يعاني المصابون بهذا المرض، لكنه لا يستطيع أن يقاوم رغبته، فيغامر بصحته من أجل تلك الرغبة.

شباب في ريعان شبابهم، يسمعون عن آثار المخدرات، ويرون عواقبها، لكنهم في لحظة من لحظات الرغبة والشهوة ينحرفون ويصابون بداء الإدمان.

والفتيات يسمعن عن مشاكل الدردشة في الجوال والإنترنت، وأن ذلك يكون مدعاة لاستدراجهن، وابتزازهن، ويسمعن كثيرًا من القصص، وفظاعة النتائج، ولكنهن بالرغم من ذلك، يقعن في هذا الفخ. ألا يقرأن عن مثل هذه المشاكل التي وقع فيها غيرهن؟ ألا يسمعن الوعظ والنصح؟

يقرأ الإنسان عن الذنوب والمعاصي، وما يترتب عليها من أضرار دنيوية وأخروية، لكنه يتجرأ على خالقه ويعصيه.

دعوة للاعتبار

من هنا يركز القرآن الكريم على أهمية الاعتبار، وكذلك النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «السعيد من وعظ بغيره»[1]. لماذا تجعل من قصتك وقضيتك عبرة لغيرك؟ لماذا لا تعتبر أنت من غيرك حتى لا تقع فيما وقع الآخرون فيه؟

ويقول عليه السلام: «يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ»[2]. فيأخذ منها الدروس والعبر، قبل أن يكون هو درسًا لغيره. وعنه عليه السلام: «من جهل قل اعتباره»[3]. وجاء عنه عليه السلام: «مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الِاعْتِبَارَ»[4] كثيرة هي الدروس التي ينبغي أن يستفيد منها الإنسان، ولكن أين من يعتبر؟ ومن أبلغ العبر: الموت. فهل في الموت شك؟ الموت ليس حديثاً ينقل، ولا أمراً نتكهن به هل يقع أم لا؟ هل هو حق أم لا؟ وإنما هو واقع لا محالة. كل يوم نسمع عن ميت، أفلا يتبادر إلى ذهننا أننا لاحقون به، وأن مصيرنا هو نفس مصيره؟ أفلا يكون هذا مدعاة لاعتبارنا؟

يقول الإمام علي عليه السلام: «وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَ هُوَ يَرَى الْمَوْتَى!»[5]. ويقول أيضًا عليه السلام: «ما رأيت إيمانًا مع يقين أشبه منه بشك على هذا الإنسان، إنه كل يوم يودع إلى القبور، ويشيع، وإلى غرور الدنيا يرجع، وعن الشهوة والذنوب لا يقلع، فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه، ولا حساب يقف عليه إلا الموت يبدد شمله،

---

(١) تحف العقول. ص١٠٠.

(٢) نهج البلاغة. حكمة ٣٦٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٤) نهج البلاغة. حكمة ٢٩٧.

(٥) نهج البلاغة. حكمة ١٢٦.

ويفرق جمعه، ويؤتم ولده، لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشد النصب والتعب»[١].

وسئل عليه السلام: ما الاستعداد للموت؟ فقال عليه السلام: «أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والاشتمال على المكارم، ثم لا يبالي أوقع على الموت، أم وقع الموت عليه»[٢].

على الإنسان أن يعتبر مما يرى ويسمع، وأن يحذر من الغفلة والركون إلى الرغبات والشهوات. وكفى بالموت واعظًا.

نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى الحق، واتباع الحق، وأخذ العبر من هذه الدنيا حتى لا نقع فيما نكره، وما يغضب الله تعالى، إنه سميع الدعاء، قريب مجيب.

(١) بحار الأنوار. ج ٦، ص١٣٧.

(٢) بحار الأنوار. ج ٦، ص ١٣٨.

الحج تأكيد لوحدة الأمة

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾[سورة الحج، الآيتان: ٢٧-٢٨].

نعيش هذه الأيام أيامًا مباركة، حيث يستعد الحجاج لأداء مناسك حجهم، تلبية لنداء الله عز وجل، على لسان نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام.

الحج عبادة عظيمة أنعم الله تعالى بها على هذه الأمة، إنها عبادة تلامس مصالح الأمة في الحياة، ولها أسرار عظيمة، نشير إلى بعد واحد منها، وهو تعزيز وحدة الانتماء، ووحدة الاتجاه عند أبناء الأمة.

المسلمون الذين تتعدد مناطقهم، وانتماءاتهم، ومذاهبهم، يجتمعون في مكان واحد، ووقت واحد، ويرددون شعاراً واحداً هو التلبية، ويؤدون نسكاً واحداً، فالدين الكريم لم يكتفِ بالدعوة للوحدة، بل شرّع عبادات تعزز مشاعر الوحدة وتربي عليها.

الحج الذي هو شعيرة عظمى، يقصدها ملايين المسلمين كل عام، ينبغى أن تعطى زخمًا جديدًا كل عام لوحدة الأمة، والاعتصام بحبل الله تعالى، في مواجهة دواعي الفرقة والشقاق.

ينبغي لأمة تمارس هذه الشعيرة أن تكون من أكثر الأمم تماسكًا ووحدة،

ولكنا مع الأسف الشديد لا نرى الانعكاس المطلوب.

لو قارنا وضع المسلمين بالأمم الأخرى، لوجدنا أن الأمم الأخرى أقرب للاتحاد والاندماج والتعاون فيما بينهم. أما أوضاع المسلمين فإنها لا تسرّ على هذا الصعيد، فهم يعيشون حالة التفكك والتمزق في أكثر المواقع.

في الصومال حرب أهلية رهيبة، وفي السودان الدولة الواحدة يوشك أن تكون دولتين، واليمن الذي تفاءلنا بتوحده حيث كان دولتين شمالًا وجنوبًا، بات اليوم بعد عقدين من الوحدة يشهد بروز دعوات للانفصال.

وهناك حالات من الصراعات الخطيرة في أكثر من دولة ووطن كافغانستان وباكستان والعراق ولبنان.

كل ذلك بسبب غياب العدل بين الشعوب، فتشعر بعض الشرائح بالغبن، وضياع الكرامة، فتكون الأجواء خصبة لزرع الفتن، لذلك لا بدّ لكل دولة تأمل في استقرارها أن تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار.

تعزيز روح العمل الجمعي

وحتى إذا ابتعدنا عن الجانب السياسي، واستقرأنا الجانب الاجتماعي، فإننا سوف نجد فيه ضعفاً وهشاشة.

إذا كان الساسة يتنافسون على المناصب والمواقع، فماذا عن علماء الدين، والنشطاء الاجتماعيين؟ لماذا هذه الانشقاقات والنزاعات؟ لماذا لا يتحدون؟

إن هذا يؤكد حاجتنا لبث روح العمل الجمعي وإرادة التعاون، وهناك عوامل مهمة تساعد على تنمية هذه الروح:

أولًا: الهمّ المشترك.

ثانيًا: الوعي السليم لمعادلات الحياة.

ثالثًا: تنظيم وتقنين العلاقات.

رابعًا: أخلاقيات التعاون.

يقول أمير المؤمنين ﷺ: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَ لَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَ اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَ ارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَ لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَ إِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ وَ لَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ»[1].

نسأل الله تعالى أن يوحد كلمة هذه الأمة، ويجمع شملهم، وألا يجعلهم عرضة للفتن والشقاق فتذهب ريحهم. والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ٣١.



الخطبة الأولى

التراجع والاعتذار عن الخطأ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾
[سورة البقرة، الآية: ٢٠٦].

الخطأ أمر متوقع من الإنسان، وصدوره من بني البشر أمر طبيعي، فالإنسان بطبيعته ليس معصومًا: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[سورة يوسف، الآية:٥٣]. ووقوع الإنسان في الخطأ له أسباب، من أهمها:

الجهل: إذ تشتبه عليه الأمور.

والغفلة: فيقع في الخطأ غير ملتفت لذلك.

والضعف: ففي لحظة من لحظات الهوى والشهوة قد يضعف ويقع في الخطأ.

وحيث إن الله تعالى ميزّ الإنسان بالوعي والإرادة، فعليه أن يتراجع عن خطئه إذا أدركه، وألا يتردد في ذلك. يقول رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[1].

قد ينتبه الإنسان إلى خطئه بنفسه وهي من أفضل الحالات، وقد ينتبه له عن طريق الغير، فيجد من ينصحه ويرشده، وهذا من موارد توفيق الله تعالى، فعليه أن يحمد الله تعالى لذلك. أرأيت لو أن إنسانًا يقصد مكانًا معينًا، وكان يمشي في طريق لا يوصله

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٢٤٤.

إلى المكان الذي يريد، وحصل له من أرشده إلى الطريق الصحيح، فوفر عليه الوقت والجهد، ألا يفرح بذلك ويشكر من أرشده؟

العزة بالإثم

لكن بعض الناس يزعجه نصح الآخرين، ويعتبره تدخلًا في شؤونه، حتى لو أدرك الخطأ، فتنتابه حالة من الأنفة والتكبر، فيصر على خطئه ويستمر فيه! ويزداد الأمر سوءًا في العلاقات البينية، فلا يرى من السهل أن يعتذر لغيره، وهذه حالة كانت مألوفة في الجاهلية حيث إن الرجل يعتبر الاعتذار لغيره ضعفاً وهزيمة.

القرآن الكريم يبين لنا حقيقة هذا الأمر، فإذا قيل للمخطئ: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ فإنه لا يقبل بذلك وقد يتصرف بما يزيد خطأه سوءًا ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾. والعزة هنا للعهد، أي العزة المعروفة لأهل الجاهلية التي تمنع صاحبها قبول اللوم، والاستجابة للنصيحة.

وهذه الحالة تصيب الإنسان أكثر عندما يكون خصمه أقل منه شأنًا وقدرًا، إذ إنه إذا أخطأ على من هو أعلى منه، فسيجد نفسه مضطرًا للاعتذار، حتى يقي نفسه ردة فعل ذلك القوي، أما مع خصمه الضعيف فإنه لا يتوقع منه أي ردة فعل، فيحجم عن الاعتذار، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾.

نماذج وتجليات

نماذج كثيرة في حياتنا نرى فيها تجليات هذا المرض:

- **حين يُخطئ الزوج في حق زوجته،** ومع أن الزوج قد يدرك خطأه من نفسه، أو بتنبيه الآخرين له، لكنه يرفض الاعتذار، ويرى أن اعتذاره يقلل من رجولته، ويضعف شخصيته.
- **وكذلك مع الأبناء**: يظن البعض أن اعتذار الأب لابنه يذهب بهيبته، ويقلل من شأنه عند ولده، وهذا غير صحيح، فلا تترد في أن تعتذر لابنك إذا أخطأت في

حقه، فذلك يزيده إكبارًا واحترامًا لك، ويربيه على النهج السليم.

- **ومع الموظفين**: قد يكون تحت إشرافك موظف أقل منك شأنًا، وقد يكون في بيتك سائق أو خادمة، فلا تشعر بأن اعتذارك لهم ـ لو أدركت أنك أخطأت في حق أحدهم ـ ينقص من كبريائك وهيبتك.
- **وقد يخطئ الحاكم** وهو صاحب سلطة على مواطنيه، ويدرك بأنه مخطئ، ولكن كبرياء السلطة تمنعه من الاعتذار.

الاعتذار قوة ومصداقية

قد يبدو التراجع عن الخطأ والاعتذار لأول وهلة حالة ضعف وهزيمة، لكنه في الواقع يكشف عن ثقة بالنفس، وشجاعة في الموقف، وهو انتشال للنفس من ضعف الخطأ.

والاعتذار نوع من أنواع التعويض المعنوي، يشعر الطرف الآخر بكرامته، وعادة ما يقبل العذر لأن في ذلك رداً لاعتباره.

جرّب أن تقول لمن أخطأت في حقه: آسف، أعتذر إليك عما بدر مني. قد يصعب الأمر بداية، ولكنك ستجد ذلك سهلًا إذا اعتدت عليه، بل سوف يساعدك على التأني قبل أن تخطئ في حق الغير، أما إذا أخذتك العزة بالإثم فإنك ستدفع الثمن باهظًا يوم القيامة، فهناك تجتمع مع خصمك أمام ربٍّ عادل، وسوف تجد نفسك مضطرًا للاعتذار على رؤوس الأشهاد، وقد لا يقبل منك عذرك؛ لأن خصمك قد يكون في أشد الحاجة للحسنات، فيؤخذ من رصيدك لصالحه، أو يوضع شيء من سيئاته عليك، فهل تحتمل ذلك؟

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو في موقع الحاكم، يطلب من رعيته قائلاً: «وَ لَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَ لَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ

أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ»[١].

أين تجد حاكمًا يجهر بهذا، ويطالب شعبه بتنبيهه، ويرجع عن خطئه إذا أدركه؟ كل عام نقرأ التقارير الدولية حول ضعف حقوق الإنسان، وتأخر التنمية، ولكن الحكام ـ وهم لا شك يدركون ذلك ـ يعيرون تلك التقارير آذانًا صماء، ولا يريدون أن يعترفوا بالخطأ، وتغيير الوضع إلى الأحسن، يشعرون بحالة من الكبرياء الزائفة.

قبول النصيحة

الإمام علي عليه السلام يقول: «وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»[٢]. ويقول عليه السلام: «طوبى لمن أطاع ناصحًا يهديه، وتجنب غاويًا، يرديه»[٣] وعنه عليه السلام: «من أكبر التوفيق الأخذ بالنصيحة»[٤] وعنه أيضًا عليه السلام: «مرارة النصح أنفع من حلاوة الغش»[٥]. قد يزعجك النصح لكن فيه نفعك، وقد يروق لك تصفيق الآخرين لك على خطئك وفي ذلك هلاكك.

نحن بحاجة ماسة إلى التناصح سيما في العلاقات البينية، نحتاج إلى أن نرسخ في نفوسنا لغة الاعتذار، وأن تكون مفردة نلهج بها كلما أخطأنا. من يعيش في المجتمعات الغربية يرى أن الشخص منهم يبادر للاعتذار (**I am sorry**) أنا آسف، عبارة دارجة على ألسنتهم الكبير منهم والصغير، أما نحن فنعجز عن تلفظ هذه العبارة، بل نوبخ من أخطأنا في حقه!

---

(١) نهج البلاغة. خطبة٢١٦، من خطبة له عليه السلام خطبها بصفين.

(٢) نهج البلاغة. خطبة١٢١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم.

صور مضيئة

على الإنسان أن يعوّد نفسه التراجع عن الخطأ، وأن يشكر من ينصحه، وأن يعتذر إذا أخطأ.

في تاريخنا الإسلامي وسير العلماء والأولياء صور مضيئة، ونماذج مشرقة للالتزام بهذا الخلق الكريم، فقد بعث رسول الله ﷺ أحد القادة العسكريين من أصحابه، وهو خالد بن الوليد، في السنة الثامنة للهجرة، بعد فتح مكة، على رأس فرقة من الجيش، صوب إحدى القبائل للدعوة إلى الإسلام، ولم يأمره بقتالهم، بعثه داعيًا ولم يبعثه مقاتلًا، لكنه أساء التصرف، وارتكب خطأً كبيراً بقتلهم وسلبهم.

قال ابن الأثير: فلما انتهى الخبر إلى النبي، رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد!».

ثم أرسل عليًا ومعه مال وأمره أن ينظر في أمرهم، فودى لهم الدماء والأموال حتى إنه ليدي ميلغة الكلب، وبقي معه من المال فضلة، فقال لهم علي: «هل بقي لكم مال أو دم لم يودّ؟» قالوا: لا، قال: «فإني أعطيكم هذه البقيّة احتياطًا لرسول الله ﷺ»، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال:« أصبت وأحسنت». وفي رواية قال ﷺ لعلي: «أعطيتهم ليرضوا عني رضي الله عنك»[١].

وجاء في سيرة السيد محمد حسن الشيرازي المعروف بالمجدد (١٢٣٠هـ ـ ١٣١٢هـ) الذي كان المرجع الديني، والزعيم البارز، أنه في درسه العلمي، طرح مسألة ذات يوم، فأشكل عليه تلميذه الشيخ محمد كاظم الخرساني صاحب كفاية الأصول، ودار بينهما نقاش سكت التلميذ في نهايته، وفي اليوم التالي بدأ الميرزا الشيرازي درسه بالاعتذار من تلميذه، والإقرار بأن الحق في المسألة كان معه.

---

(١) الكامل في التاريخ. ج٢، ص ٢٥٦.

ودار نقاش مرة بين عالمين أحدهما يدعى الملا خليل القزويني، والآخر الفيض محسن الكاشاني المعروف، واحتدم بينهما الجدال، وكان القزويني حادا في نقاشه وردوده، وانتهى الجدال دون نتيجة، وذهب الشيخ القزويني إلى بلده قزوين، وبحث المسألة أكثر وراجع نفسه، وتبين له أنه كان مخطئا في رأيه وموقفه، فبادر للسفر إلى كاشان منتصف الليل، وطرق باب الشيخ محسن الكاشاني عند الفجر، وحينما سأل الشيخ محسن من الطارق؟ قال الملا خليل: يا محسن قد أتاك المسيء، ثم اعتذر إليه، واعترف له بالحق فيما دار بينهما من نقاش. فقال له الفيض: ولماذا كلّفت نفسك عناء السفر في هذا الوقت؟ فأجاب: ما دمت اكتشفت خطأي، فإن ضميري لا يرتاح، ونفسي لا تستقر، قبل أن أقر لك بالخطأ، وأتقدم إليك بالاعتذار.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للتحلي بمكارم الأخلاق، وقبول النصيحة، وألا تأخذنا العزة بالإثم، إنه سميع الدعاء قريب مجيب.

الخطبة الثانية

النظام والآداب في اجتماعات الشعائر الدينية

جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث له حول صلاة الجمعة: «ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام فإن الله يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾»[1].

في الدين الإسلامي برامج دينية تؤدى بشكل جمعي، وهو أكثر الأديان في برامجه الجماهيرية، حيث شرّع الصلاة جماعة وجمعة، وكذلك حج بيت الله الحرام في أيام معدودات، والحضور في المناسبات الدينية، هذه الاجتماعات المكثفة والمنتظمة، من شأنها أن تجعل المجتمع الإسلامي أكثر انتظامًا؛ لأنها حالة متكررة وكثيرة، فيفترض من المسلمين أن يتقنوا فن إدارة الحشود وتنظيم الاجتماعات الشعبية.

المجتمع المسلم ينبغي أن يكون نموذجيًا على هذا الصعيد. الغربيون يجتمعون في برامج دينية وغير دينية مع التزام بالنظام، لكننا مع الأسف الشديد لا زلنا نعيش حالة من التزاحم والفوضى، لعدم التقيّد بالنظام. مع أن الدين الحنيف الذي شرع لنا هذه العبادات الجماعية وضع لنا تعاليم من شأنها أن تربينا على النظام، وتوفر لنا الأجواء المناسبة. فحين نقرأ في آداب صلاة الجماعة نجد تفاصيل كثيرة وضعت للتنظيم: فيحدد مكانًا للإمام، بأن يكون متقدمًا عن المأمومين، وفي المنتصف، ويكره

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢١٤.

للإنسان أن يبدأ صفًا جديدًا مع وجود صف لم يكتمل. ويحق له المشي لسدّ فرجة في الصف الذي أمامه، والرجوع للصف الخلفي إذا كان في ذلك مزاحمة وضيق للصف الذي هو فيه. وينهى عن تخطي الرقاب ما دام المسلمون قد انتظموا في صفوفهم. يقول رسول الله ﷺ: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرًا إلى جهنم»[١].

أي مسلم يؤدي نسك الحج وصلاة الجماعة إنما يقوم بذلك طمعًا في ثواب الله عز وجل، وتحقيقًا لشكره، ولكن لا يصح أن يكون ذلك على حساب الآخرين، بإيذائهم، فذلك يغضب الله تعالى، ولا يطاع الله من حيث يعصى.

لا يصح لأحد أن يسد طريق غيره بسيارته طمعًا في إدراك الجماعة، ولا يصح رفع الصوت عبر مكبرات الصوت إلى حد إزعاج الآخرين وإيذائهم، ولا يصح التزاحم المؤذي للآخرين عند الحجر الأسود لتقبيله، وعند مقام إبراهيم للصلاة، ولا التزاحم المؤذي عند الأضرحة والمقامات، ولا عذر في ذلك، بل إنه موجب للإثم وسخط الله تعالى. الله عز وجل لا يريد عبادة فيها إيذاء لخلقه.

في المستدرك على الصحيحين ورد أنه: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فقال ﷺ: «اجلس فقد آذيت وآنيت»[٢].

نتمنى أن تصل اجتماعاتنا الدينية إلى مستوى يليق بنا كمسلمين، ففي ديننا كثير من الآداب والإرشادات التي تعزز الانتظام، ومراعاة حقوق ومشاعر الآخرين.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لنظم أمرنا، وألا يجعل في رقابنا حقًا علينا لغيرنا إنه سميع الدعاء قريب مجيب.

---

(١) محمد بن علي الشوكاني. نيل الأوطار، ج ٣، ص ٣١٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٤٢٤، حديث ١٠٦١.

الخطبة الأولى

المهرجانات الترفيهية ومكاسبها الاجتماعية

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[سورة يوسف، الآيتان:١١-١٢].

يصرف الإنسان في حياته لونين من الجهد والوقت، فهناك جهد يصرفه من أجل إدارة شؤون حياته، ومستلزمات وجوده، والجهد الآخر من أجل الترفيه عن نفسه، وكلا الجهدين ضروري لحياة الإنسان، فهو لا يستطيع أن يتوفر على متطلبات العيش إلا إذا صرف جهدًا وبمقدار هذا الجهد تنتظم حياته.

كما أن اللون الآخر من الجهد يصرفه الإنسان من أجل الترويح عن نفسه، ولتصريف فائض الطاقة الكامنة لديه؛ لأن الإنسان بشر له أحاسيس ومشاعر، وإجهاد نفسه يصيبه بالفتور، فيحتاج إلى الترفيه ليريح نفسه، ويساعده ذلك على التخلص من فائض الطاقة الكامنة في ذاته. هذه الطاقة الفائضة تحتاج في تصريفها إلى قنوات مناسبة.

كما أن حالة الإنسان النفسية قد يعتريها الضجر والملل، فيضعف نشاطه وإنتاجه، وهنا يحتاج إلى شيءٍ من الترفيه لتغيير ونسيان ما يعكر صفوه.

شرعية البرامج الترفيهية:

عبر تاريخ الإنسان ترى ضمن تقاليد أي مجتمع نمطًا من البرامج الترفيهية والآية

الكريمة التي جاءت في سياق قصة نبي الله يوسف عليه السلام حيث طرح أخوته على أبيهم النبي يعقوب عليه السلام أن يسمح ليوسف بالذهاب معهم لبرنامجهم الترفيهي ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ فكان طلبهم من أبيهم أن يأخذوا أخاهم يوسف ليلعب ويتنزه ويلهو معهم، وأبوهم النبي لم يستشكل على هذا الأمر، بل وافق وأرسله معهم.

وهذا دليل على أن الترويح عن النفس واللعب أمر مقبول شرعًا، وإلا لما مارسه أولاد الأنبياء، ولما أقرّ الأنبياء ذلك، وفي الفقه أبواب لأحكام المسابقات والرماية. جاء عن الإمام الصادق عليه السلام إن النبي أجرى الإبل مقبلة من تبوك فسبقت العصباء وعليها أسامة، فجعل الناس يقولون: سبق رسول الله ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سبق أسامة[١]. وفي رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله أجرى الخيل وجعل سبقها أواقي من الفضة[٢]. وروى الإمام الصادق عليه السلام أيضًا: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحضر الرمي والرهان[٣].

وقد أصبحت المجتمعات تهتم بتوفير مجالات الترفيه وخاصة للشباب، لما لذلك من أثر إيجابي لصالح الأمن الاجتماعي، حيث تنخفض الجريمة والعنف والأمراض النفسية، بينما مجتمعات الكبت تكون معرضة للخطر أكثر من غيرها. ومن أبرز تلك المخاطر الأمراض النفسية التي تتولد نتيجة الكبت، وعدم تصريف الطاقة الفائضة بالشكل السليم.

في السنوات الأخيرة بدأ مجتمعنا يعتني بهذا الأمر بشكل بارز، فقد شهدنا عقد عدة مهرجانات يبرز فيها النشاط الترفيهي والتراثي والأدبي. هذه المهرجانات لها جوانب إيجابية كثيرة من أهمها:

١. إبراز طاقات وكفاءات أبناء المجتمع.

---

(١) وسائل الشيعة. ج ١٩، ص ٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه. ص٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه. ص٢٥٢.

٢. تعزيز روح العمل الجمعي والتطوعي.

٣. إعطاء صورة عن المجتمع وتاريخه وأعرافه وكفاءاته.

في مهرجان الدوخلة بتاروت كان أكثر من ١٠٠٠ متطوع ومتطوعة مشتركين في أنشطته، وقد زاره أكثر من ٢٥٠ ألف زائر. ومهرجان «واحتنا فرحانة» في القطيف زاره أكثر من ٦٠ ألف زائر، وشارك فيه مئات المتطوعين. وفي سيهات مهرجان الوفاء استقبل أكثر من ١٠٠ ألف زائر، وعمل فيه مئات المتطوعين. هذه الأنشطة وجودها مهم ونأمل التفاعل معها أكثر رسمياً وشعبيًا، حتى تحقق النفع للمجتمع.

الإمام علي عليه السلام ومعاناته الاجتماعية

كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأخيه عقيل رسالة ورد فيها قوله: «لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً وَ لَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً وَ لَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ وَ لَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً وَلَا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً»[1].

يعتقد الشيعة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد نص على عليٍّ عليه السلام بالخلافة بعده، ولهم أدلتهم العقلية والنقلية على ذلك. ومن أجلى الأدلة النقلية وأبرزها حديث الغدير، لكن أخواننا أهل السنة يخالفوننا هذا الاعتقاد، ولهم أدلتهم وتأويلاتهم التي يعتقدون بها. وقد انتهى الأمر كواقع تاريخي فلا داعي للنزاع حوله، لكن من حق كل طرف أن يعبر عن رأيه، وفي موقع الحوار العلمي يمكن مناقشة المسألة، دون أن تكون سببًا للصراع والنزاع، والانشغال عن المصالح الحاضرة.

من حق كل فئة أن تعبّر عن رأيها، ولا يحق لمن يعتقد بأن أمر الخلافة تُرك شورى للمسلمين يختارون خليفة لهم، أن يمنع عن التعبير عن الرأي الآخر.

السنة يربّون أبناءهم على ما يعتقدون، ومن حق الشيعة ذلك أيضًا. وينبغي مراعاة هذا الأمر في المناهج الدينية التعليمية، فلا يصح تعليم الأبناء عقيدة تخالف عقيدة

---

(١) نهج البلاغة. كتاب ٣٦.

آبائهم، فيعيشون حالة إرباك وتشويش. إن مناهج الدين في المدارس الرسمية ينبغي أن تركز على المشتركات في عقيدة المسلمين وفقههم، أما إذا تعدت المشتركات فمن حق اتباع أي مذهب تعليم أبناءهم معتقداتهم وفقههم.

وإذا كان لا بدّ من مناقشة موضوع الاختلاف فيجب أن يدار النقاش حوله في دائرة أهل العلم، بنقاش علمي رصين؛ لأن هذا الأمر وإن كان قد انتهى ولا يمكن تغيير ما حصل في التاريخ، لكنه يترتب عليه أمور عقدية، ومن حق كل فئة الالتزام بعقائدها التي تراها صحيحة. ولا ينبغي أن يدار الحوار في جو تهريجي يشغل الأمة عن أهدافها الرئيسة، ومصالحها الحاضرة، ويشق عصا المسلمين، ويعبئ كل فئة ضد الأخرى.

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده، والعلماء المصلحون الواعون لا يقبلون ذلك، لما يترتب عليه من آثار وخيمة. المرجع السيستاني حفظه الله في بيانه بتاريخ ١٤/ ١/ ١٤٢٨هـ أكد على «التجنب عن إثارة الخلافات المذهبية، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة، ولا يبدو سبيل إلى حلّها، بما يكون مرضيًا ومقبولًا لدى الجميع، فلا ينبغي إذًا إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين».

لسنا من دعاة إثارة الجدل حول الخلافة، لكن من حقنا الدفاع عن عقائدنا، ونرحب بالنقاش العلمي الهادف.

الأمة والالتفاف حول علي عليه السلام:

لماذا لم تلتف الأمة حول علي عليه السلام أكانت مكانته مجهولة؟ أما كان الصحابة يرون ويعرفون مكانة علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أما سمعوا تلك الأحاديث في حق علي عليه السلام؟ أما كانوا يرون كفاءته وعلمه، وشجاعته، وكل ما تميز به؟ لماذا لم يلتفوا حوله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا حتى حين آلت إليه الخلافة؟ فحين بويع بالخلافة

لم يكن الالتفاف حوله بالشكل المطلوب، كانت هناك حالة مؤلمة من التمزق والتمرد حتى قال عليه السلام: «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَ قَسَطَ آخَرُونَ»[١].

وحول الأوضاع التي عاشها أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن آلت إليه الخلافة، يقول الأديب طه حسين: «كان علي لا يسدّ ثغرة إلاَّ فتحت له ثغرة أخرى، وأصحابه على رغم ذلك مُمعنون في العجز، مغرقون فيما أحبّوا من العافية، قد فُلّ حدُّهم، وكُسِرت شوكتهم، وطمع فيهم العدو البعيد منهم، وأغرى بهم العدو المقيم بين أظهرهم»[٢].

يتعجب الإنسان حين يقرأ تاريخ أمير المؤمنين، ويتألم لسوء تعامل الأمة معه، وهو صاحب المنزلة العظيمة عند الله ورسوله، لقد انفلتوا من تحت إمرته فلم يبق إلا الكوفة حتى قال عليه السلام: « مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَ أَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ فَقَبَّحَكِ اللَّهُ»[٣] مناطق كبيرة كالشام، ومصر واليمن، ومناطق مختلفة غلب عليها المتمردون، حتى الكوفة أغار عليها أبو مريم في جيش من الموالي المرتزقة، ودنا منها، فأرسل الإمام جنودًا لحربه فهزمهم المتمردون فاضطر الإمام أن يخرج بنفسه.

لماذا كل ذلك حصل في عهده، هل كان عنده نقص في قدراته الإدارية والقيادية؟

كلا، وألف كلا، أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وتاريخ عليّ المشرق، كلها شهود على مكانته ومقامه السامي، ولكن من يدرس تاريخ علي عليه السلام بموضوعية، يجد أن الظروف الخارجية لم تكن مساعدة، وذلك لعدة أسباب، من أهمها: الالتزام المبدئي عند أمير المؤمنين عليه السلام حتى قال: «ما ترك لي الحق من صديق». من يساير الناس يجد مؤيدين، أما إذا التزم الحق الذي لا يقوى على تطبيقه من حوله، فقد لا يجد من يلتف حوله.

---

(١) نهج البلاغة. الخطبة الشقشقية، خطبة رقم ٣.

(٢) طه حسين. الفتنة الكبرى٢، علي وبنوه، الطبعة الحادية عشر، (القاهرة: دار المعارف)، ص١٤٠.

(٣) نهج البلاغة. خطبة٢٥.

أشاروا عليه عليه السلام أن يلتزم ما كان عليه من قبله، وأن يبقي معاوية على ولاية الشام، وأن يُرضي طلحة والزبير حتى يأمن تمردهما، لكنه رفض طريق المراهنة والمساومة على الحق والعدل وقال: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَ لَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَ يَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ»[١] وقال: «أَ تَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ»[٢].

ما كان في إدارته نقص، لكن الاتجاه المصلحي السائد، ورفضه لهذا النهج كان سبباً رئيساً لعدم التفافهم حوله. وكان ذلك ابتلاء عظيم من الله عز وجل. يقول عليه السلام: «ما زلت مظلومًا منذ قبض رسول الله»[٣].

وعلي عليه السلام ما كان يتوقع حسب المعايير المنطقية أن الأمة سوف تتعامل معه بهذا الشكل، يقول عليه السلام: «فَلَمَّا مَضَى عليه السلام تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَ لَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَ لَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ[٤]».

درس في المبدئية:

علي عليه السلام يعطي لكل المصلحين درسًا عظيمًا، ألا يتخلوا عن مبادئهم رغبة في التفاف الناس حولهم. اتباع الناس فيما يريدون، ومخالفة المبادئ والقيم الربانية، غير صحيح، ولا يعطينا عذرًا أمام الله عزّ وجلّ يوم القيامة. الإمام ثبت على نهجه المبدئي

---

(١) نهج البلاغة. من كلام له عن معاوية، خطبة ٢٠٠.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ١٢٦.

(٣) الشيخ الطوسي. الأمالي. ص٧٢٦.

(٤) نهج البلاغة. كتاب ٦٢.

فانفض الناس عنه، وسبوه ولعنوه على المنابر عشرات السنين، لكن ذلك لم يقلل من شأنه لا في نفسه ولا عند ربه عز وجل فما كان يهتم لذلك: «لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً وَ لَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً».

فعلينا أن نتعلم درس الثبات على الحق من إمام الحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

الخطبة الأولى

الشفافية في الممارسة والسلوك

كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رسالة إلى الحارث الهمداني وكان مما جاء في تلك الرسالة قوله عليه السلام: «وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ»[1].

لبني البشر فطرة ووجدان، ولديهم عقول يفكرون بها، فيستطيعون من خلال ذلك أن يميزوا بين الخير والشر، وبين الحسن والقبيح. صحيح أن هناك اختلافًا بين الثقافات وعادات وتقاليد الشعوب، فيما يخص استحسان أو استقباح بعض الأعمال والسلوك، لكن ذلك في التفاصيل، أما القيم الأساسية فغالبًا ما يتفق عليها بنو البشر بفطرتهم ووجدانهم وإدراك عقولهم. فالكذب قبيح عند كل بني البشر، والصدق حسن. والظلم قبيح، والعدل حسن. والبخل قبيح، والكرم حسن، وهكذا سائر القيم والصفات التي تنبثق منها ممارسات وسلوكيات الإنسان.

حذر الإنسان من السمعة السيئة

الإنسان يحب أن تنسب إليه الصفات الحسنة، والأعمال الصالحة، ويسوؤه أن تنسب إليه الأعمال السيئة. لكن السؤال هنا، كيف يمكن للإنسان أن يتجنب نسبة

(١) نهج البلاغة. كتاب ٦٩.

الأعمال السيئة إليه؟

حتى يتجنب الإنسان نسبة الأعمال السيئة إليه عليه ألا يرتكبها. ما دام ينزعج من نسبة القبيح إليه، فليبتعد عن كل ما هو قبيح وسيئ، وحتى لا يتلقى مضاعفات تلك الأعمال أيضًا، لكن الإنسان في بعض الأحيان يخادع نفسه، فيعمل القبيح، ويقترف السوء، ويحاول أن يظهر العكس للآخرين، فلا يرى الناس القبح منه لانه يعمله سرًا. ولكن كم يستطيع الإنسان أن يستمر في تستره على السوء والقبح؟

نحن كمسلمين نعتقد ونؤمن أن الله تعالى رقيب علينا، مطلع على كل شيء نعمله ونقوله، بل كل ما يختلج في أذهاننا ونفوسنا: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾. فكيف يستطيع الإنسان أن يعمل قبيحًا ويستره عن خالقه؟ هل هذا ممكن؟ بالطبع لا. في يوم القيامة إذا أنكر الإنسان عمل القبيح تكون الشهادات والشهود دامغين له، بما في ذلك أعضاء جسمه ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فينزعج الإنسان كيف أن أعضاءه تشهد عليه؟ ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

إذًا لا يمكن الاستتار من الله عز وجل، وهناك ملكان رقيبان، يسجلان ما يقوم به الإنسان من خير وشر.

من جانب آخر، هل يمكن الاستتار من الناس؟ ربما يستطيع الإنسان أن يفعل سوءًا ويخفيه عن الآخرين، لكن معادلات الحياة وحكمة الله تعالى شاءت أن الإنسان قد يقع فيما يحذر منه. ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: «مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَ صَفَحَاتِ وَجْهِهِ»[١].

نصوص كثيرة تدلّ على أن الإنسان إذا استمر في عمل القبيح فإن الله سبحانه وتعالى يسلط عليه ما يفضحه، وإذا أمعن الإنسان في ممارسة القبيح، وتطبعت نفسه

(١) نهج البلاغة. حكمة ٢٦.

عليه، فسوف لا يرى مدعاة للتستر حينها، فيبدأ شيئًا فشيئًا بفضح نفسه.

ومع تطور العلم وتطور التكنولوجيا، أصبحت الكثير من أعمال الإنسان وأقواله تسجل عليه، حتى لو أراد إخفاءها. كاميرات مخفية كما في (نظام ساهر) المزمع تطبيقه في أنحاء المملكة، فيما يرتبط بالمرور، لرصد مخالفات أنظمة القيادة، كذلك الأماكن العامة كالمجمعات والأسواق أصبحت مزوّدة بالكاميرات، وجزء كبير من كلام الإنسان الآن يتم عبر وسائل الاتصال الجوال والكمبيوتر والإنترنت، وهذه الوسائل أصبح من السهل اختراقها من قبل جهات عديدة، وصار الناس يكيدون لبعضهم بعضًا عبر هذه الوسائل، ولذلك نحن نسمع عن بعض حالات الابتزاز، وهو ما يكون بين رجل وامرأة مثلًا، وعادة ما تبدأ بالمراسلات النصية، أو المكالمات، أو الصور، فيستغلها أحدهما ضد الآخر.

الشفافية والوضوح

لذلك على الإنسان أن يكون حذرًا وخاصة في هذا العصر، بحيث يبتعد عن كل قبيح، وأن يكتب هذه الكلمة الذهبية لأمير المؤمنين عليه السلام بماء الذهب ويجعلها نصب عينيه: «وَ احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَ يُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ» العمل الذي تقوم به، إن كان الجهر به ممكنًا فاعمله في السر، أما إذا كنت تستحي أن تجهر بهذا العمل، فاتركه حتى في السر. «وَ احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ» حين يسأل الإنسان عن شيء سيئ، هل عمله أم لا؟ فعادة ما ينكر، أو قد يعتذر منه، ويطلب العفو والصفح. الشيء الذي تستحي أن يُنسب إليك إذا سئلت عنه فلا تعمله، ثم لماذا تضع نفسك في موضع الاعتذار وقد كنت غنيًا عن هذا الأمر؟ لماذا تعمل عملًا يلجئك إلى الإنكار أو الاعتذار؟

هناك كلمة أخرى له عليه السلام يقول: «إياك وما تعتذر منه، فإنه لا يعتذر من خير»[١] لو

---

(١) بحار الأنوار. ج ٦٨، ص ٣٦٩.

كان عملًا حسنًا ما كنت مضطرًا للاعتذار منه، خلاف العمل الحسن الذي تفخر بفعله. وهناك روايات كثيرة في هذا الصدد عن أئمة أهل البيت ، كما ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق يقول: «لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه. قال الراوي بما يذلّ نفسه؟ قال : لا يدخل فيما يعتذر منه»[1]. أحد الأقطاب الصوفيين يقول: «ليكن عملك من وراء سترك كعملك من وراء الزجاج».

ينبغي أن يصنع الإنسان حياته وسلوكه على أساس الشفافية والوضوح، سيما في هذا العصر، وهذا يتوجه خاصة إلى العاملين في الشأن العام، من سياسيين وعلماء وناشطين اجتماعيين، ما داموا يعملون في إطار الشأن العام، فعليهم أن يعرفوا أن كلامهم وعملهم مرصود، وأنه ما عاد من الممكن التستر على الأشياء.

ويكيليكس

وما نعيشه هذه الأيام من ضجة كبيرة حول موقع ويكيلكس، هذا الموقع الذي سرّب مئات الألوف من الوثائق، مما يدور ويجري خلف الكواليس في السياسة الأمريكية والغربية، قام بها رجل أربعيني من أستراليا، اسمه (جوليان أسانج)، وهو صحفي وناشط على الإنترنت، خصص موقعه لنشر الوثائق السرية للحكومات، بدءًا بأمريكا، ساعده على ذلك عناصر داخل أجهزة الدول حيث يتعاونون مع مواقع كهذه، لشعورهم بالحرية، واندفاعهم لممارسة بعض القيم، مثل الشفافية والدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان.

يعيش العالم الآن هذه الأزمة الكبرى، السياسة الأمريكية تعرضت لأزمات عسكرية كما في العراق وأفغانستان، وأزمات اقتصادية، وهذه الأخيرة تمثل أزمة دبلوماسية، وقد كلفت الإدارة الأمريكية فريقًا من ١٢٠ خبيرًا يدرسون الآثار التي ستحصل من وراء نشر هذه الوثائق، هذا الموقع سرب أكثر من ٤٠٠ ألف وثيقة سرية حول حرب

---

(١) تهذيب الأحكام. ج ٦، ص ١٨٠.

العراق، وأكثر من ٩٠ ألف وثيقة حول الحرب في أفغانستان، وأخيرًا ٢٥٠ ألف برقية سرية تداولها الدبلوماسيون الأمريكيون فيما بينهم.

تقرأ في هذه الوثائق ما يفضح نفاق وبغي السياسة الأمريكية والغربية، هذه الفضائح لم تنل من أمريكا فحسب، بل من كل الأنظمة السياسية المتعاملة معها، ويبدو أن هذا المنهج سيستمر، وهذا يعني أن على السياسيين المسلمين والعرب أن يكونوا حذرين في تعاملهم مع الغربيين، عليهم ألا يتفقوا معهم بما لا ترضاه شعوبهم، وبما يحرجهم أمام الرأي العام، وإلا فستتوالى الفضائح وستكون التأثيرات كبيرة على المستوى العالمي بسبب هذا التوجه.

وأنا أتوقع أن هذا المنهج سيتعمم في بلدان كثيرة، سيخرج هواة في البلاد العربية والإسلامية يمارسون نفس الدور، من نشر وثائق سرية للحكومات وللأوضاع السياسية، ومن الصعوبة بمكان الوقوف أمام هذا النهج والتوجه، مع توفر الوسائل والإمكانات.

درس وعبرة

من هذه الضجة وهذه الأزمة التي تعيشها الأنظمة السياسية يجب أن نخرج بدروس لما حصل:

أولًا على المستوى الفردي:

من الصعوبة بمكان في ظلّ هذا التقدم العلمي الاحتفاظ بالسرية التامة، وبالتالي علينا أن نستحضر ما كان يمليه علينا ديننا الحنيف من أن الله رقيب ومطلع على كل كبيرة وصغيرة، وأن نجعل كلمة أمير المؤمنين ﵇ نصب أعيننا دائمًا وأبدًا، فنكون شفافين وواضحين مع أنفسنا في ممارسة سلوكنا وأعمالنا.

ثانيًا على صعيد الحكومات والأنظمة السياسية:

يتوجب على السياسيين المسلمين والعرب إعادة النظر في تعاملهم مع الجهات الأخرى، فلم تعد هناك أسرار، التآمر والتواطؤ والمواقف المشبوهة التي لا ترتضيها الشعوب، ولا ترتضيها الأمة، إن لم تنكشف اليوم فستنكشف غدًا، وفي هذا العصر ما عاد الانكشاف أمرًا صعبًا.

ثالثاً: على صعيد الشعوب:

على الشعوب أن تعي كيف تمارس حكومات الاستكبار العالمي النفاق والازدواجية، رغم ما تدعيه من شفافية واهتمام بحقوق الإنسان.

الخطبة الثانية

عاشوراء ومسؤولية الإصلاح

جاء وفي وصية أبي عبدالله الحسين عليه السلام التي أوصى بها لأخيه محمد بن الحنفية حينما عزم على الخروج من المدينة المنورة قال عليه السلام: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1].

تستقبلنا مطلع كل عام هجري جديد ذكرى ثورة أبي عبدالله الحسين، وقد شاء الله تعالى للمسلمين أن يستقبلوا عامهم ويستفتحوه بهذه الذكرى العظيمة، لتذكرهم بمسؤولية الإصلاح وواجب التغيير، فالإمام الحسين عليه السلام إنما تحرك من أجل الإصلاح في الأمة.

مسؤولية الإصلاح

الإصلاح ضرورة لكل أمة، وفي كل عصر وزمان، ذلك أن عوامل الفساد والانحراف حينما تتسرب إلى داخل الأمة، وتحصل فيها، فإن السكوت عنها وعدم مقاومتها يجعل الفساد منتشرًا، والظلم مهيمناً. لذلك تحتاج الأمة إلى الإصلاح في كل وقت، إما لمقاومة الفساد، أو لمقاومة الجمود. فالجمود والركود لون من ألوان الفساد. الأمة تحتاج إلى التطوير والتقدم، حتى لو فرضنا أنه ليس هناك ظلم وفساد، لكن الركود والجمود على نفس المستوى من العيش هو بحدّ ذاته ظلم، ومنتج للفساد والانحراف.

الإصلاح مسؤولية يتحملها الواعون من أبناء الأمة، أما إذا اكتفوا بالتفرج أو

(١) كتاب الفتوح، ج ٥، ص ٢١.

التذمر مما يحدث، فإنهم مسؤولون أمام الله والتاريخ عما يجري عليهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾. من طبع البشر ممارسة الفساد والظلم على أنفسهم، ولكن ينبغي أن يقابله إصلاح، ومقاومة للظلم، وإلا كان الهلاك مصير المجتمع والأمة.

توصيات لإحياء الذكرى الحسينية

في استقبال هذه الذكرى العظيمة، علينا أن نتحمل مسؤوليتنا في إحيائها؛ لأن إحياء ذكرى الحسين حياة لنا، كأمة وكمجتمع، نلحظ المنافع الكبيرة منها، وهذا هو سبب النصوص الصادرة عن الأئمة المعصومين ﻵ، التي دعت شيعتهم والمسلمين جميعًا لإحياء ذكرى أبي عبدالله الحسين، لماذا؟

من أجل أن يستفيد الناس من إحياء هذه الذكرى. ويهمني أن أؤكد على بعض الملاحظات والتوصيات، ونحن نستعد لإحياء هذه الذكرى.

إحياء عاشوراء يجب أن يوظف باتجاه الإصلاح، وهو الهدف الأساس للإمام الحسين ؑ. الأمة بحاجة إلى الإصلاح الفكري والاجتماعي والسياسي، نحن بحاجة أن تتجه الخطابة ومواكب العزاء إلى موضوع الإصلاح في الأمة والمجتمع، أن نصلح أفكار الناس، حتى يتعلموا مفاهيم دينهم الصحيحة. إذا كانت هناك فكرة خطأ لا تنسجم مع تعاليم الدين، ولا مع مصالح المجتمع، فينبغي أن نستفيد من هذه المناسبة في إصلاح الأخطاء الفكرية.

وعلى من يريد أن يتصدى للإصلاح الفكري أو الاجتماعي أو السياسي، أن يعلم أن الثمن باهظ، الإنسان الذي يهدف للإصلاح عليه أن يتحمل دفع الثمن، وأن يتخذ من الإمام الحسين ؑ الذي ضحى بكل شيء قدوة له. الإمام الحسين ؑ لم يجلس في بيته ويتحدث عن الإصلاح، وإنما خرج وضحى وتحمل، ونحن عندما نريد خدمة توجهات الإصلاح علينا أن نتحمل ذلك، فأصحاب الآراء الأخرى لن يتركوا من

يخالفهم وشأنه، ولن يفسحوا له المجال في فضح أخطائهم. هذه المناسبة العظيمة هي أفضل وقت للإصلاح وتغيير أفكار الناس الخاطئة.

الإصلاح الاجتماعي:

نحتاج إلى الإصلاح الاجتماعي لحل المشاكل السلوكية، والأزمات المعيشية، علينا أن نهتم بما يصلح أوضاع المجتمع. ينبغي أن يكون موسم عاشوراء فرصة لكل مؤسسات العمل الأهلي التطوعي من التبرع بالدم، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، والانضمام في المؤسسات الاجتماعية. ما دمت تحضر في مدرسة أبي عبدالله الحسين عليه السلام فعليك أن تنتهج نهجه، وأن تخرج من مجلس العزاء وأنت مستعد للسير على دربه، فيما يرتبط بالإصلاح في أي شأن كان. وإلا ماذا استفدنا من الحسين عليه السلام ومن هذه المجالس؟ ينبغي أن نخلق زخمًا لصالح هذه المؤسسات الأهلية لمعالجة المشاكل التي يعاني منها المجتمع.

الإصلاح السياسي:

كما أننا بحاجة إلى الإصلاح السياسي، فحينما يعاني الناس في الوطن من مشاكل وضغوط بسبب ممارسات خاطئة، فعلى الواعين من الناس أن يتحركوا لرفع الظلم والضغوط عن أنفسهم ومجتمعهم. ينبغي أن تكون هذه المناسبة فرصة لتصحيح الأوضاع السياسية، وهل ثار الإمام الحسين عليه السلام إلا حينما رأى الظلم والفساد قائمًا متفشيًا، من قبل الذين اتخذوا عباد الله خولًا ومال الناس دولًا؟

حينما يواجه الناس مشكلة التمييز بينهم كمواطنين، فإن هذه المشكلة لا ينبغي أن تغيب عن خطابنا، يجب أن نوعي الناس ونبصرهم الطريق لمعالجة الأمر، وأن نتحدث عنها بوضوح. في السابق كان الحديث عن مثل هذه الأمور صعبًا وممنوعًا، لكننا في وقت أصبح المجال فيه متاحًا وبالوسائل المشروعة.

إيصال صوت الحسين عليه السلام ورسالته

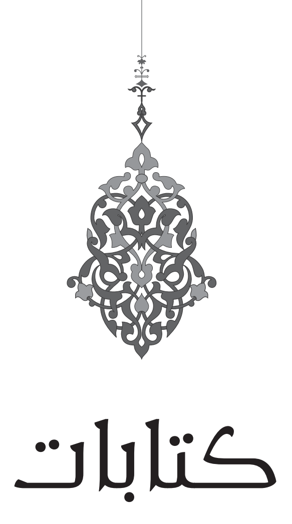
الحسين عليه السلام ليس إمام طائفة، وليس إمام مذهب، بل هو إمام الأمة، ونهضته وثورته المباركة للبشرية جمعاء. علينا ألا نحتكر هذه المناسبة، بل أن نسعى لإيصال صوت الحسين للآخرين، عبر كتب تتحدث عن الإمام الحسين عليه السلام، ومقالات ننشرها في الصحف، وعبر دعم البرامج الفضائية، وعبر اندماج وانفتاح الناس على هذه المناسبة.

ما عادت برامجنا أمراً نتستر عليه، بل هو مكشوف للجميع، فينبغي أن نفتح المجال أمام مشاركة الآخرين، وهنا أشيد بتجربة الأخوة والأخوات في (لجنة التواصل الوطني) الذين يسعون في كل عام لدعوة عدد من الشخصيات من مختلف أنحاء البلاد، يأتون للمنطقة، ويرون هذه البرامج، وعادة ما يخرجون بنظرات إيجابية، في ظل أجواء التعتيم والتشويه لهذا المجتمع.

علينا أن ندعم مثل هذا الجهد، وأن يكون مثل هذه اللجنة في كل منطقة تحيي ذكرى أبي عبدالله الحسين عليه السلام، مسؤوليتها جذب الآخرين واستقطابهم ليعيشوا معنا أجواء هذه المناسبة، حتى يشعروا بأهميتها، ويزيلوا اللبس الراسخ في أذهانهم حولها، وخاصة من ذوي الرأي والنخبة المؤثرة في محيطها ومجتمعها.

وأخيرًا:

كل واحد منا ينبغي أن يطالب نفسه بدور يحيي فيه ذكرى أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فينفق من ماله ووقته وجهده، لا يصح أن يكون الواحد منا مجرد ضيف شرف، ومستمع، فليطالب كل واحد نفسه بأن يصنع ويقدم خدمة للحسين عليه السلام، من خلال المآتم، والمواكب التي هي إطار لجذب القدرات الشابة، وينبغي الاستفادة منها في تنشئة هذا الجيل على حبّ الحسين عليه السلام وعلى تعاليمه. ينبغي أن نستفيد من هذا الموسم، وأن نخرج منه بفائدة تغير من واقعنا وأنفسنا.



كتابات



المرأة وبرامج التثقيف المجالس الحسينية نموذجًا[1]

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

إذا كانت الثقافة والوعي ضرورة لكل إنسان في مجتمعنا، فإنها بالنسبة للمرأة أكثر ضرورة وإلحاحًا، لماذا؟

أولًا: لأن حالة التخلف متركزة أكثر في الوسط النسائي من مجتمعاتنا بسبب النظرات السلبية الخاطئة تجاه المرأة ودورها، ولانعدام فرص الانفتاح والتحرك أمام النساء.

ثانيًا: إن هناك تخطيطًا وتوجهًا رهيبًا من قبل الأعداء يستهدف إفساد مجتمعاتنا وتمييعها من خلال المنطقة النسائية، وهذا واضح لمن يلاحظ برامج الشبكات التلفزيونية وخاصة قنوات البث العالمي المباشر بالأقمار الصناعية، وكذلك برامج الإذاعات، والسيل الهادر من المجلات والكتب التي تنشر الخلاعة والميوعة وتقوّض الأخلاق والقيم.

بالطبع إنهم يريدون إفساد المرأة كهدف ووسيلة، فهم يسعون لإفساد مجتمعاتنا والمرأة نصف المجتمع فهي مستهدفة بذاتها، كما أنهم يدركون أن إفساد المرأة يؤدي

(١) تأليف: عالية مكي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م (بيروت: دار الكلمة الطيبة).

إلى إفساد كل المجتمع وبالتالي فهي جسر ووسيلة لتنفيذ مخططهم الافسادي الخبيث.

تجاه هذا التحدي الخطير لا بدّ من تحصين المجتمع النسائي بالثقافة والوعي ولانتشال المرأة من أوحال الجهل والتخلف الذي يشاركها فيه الرجل مع تفاوت في النسبة غالبًا. وهذا يعني ضرورة وجود خطاب توعوي تثقيفي يعالج واقع المرأة ويساعدها على تجاوزه.

كما أن من الضروري بث روح اليقظة والحذر في الوسط النسائي تجاه مخططات الأعداء، ومزالق الانحراف، وذلك يستلزم وجود برامج في مستوى التحدي المعاش.

وإذا كنا لا نتوقع من وسائل الإعلام الرسمية أن تقوم بهذه المهمة بالشكل الكامل والمطلوب لأنها إما شريكة في المخطط المعادي أو قاصرة عن الاهتمام بهذه التوجهات في الغالب، فإننا يجب أن نهتم بالبرامج والوسائل المتاحة لمجتمعاتنا في التوجه والتثقيف.

ولعل أبرز وسائل التثقيف الممكنة شعبيًّا هي المنابر والمجالس الدينية التي ألفتها مجتمعاتنا في المناسبات والمواسم كشهر رمضان المبارك وأيام المحرم وسائر أيام الله حيث ذكريات أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

هذه البرامج الدينية لا تزال أزمّتها بيد الناس حيث تعقد وتدار وتمارس عن طريق الأهالي ودون أي تدخل رسمي فهي تمتلك الاستقلالية، كما أنها في الأصل وحينما دعا إليها الأئمة الأطهار عليهم السلام كانت تستهدف إحياء أمر الدين وإصلاح المجتمع.

وكما للرجال برنامجهم ومجالسهم الدينية في المناسبات فإن للنساء في مجتمعاتنا برنامجهم الموازي وحسينياتهم المستقلة.. لكن هذه البرامج ومع الأسف تأثرت بحالة التخلف العامة وما عادت تؤدي الدور المطلوب منها.

صحيح أنها تشدّ الناس عاطفيًّا لأهل البيت عليهم السلام وتؤكد محبتهم في

القلوب عبر ذكر سيرتهم والتفاعل مع مصائبهم لكنها تقتصر على ذلك دون أن تتجاوزه إلى تبيين القيم والأهداف التي عاش من أجلها أهل البيت عليهم السلام، ودون أن تلامس الواقع المعاصر للناس فتعطيهم الوعي بما يجري حولهم وتوجههم للموقف المطلوب على هدى تعاليم الدين.

وإذا كان ذلك ينطبق على المجالس الدينية للرجال والنساء غالبًا فإنها بالنسبة للمجالس الدينية النسائية أكثر تجليًا ووضوحًا.

والسؤال الآن: هل تستطيع المجالس الحسينية الدينية النسائية في مجتمعاتنا أن تلعب دورًا في التغيير والإصلاح؟

وكيف يمكنها أن تكون منبعًا ومصدرًا لما يحتاجه القطاع النسائي من ثقافة ووعي ضروريين؟

صفحات هذا الكتاب تحاول الإجابة عن هذه التساؤلات، ولعلها من أوائل الكتابات التي تسلط الأضواء على هذا الموضوع وهو موضوع مهم وجدير بالبحث.

نرجو أن تكون سطور هذه الصفحات باعثة للاهتمام بهذا الموضوع ومدعاة لكي تتوجه إليه أنظار المهتمين بإصلاح المجتمع.

كما نأمل تفاعل الأخوات المؤمنات القائمات على شؤون المجالس الدينية مع المقترحات الإصلاحية والتطويرية لهذه المجالس.

ومما يعطي لهذا الكتاب قيمته الخاصة كونه إنتاجًا لإحدى المؤمنات الرساليات، وهي قد عايشت واقع المرأة الاجتماعي، وتأملت أوضاعها، وبادرت للتحرك والنشاط باتجاه تكوين نهضة نسائية واعية في المجتمع وتحملت من أجل ذلك مختلف صنوف المشاكل والمحن، لكنها لا تزال صامدة تواصل العمل في سبيل الله والسعي لخدمة المجتمع.

شكر الله سعي الكاتبة الفاضلة وتقبل منها جهدها وعملها.

ووفق الله سائر أخواتنا المؤمنات للقيام بمبادرات رسالية مماثلة. ونرجو أن يجد الكتاب صداه ويترك تأثيره النافع.

رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

١٥ رمضان ١٤١٢هـ

تعليم الصلاة [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

نحن نتمتع بنعمة الوجود في هذه الحياة، ونعيش مباهجها ولذاتها، ونرفل بالخيرات التي تغمرنا فيها، ولا يستطيع أحد منا أن يدّعي أنه أوجد نفسه في هذه الحياة، أو أنه هو الذي يمنح نفسه النعم فيها، فهناك خالق منعم أوجدنا من العدم، وأفاض علينا كل النعم، وهو الله سبحانه وتعالى.

وبذلك يستحق منا الشكر، ويجب علينا الخضوع له وعبادته.

كما أننا بحاجة لدوام التواصل معه تعالى، لحاجتنا الدائمة الشاملة له في جميع جوانب حياتنا، وإليه مصيرنا بعد الحياة.

لذلك شرّع الله تعالى (الصلاة) وهي بمثابة تحيّة شكر نؤديها لربنا وخالقنا والمنعم علينا ومن بيده أمورنا.

و(الصلاة) فرصة تواصل مع الله تعالى، حيث نتجه إليه بقلوبنا، ونكبّره ونحمده ونسبّحه ونستغفره ونذكره بألسنتنا، ونجسّد الطاعة والخضوع له عبر ركوعنا وسجودنا.

إن (الصلاة) تمثل وقفة تأمل في محطات قطار الزمن اليومي، عند انبثاق الصباح ووسط النهار وبداية الليل.

---

(١) صدر عن حسينية الزهراء بسنابس في ١ رمضان ١٤٣٠هـ.

إنها بضع دقائق يقتطعها الإنسان من وقته، خارج سيطرة الاهتمامات المادية الضاغطة، ليتزود بالوقود الروحي الإيماني، وليستحضر في نفسه القيم والمبادئ العليا، فلا ينساها في غمرة انشغالات الحياة.

وهيئة (الصلاة) إعداد إلهي، فقد أراد الله تعالى أن نعبده بهذه الطريقة، والتي ترمز كل حركة من حركاتها، إلى جانب من جوانب العبودية، كما تؤكد مختلف الأذكار فيها حالة الارتباط مع الله تعالى والإقرار بوحدانيته وعظمته.

إن تعلم أحكام الصلاة وطريقة أدائها، وهي سهلة يسيرة، من أول الواجبات على كل مسلم عند بلوغه سنّ التكليف والالتزام.

وهذه الصفحات عرض ميسّر، لكيفية الصلاة، مع صورة توضيحية، بما يشمل الواجبات والمستحبات، جزى الله من أعدها خير الجزاء.

حسن الصفار

القطيف

٣٠ صفر ١٤٣٠هـ

٢٥ فبراير ٢٠٠٩م

7

تصريح الشيخ الصفار لقناة LBC حول أحداث البقيع

ما حدث في البقيع في المدينة المنورة خلال الأيام الماضية يكشف عن خلل عميق في العلاقة بين أبناء المذاهب والطوائف في المملكة، وعن ضعف الإرادة السياسية وتقصيرها في معالجة هذا الخلل، مما يفتح الباب أمام ظهور مثل هذه التشنجات الطائفية وتطورها إلى الأسوأ لا سمح الله.

فهناك شعور بالغبن في أوساط المواطنين الشيعة، حيث أظهرت القرارات والتعيينات الجديدة تجاهلهم كشريحة لم تحظ بنصيب من المشاركة السياسية.

وهناك تعبئة مستمرة في الوسط الديني السلفي ضد الشيعة، تقابلها بعض ردود الفعل من التعبئة في الوسط الشيعي.

إن ما حدث هو مؤشر خطير يجب أن تقف عنده الدولة والعقلاء من الطرفين السنة والشيعة، حتى لا تنزلق الأمور إلى ما يضر مصلحة البلاد، ويضعف الوحدة الوطنية.

وذلك يقتضي تفعيل توصيات الحوار الأول والثاني بالاعتراف بالتعددية المذهبية والفكرية، وعدم استثناء الشيعة من المشاركة السياسية والدينية.

من جانب آخر لا بدّ من تجريم أساليب التعبئة الطائفية واحترام الخصوصيات المذهبية، وتحقيق الاندماج الوطني.

حسن الصفار

٣٠ صفر ١٤٣٠هـ



العملات المتداولة في القطيف والأحساء[1]

لا يستغني مجتمع يتوثب للنهوض عن دراسة تاريخه، للمساعدة في اكتشاف الذات، ولتعزيز الثقة بالنفس، ومعرفة خلفيات الواقع الحاضر، والاستفادة من التجارب والعبر.

وفي الحراك من أجل النهضة تكون دراسة التاريخ مظهراً من مظاهر الحيوية والنشاط.

بينما تكون دراسة التاريخ لمجرد التغني بأمجاد الماضي، لون من ألوان الترف، وإفراز لواقع التخلف.

وأرى في أفق مجتمعنا في القطيف والأحساء ملامح نهضة واعدة، لصناعة حاضر متقدم، واستشراف مستقبل زاهر، حيث الإقبال على الثقافة والمعرفة، والاهتمام بالشأن الاجتماعي، والعطاء في ميدان السعي والعمل.

وضمن هذا الأفق المشرق يأتي اهتمام نخبة من أبناء المجتمع بالتراث وتاريخ المنطقة، حيث تأسست بعض المؤسسات الثقافية المهتمة بتحقيق تراث المنطقة ونشره، كانت في طليعتها (مؤسسة البقيع لإحياء التراث) التي وفقنا الله تعالى لتأسيسها

---

(١) نزار بن حسن آل عبدالجبار. العملات المتداولة في القطيف والأحساء.. (من القرن العاشر إلى العهد السعودي... دراسة وثائقية)، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، منشورات الواحة)، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

سنة (١٤٠٧هـ) بهمة وتعاون عدد من الإخوة الأعزاء، ثم انطلقت مجلة (الواحة) قبل خمسة عشر عاماً، وهي مجلة فصلية تعنى بشؤون التراث والثقافة والأدب في الخليج العربي، لتكون محوراً ومنبراً رائداً على هذا الصعيد.

وقد سبق هذه الأعمال المؤسساتية جهود كبيرة لشخصيات اهتمت بالكتابة عن تاريخ المنطقة وتراثها، كالشيخ علي البلادي (١٢٧٤هـ ـ ١٣٤٠هـ) مؤلف (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين)، والأستاذ محمد سعيد المسلم(١٣٤١هـ ـ ١٤١٤هـ) مؤلف كتابي (ساحل الذهب الأسود) و(واحة على ضفاف الخليج)، والشيخ فرج العمران (١٣٢١هـ ـ ١٣٩٨هـ) في مذكراته المفصّلة (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية).

وبين يدي القارئ الكريم دراسة وثائقية رائعة تتناول زاوية مهمة من زوايا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة، حيث عرضت لـ(العملات المتداولة في القطيف والأحساء ـ من القرن العاشر إلى العهد السعودي).

وكان الاعتماد الرئيس في هذه الدراسة على الوثائق التي هي من أهم مصادر البحث وأدقها، حيث بذل المؤلف الباحث الأستاذ نزار بن حسن العبدالجبار، جهوداً مضنية في البحث عن هذه الوثائق، ومتابعتها، واستنتاج المعلومات والدلالات منها، فقد اطّلع على مئات الوثائق من وصايا ووقفيات ومبايعات وهبات ومصالحات.

وأودع الدراسة صوراً عن عدد من تلك الوثائق، ولم تكن تلك الوثائق مجموعة في مكان واحد، أو لدى جهة معيّنة، حتى يسهل الوصول إليها والاطلاع عليها، وإنما هي في حيازة أشخاص متفرقين من مختلف أنحاء المنطقة، لذا كان البحث عنها والاطلاع عليها، يستلزم جهداً شاقاً، قام به الباحث الكريم خدمة منه للمعرفة والتاريخ، ووفاءً للمجتمع وللوطن.

فجاءت هذه الدراسة الرائعة بحمد الله لتملأ فراغاً في مجال موضوعها، ولتشكّل إضافة نوعية لبحوث تاريخ المنطقة، وهي تكشف عن سعة اطلاع المؤلف الكريم،

وخبرته المتراكمة، وقدرته البحثية الواعدة.

وإني إذ أبارك للأخ نزار باكورة إنتاجه في التأليف، لأرجو الله تعالى له المزيد من التوفيق في العطاء المعرفي، وفي خدمة المجتمع والوطن، حياه الله إبناً باراً لمجتمعه، وفيّاً لوطنه، وكثّر الله أمثاله.

والحمد لله ربّ العالمين

حسن الصفار

القطيف

٣ ربيع الأول ١٤٣٠هـ

٢٨ فبراير ٢٠٠٩م



العبادة عند المخلوقات[1]

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وجماله، والصلاة والسلام على النبي محمد وآله، وبعد:

ميّز الله تعالى الإنسان في الكون بموقعية السّيادة والخلافة، حيث سخر الله له ما في السماوات والأرض، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[سورة لقمان، الآية:٢٠]، وذلك يتطلب أن يتعرف الإنسان ما في الكون من كائنات ومخلوقات، وكنوز وثروات، ليتمكن من الاستفادة منها واستثمارها.

وقد منحه الله تعالى قدرة إدراك هائلة، هي العقل، الذي يتعرف الإنسان به الأشياء ويفكر في طرق تسخيرها والاستفادة منها.

ولأنّ الإنسان قد يغفل عن التوجّه لمعرفة ما حوله في محيط الكون، توالى الخطاب الإلهي لإلفات نظره للاهتمام لمعرفة ما حوله من عوالم الكائنات.

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٨٥].

ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[سورة الغاشية، الآيات ١٧-٢٠].

---

(١) علي بن إبراهيم الدرورة. العبادة عند المخلوقات.

إن اهتمام الإنسان بالتعرّف إلى أشقائه في الوجود من سائر المخلوقات يحقق له ما يلي:

أولًا: إدراك جوانب عظمة الخالق جلّ وعلا، ففي كل زاوية من زوايا الكون، وكل مظهر من مظاهر الوجود، وكل نوع من أنواع الكائنات، تتجلي آيات قدرة الخالق، ودلائل عظمته، وروعة إبداعه.

وبمقدار علم الإنسان ومعرفته بما في الكون تكون درجة إيمانه وخشيته لله تعالى، كما يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّـهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر، الآيتان ٢٧-٢٨].

ثانيًا: معرفة إمكانات الاستفادة والتسخير، فقد سخر الله تعالى ما في الحياة لخدمة الإنسان، لكنه بحاجة لاكتشاف كنوز الحياة وخيرات الكون، وتعرّف أسرار الموجودات ليستفيد منها في إعمار الأرض وتطوير الحياة.

إن توجه العلماء إلى معرفة أنظمة الكون وقوانين الحياة، وسعيهم لاكتشاف المجهول منها، هو الذي أنجز للبشرية هذا المستوي من التقدم، ولا تزال البشرية في بداية الطريق، وأمامها مشوار طويل من العلم والمعرفة، وآفاق هائلة من التطور والتقدم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة الإسراء، الآية: ٨٥].

وهو خطاب متجدد للبشرية، فما وصل إليه الجيل الحاضر من العلم قليل أيضًا قياسًا إلى سعة علم الله وعظمة وجوده.

لكل ذلك جاءت الأوامر الإلهية بالتأكيد على التفكر في مخلوقات الله، والتأمل في مشاهد الخلق والوجود، وحين استجاب المسلمون الأوائل لهذا التوجيه الإلهي، صنعوا حضارة رائدة في العلم والتقدم، لكنهم ومع الأسف الشديد أعرضوا فيما بعد عن هذا الاهتمام بالعلوم الكونية الطبيعية، وانشغلوا بالجدل الكلامي، والنزاع الفقهي، والصراع حول أحداث التاريخ، فكانت النتيجة هذا التخلف الفظيع الذي

تعيشه الأمة الإسلامية، على مختلف الصّعد، مما جعلها عالة على الأمم الأخرى، وسوقًا مستهلكة لما ينتجه الآخرون.

وبين يدي القارئ الكريم كتاب يلفت نظره إلى جانب مهم من جوانب حياة أمم أخرى من الكائنات والمخلوقات، هو جانب خضوعها للخالق البارئ جلّ وعلا، وعمق انقيادها لإرادته، وتجليات ومشاهد تسبيحها بعظمته.

وقد بذل المؤلف الكريم فيه جهدًا كبيرًا لجمع الروايات الواردة في التراث الإسلامي عن مظاهر عبادة سائر المخلوقات لله سبحانه وتعالى، وتسبيحها بعظمته، ونطقها من خلال وجودها بإبداعه جلّ وعلا، وإن كان الجانب التفصيلي في كل واحدة من تلك الروايات يحتاج إلى بحث من حيث السند ودلالة المتن.

واستشهد المؤلف ببعض التقارير العلمية وملاحظات العلماء المتخصصين لتعزيز مفاد تلك النصوص والروايات.

وإني أقدر للمؤلف الكريم الأستاذ علي بن إبراهيم الدرورة اهتمامه المعرفي، وعشقه الثقافي، وحرصه على العطاء والإنتاج، حيث صدر له عدد من الكتب والأبحاث التاريخية والأدبية والثقافية، إنه أنموذج للمثقف الجادّ الذي ينظم حياته، ويستفيد من وقته، ويسعى لخدمة دينه ومجتمعه.

فحيّاه الله، وبارك في جهوده، ووفقه للمزيد من العطاء والتقدم، وكثر في أبناء المجتمع أمثاله.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار
القطيف
١١ رمضان ١٤٣٠هـ
١ سبتمبر ٢٠٠٩م



٧

الشيخ الصفار ينعى المرجع الديني المنتظري[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾



أتقدم بأحر التعازي للمراجع الدينية والحوزات العلمية ولجميع المؤمنين وخاصة أبناء الشعب الإيراني لوفاة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ حسينعلي المنتظري رضوان الله تعالى عليه.

فقد كان يمثل قيمة علمية كبيرة لا ينكرها أحـد، كما كان من أبرز العلماء المجاهدين في حركة الثورة الإسلامية في إيران، حيث قضى سنيناً طويلة من حياته في السجون والمعتقلات والتبعيد، وعانى صنوف التعذيب والتنكيل من النظام الشاهنشاهي البائد.

وكان أهم سند وعضد للإمام الخميني الراحل (قدس سره) في إقامة الجمهورية الإسلامية وإرساء أركانها.

---

(١) نشر بتاريخ ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٩م. www.saffar.org

أسأل الله تعالى له الرحمة والرضوان وأتوجه إلى أبنائه الفضلاء وأسرته الكريمة بخالص العزاء والمواساة ألهمهم الله الصبر والسلوان و﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾.

حسن الصفار

الأحد ٣ محرم الحرام ١٤٣١هـ

الحسين في وجدان الأمة[1]

الحسين نهر متدفق من العطاء، ترتوي منه كل الأجيال. وعاشوراء مدرسة للإباء والصمود، يرتادها عشاق الحرية والعدل في كل زمان. إن الاحتفاء بذكرى استشهاد الإمام الحسين يوفر للأمة أعظم الفرص، لتجديد العهد بقيم رسالتها المجيدة، ولتأكيد هويتها الأصيلة في نفوس أبنائها الناشئين.

من هنا يتحمل خطاب عاشوراء مسؤولية كبيرة في تفعيل رسالة هذه المناسبة. إن ذكرى سيرة الإمام الحسين، ووقائع أحداث كربلاء، يجب أن يكون إطارًا لمضمون الأهداف الحسينية، التي هي إصلاح الأمة، والأمر بكل معروف يخدم رقيها، والنهي عن كل منكر يعرقل مسيرتها. كما قال عليه السلام: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

وحينما نقرأ التاريخ نجد أن بني أمية كانوا يريدون التعتيم على هذه الحادثة، لينسى الناس ما حصل لأهل البيت عليهم السلام في كربلاء، ومن أجل ذلك كانوا يعلنون ذلك اليوم عيدًا ويوم فرح وسرور، وهذا ما نجد الإشارة إليه في إحدى فقرات الزيارة الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام، حيث يقول فيها: «.. اللهم إن هذا يوم تبركت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد».

وورد في كتب التاريخ ـ كما ينقل ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية ـ «فأما بنو

---

(١) جريدة الدار الكويتية. الأربعاء، ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٩م.

أمية، فقد لبسوا فيه ما تجدد، وتزينوا، واكتحلوا، وعيّدوا وأقاموا الولائم والضيافات، اطعموا الحلاوات والطيبات، وجرى الرسم في العامة على ذلك أيام ملكهم، وبقي فيهم بعد زواله عنهم».

ورووا في ذلك أحاديث وروايات موضوعة ومجعولة، كما يشير ابن تيمية فيقول: «.. وإظهار الفرح والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه، هو من البدع المحدثة، المقابلة للرافضة»، واضاف ابن تيمية «.. وقد وضعت في ذلك أحاديث مكذوبة في فضائل ما يصنع فيه، من الاغتسال والاكتحال إلخ..» وقال: «.. وأحدث فيه بعض الناس أشياء، مستندة إلى أحاديث موضوعة لا أصل لها، مثل: فضل الاغتسال فيه، أو التكحل، أو المصافحة».

يشير بعض علماء اللغة إلى أن مصطلح «عاشوراء» مصطلح إسلامي لم يكن في الجاهلية. هذا ما أكده ابن دريد في الجمهرة: عاشوراء يوم سمي في الإسلام ولم يعرف في الجاهلية.

ويقصد به اليوم العاشر من المحرم، ولا يطلق على أي يوم عاشر من أي شهر غير المحرم.

وهناك من يرى أنه ـ كمصطلح ـ كان متداولًا قبل الاسلام، ويروون في ذلك بعض الروايات في صحيحي البخاري ومسلم فقد جاء فيهما واللفظ للبخاري ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: قدم النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء. فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني اسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال: «فأنا أحق بموسى منكم». فصامه وأمر بصيامه. وفي مسلم «نحن أحق بموسى منكم فأمر بصيامه».

ماذا تمثل عاشوراء في ضمير المسلمين؟

عاشوراء كواقعة من أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية تمثل لنا

أمرين مهمين، هما:

١. عظمة الموقف المبدئي الذي وقفه سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، إذ كانوا قلة قليلة، ولكنهم ضربوا أروع الأمثلة في الصمود والثبات، والالتزام بالقيم، والدفاع عن المبادئ، والاعتراض على الظلم والفساد والانحراف. ونحن حينما نتذكر عاشوراء إنما نتذكر هذه المواقف العظيمة السامية الرائعة.

١. بشاعة الظلم الذي وقع على أهل البيت عليهم السلام وانتهاك حرمات الله في ذلك اليوم.

فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن رجلًا عاديًا، وإنما له شخصيته ومكانته وموقعيته التي لا يجهلها أحد من المسلمين. كما أنه لم يمضِ وقت طويل على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي كان المسلمون يسمعون منه ويرون مواقفه التي يعبر فيها عن حبه للحسين وانشداده له.

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله على مرأى من الصحابة ومسمع منهم: «إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا»، وفي صحيح البخاري في باب مناقب المهاجرين وفضلهم عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا».

وفي موضع آخر سمعوا قوله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما».



في تأبين الأستاذ حسن عبدالله العثمان[1]

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين

تلقيت ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة الأخ الفاضل والصديق العزيز الأستاذ حسن بن عبدالله العثمان في حادث مؤسف، وإني إذ أتقدم لأسرته الكريمة وخاصة والدته وزوجته المحترمتين، وإخوته وأبنائه الأعزاء، كما أعزي أهالي التويثير والعمران الكرام بفقد هذا المعلم المربي، والمؤمن الصالح المصلح، تغمده الله تعالى بواسع رحمته وحشره مع النبي وآله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وربط على قلوب ذويه ومحبيه بالصبر والسلوان.

إنني أهيب بأبناء المجتمع وخاصة من يعملون في سلك التعليم، بأن يقتدوا بنهج الفقيد الراحل، وأن يتحملوا مسؤوليتهم الخطيرة في تربية وتوجيه الجيل الناشئ، فمعظم المعلمين والمعلمات في مدارس المنطقة هم من أبنائها وبناتها، وعليهم ألا يتعاطوا مع التعليم كوظيفة ومصدر رزق فقط، بل هي مهمة عظيمة، ومسؤولية دينية واجتماعية كبيرة؛ لأنها تُعنى بصناعة مستقبل المجتمع وإعداد أجياله الصاعدة.

إن على كل معلم ومعلمة:

---

(١) حسن بن عبد الله العثمان (من مواليد ١٣٨٧هـ) وهو ناشط اجتماعي من قرية التويثير بالاحساء، توفي في حادث مأساوي غامض باحتراق سيارته بعد خروجه من أداء صلاة الفجر في المسجد، يوم الأربعاء ١٣ محرم ١٤٣١هـ.

أولاً: الإخلاص في أداء مهمة التعليم على خير وجه، ليستوعب الطلاب والطالبات مناهج الدراسة بإتقان يهيئهم للنجاح والتفوق.

ثانياً: على المعلمين والمعلمات أن يكونوا قدوات لطلابهم وطالباتهم، في مجال الالتزام الديني، وحسن الخلق، وكسب الثقافة والمعرفة، والمشاركة في خدمة المجتمع.

ثالثاً: تكثيف التوجيه التربوي والأخلاقي بما يحصن أبناءنا وبناتنا من تأثير الأجواء الفاسدة والتوجهات المنحرفة.

وقد كان الفقيد الراحل مثالاً وقدوة على هذا الصعيد، فلنواصل مسيرته التربوية، ونهجه الإيماني الإصلاحي، حتى يحشرنا الله معه في زمرة محمد وآل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

وأعتذر إليكم أخيراً عن عدم مشاركتي بالحضور معكم لالتزامي ببرنامج آخر هذه الليلة، فالفقيد عزيز على قلبي، كما هو عزيز على قلوبكم جميعاً، ولكن ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ لله﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسن بن موسى الصفار

القطيف

٢١ محرم ١٤٣١هـ

٧ يناير ٢٠١٠م

٧

الشيخ الصفار ينعى العلامة الشيخ علي المرهون[1]



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾

أنعى إلى الأوساط العلمية وإلى جميع المؤمنين وأبناء القطيف خاصة وفاة العالم الرباني الورع التقي العلامة الحجة الشيخ علي الشيخ منصور المرهون، تغمده الله بواسع رحمته، والذي ودّع هذه الدنيا الفانية عصر هذا اليوم الأربعاء ٢٧ محرم الحرام ١٤٣١هـ، بعد عمر مديد قضاه في خدمة العلم والدين، وكان مثالاً حقيقياً وأنموذجاً صادقاً، لعالم الدين الواعظ المربي بسيرته وسلوكه قبل كلامه وحديثه.

أسأل الله تعالى له رفيع الدرجات وعالي المقام في جنات الخلد بجوار رسول الله وآله الأطهار، وأتقدم إلى أبنائه الكرام وإخوته الفضلاء وجميع أفراد أسرته الكريمة، وإلى مراجع الدين العظام، والأوساط العلمية بأحر التعازي و﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾.

حسن الصفار

٢٧ محرم ١٤٣١هـ

---

(١) نشر بتاريخ١٣ يناير ٢٠١٠م. www.saffar.org



٧

درس من العراق في وأد الفتنة[1]

حين يندلع حريق في مكان تتكدس فيه مواد قابلة للاشتعال، وتهرع فرق الإطفاء مسرعة لمحاصرته وإخماده، وتتم السيطرة على الحريق بأقل قدر من الخسائر، فإن ذلك يخلق شعوراً بالارتياح، ليس رضًا باندلاع الحريق، فذلك ما لا يتمناه عاقل، لكن مبرر الشعور بالارتياح، هو النجاح في السيطرة على الحريق ومنعه من الانتشار وتقليل خسائره، والاستفادة من تلك التجربة الناجحة في الوقاية والعلاج لما قد يحصل مستقبلاً.

وهذا ما شعرت به حين تابعت تداعيات الكلام السيئ للنائب العراقي بهاء الأعرجي تجاه الخليفة أبي بكر.

فهو كلام مرفوض مدان، في مضمونه وتوقيته، ومن الطبيعي أن يثير حالة امتعاض واحتجاج، خاصة في الساحة العراقية، المثخنة بالجراح الطائفية، والمكشوفة أمام الإرادات الدولية والإقليمية.

كان يمكن لتلك العبارة السيئة أن تكون فتيل إشعال فتنة كبيرة، وأن تتحول إلى حريق هائل، تطال شرره مختلف الأنحاء، خاصة مع وجود متطوعين كثر، يحترفون دور صب الزيت على نيران الفتن.

لكن الله سلّم، وتمت محاصرة الفتنة ووأدها في زمن قياسي، حيث بادرت

(١) نشر في جريدة الرياض بتاريخ الأربعاء ١٧ ربيع الأول ١٤٣١هـ - ٣ مارس ٢٠١٠م - العدد ١٥٢٢٧.

الجهات الرسمية في العراق لاتخاذ موقف حاسم واضح، من خلال مجلس الوزراء العراقي.

والذي دان تلك التصريحات في بيان رسمي واعتبر أنها «تتعارض مع الإرادة السياسية والشعبية في تعزيز الوحدة الوطنية والالتزام بالدستور واحترام عقائد المسلمين وجميع الأديان والمذاهب» وأضاف البيان: «إن هذه التصريحات تشكل خرقاً للمادة السابعة من الدستور التي تحظر مثل هذه التصريحات وتعرّض من يروج لها بالحرمان من المشاركة السياسية».

كما تراجع النائب الأعرجي في اليوم التالي مباشرة عن تصريحاته وهذا هو الشيء المهم، حيث أدرك خطأه وما أصرّ عليه، بل سارع إلى تبرئة نفسه من قصد الإساءة للخليفة أبي بكر، ولأي من صحابة رسول الله ﷺ.

وقال حسبما نقلت عنه جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٣ ربيع الأول ١٤٣١هـ ١٧فبراير ٢٠١٠م:

« أنا وجميع أبناء الخط الصدري بوصفنا مسلمين لا نسمح بالتطاول على شخصية إسلامية كخليفة الرسول الأعظم » وأضاف: «أنا لم أتجرأ ولم أتكلم بأي صيغة تسيء إلى سيدنا أبي بكر، وإذا سمحوا هم بذلك فأنا لن أسمح لنفسي به».

ونشرت عنه وكالة أصوات العراق بتاريخ ١٦ فبراير٢٠١٠م قوله: « لم أتعرض لشخص الصحابي أبي بكر الصديق؛ لأني أنتمي إلى الخط الصدري الإسلامي الذي يحترم كل صحابة الرسول الأعظم، ولا يستطيع أحد من أبناء هذا التيار المساس بشخصية الصحابي أبي بكر الصديق أو أي من الصحابة ».

وقال الأعرجي في اتصال مع الجزيرة نت كما جاء على موقعها بتاريخ ١٧ فبراير ٢٠١٠م: «أنه قدّم طلباً لهيئة المساءلة والعدالة للتدقيق في أقواله، واتخاذ الإجراءات القانونية ضده إذا ثبتت صحة الاتهامات الموجهة إليه» وقال: «إنه ينتمي إلى أبناء التيار

الصدري الذين قاتلوا مع أبناء الفلوجة ضد الاحتلال الأمريكي ولا يمكن أن يسمح لنفسه بالإساءة إلى صحابي جليل مثل الخليفة أبي بكر الصديق ﵁».

وقد قمت شخصياً بالاتصال بمكاتب بعض المراجع والجهات الدينية في العراق، طالباً منهم اتخاذ الموقف اللازم والإجراءات المطلوبة لوأد الفتنة، فأكدوا لي متابعتهم للموضوع وتحركهم لتطويقه.

ولا شك أن مسارعة الشخص نفسه للتراجع، والتبرؤ من الإساءة، ثم وصفه للخليفة أبي بكر بعبارات لائقة جميلة، كانت موقفاً إيجابياً مساعداً على تهدئة النفوس، ونزع فتيل الفتنة. كما أن إدانة الجهات الرسمية أزالت أي شعور بالتواطؤ والانحياز، ووضعت القضية في حجمها كتصرف فردي يتحمل الشخص تبعة كلامه، ولم يدافع عن خطئه أو يسانده أحد من طائفته لتأخذ القضية منحى الاصطفاف الطائفي.

بيد أن بعض الجهات لا زالت تثير موضوع هذه التصريحات السيئة لإدامة تفعيل آثارها السلبية في الساحة، وتطالب القيادات الشيعية بإدانتها، وهو مطلب محق لو لم يتراجع الرجل عن تصريحاته، ولو لم تتخذ الجهات الرسمية في العراق الموقف المطلوب تجاهه، أما بعد وأد الفتنة في مهدها فقد كفى الله المؤمنين القتال.

إن ما حدث يشكِّل درساً يجب الاستفادة منه لوأد أي فتنة طائفية، فأولاً: لا بدّ من رفع الغطاء السياسي عن أي مثير للفتنة بإدانته وتجريمه. وثانياً: أن يتحرك الواعون من الجهة التي ينتمي إليها لنصح من يصدر منه قول أو موقف مثير للفتنة حتى يتراجع عن ذلك. فالرجوع عن الخطأ فضيلة. ثالثاً: الحذر من الوقوع في فخ الاصطفاف الفئوي بالدفاع عن الخطأ. ليبقى في دائرته الضيقة.

وستبقى ساحتنا الإسلامية معرضة لمثل هذه الحوادث السيئة؛ لأن في تاريخ المسلمين وتراثهم المذهبي سنة وشيعة ما يغذي مثل هذه التوجهات الطائفية، وما يشجع على التشدد والتطرف المذهبي.

كما أن هناك جهات خارجية وداخلية مغرضة تعمل على إشغال المسلمين بالصراعات والخلافات خدمة لمصالحها وأجندتها السياسية.

إن ذلك يجب أن يدفعنا على الصعيد الوطني، وعلى مستوى الأمة، لبذل جهد في الوقاية والتحصين، بتفعيل مبدأ المساواة وحاكمية القانون، وتجريم أي إساءة أو إثارة للنعرات والعصبيات، ونشر ثقافة الحوار والتسامح.

وعلينا أن لا نحمّل أي طائفة أو جماعة وزر التصرفات الفردية، وخاصة من الأفراد الذين لا يمثلون موقعاً ولا ينتمون إلى جهة مسؤولة.

وأشير هنا إلى أن بعض المواقع تتداول تصريحات سيئة بذيئة للسيد مجتبى الشيرازي تحت عنوان أنه مرجع شيعي إيراني، وهي تصريحات لا تستحق الوقوف عندها ولا الردّ عليها لفرط بذاءتها وقبحها. ولكن ما ينبغي التنبيه إليه هو العنوان التضليلي الذي تعطيه هذه الجهات للمتحدث، فهو ليس مرجعاً ولا يدّعي المرجعية، وهو هارب من إيران، ولاجئ مقيم في بريطانيا، ويكفّر حتى مراجع وعلماء الشيعة، كالخوئي والخميني والخامنئي والمنتظري وبهجت وغيرهم، وتصريحاته حولهم قاسية بذيئة وهي موجودة على الإنترنت.

إنه لا يمثّل إلا نفسه، ولا موقعية ولا تأثير له على الساحة الشيعية، لكن بعض الجهات المغرضة تتعمد التضليل لإثارة الفتنة.

٧

الشيخ الصفار ينعى الشيخ عبدالكريم الحمود[1]



﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾

يمثل الأديب الخطيب الراحل الشيخ عبد الكريم محمد حسين الحمود رحمه الله (١٣٤٤ ـ ١٤٣١هـ) قيمة أدبية واجتماعية كبيرة على المستوى الوطني، فهو من أوائل الخطباء المجدّدين في المنطقة، وهو أديب بارع له حضوره في المناسبات الاجتماعية والوطنية حتى أطلق عليه خادم الحرمين الشريفين لقب شاعر الخليج.

كما أنه من أوائل المهتمين في الساحة الدينية المحلية بالشأن السياسي الوطني، وهاجر إلى لبنان بضع سنوات ضمن هذا السياق، ثم عاد إلى الوطن ليوظّف خبرته ووعيه السياسي في خدمة مصالح المواطنين، عبر التواصل مع القيادة السياسية وعلى أعلى المستويات.

كان رحمه الله واسع المعرفة والثقافة، قويّ الشخصية، جريئاً في طرح آرائه، مهتماً

---

(١) نشر بتاريخ ٧ أبريل ٢٠١٠م www.saffar.org.

بالانفتاح على الآخرين، بارعاً في صنع العلاقات الإيجابية مع جهات القرار والتأثير.

إن فقده خسارة وطنية، نسأل الله تعالى ان يتغمده بواسع رحمته، وأن يعظم الأجر لذويه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حسن الصفار

٢٢ ربيع الآخر ١٤٣١هـ

٧ أبريل ٢٠١٠م

٧

الشيخ الصفار مؤبنا السيد فضل الله: لقد فقدنا مرجعًا رائدًا وفقيهًا مجددًا[1]



بمناسبة وفاة العلامة المرجع آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله أصدر سماحة الشيخ حسن الصفار البيان التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حياة حافلة بالجهاد والعمل في سبيل الله، زاخرة بالعطاء في ميادين العلم والمعرفة، مشرقة بمواقف التضحية والصمود في الدفاع عن مبادئ الإسلام وقضايا الأمة. انتقل اليوم إلى رحمة الله تعالى العلامة المرجع آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله رضوان الله تعالى عليه.

لقد سطر الفقيد الراحل بمواقفه العلمية والجهادية، صفحة من أروع صفحات العلم والجهاد في هذا العصر، حيث لم تأخذه في الله لومة لائم، ولم يأبه لمختلف الضغوط التي انهالت عليه، ومحاولات الاغتيال التي استهدفت شخصه وشخصيته.

---

(١) نشر بتاريخ ٤ يوليو ٢٠١٠م www.saffar.org.

إن نتاجه الفكري الغزير، وآراءه العلمية التجديدية، ومواقفه السياسية الواضحة، ومؤسساته الاجتماعية الشامخة، ودعمه الدائم الثابت للمقاومة الإسلامية، هي أصدق برهان على نفاذ بصيرته، وصدق إخلاصه، وقوة إيمانه.

حقاً لقد فقدنا به مرجعاً رائداً، وفقيهاً مجدداً، وعالماً مصلحاً، ومربياً عظيماً، تخرجت على يديه أجيال من المؤمنين العاملين، والرساليين المجاهدين.

نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يُعلي في الجنة مقامه، وأن يخلف على الأمة بأحسن الخلف، وأن يُلهم ذويه وخاصة أنجاله الكرام الصبر والسلوان، ويعظم لهم الأجر، ويجزل لهم المثوبة.

كما نرفع التعازي لمقام المراجع العظام والعلماء الأفاضل وجميع المؤمنين والمسلمين.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حسن بن موسى الصفار

الأحد: ٢٢ رجب ١٤٣١هـ

الموافق: ٤ يوليو ٢٠١٠م

تقديم لكتاب

الشفرة الزوجية[1]

حين يتحدث الخالق جلَّ وعلا في سورة الروم من القرآن الكريم، عن آيات عظمته ودلائل قدرته، فإنه يبدؤها بالحديث عن خلق الإنسان من تراب، واستوائه بشرًا يملأ الحياة حركةً ونشاطًا، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾.

ثم يثني تعالى بالحديث عن الأبعاد العميقة والمعاني العظيمة في العلاقات الزوجية كمظهرٍ وتجلٍّ للقدرة الإلهية والحكمة الربانية. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

بعدها يستعرض الخالق سائر آيات عظمته كخلق السماوات والأرض، واختلاف اللغات والأعراق بين بني البشر، وظاهرتي النوم واليقظة في حياة الإنسان، وثبات النظام الكوني بمشيئته تعالى، وصولًا إلى دعوته الخلق للبعث والنشور.

إن ما يلفت النظر في هذا العرض والسرد لآيات الله تعالى، تبوأ العلاقات الزوجية للرتبة الثانية في الذكر بعد الحديث عن آية خلق البشر، وقبل الحديث عن خلق السماوات والأرض وسائر ظواهر الكون والحياة.

مما يشير إلى أن هذه العلاقة الزوجية تختزن أسرارًا عظيمة ومعانيَ كبيرة، تتجلى بها قدرة الخالق جلّ وعلا، بما لا يقل عن مظاهر القدرة في خلق السماوات والأرض،

---

(١) تركي العجيان. الشفرة الزوجية. الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م مطابع شركة البيان العربي المحدودة - القطيف.

وظواهر الوجود الأخرى.

وحين تختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فهو توجيه ودعوة لإعمال الفكر والنظر في مكنون العلاقة الزوجية، وما تختزنه من حقائق وأسرار.

وكان يجب أن تدفع هذه الآية الكريمة أجيال العلماء والمفكرين لإجراء الأبحاث والدراسات حول عمق العلاقات الزوجية، ودقة أسرارها، من أجل معرفة مسارات هذه العلاقات، والعوامل المؤثرة فيها سلبًا وإيجابًا، مما يساعد المجتمع البشري على تلمّس أفضل طرق النجاح في الحياة العائلية.

إن تقدّم علم تشريح جسم الإنسان والتعرّف على آليات ووظائف أعضائه، وطريقة عمل خلاياه وكريّات دمه، ساعد كثيرًا في وقاية جسم الإنسان من الأمراض، وعزّز مناعته الصحية، وأتاح معالجة كثير من الأسقام والأمراض الفتاكة، بل رفع من معدلات تقدم العمر في هذا العصر.

وذلك هو المتوقع أيضًا على صعيد إدارة حياة الإنسان النفسية والاجتماعية، فإن بذل الجهود في تشريح النفس البشرية، بما تكنّه من طبائع ومشاعر، وما يحصل لها من تفاعلات في علاقاتها البينية، وارتباطاتها الاجتماعية، إن بذل المزيد من الجهود على هذا الصعيد، سيضاعف من معرفة الإنسان لذاته، ويساعده على النجاح في علاقاته وارتباطاته.

ولا بدَّ لنا أن نعترف بالدور الايجابي الكبير الذي قدمته الدراسات النفسية والاجتماعية في تطوير وإصلاح حياة الإنسان. لكن أمامها شوطًا لا يزال طويلًا، فطبيعة النفس الإنسانية أكثر تعقيدًا من طبيعة الجسم البشري.

وبين يدي القارئ الكريم جهد معرفي مميّز يشكّل استجابة من قبل الباحث الدكتور تركي العجيان لدعوة الآية الكريمة للتفكر في طبيعة وأسرار العلاقات الزوجية.

وقد عرفت اهتمام الباحث الكريم بالشأن الثقافي والاجتماعي منذ نعومة أظفاره، وها هو يقدم اليوم باكورة أبحاثه الاجتماعية، بعد ردح من الجهد المعرفي والنشاط الاجتماعي.

إنه يقدم في بحثه اجتهادًا يأمل منه المساعدة في تقديم مفتاح ذهبي للمتطلعين للسعادة في حياتهم الزوجية.

وقد قاده بحثه العلمي وتراكم خبراته الاجتماعية، عبر الدورات التأهيلية التي أقامها أو شارك فيها، إلى ابتكار مصطلح «الشفرة الزوجية» وجعله عنوانًا لبحثه وكتابه.

حقًّا إن هذا البحث يشكل إضافة نوعية في حقل الدراسات التي تناولت العلاقات الزوجية، كما يمثِّل جهدًا معرفيًّا ينبغي أن يدفع لمزيد من المناقشة والبحث في أوساط المهتمين بهذا الشأن الاجتماعي الخطير.

أبارك لأخي الدكتور تركي هذا الإنجاز المهم، وأرجو منه الاستمرار والمتابعة في إثراء ساحة البحث الاجتماعي، وآمل أن يستفيد أبناؤنا وبناتنا من هذا الكتاب القيّم، في التأمل في ذواتهم، واكتشاف زوايا وخبايا نفوسهم، وامتلاك المعايير السليمة للتعرف على الشريك الأفضل لصناعة الحياة الزوجية السعيدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٢٤ شعبان ١٤٣١هـ

٥ أغسطس ٢٠١٠م



٧

الشيخ الصفار يستنكر الإساءة لعرض رسول الله ﷺ [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ حسن الصفار: إن هناك إصرارًا من التوجهات التعصبية المتطرفة على إشغال ساحة الأمة بالفتن والصراعات المذهبية.

ورأى أن إقامة حفل مشين في لندن يسيء إلى عرض رسول الله ، وينال من أم المؤمنين عائشة، هو عمل مشبوه في غاية القبح والمهانة، وهو انتهاك لحرمة رسول الله ، وإثارة لمشاعر المسلمين، وتأجيج للضغائن والأحقاد.

وأشاد الشيخ الصفار بالمواقف والتصريحات التي صدرت من مؤسسات وشخصيات شيعية في المملكة وعدد من البلدان تعلن الرفض والاستنكار لهذا العمل البغيض.

حيث أصدر المجمع العالمي لأهل البيت، والذي يضم مئات العلماء والمفكرين الشيعة من مختلف أنحاء العالم بيانًا شديد اللهجة أدان فيه هتك مقام رسول الله ، والتعرض لحرمه الشريف، والإساءة لعرضه الطاهر، وتوجيه التهم غير اللائقة لبعض زوجات النبي .

---

(١) نشر بتاريخ ١٢ سبتمبر ٢٠١٠م www.saffar.org.

ويعلن بصراحة أن هؤلاء الأشخاص لا يمثلون شيعة أهل البيت، ويناشد المراجع والمؤسسات الشيعية المفكرين للتنديد بهذه التصريحات الباطلة.

وقال الشيخ الصفار: إن على الواعين المخلصين من قيادات الأمة محاصرة التطرف والتعصب المذهبي، وعدم السكوت والتزام الصمت تجاه التكفير لبعض طوائف المسلمين والتحريض عليهم والدعاء عليهم بالهلاك.

هذا التحريض الذي صنع تبريرًا وتشجيعًا لأعمال العنف وسفك الدماء بين المسلمين، كما حصل في التفجيرات الأخيرة أيام شهر رمضان المبارك في باكستان، التي استهدفت تجمعات دينية شيعية ذهب ضحيتها مئات القتلى والجرحى.

وأكد الشيخ الصفار: إن حق الاختلاف في تقويم الأحداث والشخصيات التاريخية لا يبرر الإساءة للمقدسات والرموز المحترمة عند أتباع المذاهب الإسلامية.

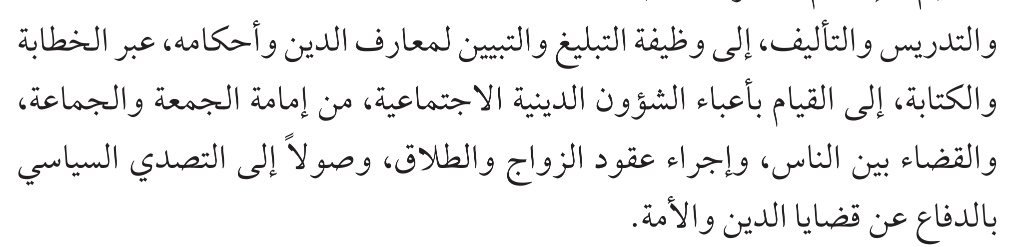
فذلك مخالف لتعاليم الدين، وخطر على وحدة الأمة، واستقرار مجتمعاتها.

وعلينا ألا نقدم للمتطرفين فرص النجاح في تحقيق أغراضهم، بالوقوع في فخ الفتنة، فهم لا يمثلون إلا أنفسهم الشريرة، ولا يعبرون عن طوائفهم ومذاهبهم.

نسأل الله تعالى أن يحمي أمتنا من المكائد والفتن، وأن يدفع عن أوطاننا المكاره والأسواء.

٧

الأبوّة والقيادة الاجتماعية (السيد علي السلمان أنموذج وقدوة)[1]



الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

تتنوع وتتعدد تجليات الدور القيادي لعالِم الدين في المجتمع، فمن مهمة البحث العلمي لاستجلاء مفاهيم الإسلام وتشريعاته، بالدراسة والتدريس والتأليف، إلى وظيفة التبليغ والتبيين لمعارف الدين وأحكامه، عبر الخطابة والكتابة، إلى القيام بأعباء الشؤون الدينية الاجتماعية، من إمامة الجمعة والجماعة، والقضاء بين الناس، وإجراء عقود الزواج والطلاق، وصولاً إلى التصدي السياسي بالدفاع عن قضايا الدين والأمة.

وقد تتوفر الفرصة لبعض علماء الدين بالقيام بكل هذه الأدوار أو معظمها، حين يمتلك القدرات والمواهب المتعددة، وتساعده الأوضاع والظروف على التصدي المطلوب.

---

(١) كتاب سيد العطاء. طبعة ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، (بيروت: دار جواثا للنشر)، ص١٦١.

كما قد يتوجه عالِم الدين، ويركز جهوده على دور محدد، يناسب قدراته، أو يرى أولويته.

لكن الدور الأساس والأهم لعالِم الدين، هو دور الرعاية والأبوّة للمجتمع، حيث تلتقي عليه القلوب والنفوس، ثقةً به، ومحبةً له، وينهل الجميع من فيض حبه وعطفه، ويكون مصدر نصح وتوجيه لأبناء المجتمع، يسترشدون برأيه في قضاياهم، ويرجعون إليه في مشاكلهم، يحترم الكبير، ويحنو على الصغير، ويساعد المحتاج والفقير، ويصلح ذات البين، ويشجّع الكفاءات، ويحث على عمل الخير وخدمة التكافل الاجتماعي.

إن هذا الدور الأبويّ لعالم الدين يملأ فراغًا روحيًا كبيرًا في المجتمع، ويعزز الشعور بالانتماء إليه، ويخلق درجة عالية من التماسك والتضامن، تساعد على مواجهة التحديات، والصمود أمام المشاكل والأزمات.

ولا يستطيع تبوْء مقام الأبوّة في المجتمع من العلماء، إلا من توفرت في شخصيته عدد من المواهب والصفات، من أبرزها:

أولًا: الوعي الاجتماعي وسعة الأفق:

ليفهم طبيعة المجتمع، والظروف المحيطة به، والتوجهات الفكرية والثقافية في وسط أبنائه. بما يمكنه من اتخاذ المواقف الصالحة، وإنتاج الخطاب الديني المناسب، والمساهمة في وضع المعالجات والحلول للقضايا الفكرية والاجتماعية.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العالم بزمانه ـ بأهل زمانه ـ لا تهجم عليه اللوابس»[1].

ثانيًا: رحابة الصدر وحسن الخلق:

---

(١) الكافي. ج١، ص٢٧.

فأفراد المجتمع يتفاوتون في مستوياتهم وطباعهم وتوجهاتهم، لذلك يحتاج التعامل مع الناس إلى صبر وأناة، وتحمّل واستيعاب.

ولن يمنح الناس حبهم وثقتهم إلا لمن يحترمهم ويخلص لهم، ويرون في سلوكه الصدق والالتزام.

ثالثًا: الإدارة والتدبير:

ففي المجتمع طاقات وكفاءات، وإمكانات وثروات، وهناك فرص ومجالات عمل لصالح الدين والمجتمع، كما أن هناك قضايا ومشاكل تتطلب المعالجة والحلّ، ومن يتصدى لقيادة المجتمع يحتاج إلى ذهنية إدارية، وقدرة على التخطيط والتدبير، لتحديد الأولويات، حتى يستفيد من كل كفاءة في مجالها، ويضع الإمكانات في مورد الحاجة لها.

حين تتوفر مثل هذه الصفات في شخصية عالِم الدين، فانه يتبوأ موقع الأبوّة والرعاية للمجتمع، وهذا ما تحقق في شخصية الأستاذ العلامة السيد علي السيد ناصر السلمان حفظه الله.

والذي هو بحق أفضل أنموذج وقدوة في مجتمع المنطقة لممارسة هذا الدور الكبير.

فهو يؤم الناس في صلاة الجماعة، ويلقي فيهم الخطب والمحاضرات، ويرشدهم في رحلة الحج كل عام لأداء مناسك حجهم، وهو معتمد المرجعية الدينية، ومجلسه مفتوح للناس كل يوم، ويشارك الناس في الأفراح والأتراح، ويتواصل مع مسؤولي الدولة في المناسبات، يحضر كل اجتماع يُدعى إليه لمناقشة شأن عام، وهو الراعي والمشرف على الحوزة العلمية في الأحساء، يدعم تأسيس المساجد والحسينيات والمؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية، ويسعى لإصلاح ذات البين، ويحمل هموم المجتمع، وبثباته وهمته تأسّس وتعزّز كيان المواطنين الشيعة في منطقة الدمام.

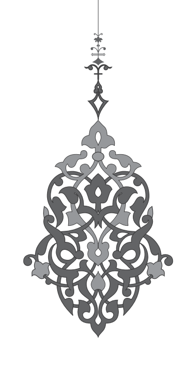
وإلى جانب تضلعه في علوم الشريعة، حيث حضر أبحاث كبار المجتهدين في الفقه والأصول كالسيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشهيد السيد محمد باقر الصدر، فإنه مواكب للثقافة المعاصرة، ومتابع للأحداث العالمية، منفتح على كل التوجهات، لا يقبل التشدد والتزمّت، ولا يرضى بالانغلاق والانزواء.

تتسم مواقفه بالموضوعية والاتزان، تجاه مختلف المشاكل السياسية الفكرية والاجتماعية، فلا ينفعل ولا ينهزم.

حقًّا إن وجوده نعمة كبيرة على مجتمع المؤمنين في المنطقة.

لكل ذلك كسب القلوب وجذب النفوس، والتف حوله المجتمع، واحتل موقع الأبوّة والزعامة، صان الله مهجته، وأطال عمره، وادام تأييده.

والحمد لله ربّ العالمين.



متابعات



٧

الشيخ الصفار: خادم الحرمين يعي ما يحيق بالعالم الإسلامي من أخطار[1]

مكة المكرمة ـ جمعان الكناني، سعد الثقفي

في حديث للشيخ حسن الصفار أوضح أن هذا المؤتمر ينطلق من إدراك ووعي لأهمية الحوار على المستوى العالمي، وعلى المستوى الإسلامي، وخادم الحرمين الشريفين يعي المشكلات التي تدور في العالم الإسلامي، وعلى المستوى الإنساني بشكل عـام.. فهو يحمل هم الإخلاص للإنسانية؛ لأنه قد أدرك ورأى أهمية الحوار وخاصة في عالم اليوم، ولذلك دعا حفظه الله إلى الحوار على المستوى الداخلي، فيوجد لدينا مركز للحوار الوطني وهو الآن يخطو خطوة واسعة، تجاه الحوار على

الرياض

جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

الجمعه 2 جمادى الآخر 1429هـ -6 يونيو2008م - العدد 14592

الشيخ الصفار: خادم الحرمين يعي ما يحيق بالعالم الإسلامي من أخطار



مكة المكرمة - جمعان الكناني، سعد الثقفي:

في حديث للشيخ حسن الصفار أوضح أن هذا المؤتمر ينطلق من إدراك ووعي لأهمية الحوار على المستوى العالمي، وعلى المستوى الإسلامي، وخادم الحرمين الشريفين يعي المشكلات التي تدور في العالم الإسلامي، وعلى المستوى الإنساني بشكل عام.. فهو يحمل هم الإخلاص للإنسانية لأنه قد أدرك ورأى أهمية الحوار وخاصة في عالم اليوم ولذلك دعا حفظه الله إلى الحوار على المستوى الداخلي، فيوجد لدينا مركز للحوار الوطني وهو الآن يخطو خطوة واسعة، تجاه الحوار على المستوى الإنساني العالمي.

وقد طرح حفظه الله قضية الحوار على الأديان السماوية، لأن هناك مشتركات في القيم والأخلاق، وهناك قضايا يعاني منها الإنسان بغض النظر عن ديانته أو اتجاهه السياسي.

وأضاف قائلاً: نحن نرى مثل هذه المبادرة من شأنها أن تعيد للأمة الإسلامية موقعها الذي أراده الله سبحانه وتعالى لها، حتى تكون شاهدة على الناس، يقول تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) والشهادة على الناس تقتضي الاهتمام بالقضايا التي عياني منها كثير من الناس..

ومن هنا نحن نتفاعل خيراً بمثل هذا المؤتمر، ونرجو أن تكون البحوث التي تدور فيه وفرص التعارف، التي تجري في أروقته تكون تأسيساً لدور إنساني إسلامي.

وأهمية الحوار تكمن في أن يصل أبناء العالم الإسلامي إلى المشتركات فيما بينها والأمة الإسلامية الآن تقارب المليار والنصف، فمن الطبيعي أن يكون بينهم الاختلاف.. في الآراء والأفكار والمرئيات، والتوجهات والانتماءات العرقية والمذهبية والثقافية والسياسية، ولكن هناك مساحة مشتركة بين المسلمين، فهم يشتركون في أصول دينهم، ويشتركون في التحديات الرئيسة التي تواجههم، في هذا العالم، ويشتركون أيضاً في الطموح والتطلع باتجاه التنمية والتقدم، فلا يصح أبداً أن تبقى الأمة الإسلامية حيث هي الآن في حالة من التخلف عن ركب الحضارة.

---

(١) نشر الخبر في جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الجمعة ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ الموافق ٦ يونيو٢٠٠٨م العدد ١٤٥٩٢. على ضوء مشاركة الشيخ حسن الصفار في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار الذي انعقد في مكة المكرمة بتاريخ ٣٠/ ٥-٢/ ٦/ ١٤٢٩هـ. برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.

المستوى الإنساني العالمي.

وقد طرح حفظه الله قضية الحوار على الأديان السماوية، لأن هناك مشتركات في القيم والأخلاق، وهناك قضايا يعاني منها الإنسان بغض النظر عن ديانته أو اتجاهه السياسي.

وأضاف قائلاً: نحن نرى مثل هذه المبادرة من شأنها أن تعيد للأمة الإسلامية موقعها الذي أراده الله سبحانه وتعالى لها، حتى تكون شاهدة على الناس، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ والشهادة على الناس تقتضي الاهتمام بالقضايا التي عاني منها كثير من الناس..

ومن هنا نحن نتفاءل خيراً بمثل هذا المؤتمر، ونرجو أن تكون البحوث التي تدور فيه وفرص التعارف، التي تجري في أروقته تكون تأسيساً لدور إنساني إسلامي.

وأهمية الحوار تكمن في أن يصل أبناء العالم الإسلامي إلى المشتركات فيما بينها والأمة الإسلامية الآن تقارب المليار والنصف، فمن الطبيعي أن يكون بينهم الاختلاف.. في الآراء والأفكار والمرئيات، والتوجهات والانتماءات العرقية والمذهبية والثقافية والسياسية، ولكن هناك مساحة مشتركة بين المسلمين، فهم يشتركون في أصول دينهم، ويشتركون في التحديات الرئيسة التي تواجههم، في هذا العالم، ويشتركون أيضاً في الطموح والتطلع باتجاه التنمية والتقدم، فلا يصح أبداً أن تبقى الأمة الإسلامية حيث هي الآن في حالة من التخلف عن ركب الحضارة.

ومن أجل ذلك أركز في هذه المشتركات ومن أجل أن نتعاون، لذلك يأتي هذا الحوار وتكمن أهميته.

٧

كلمة الشيخ الصفار في استضافته للشيخ محمد النجيمي

أجاب الشيخ الدكتور محمد بن يحيى النجيمي مشكورًا دعوة سماحة الشيخ حسن الصفار لزيارته في القطيف، حيث حلّ ضيفًا على الشيخ الصفار يوم الخميس ١٥/٦/١٤٢٩هـ الموافق ١٩/٦/٢٠٠٨م، وبرفقته عدد من الدعاة والشخصيات السلفية.

في الساعة الثامنة والنصف مساءً بدأ برنامج الاحتفاء بالضيوف الكرام، بتلاوة عاطرة من كتاب اللّه المجيد، رتلها الأستاذ حسين الربعان، ثم ألقى سماحة الشيخ حسن الصفار كلمة افتتاح وترحيب عرّف فيها بضيفه الدكتور النجيمي والسادة المرافقين له، وفيما يلي نص كلمته:

كلمة سماحة الشيخ الصفار

مرحبًا بكم جميعًا وقد جئتم لتشاركونا الحفاوة والسرور، بمقدم هذا الضيف الكريم، الذي هو في الواقع من أهل الدار، إنه يشرفنا وبمعيته عدد من العلماء والدعاة، والمثقفين، الذين جاؤوا تفعيلًا لنهج التواصل، وتحقيقًا لنهج التآخي، والحوار والتعاون على البر والتقوى إن شاء اللّه، أبدأ في تقديم ضيفنا الكريم بطرح فكرة أرجو ألا تأخذ كثيرًا من الوقت.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جميعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

لا يوجد أمة من الأمم يقدّس تراثها ودينها الوحدة والتآلف كما هو الحال في الأمة الإسلامية؛ لأن الدين يعتبر الوحدة في سلم الأولويات، وعلى رأس القائمة، حتى قال أحد العلماء المصلحين، وصحيح ما قال: قام الدين على دعامتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

الوحدة لها موقعيتها الأساسية والإستراتيجية في الفكر والتشريعات الإسلامية، ولا نكاد نجد أمة من الأمم لها دين أو تراث يعطي للوحدة هذه المكانة والأهمية التي أعطاها الإسلام، كما أنه لا توجد أمة من الأمم بين أبنائها وشائج الترابط الروحي، والتواصل النفسي والاجتماعي، كما هو الحال في الإسلام.

هذا الدين الذي يجمع أبناءه في عقيدة واحدة، فهم يؤمنون باللّه سبحانه وتعالى ربًّا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، وباليوم الآخر معادًا ومصيرًا، ويؤمنون بكتاب واحد وهو القرآن الكريم، المكمل لكل الكتب السماوية التي سبقته، نؤمن بكل ما أنزل الله، كتابنا هو كتاب واحد وهو القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ونلتزم جميعاً مرجعية واحدة، وهي الكتاب والسنة، ونصلي إلى قبلة واحدة، وبين أبناء هذه الأمة مشتركات عظيمة وكبيرة، تقوي وشائج الارتباط الروحي فيما بينهم، من أركان الإسلام وفرائضه وأخلاقه وحدوده، لا يوجد أمة من الأمم بين أبنائها من الوشائج الروحية كما هو الحال في أمة الإسلام.

لكننا يجب أن نعترف أيضًا أنه مع الأسف الشديد، فإن الأمة الإسلامية وخاصة في هذا العصر، تعاني من ضعف التواصل فيما بين شرائحها وأبنائها، بل تعاني من النزاعات في كثير من بلدانها ومجتمعاتها، الأمم الأخرى وصلت إلى مرحلة الاستقرار السياسي والاجتماعي، بل بدأت تكوين الأحلاف والتكتلات على المستوى العالمي، مع كل ما بين تلك المجتمعات والأمم من خلافات وتناقضات فكرية ودينية وسياسية

ومصلحية، ولكنهم بدؤوا يتكتلون حمايةً لمصالحهم، وأبرز نموذج هو الاتحاد الأوربي، مع أن بينهم كانت حروب دامية استمرت لقرون، وآخرها الحربان العالميتان الأولى والثانية، بينما الأمة الإسلامية مع كل مقومات الوحدة، وكل ما يدعو إلى التآلف، تعيش كثير من مجتمعاتها وبلدانها حالات من النزاع والتفرقة والخلاف.

هناك عدة أسباب لما ذكرنا لكن أهمها، كما أرى، ثلاثة أسباب:

السبب الأول: السبب التاريخي، فعندنا تاريخ وتراث من القرون السابقة، حصلت فيه اختلافات، والأجيال تتوارث تداعيات وآثار تلك الاختلافات التي حصلت في عصور سابقة.

السبب الثاني: وجود أعداء طامعين يغذون ويشجعون هذه الاختلافات داخل الأمة.

السبب الثالث: ضعف المناعة داخل الأمة، لوجود حالة التخلف، فيما يرتبط بالنظم السياسية في كثير من بلاد المسلمين، وفي نمط العلاقات الاجتماعية، هذا التخلف وهذا الضعف في المناعة الذاتية، هو الذي أعطى الفرصة للأعداء، ولكن ولله الحمد، لا تزال هناك إرادة في عمق هذه الأمة لتجاوز هذه الحال، وهذه الإرادة تتجلى في الدعوات الصادقة المخلصة التي بادر إليها قادة سياسيون، في طليعتها مبادرة خادم الحرمين الشريفين في الحوار الوطني، وفي عقد قمة مكة الاستثنائية، وأخيرًا في الحوار الإسلامي العالمي، وفيما يطمح إليه من وجود حوار بين الأديان، خدمة للسلم والسلام العالمي.

وجود هذه المبادرات السياسية هي التي تعطي الأمل الكبير لأبناء هذه الأمة، وكذلك وجود علماء ودعاة ومفكرين، يتحملون مسؤوليتهم في دعوة الأمة للوحدة، وتذكيرها بهذه الفريضة الأساسية، ونحن في هذه الليلة نحتفي بقدوم عَلَمٍ من الأعلام،

رجل فاضل له حضوره في المجال العلمي والإعلامي والثقافي، ضيفنا الدكتور الشيخ محمد بن يحيى النجيمي.

تعقيب الشيخ حسن الصفار على كلمة الشيخ النجيمي:

بعد أن شكر الشيخ الصفار الدكتور النجيمي على حديثه الذي طرح فيه آراء المدرسة السلفية، وأنها لا تتبنى تكفير المسلمين كما يشاع عنها، وأنها تدين بحب أهل البيت، وتبغض يزيد بن معاوية لقتله زهرة شباب أهل الجنة، وجمعًا كبيرًا من الصحابة في واقعة الحرة.

وحديثه عن الآراء التي تختلف فيها المدرسة السلفية عن الشيعة، كبعض ما يرتبط بتوحيد العبادة من التوسل بالأولياء، حيث ترفضه المدرسة السلفية، والموقف من الصحابة، حيث يراهم السلفيون عدولًا كلهم، وموارد أخرى للاختلاف بين المدرستين.

كان لسماحة الشيخ الصفار التعقيب التالي:

الشيعة منفتحون على الرأي الآخر:

النقطة الأولى: يا فضيلة الشيخ، إخوانكم الشيعة تتسع صدورهم لسماع الرأي الآخر، وكما رأيتم في المكتبة التي شرفتموني بزيارتها، رأيتم كتب التفسير والفقه والعقائد والتاريخ لمختلف المذاهب، وقبل أيام جاءني صحفي أمريكي وسألني: هل يوجد في مكتبتك كتب للسنة؟ أم هي كتب شيعة فقط؟ قلت له مكتبتي ليس فقط تحتوي على كتب سنة وشيعة، وإنما فيها الإنجيل الكتاب المقدس لديكم أيها المسيحيون، ثم ناولته إياه فانبهر وصور النسخة وصور موقعها في المكتبة.

الشيعة تتسع صدورهم لسماع الرأي الآخر، والاطّلاع على الكتب الفقهية لكل المذاهب، وكذا الكتب العقدية والتاريخية، وما تفضلتم به حول العقيدة السلفية

يدرسه أبناؤنا في المدارس، فأبناؤنا يدرسون هنا في مدارس المملكة، ويدرسون هذا الكلام الذي تفضلتم به، ويسمعونه من وسائل الإعلام، فبالنسبة لنا نحن منفتحون، ونأمل أن يكون هذا الانفتاح حالة عامة عند الجميع، نأمل أن نجد في مكتبات علمائنا السلفيين إلى جانب كتبهم أيضًا كتب الشيعة، حتى يتعرفوا إلى الشيعة من مصادرهم وكتبهم، وليس من خلال التقولات والإشاعات، ولو توفرت هذه المصادر والكتب في مكتبات العلماء من مختلف المذاهب، وكل عالم يطلع على الكتب التي تتبع المذهب الآخر، لرفع الكثير من الشبهات والإشكالات، ونأمل أن يتسع المجال في كل مكان لطرح الرأي الآخر، كل الأخوة الموجودين هنا سعيدون بما سمعوا، ونأمل أن يسمع الآخرون في بقية مناطق المملكة، وتتسع صدورهم لكي يسمعوا الرأي الآخر، بأن يستطيع علماء الشيعة أن يتحدثوا عن آرائهم ومعتقداتهم في وسائل الإعلام، أو في اجتماع مشابه لهذا الاجتماع في القصيم أو الرياض أو في أي منطقة من مناطق الوطن، هذا ما نأمل أن يتحقق إن شاء اللّه.

التطرف وبيان 22:

النقطة الثانية: لا شك أننا إذا رجعنا إلى أصول المذاهب، وإلى آراء العلماء الأجلاء في المذاهب، فإننا نرى آراء معتدلة، لا نجد مجالًا للتكفير، لكن المشكلة هي في وجود أصوات متطرفة، وممارسات فيها الإساءة، وهنا يجب أن تكون هناك مواقف حاسمة، فضيلة الشيخ ذكر أن العلماء هنا في المملكة اتخذوا موقفًا حاسمًا ضد التطرف وتجاه القاعدة، هذا أمر جيد، لكن هذا في البعد السياسي، نحتاج إلى موقف حاسم تجاه التطرف في الموقف تجاه المذاهب الأخرى، الناس هنا مجروحون من البيان الأخير، الذي وقع عليه اثنان وعشرون من العلماء، وتحدثوا عن الشيعة والمذهب الشيعي بما يتنافى مع ما ذكره فضيلة الشيخ من الكتب ومن المصادر والنصوص، نحتاج إلى أن يكون هناك موقف حاسم وواضح وقاطع أيضًا تجاه هذه الأصوات المتطرفة، وإلا قد يرى البعض أن السكوت على مثل هذه الآراء نوعاً من الرضا بها، هذا أمر مهم

أيضاً، ونحن نأمل أن يكون هناك موقف واضح تجاه هذه الأصوات المتطرفة في بعدها الفكري، كما أن هناك رأيًا واضحًا منها في البعد السياسي، حينما مارست القتل والتدمير والتخريب.

موقف الشيعة حاسم وواضح تجاه القرآن:

النقطة الثالثة: أحب أن أعلق على ما ذكره فضيلة الشيخ حول الحسم والتبيين لموقف الشيعة من القرآن الكريم، أعتقد أن المسألة واضحة، حيث لا يوجد مرجع من مراجع الشيعة، ولا عالم من علمائهم، ولا مؤسسة من مؤسساتهم الآن، بل منذ عصور، يقولون بوجود قرآن آخر، أو بوجود تحريف في القرآن، كما ذكر فضيلة الشيخ، فعلماء الشيعة بادروا للرد على الرأي الشاذ القائل بتحريف القرآن، هل يوجد من يقول بوجود قرآن آخر، كمرجع أو فقيه؟ إذا كان لا يوجد فلماذا يطرح مثل هذا الموضوع بين فترة وأخرى وكأنه قضية قائمة؟ ولماذا يطلب من الشيعة أن يعلنوا براءتهم في كل يوم من موضوع أعلن مراجعهم وعلماؤهم وفضلاؤهم الرأي حوله؟

وفي بعض الأحيان قد لا يقبل هذا القول أيضًا، ولا نريد أن ندخل في هذا السجال، ولكن للطرافة أنقل هذه القصة، يا فضيلة الشيخ: ينقل أن رجلًا دخل إلى مدينة، فرأى جنازة تُشيّع، فمشى معهم، وكان بعض القضاة يمشون أمام الجنازة، ما لفت نظره أن المحمول على السرير باعتباره متوفىً كان يرفع رأسه بين فترة وأخرى، ويقول: أيها الناس، أنا حيّ، كيف تذهبون بي إلى المقبرة وأنا حيّ؟ ولكن أحد القضاة ممن كان يسير أمام الجنازة قال: لقد شهد شهود عدول بموتك، أفنكذبهم ونصدقك؟ وأمر أن يذهب به إلى المقبرة.

في بعض الأحيان حتى لو أُعلن ونشرت الكتب، وبُيّن الرأي فالموضوع لا يتغير، الآن الشيعة لديهم وسائل إعلام، وما عادوا يعيشون كالماضي، بل لديهم فضائيات ودول وأحزاب وصحف وعلماء، فهل جهة من هذه الجهات تحدثت حول تحريف القرآن؟ من الجهات القائمة والمعروفة والمعترف بها؟ إذاً فالموقف عند الشيعة

حاسم وواضح تجاه هذه المسألة، لكننا نقبل كلام فضيلة الشيخ باعتباره نوعًا من التأكيد والتذكير بهذا الأمر.

قبول اختلاف الرأي:

النقطة الرابعة: إن وجود اختلاف في تفاصيل المعتقدات، وفي القضايا الفقهية، وفي تحليل التاريخ، وفي الرؤية نحو أشخاص التاريخ، هذا الاختلاف قائم لا يمكن إنكاره، أو التنكر له، وأصحاب كل مدرسة ومذهب لهم آراؤهم، ولهم أدلتهم وبراهينهم، ولا يشترط في الوحدة أن يكون اتفاق على كل التفاصيل، وبالتالي فلكل إنسان قناعاته وآراؤه، من يرى أن الوحدة لا تتم إلا إذا اتفقنا على المسألة الكذائية، أو المسألة الأخرى، ـ سواء كان من السنة أو الشيعة ـ، ولعل بعض الشيعة يطرح أيضًا أنه لا يمكن أن تكون وحدة إلا إذا اتفقنا على كذا وكذا، هذا يعني تعليق الوحدة على أمر غير ممكن، وهو أمر تعجيزي.

هناك اختلاف في بعض تفاصيل المعتقدات، كموضوع الشفاعة، والتوسل، هل هذا ينطبق عليه أنه عبادة أم لا؟ الشيعة لا يرون أن هذا ينطبق عليه أنه عبادة، ولديهم أدلتهم ورأيهم وكتبهم واضحة، وأنا أعتقد أنه ليس من مصلحة الأمة الآن أن تزجّ بالجماهير في الاختلاف حول هذه التفاصيل؛ لأن هذه التفاصيل، كما هو الشائع عند الصحفيين أن الشياطين تطلع رؤوسها في التفاصيل، وهم يريدون إشغال الأمة وإرباكها، هذا يتم ضمن الحوار العلمي بين العلماء، وضمن حرية الرأي، كل واحد يبين رأيه، والناس الآن أصبح لهم مستوى من الرأي والعلم، هم يستطيعون التمييز، ما عاد الإنسان يجد نفسه أسيرًا أو محكومًا للرأي الذي يسمعه من عائلته أو جماعته، الآن يوجد حالة من الانفتاح، فيكون هناك حوار علمي، لكن لا ينبغي أن نجعل الاتفاق في بعض التفاصيل شرطًا من شروط الوحدة؛ لأن معنى ذلك أن الوحدة لا تتحقق، ونحن نجد أن الأمم الأخرى كيف توحدت في إطار سياسي، الملك عبد العزيز حينما جاء إلى القطيف وبايعه أهلها، ودخلت القطيف تحت حكمه، لحكمته لم يفتح هذا الباب

مع الناس، وحينما حاول بعض المتشددين كحركة الإخوان آنذاك أن يملوا شروطهم، واعتبروا أهل القطيف كفارًا يلزم أن يعيدوا إسلامهم، في القصة المشهورة التي ذكرها ابن بشر وغيره رفض الملك عبدالعزيز ذلك، لأنه يعلم بحكمته أنه ملك يحكم على أجسام الناس، وليس على معتقداتهم، وآرائهم وأفكارهم.

هذه أبرز الملاحظات، مرحبًا بفضيلة الشيخ الدكتور، وبما طرح من رأي، وكما قلت المجال واسع لطرح هذه الآراء، وهي آراء ليست غريبة علينا، ولا وعلى مسامعنا، ونحن من طفولتنا ندرس هذا المنهج وهذا الرأي، المشكلة تكون في بعض الإساءات التي قد تحصل من هذا الطرف أو ذاك، وهذا الصوت المتطرف من هنا وهناك، علينا أن نتعاون لوضع حدٍّ لذلك حماية لوحدتنا وتآلفنا.





٧

الشيخ الصفار: الجفاء العاطفي أقرب الطرق للانحراف الأخلاقي[1]

دعا الشيخ حسن الصفار إلى تعزيز حالة المحبة على المستوى الفردي والعائلي والاجتماعي، محذرًا في الوقت نفسه من بروز نوازع الكراهية والجفاء، التي عدّها أقصر الطرق للانحراف الأخلاقي.

وقال الصفار في مستهل محاضراته العاشورائية التي ألقاها مساء الخميس في مجلس المبارك في القطيف «وفقًا للنصوص الدينية، الأصل أن يحبّ الإنسان أخاه الإنسان، وأن الكراهية لا تكون إلا للأفعال العدوانية».

داعيًا إلى أن يغدق الإنسان حبه على الآخرين، وأن يعرب عن مشاعره الطيبة تجاههم، عبر إبداء الاحترام لهم، وتثمين عطاءاتهم، وتقدير أعمالهم، مستشهدًا بالحديث الشريف «.. وهل الدين إلا الحبّ».

ووسط حضور حاشد شدد الصفار في محاضرته التي عنونها بـ «الحسين رسالة حبّ» على تعزيز ما وصفه بالإشباع العاطفي داخل الأسرة، معتبرًا أن ذلك يحقق أجواء الشعور بالأمن والطمأنينة، ويعزز روح التعاون مع الآخرين.

داعيًا الآباء والأمهات إلى تحقيق أجواء أسرية حميمة عبر إغداق الحب على

---

(١) شبكة راصد الإخبارية. ١٨ ديسمبر ٢٠٠٩م.

الأولاد والبنات، حتى لا يلجأوا لخارج الأسرة فتتلقفهم بؤر الفساد.

وانتقد تحول بعض المنازل إلى «فنادق» للسكنى، دون أدنى علاقة أو انشداد عاطفي بين أفرادها، ليلجأ كل منهم خارج الأسرة، تعويضًا عن الجفاء العاطفي المفقود.

مضيفًا بأن إحدى تداعيات هذه الحالة: هو اعتبار الأولاد رفقاءهم أحبّ وأقرب إليهم من أفراد عوائلهم، بما في ذلك الوالدين، وانعدام عنصر المصارحة بين البنات وأمهاتهن.

واستنادًا لدراسات أكاديمية قال الصفار: إن هناك تلازمًا واضحًا بين الجفاء العاطفي داخل الأسرة وبين ارتفاع نسب الانحراف لدى الأولاد والبنات، دون استثاء للنساء المتزوجات.

ساردًا عدة نماذج من المجتمع السعودي وصفها بالإجرامية، والتي انتهت غالبًا إلى نتائج مأساوية، أبرزها قصص البنات الصغار «أصول» و«أريج»[1] اللتين فقدتا حياتهما نتيجة العنف الأسري.

واسترسل الصفار في تسليط الضوء على جوانب عديدة من علاقة الرسول الأكرم بسبطيه الحسن والحسين، معتبرًا إياها نموذجًا مثاليًا يجسد حالة الحب والعاطفة التي يجب أن تحكم أجواء ألأسرة المسلمة.

يشار إلى أن محاضرات الصفار مستمرة ليليًا على مدى ١٢ ليلة من بداية شهر المحرم، في مجلس المبارك بمدينة القطيف، ومسجد الكوثر بمدينة صفوى، وتبث المحاضرات مباشرة عبر شبكة الإنترنت في السابعة مساء.

---

(١) تعود قضية الطفلة «أريج» إلى شهر رجب ١٤٢٨هـ بعد أن تلقى الهلال الأحمر بلاغًا عن وجود آثار تعذيب في جسم الطفلة المقتولة «أريج»، وادّعى الأب أن ابنته أغلقت الباب على نفسها ووجدها فاقدة الوعي، وحكمت المحكمة على والد الطفلة بالقتل تعزيرًا لاعترافه بتعذيبها، وسجن زوجته خمس سنوات وجلدها ١٠٠٠ جلدة.

٧

الصفار: السيرة الحسينية مرفأ روحي للإنسانية[1]

بدأ الشيخ حسن موسى الصفار محاضرته التي جاءت بعنوان (المرفأ الروحي في السيرة الحسينية) في الليلة الثانية من المحرم١٤٣١هـ في جامع الكوثر في صفوى بالآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، الآية:٢٨] وتناولت ثلاثة محاور، هي:

أولًا: أمواج الحياة وشاطئ الأمان: وبيّن أن ثورة الإمام الحسين ﷺ كانت ثورة شاملة في أبعادها الفكرية والروحية والسياسية، كما هي حركات الأنبياء والرسل، فهو وارثهم، وأنها حركة إلهية متكاملة في جميع أبعادها، وبيّن أن البشرية حققت تقدمًا ماديًا وعلميًا مذهلًا، وهو ما يعدّ مكسبًا للبشرية جمعاء، بغض النظر عن المجتمع الذي وجد فيه، ومن ينتج أكثر فهو في موقع الريادة.

وحث المسلمين على الأخذ بزمام المبادرة للعودة إلى موقعهم الريادي، مشيرًا إلى أن البشرية تشهد تقدمًا ماديًا سريعًا، ولكن في المقابل فإنها تفتقر للجانب الروحي، الذي يعدّ مصدر سعادة الإنسان واطمئنانه، وهذا الافتقار يسبب أضرارًا كثيرة على المجتمعات ، وعرض بعض الإحصائيات التي تبين خطورة افتقار المجتمع إلى البعد الروحي، الذي سبب تكاثر حالات الاكتئاب، والتي أدت بدورها إلى ازدياد حالات

---

(١) http: / /www.saffar.org

الانتحار، وأن الاتكال على الله سبحانه وتعالى والإيمان به يقي الإنسان من الغرق في البحر الهائج من هموم الحياة، وأن القوة الروحية هي الداعم للإنسان في مواجهة المشاكل الاجتماعية، لتنقله إلى شاطئ الأمان، مشيرًا إلى أنها الجانب العاطفي في عاشوراء.

ثانيًا: البرامج الروحية بين الإفراط والتفريط: في هذه النقطة تحدث عن أن الإنسان يحتاج إلى ما يذكره بخالقه سبحانه وتعالى، عن طريق البرامج الروحية، كالصلاة والدعاء والتهجد وتلاوة القرآن الكريم، موضحًا أن لدينا ثروة عظيمة من البرامج الدينية، وعلينا أن ننفتح على هذه الثروة، وأن نحافظ عليها، وألا نقصر فيها، كما أننا لا ينبغي أن نغالي بل علينا الاعتدال في ممارسة هذه البرامج، وألا تكون على حساب حياة الإنسان، مستشهدًا بالآية الكريمة ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، وأننا لسنا بحاجة إلى البدع، بل علينا الاستفادة من الثروة الروحية التي تركها لنا أهل البيت عليهم السلام.

ثالثًا: الناشطون دينيًا ومحاسبة النفس: وذكر أن الناشطين في المجال الديني أمثال الخطباء وعلماء الدين، والناشطين في المجال الاجتماعي مثل العاملين في الجمعيات الخيرية، هم الأحوج إلى مراقبة النفس ومحاسبتها من غيرهم، لأنهم هم البوابة المفضلة للشيطان، وأن عليهم أن يكونوا حذرين، وألا ينزلقوا، وأن كل الأديان والمذاهب تعاني من ضعفاء النفوس، الذي أغرتهم الشياطين، وأن عليهم الصمود أمام الإغراءات المختلفة.

٧

الصفار: الأمة الحية التي تتطلع للأفضل وتسعى إليه

أكد الشيخ حسن الصفار في محاضرته لليلة الثالثة مـن المحرم على أن الإمام الحسين عليه السلام نموذج في السعي نحو الإصلاح والتغير، وبمبادرة منه، رغم معارضة الكثيرين له، وبالرغم من قلة العدد وخذلان الناصر، وأنه وطّن نفسه عليه السلام على أن يدفع ثمن هذه المبادرة. وأشار خلال المحاضرة التي ألقاها في القطيف تحت عنوان (الحسين والمبادرة للتغيير) وبدأها بالآية الكريمة: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[سورة المائدة، الآية:٢٤]، المجتمع الحي هو المجتمع الذي يستشعر التغيير ويعمل على تحقيقه، موضحًا أن الدافعية الذاتية التي تتكون في المجتمعات دلالة على تقدمها، بخلاف المجتمعات التي تتحرك تحت وقع الضغوط. وتناول الصفار ثلاثة محاور في هذا المجال.

المحور الأول، التطلع للأفضل: أكد أن فطرة الإنسان السوي تجعله يتطلع للأفضل؛ لأنه يحب الخير لذاته، وليدفع عنها الضرر. وأن إرادته وتطلعه للأفضل هو سبب للتطور والتقدم، لتحفيزه على الاختراع والتطوير، مؤكدًا أن دوافع التطلع إلى الأفضل ناتج عن حالتين، فهي إما ناتجة عن الضغط من واقع معين وهو ما يدفع الإنسان إلى محاولة تجاوز هذا الواقع، وأما أن ينطلق الإنسان من حالة الوعي والطموح حتى ولو لم يكن يعاني من الضغط.

وبيّن أن المجتمعات النامية تفكر تحت ضغط الواقع الذي تعيشه، وهو ما يبطئ تقدمهم وتطورهم، وفي المقابل فإن هناك المجتمعات المتقدمة التي تتسم بالطموح والسعي إلى تطوير مختلف جوانب حياتها العلمية والعملية، مبينًا أن حالة النقد في المجتمعات الحية هي حالة صحية تؤدي إلى التطور وتجاوز عقبات الحياة والأخطاء السابقة.

المحور الثاني، العمل من أجل التغيير: وأشار إلى أن التطلع للتغيير هو مرحلة أولى ولكنه لا يكفي، بل أنه لا بدّ من السعي الدؤوب، والتضحية في مواجهة التحديات التي تواجه المجتمع، وأن مجرد الحديث عن التغيير والتمني لا يخلق شيئًا إلا بمقدار ما يكون هناك سعي وتضحية وتحمل، وهذا ما يبلور الإنسان ويفجر طاقاته ومواهبه، كما بين أن المجتمعات المتقدمة هي الأكثر تحملًا، وأن أنبياء الله تحملوا الكثير في سبيل التغيير، كما أوضح بأن التغيير ليس مهمة أفراد بل هي مهمة مجتمعية، وأنه إن حصل التغيير النفسي فإن الله تعالى يحقق هذا التغيير ويبارك فيه.

المحور الثالث، مجتمع المبادرات: مؤكدًا أن المجتمع الحي هو الـذي تتنوع فيه المبادرات، ويتميز بالقدرة على احتواء المشاكل وتحليلها من عدة جوانب، وأنها لا تعالج من بعد واحد؛ لأنها نتاج تداخل عدة عوامل، كما أنه ينبغي لأبناء المجتمع أن يتكاملوا، وأن يكون هناك حراك في سبيل التغيير في جميع المجالات. وأشـار إلى الحاجة إلى التقدم المعرفي والاقتصادي والسياسي وتقويتها مجتمعة، وذلك لتداخلها مع بعضها البعض.

وحـثّ الصفار على تشجيع مختلف المبادرات، وعلى أن ينخرط أبناء المجتمع في مجال العمل التغييري، وأن المجتمع بحاجة إلى العمل الجمعي القابل للتطور، لذا فإن أبناء المجتمع مطالبون بالانتماء إلى المؤسسات الاجتماعية، موضحًا أن هناك ضعفًا في الإقبال على العمل الاجتماعي وعدم وجود دماء جديدة.

٧

الشيخ حسن الصفار: المرأة بين واقع التهميش وإمكانات المشاركة[1]

تقرير: ناصر أحمد الرهين

بدأ سماحة الشيخ حسن الصفار محاضرته لليلة الرابعة من المحرم١٤٣١هـ في جامع الكوثر بالآية المباركة: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

دار حديث الشيخ حسن الصفار حول محورين رئيسين:

المحور الأول: المستقبل الزاهر للمرأة

وفيه تحدث سماحته عن أن التفاؤل بمستقبل المرأة يعني التفاؤل بمستقبل المجتمع كلّه؛ لأن المرأة هي اللبنة الأساس، ولأن واقعها يؤثر على المجتمع كلّه ذكورًا وإناثًا، فإذا وقع التهميش عليها فإن ذلك يقع على المجتمع كله، فإنصافها من إنصاف الرجل وتهميشها من تهميشه. لأنهما خلقا من نفس واحدة، وحياتهم مشتركة، وهذا ما وصفه الرسول الأكرم ﷺ بقوله: «النساء شقائق الرجال».

وقد أشار سماحته أيضًا إلى طبيعة خلقة الرجل والمرأة، حيث إن الرجل طبيعته الخشونة، بينما طبيعة المرأة هي العاطفة والحنان، وهذا ما يتناسب مع دورها من

(١) شبكة التوافق الإخبارية.

أمومة ورعاية.

فيجب على الرجل أن يحيطها بالعناية والتقدير، فهي الأم والزوجة والبنت، وأن يبتعد عن نزعة الهيمنة التي جعلت المرأة مظلومة عبر التاريخ.

وفي هذا السياق أشار سماحة الشيخ الصفار: إلى أنه على الرغم من أن الإسلام أعطى المراة حقوقها، إلا أن المرأة في بلادنا الإسلامية لم تحصل على كل حقوقها، وهو نتاج فهم مغلوط للتشريعات الإسلامية؛ وإن حصل تقدم بسيط فذلك بسبب ضغوط خارجية.

ومن التشريعات الإسلامية التي لم تفهم بالمعنى الصحيح مفهوم القوامة، وهي تعني رعاية الزوج لزوجته والعناية بها، لا الهيمنة والسيطرة عليها والتعدي على حقوقها.

وقد حثّ سماحة الشيخ على إعطاء المراة دورًا أكبر لتقوم بدورها على الوجه المطلوب، وأوضح أن هنالك تغييرًا في واقع المرأة في المملكة، لكنه يجري بوتيرة بطيئة، ويحتاج إلى بذل جهد أكبر، لإفساح المجال لها لتبدع وتبرز كفاءتها على الصعيدين العائلي والإجتماعي.

المحور الثاني: الارتقاء باهتمامات المرأة

وفيه تحدث عن المرأة بأن عليها أن ترتقي باهتماماتها، وأن تراعي جانب العفة في تعاملها مع الرجل، وبيّن أن المرأة اليوم هي ضحية الإغراء والإغواء لنقص في إشباع عاطفتها.

أما من ناحية جانب الوعي الديني فقد بيّن أن المجتمع النسائي مرتع للخرافات؛ لأن طبيعة المرأة عاطفية، وتركز على الارتقاء الروحي، لذا تجد أن الوسط النسائي مليء بوسائل الشعوذة والدجل، ومن هذا المنطلق فقد حذر سماحته من مغبة الوقوع في شرك هذه الممارسات الخاطئة.

ومن جهة أخرى فإن التوجه إلى الكماليات هو سمة من سمات المرأة، وفي هذا الجانب شدد على عدم المبالغة في الكماليات، وطرح بعض الإحصائيات عن النساء الخليجيات بأنهن يملكن ما يقارب ٣٦٤ مليار دولار، نصيب النساء السعوديات منها ٤٦ ٪ وتساءل هنا: أين تنفق؟ وقد أثنى على بعض الجمعيات الخيرية النسائية وأوضح أن هناك في مجتمعنا العديد من النساء بدأن بشق طريقهن نحو الارتقاء.

وفي نهاية المجلس ضرب سماحته مثالًا لدور المرأة في قضية عاشوراء بذكره للسيدة زينب عليها السلام، ودورها البطولي، وقصة المرأة المؤمنة طوعة مع مسلم بن عقيل سلام الله عليه.



٧

الصفار يدعو لتوفير «الحب» داخل الأسرة السعودية.. وينتقد حصره في الجنس[1]

القطيف ـ منير النمر

انتقد الشيخ حسن الصفار توقف مفهوم «الحب» لدى بعض الشباب عند الجانب الجنسي، مؤكدًا أن هذا الجانب ألغى جوانب مهمة من الحب، كما أن ممارسة الجنس قد تأتي من دون حب بين الشريكين، لافتًا إلى ضرورة تغيير هذه النظرة، والاستعاضة بدلًا عنها بإشاعة الحب داخل الأسرة، خاصة أن بعض الأسر تعاني من الجفاف العاطفي، ما ينشئ في داخلها حياة تشبه الجحيم.

وأشار في محاضرة حضرها مساء أول من أمس مئات الشبان في مجلس المبارك في مدينة القطيف، إلى إشاعة مشاعر روح الحب في الأسرة السعودية، وأضاف «هناك أسر باتت تعيش في داخلها تفككًا أسريًا، بل إن البعض حول بيته لفندق لا يأتيه إلا حين يريد النوم». وشدد الصفار في حديثه على أن الحب أعظم عاطفة في الوجود، و«هو ظاهرة كونية، وحقيقة علمية، وغريزة أساسية، شأنه في ذلك شأن الخوف والغضب والفرح، وهو شمس الطبيعة الثانية، وحينما يُشرق يُفجّر ينبوعًا من الفضائل، وحينما يشعّ جيدًا داخل الإنسان تُولد فيه كل الثمار المشرقة من الأفكار السامية، وفضائل الأخلاق والصفات،إنه الفردوس والجنة في الأرض».

(١) جريدة الرياض. الاثنين ٤ المحرم ١٤٣١هـ ـ ٢١ ديسمبر ٢٠٠٩م ـ العدد ١٥١٥٥.

وعن دور العائلة في تعزيز الحب قال: «إن معظم الدراسات تُشير إلى أن معظم المشاكل الأسرية وحالات الانحراف هي نتيجة الجوع العاطفي»، مضيفًا «إن الإشباع العاطفي يمنح الإنسان الشعور بالأمن والراحة النفسية، ويزيد ثقته بنفسه، ويُشجّعه على بناء علاقات إيجابية مع الآخرين، ويُحفّز لديه العمل الأخلاقي».

وعلى رغم إسهابه في توصيف ظاهرة الحب اجتماعيًا وفرديًا، إلا أنه حذر من تنامي «ظاهرة الجفاف العاطفي» التي تعيشها بعض الأسر، وتابع «قرأنا أخبارًا تناقلتها الصحف من قصص وأحداث مؤلمة تعرّض لها أطفال جرّاء الجفاف والقسوة التي تُحيط بأجواء أسرهم»، معتبرًا أن كل تلك السلوكيات تأتي من عدم توفر الحب داخل الأسرة.



جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

الاثنين 4 المحرم 1431هـ - 21 ديسمبر 2009م - العدد 15155

الصفار يدعو لتوفير «الحب» داخل الأسرة السعودية .. وينتقد حصره في الجنس



القطيف- منير النمر

انتقد الشيخ حسن الصفار توقف مفهوم "الحب" لدى بعض الشباب عند الجانب الجنسي، مؤكدا أن هذا الجانب ألغى جوانب مهمة من الحب، كما أن ممارسة الجنس قد تأتي من دون حب بين الشريكين، ملفتا إلى ضرورة تغيير هذه النظرة، والاستعاضة بدلا عنها بإشاعة الحب داخل الأسرة، خاصة أن بعض الأسر تعاني من الجفاف العاطفي، ما ينشئ في داخلها حياة تشبه الجحيم.

وأشار في محاضرة حضرها مساء أول من أمس مئات الشبان في مجلس المبارك في مدينة القطيف إلى إشاعة مشاعر روح الحب في الأسرة السعودية، وأضاف "هناك أسر باتت تعيش في داخلها تفككا أسريا، بل إن البعض حول بيته لفندق لا يأتيه إلا حين يريد النوم". وشدد الصفار في حديثه على أن الحب أعظم عاطفة في الوجود، و"هو ظاهرة كونية، وحقيقة علمية، وغريزة أساسية شأنه في ذلك شأن الخوف والغضب والفرح، وهو شمس الطبيعة الثانية، وحينما يُشرق يُفجّر ينبوعاً من الفضائل، وحينما يشعّ جيداً داخل الإنسان تُولد فيه كل الثمار المشرقة من الأفكار السامية، وفضائل الأخلاق والصفات، إنه الفردوس والجنة في الأرض".

وعن دور العائلة في تعزيز الحب قال: "إن معظم الدراسات تُشير إلى أن معظم المشاكل الأسرية وحالات الانحراف هي نتيجة الجوع العاطفي"، مضيفا "إن الإشباع العاطفي يمنح الإنسان الشعور بالأمن والراحة النفسية، ويزيد ثقته بنفسه، ويُشجّعه على بناء علاقات إيجابية مع الآخرين، ويُحفّز لديه العمل الأخلاقي".

٧

الصفار: واقع المرأة في المملكة يتغير ببطء[1]

أكد الشيخ حسن الصفار أن واقع المرأة في المملكة يتغير ببطء، وأنها لم تحصل على كافة حقوقها.

وقال في محاضرته التي جاءت بعنوان «المرأة واقع التهميش وإمكانات المشاركة» في الليلة الرابعة من المحرم١٤٣١هـ بأنه يوجد في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ممانعة كبيرة لإقرار حقوق المرأة وأخذ دورها الطبيعي.

وأرجع أسباب ذلك إلى وجود ثقافة ممانعة تنسب إلى الدين، من خلال نصوص لم يُتأكد من صحتها، موضحًا أن هذه الثقافة لا تزال تعوق المرأة عن التمكن من الوصول إلى حقوقها المشروعة التي أقرّها الشرع ويؤيدها العقل.

وأوضح أن ذلك يعود للفهم السائد والمغلوط للتشريعات الإسلامية، وخص منه مفهوم «القوامة» الذي يستغله الرجل في إقصائها وتهميشها والهيمنة والسيطرة عليها والتعدي على حقوقها.

وأشار أن هنالك تغييرًا طفيفًا في واقع المرأة في المملكة، لكنه يجري بوتيرة بطيئة ويحتاج إلى بذل جهد أكبر لإفساح المجال لها لتبدع وتبرز كفاءتها على الصعيدين العائلي والاجتماعي.

---

(١) شبكة راصد الإخبارية ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٩م.

وطالب المرأة بالارتقاء باهتماماتها، وعدم السماح لنفسها لأن تكون مرتعًا للخرافات، واصفًا الوسط النسائي بأنه مليء بوسائل الشعوذة والدجل، محذرًا المرأة من مغبة الوقوع في شرك هذه الممارسات.

وأكد الصفار على ضرورة وأهمية فسح المجال للمرأة للمشاركة في الشأن العام وإعطائها دورًا أكبر لتقوم بواجباتها.

داعيًا إلى فتح آفاق العمل أمام المرأة، وإيجاد آلية وسبل لتحقيق ذلك «وألا تقتصر الاستفادة من الكفاءات والخبرات على الرجال، لا سيما وأن المرأة أثبتت نجاحًا على الصعيد العلمي».

وفي ختام حديثه أشاد بدور الجمعيات الخيرية النسائية في المنطقة، موضحًا أن في المجتمع المحلي العديد من النساء بدأن يشققن طريقهن نحو الارتقاء والفاعلية.

٧

الشيخ الصفار يدعو إلى تبيئة حقوق الإنسان محليا[1]

حسين زين الدين

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى ضرورة تبيئة حقوق الإنسان محليًّا، عبر نشر ثقافة حقوق الإنسان على مختلف المستويات، لتعريف الناس بحقوقهم، موضحًا أن هذه الثقافة غائبة في مجتمعاتنا.

وطالب بوجود حراك اجتماعي للمطالبة بالحقوق، عبر القنوات المتاحة والمتعددة، دافعًا بالناس للتحلي بالشجاعة للدفاع عن حقوقهم وكرامتهم بأنفسهم.

وأضاف أن الأمر يحتاج إلى تضحيات ومبادرات، محفزًا أبناء المجتمع لدراسة القانون والمحاماة، والاستفادة من الهيئات الحقوقية المحلية.

وقال في محاضرته التي عنونها بـ «حقوق الإنسان بين المحلية والعالمية» في الليلة السادسة من محرم، في مجلس المبارك في القطيف: أراد الله للإنسان في هذه الحياة أن يعيش حرًا، عزيزًا، كريمًا، له مكانته وكرامته، ليس لأحد أي منة عليه بهذه الحقوق، كونها هبة ومنحة إلهية، مضيفًا أن الناس في هذه الحياة يأتون متساوين في كرامتهم وحريتهم وحقوقهم،وتكاد تكون قدراتهم وإمكاناتهم متساوية.

---

(١) شبكة التوافق. ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٩م.

وأشار الشيخ الصفار في حديثه إلى أن السكوت على الظلم، يغري ويكرس حالة الظلم والعدوان من قبل الآخرين، دافعًا بالناس لعدم السكوت والقبول بالظلم، لافتًا أن بعض البشر يوظفون قدراتهم وإمكاناتهم لظلم الآخرين. وهو ما لم يرده الله.

وتحدث عن معاناة الإنسان طوال مسيرة حياته من الظلم والعدوان على حقوقه، وهو ما دفع بالإنسان للنضال والدفاع من أجل الوصول إلى حقوقه المشروعة، موضحًا بعض حالات الظلم التي عانى منها الإنسان كالعبودية والاستعمار والاستبداد .

فيما أوجز سماحته مسيرة النضال من أجل حقوق الإنسان منذ عام ١٩٤٨، حين أصدرت الأمم المتحدة الإعلان عن حقوق الإنسان، لحماية الحقوق المدنية والسياسية.

ويلحظ حالة الازدواجية التي تمارسها الدول الغربية بشأن حقوق الإنسان، ففي داخلها تهتم بحقوق الإنسان، فيما تمارس أبشع الانتهاكات لحقوق الإنسان تجاه الشعوب الأخرى، وتحمي أنظمة الاستبداد، وتتبنى الكيان الصهيوني.

وأوضح الشيخ الصفار أن التقارير والدراسات الصادرة عن الهيئات الحقوقية الدولية لمحاربة الانتهاكات الحقوقية، تشير إلى أن الدول العربية والإسلامية في مقدمة الدول المنتهكة لحقوق الإنسان.

محملًا المجتمع مسؤولية تحفيز أبنائه لدراسة القانون والمحاماة، داعيًا أن تكون هناك مبادرات وجهود للمطالبة بالحقوق ورفع الظلم، مبينًا أن الشعوب التي تتمتع بحقوقها كان بسبب نضالها وتحركها. مشيرًا أن البعض يريد إدانة لمن انتهك حقوق الإنسان دون أن يتحمل مسؤوليته ودوره تجاه حقوقه.

وقال إن معرفة الفرد بالأنظمة والقوانين ترفع من معنوياته. مضيفًا أنه ينبغي أن تكون منظومة حقوق الإنسان جزءًا من فقهنا الديني.

وذكر أن جمعية (اكتفاء) النسائية بجدة، قامت بدراسة ١٦ حيًّا في جدة، اكتشفت

أن ٦٠٠ أسرة فقيرة لا يعرفون وجود ضمان اجتماعي يشملهم.

ونوَّه إلى أهمية وجود شريحة من المحامين والمستشارين القانونين، موضحًا أنه ليس كل إنسان يمكن أن يدافع عن نفسه. متسائلًا لماذا لا يوجد في مجتمعنا محامون قانونيون، مع إقرار نظام المحاماة في بلدنا؟

ودعا إلى أننا بحاجة إلى نشر ثقافة حقوق الإنسان، ليس على المستوى الرسمي ـ فقط ـ بل على المستوى الاجتماعي.

مبينًا أن أغلب المشاكل الأسرية نابعة من ضعف وعي الناس بحقوقهم وواجباتهم، لافتًا إلى أن دراسة صدرت عن الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، تبين أن ٩٤ ٪ من أبناء المملكة لا يعرفون أنظمة حقوق الإنسان، والحقوق التي لهم.

ودعا في محاضرته المجتمع إلى التفاعل والتعاون مع الهيئات والمؤسسات الحقوقية في البلاد، وأن نستفيد من الفرص المتاحة لرفع الشكاوي للجهات الحقوقية.

وأبان أن هناك من يستغل موقعه الوظيفي للإساءة للآخرين، مختتمًا حديثه بقوله: على الناس أن يتحلوا بالشجاعة والجرأة في الدفاع عن حقوقهم ومطالبهم، وأن يتحمل كل فرد مسؤوليته من أجل الوصول لحقوقه ومتابعتها.





٧

الصفار: الشرائع الإلهية تحفّز الإنسان لرفع الظلم والمطالبة بحقوقه[1]

تناول الشيخ حسن الصفار في محاضرته في الليلة السادسة من شهر محرم الحرام ١٤٣١هـ في مجلسه في القطيف المعنونة بـ حقوق الإنسان بين المحلية والعالمية بالآية الشريفة ﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[سورة النساء، الآية:١٤٨] ودار حديثه حول ثلاثة أمور:

الأول: حقوق الإنسان منحة إلهية: موضحًا أن الله عزّ وجلّ خلق هذا الكون وأودع فيه الثروات وكنوز الخيرات، وجعل الإنسان سيدًا وملكًا على هذا الكون وخيراته، وجعله أهلًا لذلك، ووهبه مميزات تميزه عن باقي الكائنات، وجعل له عقلًا وإرادة، من أجل أن يمارس دوره ورسالته في هذه الحياة، ونصبه خليفة له في الأرض، وهذا ما يتجلى في الآية المباركة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[سورة البقرة، الآية:٣٠] فكل شيء مخلوق للإنسان ومن أجله، ووضع تحت تصرفه، فالله تعالى شأنه كرّم ابن آدم، وشاء له أن يعيش كريمًا وحرًا في هذه الحياة.

وأوضح أن بمقتضى الآيات والنصوص الدينية، فإن الإنسان يولد بفطرته حرًا، وله حقوق، منها حق العمل، وحق الوجود، وكلها مخلوقة مع الإنسان منذ بدايات خروجه إلى هذه الدنيا ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وأضاف بأن حقوق الإنسان منحة

(١) http: //www.saffar.org

من الله عز وجل، وليست هبة من أحد من الناس.

وبين أن بني البشر بداعي الهوى، أو حب التسلط، يمارسون الظلم وسلب الحقوق ضد بعضهم بعضًا، وهذا ما عاناه الإنسان عبر التاريخ، على الرغم من وجود التشريعات الإلهية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى ضد الظلم والاستبداد وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[سورة الحديد، الآية:٢٥] وفي سياق الحديث عن الشرائع الإلهية أسهب في تبيان أن الشرائع الإلهية تحفّز الإنسان لرفع الظلم، والمطالبة بحقوقه، ورفع التعدي عنه، إن هو أصيب بذلك، بحيث لا يصبح خانعًا وخاضعًا عند وقوع الظلم والعدوان عليه.

الأمر الثاني: المسيرة العالمية لحقوق الإنسان: عانى الإنسان طوال حياته من الظلم والاستبداد من الطغاة والمستكبرين، فالطغيان إما أن يكون من فئة على فئة أخرى، أو يكون من حاكم على شعب، وفي قصص القرآن الكريم عبرة، في قصص فرعون ونمرود وغيرهم من الجبابرة والظلمة.

وأوضح أن الإنسان في الزمن الحديث تجرع المرارات من الظلم والاستعباد، وهذا الشيء تطور وأخذ منعطفًا خطيرًا في القرن الخامس عشر الميلادي، حينما كان الغزاة الأوربيون يغزون أفريقيا، ويأخذون من يشاؤون من شباب وفتيات كعبيد في أوروبا وأمريكا الشمالية ويعاملونهم أبشع معاملة بلا رحمة ولا شفقة.

كما أوضح أنه بعد إلغاء العبودية في أمريكا في القرن الثامن عشر الميلادي، عانى الناس من ويلات الاستعمار، من البلاد الأوروبية المستعمرة، التي كانت تهيمن على البلدان، وتستبيح ثرواتها كيف تشاء، ولا من رادع يردعها، وقال بأنه لولا تحرك الشعوب ونضالهم لما انتهى الاستعمار واستبداده، وضرب مثلًا بالذي يحصل في فلسطين المحتلة، كدليل على سطوة المحتل وقساوته ضد الشعب الفلسطيني المظلوم.

وفي نقطة أخرى أشار الصفار إلى وجود أربعة أجيال من عهود حقوق الإنسان،

تتعلق بالجوانب التالية: الحقوق الدينية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، والحقوق التنموية ومنها التعليم ومواجهة الفقر، وحقوق الإنسان الديمقراطية.

وأوضح بأنه بقدر ما تهتم الدول الغربية بالديمقراطية، إلا أنها تكيل بمكيالين تجاه قضايا العرب والمسلمين، وتسكت عن المعتدين ولا تحرك ساكنًا ضدهم.

الأمر الثالث: تنمية حقوق الإنسان محليًا: وقال: إن الدول في منطقتنا تعاني من ظلم الدول المستكبرة، ولكن في نفس الوقت توجد انتهاكات في داخلها، وأشار إلى أن الدول العربية والإسلامية تحتل الصدارة في تقارير انتهاكات حقوق الإنسان وكانت الأولى بحمايتها، لأنها أمة الإسلام الذي كرم الإنسان وأعطاه كامل حقوقه.

وشدد على دور الناس في دعم مشروع حقوق الإنسان، وعدم ترك هذه المسؤولية على الحكومات فقط، من دون عمل أي تحرك أو نشاط. وفي هذا النطاق تحدث عن أهمية نشر ثقافة حقوق الإنسان بين المجتمع، وذكر إحصائية بأن ٩٤٪ من شعب المملكة ليس لديهم إلمام بجانب حقوق الإنسان، وحث في هذا الجانب الجهات الدينية على الاهتمام ببث هذه الثقافة على الصّعد الوطنية والاجتماعية والعائلية أيضًا.

وفي نقطة أخرى في هذا المحور وهي توفير فرص للدفاع عن الحقوق، ومنها التشجيع على الدخول في دراسة تخصص القانون، الذي تعاني مجتمعاتنا فيه من قلة المتخصصين فيه، وبيّن أن هناك احتياجًا في مجال هذه الاستشارات لتوعية الناس بحقوقهم ومساعدتهم في مطالبهم.

كما ذكر نقطة التفاعل مع المؤسسات الحقوقية، وذكر بعض الإحصائيات خلال السنوات الأخيرة تشيد بتطور حقوق الإنسان في المملكة، وأهاب الجميع لدعم المؤسسات الحقوقية، حتى تصل إلى مبتغاها وأهدافها المستقبلية، وأن الوصول إلى الغايات تحتاج لوقت وصبر وتضحية، حتى الحصول على كامل الحقوق.

وتناول قضية الإمام الحسين عليه السلام في جانب الحقوق، وأنه خرج مدافعًا عن الناس وحقوقهم، وناشرًا لمبدأ الحرية والعدالة، حيث قال مخاطبًا الجيش الأموي: «إن لم يكن دين فكونوا أحرارًا في ديناكم».

٧

الصفار: عانى الإنسان طوال حياته من الظلم والاستبداد من الطغاة والمستكبرين[1]

تحدث الشيخ حسن الصفار عن موضوع مهم للغاية، وحاجة الناس إليه ماسة، وخصوصًا في هذا العصر الذي كثر فيه الظلم والطغيان على البشر.

وقد أشار الصفار في الليلة السادسة من المحرم: إلى أن الإنسان عانى طوال حياته من الظلم والاستبداد من الطغاة والمستكبرين، فالطغيان إما يكون من فئة على فئة أخرى، أو يكون من حاكم على شعب، وفي قصص القرآن الكريم عبرة في قصص فرعون ونمرود وغيرهم من الجبابرة والظلمة.

وأوضح فضيلته في مجلس المبارك بالقطيف: أن الإنسان في الزمن الحديث تجرع المرارات من الظلم والاستعباد، ولكن هذا الشيء تطور وأخذ منعطفًا خطيرًا في القرن الخامس عشر الميلادي، حينما كان الغزاة الأوروبيون يغزون أفريقيا، ويأخذون من يشاؤون من شباب وفتيات كعبيد في أوروبا وأميركا الشمالية، ويعاملونهم أبشع معاملة بلا رحمة ولا شفقة.

من جانب آخر، قال الصفار: إن الدول في منطقتنا تعاني من ظلم الدول المستكبرة، ولكن في نفس الوقت توجد انتهاكات في داخلها. وأكد أن الدول العربية والإسلامية تحتل الصدارة في انتهاك الحقوق، مع أنها الأولى في تطبيق ذلك، لأنها أمة الإسلام

(١) صحيفة الوسط البحرينية: العدد: ٢٦٦٦ | الخميس ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٩م الموافق ٧ محرم ١٤٣١ هـ.

الذي كرّم الإنسان وأعطاه كامل حقوقه.

وشدّد على دور الناس في دعم مشروع حقوق الإنسان، وعدم ترك هذه المسؤولية على الحكومات فقط، من دون عمل أي تحرك أو نشاط.

وأبان فضيلته أن ٩٤ ٪ من شعب المملكة ليس لديهم إلمام بجانب حقوق الإنسان، وحثّ في هذا الجانب الجهات الدينية على الاهتمام ببث هذه الثقافة، على الصّعد الوطنية والاجتماعية والعائلية أيضًا.

الوسط Alwasat
يومية سياسية مستقلة

العدد: 2666 | الخميس 24 ديسمبر 2009م الموافق 07 محرم 1431هـ

الصفار: عانى الإنسان طوال حياته من الظلم والاستبداد من الطغاة والمستكبرين

0

تحدث الشيخ حسن الصفار عن موضوع مهم للغاية وحاجة الناس إليه ماسة وخصوصا في هذا العصر الذي كثر فيه الظلم والطغيان على البشر.

وقد أشار الصفار في الليلة السادسة من المحرم إلى أن الإنسان عانى طوال حياته من الظلم والاستبداد من الطغاة والمستكبرين، فالطغيان إما يكون من فئة على فئة أخرى، أو يكون من حاكم على شعب، وفي قصص القرآن الكريم عبرة في قصص فرعون ونمرود وغيرهم من الجبابرة والظلمة.

وأوضح فضيلته في مجلس المبارك بالقطيف أن الإنسان في الزمن الحديث تجرع المرارات من الظلم والاستعباد ولكن هذا الشيء تطور وأخذ منعطفا خطيرا في القرن الخامس عشر الميلادي حينما كان الغزاة الأوروبيون يغزون إفريقيا ويأخذون من يشاؤون من شباب وفتيات كعبيد في أوروبا وأميركا الشمالية ويعاملوهم أبشع معاملة بلا رحمة ولا شفقة.

من جانب آخر، قال الصفار إن الدول في منطقتنا تعاني من ظلم الدول المستكبرة ولكن في نفس الوقت توجد انتهاكات في داخلها. وأكد أن الدول العربية والإسلامية تحتل الصدارة في انتهاك الحقوق مع أنها الأولى في تطبيق ذلك، لأنها أمة الإسلام الذي كرم الإنسان وأعطاه كامل حقوقه.

وشدد على دور الناس في دعم مشروع حقوق الإنسان وعدم ترك هذه المسؤولية على الحكومات فقط من دون عمل أي تحرك أو نشاط.

وأبان فضيلته أن 94 % من شعب المملكة ليس لديهم إلمام بجانب حقوق الإنسان، وحث في هذا الجانب الجهات الدينية على الاهتمام ببث هذه الثقافة على الأصعدة الوطنية والاجتماعية والعائلية أيضا.

على صعيد آخر، أكد على توفير فرص للدفاع عن الحقوق والتشجيع على الدخول في دراسة تخصص القانون والذي تعاني مجتمعاتنا فيه من قلة المتخصصين فيه، مشيرا إلى احتياج هذه الاستشارات لتوعية الناس بحقوقهم ومساعدتهم في مطالبهم.

وختم قوله أحث الناس على التفاعل مع المؤسسات الحقوقية.

المصدر: صحيفة الوسط البحرينية

تم حفظ الصفحة من الرابط: http://www.alwasatnews.com/2666/news/read/352015/1.html

٧

فنانو الشرقية يستشعرون آلام الوطن بلوحات لمتضرري سيول جدة[1]

القطيف: يوسف الحربي

في بادرة جمعت الفن التشكيلي والخط العربي والتصوير الضوئي، في أكثر من ٢٠٠ عمل فني، لأكثر من ٦٠ فنانًا وفنانة، من المنطقة الشرقية، متبرعين بأعمالهم من خلال المعرض الخيري المشترك «وقفة بين ساحلين» الذي يقام تضامنًا مع متضرري سيول جدة، وتزامنًا مع حملة «محرم للتبرع بالدم» مساء أمس الأول ويستمر لمدة ثلاثة أيام، افتتح الشيخ حسن الصفار المعرض، بحضور جمع غفير من الفنانين التشكيليين من جميع محافظات المنطقة الشرقية، في مركز التنمية الاجتماعية بالقطيف.

وقال المشرف على المعرض الفنان زمان جاسم لـ«الوطن»: إن المعرض يشكل وقفة إنسانية من فنانين يستشعرون آلام مجتمعهم السعودي، حيث تبرعوا بريع أعمالهم إلى مركز التنمية الاجتماعية، الذي بدوره سيحوله إلى مواد عينية، وتقديمها إلى جمعية العطاء النسائية، التي بدورها ستوصلها إلى المحتاجين، مشيدًا بمشاركة رواد الفن التشكيلي في المنطقة: عبدالرحمن السليمان، عبدالله الشيخ، عبدالله المرزوق، زهرة بوعلي.

الأعمال الفنية جاءت بأعداد كبيرة لدرجة استبعاد بعضها لضيق الصالة، وبأحجامها

(١) صحيفة الوطن. الجمعة ٨ محرم ١٤٣١ ـ ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٩ العدد ٣٣٧٤.

المختلفة نقلت الخبرة من الأسماء المعروفة إلى العديد من الفنانين الشباب، وضمت الخط العربي والتصوير الضوئي.

رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية للفنون التشكيلية عبدالرحمن السليمان، أثنى على استجابة الفنانين لهذا العمل الإنساني، وقال: هو أمر ليس بالغريب على فناني وفنانات القطيف، الذين فتحوا الباب لباقي الفنانين في المنطقة الشرقية، للمشاركة بالمعرض، متمنيًا أن تلاقي اللوحات استجابة فاعلة من ناحية اقتنائها، والحصول على ريع حقيقي، يرسم ابتسامة على وجوه وقلوب الإخوة المتضررين في جدة.





٧

حقوق المرأة ودورها الطبيعي[1]

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنه يوجد في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ممانعة كبيرة لإقرار حقوق المرأة وأخذ دورها الطبيعي، مرجعًا الأسباب إلى وجود ثقافة ممانعة تنسب إلى الدين من خلال نصوص لم يُتأكد من صحتها.

وأوضح أن هذه الثقافة لا تزال تعوق المرأة عن التمكن من الوصول إلى حقوقها المشروعة، التي أقرّها الشرع ويؤيدها العقل. بسبب الخضوع إلى الأعراف والتقاليد والتفسيرات والتأويلات المغلوطة، أو إلى وجود فهم خاطئ لبعض النصوص من وحي بيئة الفقيه الذي فسّر هذه النصوص.

مضيفًا أن البعض يفسّر هذه الثقافة بأنها لرعاية الحشمة والعفاف ولمنع الفتنة، محذرًا أنه ينبغي ألا تكون بالافتراء على الدين وسلب حقوق المرأة.

وقال في محاضرته التي عنونها بـ «المرأة بين واقع التهميش وإمكانات المشاركة» في الليلة الرابعة من محرم ١٤٣١هـ في مجلس المبارك في القطيف: أن المرأة عانت في تاريخها الكثير من الحيف من الرجل من سوء سيطرته وهيمنته؛ بحيث تهمش دورها في هذه الحياة.

ورأى أن هناك بعض من يروج لبعض الآراء والمعتقدات تنسب إلى الدين، لكي تبرر للرجل نظرته الدونية، وهيمنته على المرأة، مع أنها تخالف الواقع والحقيقة،

---

(١) جريدة الدار الكويتية: السبت ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٩م.

مضيفًا أن المرأة كان يتعامل معها كسقط متاع يورث من الرجل وأنها خلقت لخدمته.

وذكر الشيخ الصفار أن المرأة في العصر الراهن قطعت شوطًا في أخذ مكانتها ودورها في كل المجالات العلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فأصبح في بعض دول العالم بعض الوزراء غالبيتهم من النساء، ففي فنلندا (١١) وزيرة من أصل (١٩) وزيرًا، وفي النرويج (١٠) وزيرات من أصل (١٨) وزيرًا، وفي غرينادا (٦) وزيرات من أصل (١٢) وزيرًا، فيما رأى أن المرأة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية لا تزال في بداية الطريق، نتيجة وجود ثقافة تعرقل من حركتها والحصول على حقوقها المشروعة، داعيًا إلى أهمية تمكين المرأة في مجتمعنا للوصول لحقوقها.

وأشار الصفار أن المرأة في مجتمعاتنا لا تزال على المستوى العائلي والأسري تتعرض لكثير من حالات العنف والظلم التي تسجلها التقارير والإحصائيات في بلادنا، حيث تشير إحصائية إلى وقوع (١٦) محاولة انتحار شهريًا من النساء في المملكة،

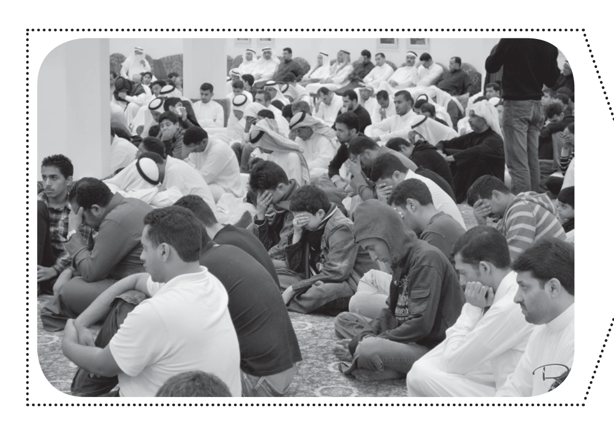
وبلغ عدد الهاربات من النساء والفتيات إلى أكثر من (٣٠٠٠) حالة هروب من منازلهن، لافتًا أن هروبهن قد يؤدي بهنّ إلى مهاوي الرذيلة والانحراف.

ويأمل أن تتجاوز المرأة في مجتمعاتنا هذه الحالة وواقع التهميش، لافتًا إلى بعض التطورات الإيجابية على هذا المستوى، لكنها خطوات أولية، ممثلًا بحالة تعيين أول امرأة بمرتبة وزير في بلادنا، وكذلك الاستفادة من بعض الاستشاريات في مجلس الشورى، كما أصبح للمرأة حق التصويت لانتخاب إدارة الجمعيات الخيرية في مجتمعنا، بالإضافة إلى مشاركتهن في انتخابات الغرف التجارية. داعيًا أن تتواصل هذه الخطوات وتتكامل، حتى تأخذ المرأة حقها، موضحًا أنه تفتقر الجهات الرسمية كالمحاكم الشرعية إلى أقسام متخصصة لاستقبال النساء ورفع الضيم والحيف وتوفير الحماية لتحميها من حالات العنف والظلم.

ودعا سماحته إلى فتح آفاق العمل أمام المرأة، وإيجاد آلية وسبل لتحقيق ذلك،

وألا تقتصر الاستفادة من الكفاءات والخبرات على الرجال، لا سيما وأن المرأة أثبتت نجاحًا على الصعيد العلمي، ذاكرًا أنه من المؤسف أن تكون لدينا في المملكة ٦٠٠ امرأة تحمل شهادة الدكتوراة، و٣٠٠٠ امرأة تحمل شهادة الماجستير و٢٠٠٠ يحملن شهادة البكالوريوس وهنّ عاطلات عن العمل.







٧

فنانو القطيف يساندون منكوبي جدة بـ «وقفة بين ساحلين»[1]

جعفر الصفار ـ القطيف

افتتح فنانو القطيف مساء أمس الأول معرضًا خيريًا تضامنًا مع متضرري سيول جدة، بعنوان «وقفة بين ساحلين»، وذلك بصالة نادي الفنون في مركز الخدمة الاجتماعية بمحافظة القطيف.

وقال الشيخ حسن موسى الصفار الذي افتتح المعرض: إن هذه البادرة وطنية وعظيمة؛ لأن أبناء الوطن وتوجهاتهم وشرائحهم يمثلون جسدًا واحدًا، يتضامنون مع بعضهم بعضًا.

وأضاف رئيس المجلس البلدي لمحافظة القطيف المهندس جعفر الشايب: إن المعرض أقل ما يمكن أن نقدمه تضامنًا مع الضحايا، مشيرًا إلى أن العمل الفني تعبير عن حضارة ثقافية.

وأوضح المشرف العام على المعرض زمان محمد جاسم: أن فكرة المعرض جاءت من خلال تسجيل موقف لأحداث كارثة جدة، وأضاف: أن الفكرة بدأت باسم وقفة، ثم تطورت إلى وقفة بين ساحلين تبدأ من الشرقي إلى الغربي.

---

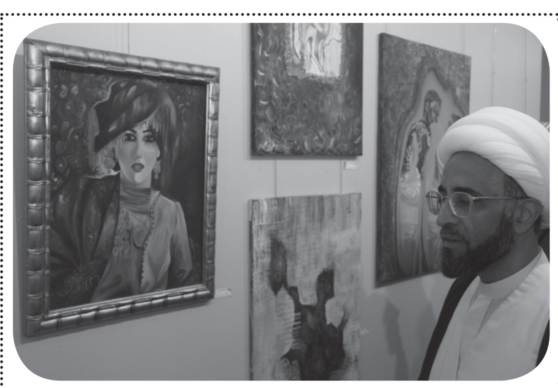
(١) صحيفة اليوم. السبت ٩/ ١/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٩م – العدد ١٣٣٤٣.

وأشار رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية للفنون التشكيلية الفنان عبد الرحمن السلمان: إلى أن المعرض يشكّل وقفة إنسانية من فنانين يستشعرون آلام مجتمعهم.

ومن جهة أخرى قامت لجنة أبناء وبنات القطيف بتسيير شاحنة محملة بالماء والحليب، وذلك لتصل لمنطقة قويزة، لتفريغها في مستودع الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

وأوضح العضو المؤسس ورئيس اللجنة الإعلامية باللجنة عاطف الغانم: إن هذه المبادرة امتداد للمشاعر النبيلة التي يحملها أبناء القطيف لجميع أبناء الوطن، ومن جانبه قدم العضو المنسق في اللجنة ميثم آل خليف شكره إلى رجل الأعمال سلمان الجشي الذي تبرع بهذه المساعدة.





15 ألف حالة عنف انتهت بالقتل!

٧

الشيخ الصفار يدعو للتصدي لظاهرة العنف الاجتماعي[1]

القطيف ـ منير النمر

اعتبر الشيخ حسن الصفار أن استخدام السلاح في المشاجرات مؤشر إلى تنامي ظاهرة العنف الاجتماعي، محذرًا من عدم التصدي للعنف عن طريق نشر ثقافة تحث على التسامح والحوار، بدلًا من التناحر والقتل لأتفه الأسباب.

وقال في ندوة تناولت (العنف في المحيط الاجتماعي) ألقاها مساء أول من أمس في مدينة صفوى في محافظة القطيف: «من الطبيعي أن تكون في أي مجتمع خلافات، كانت سابقًا تدار إما بالحوار بين الأطراف، أو عبر وسطاء الخير في كل مجتمع».

وركز الصفار على المرحلة الراهنة منتقدًا حالات «الشجار التافهة» التي راح

الرياض

جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

السبت 9 المحرم 1431هـ - 26 ديسمبر 2009م - العدد 15160

15 ألف حالة عنف انتهت بالقتل!

الشيخ الصفار يدعو للتصدي لظاهرة العنف الاجتماعي



القطيف - منير النمر

اعتبر الشيخ حسن الصفار أن استخدام السلاح في المشاجرات مؤشر إلى تنامي ظاهرة العنف الاجتماعي، محذرا من عدم التصدي للعنف عن طريق نشر ثقافة تحث على التسامح والحوار، بدلا من التناحر والقتل لأتفه الأسباب.

وقال في ندوة تناولت "العنف في المحيط الاجتماعي" ألقاها مساء أول من أمس في مدينة صفوى في محافظة القطيف:"مع الطبيعي أن تكون في أي مجتمع خلافات، كانت سابقًا تدار إما بالحوار بين الأطراف، أو عبر وسطاء الخير في كل مجتمع".

وركز الصفار على المرحلة الراهنة منتقدا حالات "الشجار التافهة " التي راح ضحيتها الكثير من الشبان مذكراً بأولئك الذين فقدوا حياتهم بسبب شجار عابر.

وقال الشيخ الصفار "في الماضي لم تكن هناك حالات قتل في المجتمع، إلا في شكل نادر، فيما نسمع اليوم عن حالات كثيرة يلعب فيها السلاح دورا هاما". وأضاف:"تشير الإحصاءات على مستوى المملكة إلى وجود أكثر من 128 حَدَثًا في سجون الأحداث متورطين في جرائم قتل ويوجد في محافظة القطيف 30 حكم قصاص مضافا لذلك عدد كبير من حالات الاغتصاب. وزاد "هناك نحو 15 ألف حالة عنف، بيد أن معظم هذه الحالات انتهت بالقتل لأسباب تافهة، فيما بعضها الآخر خلافات أسرية وعائلية بسيطة".

ورأى أن أسباب انتشار العنف يعود لأسباب عدة، منها ضعف التنشئة الأسرية، إذ يقضي الأبناء وقتًا طويلاً بعيدًا عن أنظار والديهم، ما يقلل من حصول الأبناء على القيم والمثل الحسنة، كما تنعدم في مثل تلك الظروف الرقابة، وشدد على

---

(١) جريدة الرياض. السبت ٩ المحرم ١٤٣١هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٩م - العدد ١٥١٦٠.

ضحيتها الكثير من الشبان مذكرًا بأولئك الذين فقدوا حياتهم بسبب شجار عابر.

وقال الشيخ الصفار «في الماضي لم تكن هناك حالات قتل في المجتمع، إلا نادرًا، فيما نسمع اليوم عن حالات كثيرة يلعب فيها السلاح دورًا هامًا». وأضاف: «تشير الإحصاءات على مستوى المملكة إلى وجود أكثر من ١٢٨ حَدَثًا في سجون الأحداث متورطين في جرائم قتل، ويوجد في محافظة القطيف ٣٠ حكم قصاص، مضافًا لذلك عدد كبير من حالات الاغتصاب». وزاد: «هناك نحو ١٥ ألف حالة عنف، بيد أن معظم هذه الحالات انتهت بالقتل لأسباب تافهة، فيما بعضها الآخر خلافات أسرية وعائلية بسيطة».

ورأى أن أسباب انتشار العنف يعود لأسباب عدة، منها ضعف التنشئة الأسرية، إذ يقضي الأبناء وقتًا طويلًا بعيدًا عن أنظار والديهم، ما يقلل من حصول الأبناء على القيم والمثل الحسنة، كما تنعدم في مثل تلك الظروف الرقابة، وشدد على أن وسائل الإعلام تلعب دورًا فاعلًا يؤثر على تنشئة الأبناء، مشيرًا إلى أن مشاهد العنف والقتل في الأفلام ونشرات الأخبار تسهم في تعزيز السلوك العنيف.

ولم تقتصر محاضرة الصفار التي حضرها مئات الأشخاص على «العنف الاجتماعي»، بل تطرق إلى العنف السياسي الذي ينتشر في بعض البلدان التي تتصف بالدكتاتورية، مستعرضًا بعض شواهد الصراع على السلطة في العالم، وحجم الدماء التي سالت في معاركه.

وقال في هذا الصدد: «إن معظم حالات القتل في دول العالم تأتي بدافع سياسي، ومن أجل الصراع على السلطة والحكم وهو ما يعرف بالعنف السياسي»، مستعرضًا قسمًا كبيرًا من التاريخ البشري الداعم لرأيه، إذ قال: «لم يسلم حتى التاريخ الإسلامي من القتل السياسي الناشئ عن صراع على السلطة والحكم»، مدرجًا ذلك ضمن ممارسة العنف، وأضاف: «إن تاريخ البشرية مليء بالعنف، إذ أصبح العنف مسألة طبيعية للوصول للسلطة والحكم».

٧

الصفار يطالب بالخروج من حالة اليأس في إيجاد الوحدة بين الشيعة والسنة[1]

القطيف ـ عبدالسلام أبو بشيت

أكد الشيخ حسن الصفار على ضرورة الخروج من حالة اليأس التي تولدت بسبب كثرة المشاكل والتشنجات، وحالة عدم التفاؤل في إيجاد وحدة سنية شيعية، والمضي قدمًا في مسألة ما سمّاه «الوحدة الممكنة» مشيرًا إلى أن هناك ثوابت مشتركة يجب التركيز عليها، مثل الإيمان بالله، وبالرسول الأكرم، والكتاب والسنة والقبلة، والتوحد ضد أعداء الإسلام، والتحديات التي نواجهها كمواطنين يجمعنا بلد واحد، مؤكدًا على الوحدة الاجتماعية التي تستلزم التواصل مع الطرف الآخر، والانفتاح عليه، وعدم القطيعة.

جاء ذلك في محاضرة للشيخ الصفار في الليلة الثامنة من محاضرات عاشوراء الحسين في محافظة القطيف.

وأشار الصفار إلى أن بعض الناس ينظرون إلى الاختلاف الديني أو المذهبي بسذاجة وسطحية، وأن كل معتقد أو توجه يعتقد بأنه هو الأصح، ويستغرب عدم إقبال الآخرين على ما يعتقده أو يؤمن به. وفي هذا المنحى بين الشيخ الصفار بأن القضية الدينية لها تركيبات معقدة، وتداخلات كثيرة، وأنه ليس من السهولة أن يغير الإنسان

(١) شبكة سعوديون الإخبارية. السبت ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٩م ـ الموافق ٩/ ١/ ١٤٣١هـ.

مسلكه أو توجهه؛ لأن الناس غالبًا يتوارثون توجهاتهم الدينية والعقائدية من البيئة التي يعيشون فيها، وعبر الأجيال المتلاحقة، كما هو الحال مع اللغة، يولد الإنسان معها وتستمر جيلًا بعد جيل.

وأضاف بأن الانتماء الديني ينمو مع الإنسان، ولكن بعد أن يكبر وينفتح على الآفاق، ويخرج إلى مجالات أوسع، يواجه مثل هذه التيارات المختلفة، فيجب عليه حسن التصرف في كيفية التعامل مع الآخر أو المخالف. وذكر بأن التوجه الديني هو جزء من ذات الإنسان، فيتعصب له ويدافع عنه كدفاعه عن أرضه ومصالحه ومبادئه.

وذكر أن بعض التوجهات الدينية تحكمها مصالح، سواءً كانت سياسية أو اقتصادية وغيرها. وهذه الحالة عادةً ما تكون على مستوى النخب المجتمعية حسب تعبيره، وقال «وقد تكون هذه المصالح مرتبطة بزعامات معينة، لا تريد أن تفقد نفوذها، أو لأنها لا تريد أن تعيش منبوذة في وسط مجتمعها، في حالة تخليها عن التوجه السائد في البيئة المحيطة بها».

وأوضح الصفار بأن الله سبحانه وتعالى أرسل أنبياءه عليهم السلام بالرسالات السماوية، وقواهم بالحجج والبراهين، ولكن هذا لا يعني أن الناس كلها ستقبل عليهم، وتترك أديانها السابقة بسهولة، وهذا ما يتجلى في الآية الشريفة: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾، وقال: «فالاختلافات في القضايا الدينية بالغة التعقيد وصعبة الحسم، وأنه لاحسم لهذه المسألة في الدنيا، وأنه سبحانه يفصل بين الناس يوم القيامة فيها».

فالقضية، حسب قوله، ليست قضية منطق أو دليل، ولكنها قضية أن الناس جبلوا على ما وجدوا أنفسهم عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وشدد الصفار على ترك حالة الانتقائية في الأحاديث، وأنه يجب عدم إغفال أحاديث أهل البيت التي تحث على الاعتدال والتسامح، وذكر منها ما قاله الإمام الصادق: «لا تخاصموا الناس لدينكم فإن المخاصمة ممرضة للقلب»، وناشد الصفار

بألا تتحمل المجتمعات فوق طاقتها في مسألة الاختلاف والدعوة إلى المذهب؛ لأن هذه المسألة مستمرة ومعقدة في تداخلاتها، حسب قوله.

كما بين بأن لكل مذهب خصوصياته التي تميزه عن غيره، في المجال العقائدي والفقهي والتاريخي، وفي الشعائر والمظاهر، كما يوجد هناك في الطرف المقابل مشتركات يجب العمل على تعزيزها واستخدامها كوسيلة للتقارب والوحدة. وبين الصفار أنه رغم الحشد الإعلامي في فترة من الفترات، والتكفير الممارس، إلا ان الناس ثبتت على عقيدتها، وازداد إيمانها بمبادئها وثوابتها.

وأوضح بأن الخصوصيات المذهبية جاءت عن قناعات، بالرجوع إلى مرجعيات ومبانٍ عقائدية، وهي غير قابلة للمساومة أو التنازل، وبين بأن الناس يعتبرون هذه الخصوصيات معبرة عن هويتهم، وتركها يعني التنازل عن هذه الهوية.ومن هذا المنطلق يتجلى دور الجمهور وتأثيره في ما يرتبط بهذه المسألة.

في هذا المجال ضرب مثالًا بتعامل الإسلام السمح مع هذه الخصوصيات وحفظها، بذكره لعهد النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة مع اليهود، وعهده مع نصارى نجران، في تبيان حقوقهم الدينية والعبادية. وفي الإطار ذاته أوضح أنه لا يمكن سلب الخصوصيات الثقافية والدينية لأنها حق مشروع للجميع.

وتناول الشيخ الصفار مسألة الاختلاف داخل المذهب الواحد، وأن هناك خصوصيات عامة متفق عليها، ولكن يوجد خلاف في بعض المسائل الفقهية وباب النقاش فيها مفتوح، وذكر منها مسألة الشعائر الحسينية، وقال: «بوجوب احترام كل طرف للطرف الآخر، وأن لكل طرف مرجعه في تلك الفتوى»، وحذر الصفار من تفشي ما سمّاه «الإرهاب الفكري» وعدم فتح الحوار، والتعصب لرأي دون الاستماع لرأي الطرف الآخر، وقال: «فالاختلاف في الرأي لا يعني إلغاء الطرف الآخر أو تهميشه، بل يجب أن يكون الحوار الحضاري الهادئ وسيلة مثلى للنقاش».



الشيخ الصفار: الحسين نداء العدل والمساواة[1]

ناصر أحمد الرهين

بدأ سماحة الشيخ حسن الصفار محاضرته لليلة العاشر من المحرم١٤٣١هـ التي تمحورت حول (الحسين نداء العدل والمساواة) بذكر خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء أمام الجيش الأموي التي قال فيها: «أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقًا على الله أن يدخله مدخله».

إلى أن قال عليه السلام: «وأنا أحقّ من غيّر»، أشار سماحة الشيخ إلى أن الإمام الحسين عليه السلام بيّن في هذه الخطبة أهداف حركته وبواعث ثورته وأنه لم يخرج من أجل هدف دنيوي أو شخصي ويتضح ذلك بجلاء حين قال عليه السلام: «إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي»، من هذا المنطلق يوضح الإمام الحسين عليه السلام أنه خرج ليس من أجل أمور عبادية كالصلاة وقراءة القرآن؛ لأن الذين حاربوا الإمام كانوا يصلون ويتعبدون، ولكنه خرج بعد أن استشرى الظلم في جسد الأمة، وتفشى القهر على يد الحكم الأموي الجائر، الذي أدخل الأمة في نفق مظلم،

(١) شبكة التوافق الإخبارية. ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠٩م.

خاصة بعد تولي يزيد بن معاوية الخلافة بدون وجه حق.

وأشار سماحته إلى أن الإسلام جاء لنصرة الحق، ونشر العدل والمساواة، وأن هذا كان ديدن أئمة الهدى ﷺ وهذا من مصاديق الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾.

إلى ذلك أوضح العلامة الصفار الفرق بين مفهومي العدل والمساواة، وأن مفهوم العدالة هو إعطاء كل ذي حقه، وهو لا يعني بالضرورة حصول المساواة، بينما مفهوم المساواة هو: التماثل في الحقوق والواجبات أمام القانون.

وبين كذلك مصطلح التمييز الذي فسره بمعنى: حرمان فرد أو فئة من التماثل مع غيرها في الحقوق والواجبات والفرص.

وفي هذا السياق بين أخطار التمييز التي كانت كالآتي:

١. **ضعف الوحدة الاجتماعية**: بمعنى أن المجتمع الذي فيه عدم مساواة، وتكون فيه طبقات متفاوتة، لا يكون مستقرًا، وأن الوحدة لا تتحقق وإن فرضت ظاهريًا.

٢. **الوأد للكفاءات والطاقات**: وتعني عدم إتاحة الفرصة أمام من يملك الكفاءة بسبب انتمائه إلى فئة معينة، ودعا سماحته إلى أن الفرص تكون على أساس الكفاءة لا على أساس الفئة أو العرق.

٣. **تهديد الأمن والاستقرار**: وبين أن البلد الممارس للتمييز لا يكون مستقرًا اجتماعيًا وسياسيًا.

٤. **إعطاء الفرصة للجهات المعادية**: أي أن الانقسام وعدم المساواة داخل المجتمع تفتح منفذًا للإرادات الخارجية للتدخل في شؤون البلد، فلا بد من تحقيق المساواة لتحصين المجتمع.

وفي هذا السياق أشار إلى التغيير الذي حصل على صعيد المساواة في العالم،

وذكر أمثلة على ذلك ومنها الولايات المتحدة، الأمريكية وانتخاب رئيس كان يعتبر من الفئة المغلوبة على أمرها في المجتمع الأمريكي سابقًا.

وأشار الشيخ الصفار إلى دور النبي الأكرم ﷺ في انتشال المجتمع الجاهلي من القبلية والفئوية، وضرب سماحته مثلًا ببلال مؤذن الرسول ومقامه الرفيع، وسلمان الفارسي، ومنزلته العظيمة، وهم من أصول غير عربية، وكيف كان مقياس الإسلام بالتقوى لا بالعرق ولا القبيلة.

وفي نقطة أخرى أوضح فضيلته أنواع التمييز وأنها تنقسم إلى عدة أقسام:

- **تمييز قانوني**: الذي يكون له أساس قانوني ومقر دستوريًا.
- **تمييز غير قانوني**: الذي تقوم به بعض المؤسسات من حيث إجراءاتها ويكون غير مجاز قانونيًا.
- **تمييز في علاقات الناس ببعضهم بعضًا.**
- **التمييز الطائفي**: بيّن فيه أنه يجب الإقرار بوجوده، وأن يناقش الموضوع ويعالج، وذكر أن الحوار الوطني كان وسيلة من تلك الوسائل.

وفي هذا السياق أشار سماحة الشيخ بوجود مواد تكفل عدم التمييز في النظام الأساسي للمملكة، وذكر منها المادة الثامنة لنظام الحكم. وأوضح إلى أن هناك خطوات إيجابية، ومنها القدرة على طرح بعض القضايا التي كانت لا تطرح في السابق، وشدد على حفظ الوحدة داخل الوطن، وحل مشكلة التمييز داخل الإطار الوطني..

وأوضح أن هناك مجاميع تمارس سياسة التهميش ضد الشيعة، ويتهمونهم بالولاء لجهات خارجية، على الرغم من أنهم مخلصون ومدافعون عن تراب هذا الوطن وأمنه.

وفي نقطة أخرى بين سماحته وجوب تحمل المسؤولية وتفهم ظروف الوطن، والواقع الذي نعيش فيه، وبيّن أن هناك اتجاهين في الواقع الشيعي في التعامل مع هذه المسألة:

الاتجاه الأول:

اتجاه يأخذ بعين الاعتبار أن الأمة مهددة بالنزاعات الطائفية، ومن كيان غاصب يسعى لإيقاد الفتنة بين المسلمين، فأصحاب هذا التوجه من القيادات يرون أن المشكلة ليست مع السنة، وإنما مع الأطراف المتشددة منهم ، فيجب التعامل معهم بحكمة وتعقل لأمرين:

- لكي لا تتأثر المصلحة العليا للمسلمين والمذهب على حدٍّ سواء.
- لأجل عدم خسارة تعاطف باقي المسلمين معنا.

الاتجاه الثاني:

الذي يتبنى فكرة الرد بقوة على كل من يتجرأ على المذهب، وممارسة كل الشعائر والشعارات بغض النظر عن الواقع المحيط، وفي هذه النقطة دعا سماحته إلى وقفة تأمل وتفكر، وأن المصلحة العامة تستدعي تكوين انطباع جيد في المحيط الذي نعيش فيه، ويتطلب إيجاد الأنفع للمذهب في المرحلة الراهنة.

وأضاف: إن الناس أصحاب عقول، ويستطيعون التمييز بين الاتجاهين، واختيار الأنسب والأصلح بينهما.

وفي الختام توجّه سماحته بقلوب الحاضرين إلى واقعة الطف الأليمة، وما جرى فيها على أهل بيت النبوة ﷺ، وبيّن أن الحرب بين المعسكر الحسيني والمعسكر الأموي كانت بين الحق والباطل، و أشار إلى وقوف تلك الثلة المؤمنة على قلة عددهم مع الإمام الحسين عليه السلام إيمانًا بالقضية، ووقوفًا ضد الطغيان والظلم.

٧

مواجهة العنف في المحيط الاجتماعي[1]

تقرير: ناصر أحمد الرهين

واصل سماحة الشيخ حسن موسى الصفار إلقاء محاضراته لشهر محرم الحرام١٤٣١هـ، لليلة السابعة في جامع الكوثر بصفوى، وكانت محاضرته بعنوان (مواجهة العنف في المحيط الاجتماعي) وقد استهلها بتلاوة الآية المباركة ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ وقد تناول سماحته ثلاثة محاور رئيسية:

الأول: حرمة النفوس والدماء

وفيها بدأ الشيخ حديثه بأن الله سبحانه وتعالى هو مانح الحياة لكل كائن حي، ووصف هذه المنحة وسمّاها «قوة الحياة»، فإذا أعطى الله هذه الروح، فإن سحبها لا يكون إلا بيده سبحانه، ولا يحق لأحد مصادرتها أو القضاء عليها إلا بشرع الله وحكمه، وأن من اعتدى على حياة إنسان يكون قد خالف الله وأغضبه وأسخطه عليه، فهي من أشد الجرائم بشاعة وقسوه، فالتعدي على نفس بشرية واحدة هو اعتداء على البشرية جمعاء؛ لأن الحياة قيمة واحدة، فإذا ظهرت على فرد فإنها تمثل الحياة كلها.

وفي نفس السياق تناول الشيخ هذا المحور من وجهة نظر دينية، حيث وضح

(١) شبكة صفوى الإخبارية. ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠٩م

حرص رسالة الإسلام على حفظ الأنفس، والتغليظ الشديد الذي ورد في الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، ومنها الحديث الشريف «لزوال الدنيا جميعًا أهون على الله من دم يسفك بغير حق»، وفي ذلك شدد سماحته على حديث آخر للنبي الأكرم ﷺ، ورد فيه أن جميع الأمور فيها نقاش وأخذ ورد إلا مسألة الدماء، حيث عبّر عنها بقوله: «الدماء خط أحمر» في الحديث النبوي: «ما يزال العبد في فسحة من دينه حتى يسفك دمًا حرامًا»، والحديث الشريف الآخر «أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة الدماء»، وفي ختام هذا المحور أشار سماحته إلى حرمة قتل الإنسان نفسه، أو ما سمي غربيًا «بالموت الرحيم» وعظم هذه الجريمة؛ لأن هذه النفس أتت بقرار إلهي من قبل الخالق عز وجل ولا يحق للإنسان إزهاقها..

المحور الثاني: العنف السياسي

وبدأ فيه فضيلته بتوضيح هذا المصطلح وأنه «مصطلح يطلق على القتل لهدف سياسي» وأوضح بأن النزاع على السلطة من أكثر أسباب الحروب عبر تاريخ البشرية، وأشار بأن المجتمعات المتقدمة أوجدت آليات للحدّ من هذه النزاعات وحلها، عن طريق التداول السلمي للسُلطة، وفتح الأبواب أمام من يريد الوصول إليها، ومن جهة أخرى بيّن أن هذه النزاعات لا زالت في المجتمعات غير المتقدمة، وفي التاريخ شواهد كثيرة لأخذ العبرة منه بدل الاستغراق فيه.

ومما ذكره ما ابتليت به الأمة الإسلامية من بعد العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة، من حكومات جائرة وقمعية، حتى مع الفئات المختلفة معها فكريًا، وضرب مثلًا بقضية خلق القرآن، وما جرى فيها من تنكيل وجور.

ومن شواهد التاريخ التي ذكرها سماحة الشيخ الصفار في جانب الظلم والقمع شخصية «الحجاج بن يوسف الثقفي» الذي أذاق الناس أصناف التعذيب، وأن عدد من قتلهم بلغ حوالي ١٢٠ ألف شخص في غير معارك، وهذا يبين ما وصلت إليه حالة الأمة في تلك الحقبة السوداء من تاريخها.

بينما على النقيض تمامًا ما كان يفعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع الخوارج، على الرغم من نيلهم منه عليه السلام والتحرك ضده، إلا أنه أعطاهم حق المعارضة، وحق التعبير عن رأيهم ما لم يثيروا فتنة، ويشهد بذلك قوله: «إنا لا نمنعهم الفيء، ولا نحول بينهم وبين دخول مساجد الله، ولا نهيجهم ما لم يسفكوا دمًا، وما لم ينالوا محرمًا» وبين في نفس السياق أن حركات التحرر ضد العنف السياسي هي وليدة ذلك الواقع الذي حفز لظهور هذه الحركات ضد السلطات الظالمة، ومنها ما تأثر بالثورات الخارجية كالثورة البلشفية، ومنها ما هو متطرف دينيًا، الذي لا يتورع عن سفك الدماء باسم الدين، والذي أدخلنا في نفق مظلم ودوامة من العنف والإرهاب.

وختم الشيخ نقطته بكلامه عن بعض الإحصائيات الخطيرة في الدول العربية والإسلامية، ومنها ما يحصل من عنف في العراق، والذي وصل عدد ضحاياه إلى ١٠٠ ألف ضحية منذ عام ٢٠٠٣ إلى الآن.

المحور الثالث: تصاعد العنف الاجتماعي

وذكر سماحته بأن الناس في حياتهم اليومية يحصل بينهم خلافات وتعارض مصالح، واختلاف في وجهات النظر، ولكن يكون الاحتكام في النهاية إلى الحوار وتحكيم العقل، وقد تصل هذه الحالات الكلامية إلى نزاع أو مواجهة بالأيدي وما إلى ذلك، ولكن في الزمن الحاضر تطورت هذه القضية ووصلت إلى حد القتل واستباحة الدماء بشكل واضح وظاهر، حتى أصبح هذا الشيء منحًا خطيرًا وبات ظاهرةً تهدد المجتمع وكيانه، وأشار بأننا كمجتمع مسلم لنا تاريخنا الذي كان بعيدًا عن العنف، ولكن بدأت تتسلل هذه الحالة في السنوات الأخيرة، وذكر إحصائية بأن المملكة العربية السعودية وصلت جرائم العنف فيها عام ٢٠٠٨ إلى ١٥٥٤٠ جريمة، وهذا يعدّ مؤشرًا خطيرًا للغاية حسب تعبير سماحته.

وفي ناحية أسباب العنف وتصاعد حالاته لخّص فضيلته الأسباب إلى ما يلي:

- ضعف التربية.
- العنف في داخل المحيط الأسري.
- وسائل الإعلام.
- ضغوط الحياة والفقر كمثال على ذلك.

وفي مجمل هذه النقاط دعا الشيخ حسن إلى مراقبة الأبناء وإرشادهم وتعليمهم على ثقافة الاختيار؛ لأن ثقافة المنع لا تجدي نفعًا في وقتنا الحاضر، مع هذه الثورة الإعلامية الهائلة، وأن نهيئ لهم الأرضية والجو الأسري البعيد عن العنف، وفي ذلك أشار إلى وجوب استثمار طاقة الشباب فيما يفيد من نشاطات؛ لأنهم يملكون مخزونًا هائلًا من القدرات، فيجب إعطاؤهم الفرصة والمتنفس ليبدعوا، وأن توفر لهم وسائل الترفيه التي تقيهم من الوقوع في مزالق الجريمة.

ومن النقاط التي شدد عليها: مسألة الردع وانها وحدها لا تكفي بل هي جزء من منظومة متكاملة، يدخل فيها التعاون مع الجهات الأمنية لإحلال الأمن ونشره، وبين بأن الاستعدادات الأمنية لم تواكب زيادة المجتمع، وهي بحاجة إلى تطوير وتنسيق أكبر.

وكعادته ختم الشيخ حسن الصفار مجلسه بذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام وما عاناه من آلام وابتلاءات، وعن بطولة أبي الفضل العباس رمز الشجاعة والبطولة والإيثار، الذي صمد وقاتل في سبيل رفعة الإسلام، وحفر اسمه بأحرف من نور في ملحمة الطف الخالدة.

٧

الصفار يدين «التمييز الطائفي» ويصف مرتكبيه بالخارجين على القانون[1]

أكد الشيخ حسن الصفار في محاضرة ألقاها مؤخرًا في مجلس المبارك في محافظة القطيف، أن الوقت بات ملائمًا لطرح مشكلة التميز الطائفي القائمة في السعودية.

ونقل موقع شبكة راصد الإخبارية الخميس، عن الصفار قوله: إن «النظام الأساسي» للمملكة يخلو من أشكال التمييز بين المواطنين السعوديين ويضمن المساواة في الحقوق والواجبات، مستشهدًا في ذلك بالمادة الثامنة لنظام الحكم.

واستدرك قائلًا: «رغم حظر القانون للتمييز، إلا أن هناك شريحة قليلة متشددة تمارس التمييز ضد المواطنين الذين كفل النظام لهم التساوي في الحقوق والواجبات».

وخلال المحاضرة التي حضرها نحو ألفي شخص، بينهم حضور من مختلف مناطق المملكة، شدد الصفار على أن الوقت بات ملائمًا لطرح مشكلة التمييز الممارسة من قبل شريحة اجتماعية مستفيدة من بقاء الوضع على حاله، واصفًا مطبقي التمييز بـ «الخارجين عن القانون».

ورأى بـ «أن بعض الملفات لم تلق النقاش والطرح على الصعيد الوطني (سابقًا)، إلا أنها في الوقت الحاضر فتحت ملفاتها مثل حقوق الإنسان والفقر»، في إشارة منه

(١) موقع قناة العالم الإخبارية.

لتحقق إصلاحات عدة قدمها مسؤولوا المملكة، وعلى رأسهم الملك عبدالله بن عبدالعزيز.

وطالب الصفار النخب السعودية بالحديث عن هذا الملف الذي بات يؤرق جزءًا من أبناء الوطن، منتقدًا حالة السكوت الذي جعل ممارسي التمييز يتمادون أكثر من أي وقت مضى.

وأضاف: «لا بدّ من خلق مناخ معادي للمتشددين في أي طرف»، ضاربًا المثل بـ«الحوار الوطني» الذي أطلقه الملك عبد الله.

وأضاف: «إن الحوار الوطني استبشر به الناس لأنهم شعروا أنه سيلامس ملف التمييز بين المواطنين».

وعن التشدد الديني الذي يقود للتمييز قال: «هناك جماعات متشددة تتهم عبر وسائل الإعلام المختلفة الشيعة السعوديين بالولاء للخارج، وهذا منطق المهرجين، إذ إن الشيعة يشهد لهم بالولاء الوطني، وقد سمعت ذلك شخصيًا من كبار مسؤولي الدولة».

وأضاف: «إننا هنا ندافع كغيرنا عن تراب الوطن وأمنه واستقراره».

وأدان الصفار ممارسي التشدد من كل الأطراف، إذ قال «نحن أيضًا بيننا متشددون دينيًّا، وينبغي علينا تحمل مسؤوليتنا، كما نطالب الآخر بتحمل مسؤوليته».

وزاد: «إن عدم الاعتراف بوجود مشكلة تمييز وتشدد ديني، يسهم في خلق مناخ وطني سلبي، كما أن عدم الاعتراف بأخطاء كل طرف ضد الطرف الآخر، يؤدي لاستمرار المشكلة التي لا تعتبر من صالح البلاد».

واستعرض جوانب عدة، من أشكال التمييز في العالم، إذ قال: «إننا نجد كيف تكون المشاكل وتكبر وتفتح مجالًا للتدخل في شؤون البلدان، ففي مشكلة دارفور في السودان تدخل دولي بسبب عدم المساواة هناك، وفي أمريكا ناضل السود حتى وصل

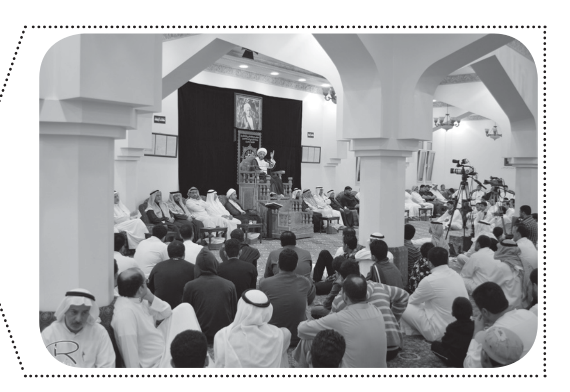
أوباما رئيسًا للولايات المتحدة الأميركية».

واستعرض تاريخ النضال للسود الأميركيين الذين جاؤوا لأميركا كعبيد.

من جانبه، قال الباحث حمود العتيبي القادم من العاصمة الرياض: «إن ما سمعته هذه الليلة خطاب وطني بامتياز، وهو يصلح ليكون نواة انطلاق لمعالجة هذه المشاكل التي يمارسها البعض».

وأضاف: «لا أستطيع أن أخاطب المتطرفين، وأوجه خطابي للعقلاء في هذا الوطن العزيز لأقول لهم يجب أن نقف يدًا واحدة ضد المشاكل التي تعترض طريق إصلاح الوطن، وأن نكون عونًا لقيادتنا الرشيدة في تحقيق ذلك».

وزاد: «من يفرق بين مواطن وآخر هو عدو لهذا الوطن، والجميع متساوون كما نص قانونًا على ذلك».







أكد حظر النظام الأساسي للحكم للتمييز بين المواطنين

٧ الصفار: ولاء شيعة المملكة لوطنهم.. وليس لأطراف خارجية[1]

القطيف ـ منير النمر



الرياض

جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

الاثنين 11 المحرم 1431هـ - 28 ديسمبر 2009م - العدد 15162

أكد حظر النظام الأساسي للحكم للتمييز بين المواطنين

الصفار: ولاء شيعة المملكة لوطنهم.. وليس لأطراف خارجية

القطيف - منير النمر

أكد الشيخ حسن الصفار على أن النظام الأساسي للحكم تكفل عدم حصول أي شكل من أشكال التمييز بين المواطنين السعوديين، وأن الجميع متساوون في الحقوق والواجبات.

وأثنى في محاضرة ألقاها أول من أمس في مجلس المبارك في محافظة القطيف على مسيرة الإصلاحات التي بدأها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله مستشهداً بلقاءات الحوار الوطني الذي أطلقه خادم الحرمين.

وقال إن أبناء الطائفة الشيعية في المملكة يشهد لهم بالولاء الوطني وليس لهم أي ولاء لأطراف خارجية، وقد سمعت ذلك شخصياً من كبار مسؤولي الدولة حفظهم الله"، مضيفا "إننا هنا ندافع كغيرنا من أبناء المملكة عن تراب الوطن وأمنه واستقراره".

أكد الشيخ حسن الصفار على أن النظام الأساسي للحكم تكفل عدم حصول أي شكل من أشكال التميز بين المواطنين السعوديين، وأن الجميع متساوون في الحقوق والواجبات.

وأثنى في محاضرة ألقاها أول من أمس في مجلس المبارك في محافظة القطيف، على مسيرة الإصلاحات التي بدأها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله مستشهدًا بلقاءات الحوار الوطني الذي أطلقه خادم الحرمين.

وقال إن أبناء الطائفة الشيعية في المملكة يُشهد لهم بالولاء الوطني، وليس لهم أي ولاء لأطراف خارجية، وقد سمعت ذلك شخصيًا من كبار مسؤولي الدولة حفظهم الله»، مضيفًا «إننا هنا ندافع كغيرنا من أبناء المملكة عن تراب الوطن وأمنه واستقراره».

---

(١) جريدة الرياض. العدد ١٥١٦٢ الصادر بتاريخ ١١ محرم ١٤٣١هـ الموافق ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٩م.



٧

الشيخ الصفار: الإبداع في مواجهة المشكلات

واصل الشيخ حسن الصفار محاضراته العاشورائية لليلة الحادية عشرة من شهر المحرم في جامع الكوثر بصفوى وقد كانت محاضرته تحت عنوان (الإبداع في مواجهة المشكلات) وقد بدأها بتلاوة الآية الشريفة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وقد تمحورت حول محورين أساسين:

المحور الأول: لماذا المشكلات في حياة الإنسان؟

وأوضح فيه سماحة الشيخ بأن وجود الإنسان في هذه الحياة هو للامتحان والابتلاء، كما يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وأن الله سبحانه وتعالى يختبر الإنسان ليعلم إدراكه واستيعابه لهذه الحياة، ومن هذا المنطلق بيّن سماحته أن الكفاءات والقدرات لا تظهر إلا من خلال مواجهة التحديات، التي تحفزه وتشحذ همته، ليصقل مواهبه، ويفجر طاقاته.

وقد بيّن سماحته نظرة الرؤية القرآنية لحياة الإنسان وأنه جاء لهذه الحياة لكي يعمل ويواجه الصعوبات والمشاكل حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾.

في سياق مواجهة الصعوبات الحياتية وحلّ المشكلات، أشار إلى أهمية التربية

والتعليم، ففي مجال التعليم ضرب سماحته مثلًا بطرق التعليم حيث أوضح بأن أسلوب التعليم الأمثل هو إثارة ذهن التلميذ، وهو ما يدفعه للتفكير والبحث، على عكس ذلك أسلوب التلقين المتبع في بعض بلادنا، والذي لا يصنع مفكرًا ولا مخترعًا، أما في مجال التربية فلقد ذكر بأن من يعيش حياة الخشونة والمواجهة للمشاكل يكون مبدعًا، أكثر من الذي يعيش حياة الترف والراحة، وفي هذا السياق، أشار الشيخ إلى بعض الأمثلة، ومنها ما تنتهجه بعض الشعوب مع أبنائها في تعليمهم قيمة الأشياء، ومنها المال على سبيل المثال.

وفي نهاية المحور الأول، أشار إلى أن وجود المشاكل في الحياة أمر طبيعي، وأن الحلول موجودة، ولكن على الإنسان البحث والتروي لإيجاد هذه الحلول، وعدم جعل ما يبتلي به عائقًا في سبيل تقدمه، و إكمال مسيرة حياته.

المحور الثاني: مواجهة المشكلات على الصعيد الفردي والاجتماعي

هناك مشكلات تصيب الفرد والمجتمع، وإن اختلف بعضها، ولكن يكون للبعض منها حلول مشتركة، وقد تطرق فضيلته إلى موضوع الإعاقة، كنموذج للمشاكل التي تواجه الفرد، حيث ذكر بأن المعاق في السابق كان ينظر لنفسه على أنه لا سبيل أمامه لحل مشكلته وعزلته، وأنه عالة على المجتمع، ولكن مع تقدم البشر وتغير المعايير والمقاييس، أخذ الإنسان المعاق دوره في الحياة، وأصبح له يوم عالمي خاص به يحتفل به سنويًا.

وفي موضوع المشاكل التي تواجه المجتمعات، تطرق إلى أن المجتمعات تختلف فيما بينها، في كيفية مواجهة الصعوبات، وأن البعض منها يتعامل بحالة من العجز واليأس، بينما البعض الآخر يتعامل معها بتشنج وانفعال، وهو ما يزيد المشكلة تعقيدًا ولا يحلها، ومن هنا تكمن أهمية الرؤية التي حسبما عبر «مسؤولية النخب الواعية المثقفة» وأننا نعيش في عصر يجب إشراك الجميع فيه؛ لأن المعرفة أصبحت متاحة للجميع، كما أشار إلى ان تنوع الآراء يخلق حالة تنافسية والنتائج هي من تحكم في النهاية.

وفي نطاق طرق حلّ المشاكل بين النقاط الأربع التي تقود لإيجاد الحلول، وهي:

- فهم المشكلة.
- استثارة الإرادة.
- الروح الإيجابية.
- الفاعلية.

وبيّن فيها وجوب التحلي بالتفاؤل، من خلال الروح الإيجابية والإرادة، وعدم السماح لليأس والسلبية بالتسرب إلى نفس الإنسان، وذكر بأن العالم يتغير، وأن هناك ما يدعو للتفاؤل من خلال هذا الحراك الإنساني، الذي يؤثر فيما حوله، ويستنهض المجتمعات غير الفاعلة، لتخرج من حالة الركود التي تعيش داخلها.

وبيّن أن اليهود وصلوا إلى مراكز القوى العالمية سياسيًا واقتصاديًا وعلميًا، بعد أن كانوا منبوذين في العالم، وأصبح تأثيرهم في أمريكا أكبر من المسلمين، على الرغم من تقارب تعدادهم السكاني هناك.

ومن زاوية أخرى شدد العلامة الصفار على بعد النظرة، والنفس الطويل، في مجابهة ما يعتري الإنسان من صعوبات، والتروي في اتخاذ القرارات الصائبة، لا القرارات الآنية، وعدم الاستسلام للظروف، وخير مثال لذلك الإمام الحسين عليه السلام الذي علم بأنه سيقتل، ولكنه كان ثاقب البصيرة بعيد النظرة، واصفًا شهادته بالفتح «فإنه من لحق بي استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح».

وفي ختام مجلسه تكلم الشيخ حسن الصفار عن يوم عاشوراء وما جري فيه من سفك لدم الإمام الحسين عليه السلام وحرق للخيام وسبي للنساء، وذكر موقف عقيلة بني هاشم زينب الحوراء عليها السلام وهي تصبّر الإمام زين العابدين عليه السلام بعد انتهاء الواقعة، حين قالت: «ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة، والجسوم

المضرجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علمًا لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على مرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا ظهورًا، وأمره إلا علوًّا».

٧

الشيخ الصفّار: مراجع الشيعة نموذج مشرق، ويتصرفون بمسؤولية تجاه مجتمعاتهم

حسين الشيخ

بعد افتتاحه حديثه العاشورائي في ليلته الثانية عشرة بالآية الكريمة: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، حدّد عنوان المحاضرة بأنها حول «المرجعية الدينية في المجتمع الشيعي»، حيث حدّد ـ بدءًا ـ الأصل اللغوي والمعنى المراد فقهيًّا بـ (المرجعية الدينية)، عادًّا هذه الحالة في المجتمعات المتدينة ضمن السيرة الاجتماعية في أي مجموع بشري، يرجع فيه غير المتخصّص إلى المتخصص، معتبرًا هذه الحالة غير مقتصرة على المجتمعات الشيعية، غير أن الحالة السنية غالبًا ما يكون منصب المرجعية الدينية تابعًا لحالة التنظيم الذي ترعاه السلطة الحاكمة، بينما هي في الحالة الشيعية قائمة على أساس الاختيار الشعبي، وفق الضوابط الشرعية، وهي حالة تنظيمية مرت بمراحل أربع، إلى أن وصلت إلى حالتها الحالية، نافيًا أي نوع من التعارض بين المرجعية الدينية عند الشيعة والولاء الوطني، معتبرًا ترديد مثل هذه الأمور بأنه نوع من التهريج، الذي يطلقه البعض بغرض جعل المواطنين الشيعة في موقع الدفاع عن وطنيتهم دائمًا، وإلهاءً لهم لعدم المطالبة بحقوقهم المشروعة، مشيرًا إلى أن المدرسة السلفية تمارس التدخل في شؤون الدول عبر فتاوى الجهاد والتكفير والتبديع، ومستنكرًا في ختام حديثه ما ظهر من إساءة للسيد السيستاني من قبل الشيخ

محمد العريفي، عادًّا هذه الاتهامات في سياق ما يثار ضدّ الشيعة ورموزهم بين الفينة والأخرى.

المحور الأول: المرجعية قوّة واستقامة

استهلّ حديثه في هذا المحور بتعريف المرجعية، إذ ذكر بأنها من الرجوع، الذي يعني العَود، حيث تعني الجهة التي يُرجَع إليها في مورد الحاجة، معرّفًا المرجعية الدينية بأنها: «الجهة التي يرجع ويعود الناس إليها لمعرفة أحكام الدين»، وهي حالة تندرج ضمن الشأن الاجتماعي المتعارف عليه في كل مجتمع، حيث يرجع غير المتخصصين فيه إلى المتخصصين، كما يرجع الناس إلى الطبيب للعلاج، وللمهندس للبناء، وللمعلم للتعلّم، وهكذا...، مذكّرًا بأن الدين شأنه في ذلك شأن بقية احتياجات الإنسان، حيث هو حاجة وموضع تطبيق لدى المسلم، إذ يجد كل مسلم نفسه ملزمًا بتطبيق أحكام الشرع، فإن كان قادرًا على الاجتهاد واستنباط الأحكام، بحيث يعرف كيف يعالج النصوص الشرعية، ومسألة الاختلافات التي قد يجدها بينها، ليصل إلى الحكم الشرعي، فذلك هو الأفضل، وفي هذه النقطة أشار إلى أن المدرسة الحلبية الإمامية تذهب إلى وجوب الاجتهاد على كل مكلّف، خلاف بقية علماء الشيعة الذين لا يذهبون إلى مثل هذا الرأي، بل يرون صعوبة ذلك، وهو مضمون الآية الكريمة: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

كما أشار الشيخ الصفار إلى الحالة المرجعية الدينية في المجتمع الشيعي بأنها انتخاب حرّ، ينتخب فيه من توفرت لديه ضوابط وشروط محدّدة، أبرزها شرطان، هما: الفقاهة ـ أي القدرة العلمية على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ـ، وكثير من العلماء يشترطون القدرة الفقهية العالية، وهو ما يعبّر عنه بشرط الأعلمية، وبالإضافة إلى ذلك يشترطون العدالة والاستقامة في مرجع التقليد.

معتبرًا هذه الحالة ميزة مهمّة في التجربة الشيعية، فلا يكون هناك أي نوع من الفرض

السلطوي في اختيار أو عزل المرجع، وكذلك لا يكون هناك أي نوع من الضغوط في إصدار الأحكام الفقهية والفتاوى، حتى في الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي يقودها مجموعة من الفقهاء والعلماء، حيث يمارس الفقهاء في الحوزة القمّية مطلق الحرية في إصدار الأحكام والفتاوى، وكذلك في اختيار الشعب لمرجع التقليد، فهذا أمر أوجد نوعًا من القوّة للطائفة الشيعية، وحمى الجمهور الشيعي من الوقوع في الانحرافات التي قد يقع فيها جماهير بقية الطوائف الأخرى، ممثلًا بما يعيشه العالم الإسلامي من فوضى الفتاوى التكفيرية والجهادية غير المنضبطة، والمغرِّرة بشبابه وفتيانه، ما سبب العديد من المآسي التي نعيشها بصورة يومية.

وفي التأريخ لحركة تنظيم مسألة المرجعية الدينية، أشار سماحة الشيخ إلى أنها مرت بمراحل أربع، هي:

١. مرحلة الاتصال الفردي، وذلك في عهد الأئمة الممتدّ إلى عهد العلامة الحلي (توفي ٧٢٦هـ).

٢. مرحلة الجهاز المرجعي، وهي المرحلة التي بدأت منذ عهد الشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ)، حيث قام الشهيد الأول بعمل شبكة من الوكلاء لمرجعيته في المناطق البعيدة.

٣. مرحلة التمركز والاستقطاب، وهي المرحلة التي قامت فيها المرجعية الدينية بعملية التمركز في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف في عهد الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٧هـ.

٤. مرحلة القيادة، وهي المرحلة التي بدأت في بداية القرن العشرين، حيث بدأت المرجعية مرحلة القيادة لمواجهة الاستعمار والنفوذ البريطاني في العراق وايران.

المحور الثاني: بين المرجعية والانتماء الوطني

يشير الشيخ الصفار في هذا المحور إلى أنه بعد تقاسم إرث الدولة العثمانية، تشكلت الدول الوطنية، والأقطار العربية والإسلامية، وبدأ الحديث عن تكوين الدولة والولاء للوطن، في قبال الولاء للأفكار والمعتقدات، وفي هذه النقطة غالبًا ما تثار مسألة انتماء الشيعة إلى أوطانهم أو إلى مرجعياتهم الدينية، وهي المرجعيات التي لا تكون بالضرورة مرجعيات محلية، وبخاصّة في الوقت الراهن، مذكّرًا بأن هذه الحالة حديثة في كثير من مناطق تواجد الشيعة، فشيعة الخليج كانوا يرجعون إلى مرجعياتهم المحلية، ومثلهم شيعة لبنان وباكستان وأفغانستان، وغيرها من المناطق، ولكن مع اشتراط الأعلمية في مرجع التقليد، بدأت تظهر مسألة المركزية في التقليد، التي قد يطرحها البعض في قبال الولاء للوطن، نافيًا أي رابط بين هذين الأمرين، إذ المرجعية الدينية منحصرة في الفتاوى واستقائها من الفقيه.

وسرد الشيخ الصفار في هذا السياق تجربة المعارضة السعودية التي كان يقودها، وموقف المرجعيات الدينية الذي ترك للمعارضة حرية اتخاذ القرار المناسب لها، ولظروف بلدها، من مسألة التفاوض والاتفاق مع الحكومة، وتابع بأن الأمر نفسه تكرر مع المعارضة البحرينية، بحيث نأت المرجعيات الدينية العليا بنفسها عن التدخل في الشأن الداخلي.

وفي مقابل ذلك، اتهم سماحته التيار الديني السلفي بالتورط في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، بإصدار فتاوى الجهاد والتكفير والتبديع، المحرضة على الإرهاب، في الجزائر والمغرب العربي وأفغانستان والعراق حاليًّا. معتبرًا أن إثارة مثل هذه التهم هو بغرض التهريج، ولجعل الشيعة دائمًا في معرض الدفاع ورفع التهم عن أنفسهم، وإشغالًا لهم عن المطالبة بحقوقهم المشروعة، التي يجب أن تقرّ لهم في أوطانهم قانونيًّا وعمليًّا.

المحور الثالث: النموذج المشرق

يختم الشيخ الصفار حديثه بالإشارة إلى أن المجتمعات الشيعية تفخر بنماذج مشرقة في مرجعياتهم الدينية، فيما يملكونه من وعي وتقدير للظروف التي تعيشها الأمّة، ممثلًا بالمرجعية الأبرز على مستوى الساحة الشيعية السيد علي السيستاني، وهي المرجعية التي يشهد لها الجميع بأن مواقفها الحكيمة حمت العراق ـ مع ما يعيشه هذا البلد من تعقيدات سياسية وأمنية ودينية صعبة ـ من الوقوع في الفتن والاقتتال، أو الاحتراب الداخلي بين أطيافه وطوائفه، مذكرًا ببعض المواقف التي اتخذها سماحة المرجع السيستاني، وببعض المواقف التي ظهرت كردات فعل تقديرية لهذه المواقف، ممثلًا بما دعا إليه بعض الكتاب السعوديين من منح جائزة نوبل للسلام للسيد السيستاني، ومستنكرًا بعض المواقف الشاذّة التي ظهرت في الآونة الأخيرة، والتي نالت من هذه المرجعية الحكيمة الواعية، حيث طالب الشيخ الصفار المسؤولين بتوضيح إزاء الإساءات التي تضمنت «كلامًا نابيًا ودنيئًا» أطلقه رجل الدين المتشدد محمد العريفي وجهه خلال خطبة الجمعة في العاصمة الرياض، فيه إساءات فاضحة للسيد السيستاني، تضمنت وصفه بالفاجر والزنديق، داعيًا إلى تقديم «اعتذار ورد وتوضيح؛ لأن في ذلك إساءة لمشاعر طائفة كبيرة من المواطنين والمسلمين»، متسائلًا: «لمصلحة مَنْ جرح مشاعر ملايين المواطنين في بلادنا والدول المجاورة بالإساءة لمرجعيتهم الدينية عبر هذا الكلام النابي والدنيء، وهو الوصف الذي لا يجرأ أن يصف به زعيمًا للمسيحيين أو زعيمًا لليهود فضلًا عن زعيم لطائفة كبيرة من المسلمين، مع استنكار الإساءة إلى أي زعامة دينية أو غير دينية؟».

مدرجًا مثل هذه الإساءات ضمن الظلم والعدوان والافتراءات التي دائمًا ما تُكال إلى الشيعة ورموزها وقادتها عبر التاريخ، وأنها تسيء بالدرجة الأولى إلى من يطلقها، وتسيء إلى البلد الذي تنطلق منه وتشوّه سمعته إسلاميًّا وعالميًّا.



٧

الشيخ الصفار يفتتح مقر جمعية السرطان بالقطيف

احتفلت جمعية السرطان فرع محافظة القطيف بافتتاح مقرها وتدشين أنشطتها، ظهر يوم الثلاثاء ١٢ محرم ١٤٣١هـ، حيث قام سماحة الشيخ حسن الصفار بقص الشريط إيذانًا بالافتتاح، ثم بدأ الحفل الخطابي بآيات من الذكر الحكيم، ثم كلمة لسماحة الشيخ حسن الصفار بدأها بشكر القائمين على الجمعية، مثمنًا جهدهم المبذول، حتى تحقق حلمهم، وانطلق المشروع، مشيدًا بجهودهم بالمساهمة في الحد من انتشار مرض السرطان.

ثم تحدث سماحته عن شعيرة الأمر بالمعروف، مذكرًا أنها من الصفات التي ميزت الأمة الإسلامية، وجعلتها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، منوهًا إلى أن كل ما ينفع الناس يندرج ضمن مبدأ المعروف، وأن فعل الخير يقابله نقص الشر.

كما تحدث الشيخ الصفار عن المؤسسات الأهلية كنموذج للعمل التطوعي، وأنها من مصاديق المعروف الذي ينبغي الأمر به، وأن الدول المتقدمة هي التي تهتم بإنشاء المؤسسات الأهلية، وتدعم العمل التطوعي، مما يؤدي إلى تقدم المجتمع.

وأضاف: العمل التطوعي كما يفيد المجتمع بأن يوفر خدمات للمحتاجين، ويساعد على تجاوز الصعاب، كذلك يعمل على صقل شخصية المتطوع، ويكسبه خبرة في التعامل مع المشاكل.

هذا وقد شارك في الحفل كل من مدير مستشفى القطيف المركزي الدكتور كامل العباد، نيابة عن راعي الحفل محافظ القطيف، ورئيس جمعية السرطان السعودية بالمنطقة الشرقية عبد العزيز التركي، الذي ألقى كلمة بالمناسبة، وكان داعمًا أساسيًا لإنشاء الفرع، وأدار حفل الافتتاح الأستاذ علي الناصر المشرف على الفرع.

وفي ختام الحفل كرم سماحة الشيخ الصفار المشاركين والداعمين، وسلمهم الدروع التذكارية، وشهادات التقدير، كما تسلم شهادة شكر على جهوده في مساندة الجمعية.









٧

ليلة الحوار المفتوح

عقد سماحة الشيخ حسن الصفار حوارًا مفتوحًا حول المواضيع التي تطرق لها في محاضراته في موسم المحرم لهذا العام ١٤٣١هـ في مكتبه في القطيف يوم الخميس ليلة الجمعة (١٥/ ١/ ١٤٣١هـ، ١/ ١/ ٢٠١٠م)، أداره الأستاذ وليد سليس، الذي تحدث عن الإطار العام لمحاضرات الشيخ لهذا العام، مهنئًا له لورود اسمه في قائمة الخمسمئة شخصية إسلامية مؤثرة في العالم.

«فالحب، صناعة التغيير، المرأة، العنف الاجتماعي والسياسي، حقوق الإنسان، الشباب، العدل والمساواة وعدم التمييز، الابداع، المرجعية الدينية، الثقافة الشيعية بجانب عناوين محاضرات شهر محرم، أكثر ما يميزها أنها لامست معظم المناطق الحرجة بكل شفافية ووضوح، فيما يتعلق بتحديد المشكلة وآلية المعالجة، بل وجدنا أن الشيء غير المرغوب فيه لدى غالبية الناس عندما يقال لهم بأسلوب مباشر أنهم يجب أن يتحملوا المسؤولية الاجتماعية في معالجة المشاكل. مثل هذا النداء العاجل والمهم كان حاضرًا في معظم المحاضرات ليس بصيغة الجمع، لأن كثيرًا ما يستثنى الإنسان نفسه عندما يكون الحديث عن الجماعة، بل متوجهًا للفرد!!»

ثم تحدث سماحة الشيخ الصفار بكلمة قصيرة حمد الله فيها على «النعمة الكبيرة التي نعيش في ظلها، أن مكننا الله تعالى من إحياء شعائر أهل البيت عليهم السلام في بلادنا، وبهذا الشكل الواسع الكبير»، داعيًا للأسلاف بالرحمة فهم «الذين حفظوا لنا هذا الإرث الكبير، وورّثوه لنا، وأصروا على ممارسة هذه الشعائر في عصورهم، وكان

ذلك يكلفهم الكثير، وحتى إحيائنا الآن لهذه الشعائر بركات أجدادنا وآبائنا حاضرة فيه»، فـ«كثير من المآتم والمجالس هي من أوقاف الآباء والأجداد، وكثير مما يصرف على هذه المجالس هي من تلك الأوقاف»، كما امتدح المجتمع الذي يشعر بتميزه وثقافته واهتماماته، شاكرًا له على تفاعله وتجاوبه.

وبالنسبة للقاء قال سماحته: إنني لا اعتبر ما يرد فيه «مجرد إشكالات عليَّ الرد عليها، أو أسئلة أنا مطالب بالجواب عليها، إنما إلفات نظر، فقد تكون هناك ملاحظة والكمال لله»، وهو حوار «ضمن محاولة مشتركة منا جميعًا من أجل صناعة الخطاب الأفضل الذي يفيد مجتمعنا».

وأضاف: إننا يجب ألا نتوجس من الأفكار الجديدة لأنه «ينبغي تحريك المياه الراكدة، وإثارة أذهان الناس»، فالأفكار التي تسبب نقاشًا، وتدفع الناس للبحث والسؤال والنقاش هي الأفكار التي تنهض بالمجتمع وتصنع وعيه.

رافضًا ثقافة التلقين إذ على المستمع أن يعطي فرصة لعقله وفكره، ولا يقبل كل ما يسمع من الخطيب، وعليه أن يفكر ويناقش الخطيب، كما يجب ألا يكون مقصودنا من الحوار أن «نصفّي حساباتنا».

شارك في المداخلات كل من: السيد محمد الدعلوج، مالك اللويف، المهندس غسان أبو حليقة، محمد الشيوخ، أم هادي، أم فايز، أم مجتبى السيف، عزت الصفار، حسين العلق، خالد النزر، فاضل العماني، مطر النجيدي، علي البحراني، منير النمر، السيد ناصر السلمان، السيد إبراهيم الزاكي، سعيد العبكري.

إيجابيات العدو

وعن سؤال لماذا «تستشهد ببعض النقاط الإيجابية والتطور عند الصهاينة؟» قال سماحته: هناك من يشكل على الاستشهاد بإيجابيات الآخرين، كالغرب أو الأعداء كالصهاينة، وأنا أخالفهم في ذلك، وأعتقد أن هذا المنهج ـ منهج قراءة الآخر في

إيجابياته وسلبياته ـ مفيد لأنه يستثير الإنسان أكثر، ونجد في القرآن الكريم بعض الإشارات بهذا الاتجاه، كمعالجته لمسالة (واقعة أحد)، فقد قال الله تعالى ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[سورة النساء، الآية: ١٠٤]، حيث تشير الآية إلى أن الطرف الآخر يواجه المعاناة ويتحملها، والمؤمنون يجب أن يكونوا أكثر من أعدائهم تحملًا لما يرجونه من الله تعالى.

مضيفًا أن: في كلام أئمة أهل البيت ، نجد ذلك أيضًا، فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷣ يستشهد بأهل الشام، ويقول: «فَيَا عَجَبًا، عَجَبًا واللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ ويَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ»، وفي مرة أخرى يقول «لَوَدِدْتُ واللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةَ مِنْكُمْ وأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ».

أضغاث أحلام

وعن مسألة رفض سماحة الشيخ للأحلام، قال سماحته: بالنسبة إلى الأنبياء والمعصومين رؤاهم صحيحة، والقرآن الكريم تحدث عن رؤيا نبي الله يوسف ﷣، ورؤيا رسول الله ﷺ، ولكن غير المعصومين رؤاه تحتمل عدة احتمالات، وغالبها أضغاث أحلام، الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءًا من النبوة، وأنا اعتقد أن الرؤيا يستفاد منها على الصعيد الشخصي ضمن إطار المبشرات والمحذرات، إما أن تعتبر الرؤية مصدرًا للتشريع، ومصدرًا للدين، فهذا لا يقول به احد بالاتفاق.

وحذر من أن: هناك ظاهرة من يتاجرون بالأحلام والأطياف، تبلغني كثير من الأخبار في المجتمع أن امرأة قالت أنها رأت السيدة الزهراء ؓ، مباشرة تأتيها النذور والتبرعات، ويتبركون بها، وتتحول القضية إلى قضية متاجرة، وهذا الأمر غير صحيح، ولذلك ينبغي أن نوعّي الناس، لأنك لا تستطيع أن تحدد الصادق من الكاذب في دعواه.

مناهج النقد

وعن سؤال: لماذا سماحة الشيخ يلامس بعض القضايا والممارسات المرتبطة بعواطف الناس؟ هل يميل الشيخ بهذا النقد إلى أن يحرك المياه الراكدة فقط؟

وما هو تحديدا نقد الشيخ في هذا الموضوع، هل لأن هذه الممارسة ليس لها أصل ديني، أو لأنها في عداد الخرافة، أو لأن المجتمع يمارسها بإفراط؟.

قال سماحة الشيخ الصفار: هناك منهجان قائمان في الساحة الإسلامية، وأنا هنا أتحدث عن ساحتنا الشيعية، منهج يرى أنه ينبغي أن نطلق العنان لعواطف الناس الدينية، وأي شيء يعمل في سبيل أهل البيت، والعاطفة الدينية، المجال مفتوح لا حدود له، وبالتالي فتح العنان أمام عواطف الناس تدفع بمختلف الاتجاهات، ومشكلة هذا المنهج أنه إذا ما سارت العاطفة وأخذت عنوان أهل البيت، يصبح لها قداسة، وبالتالي يصعب الاعتراض عليها.

ثم انتقل ليعرف المنهج الآخر الذي يرى أنه: ينبغي أن نستفيد من إنشداد الناس لدينهم في القضايا الأساسية، وألا نعمل على تفريغ شحنات الحماسة عند الناس في قضايا جانبية وقشرية، لأن للإنسان طاقة إذا أفرغها في مجال يشعر بالإشباع والاكتفاء تجاه الدين وأهل البيت، ويكون على حساب التوجهات الأساسية، فيكون استغراق في قضايا جانبية وقشرية على حساب القضايا الأساسية، وعلى أساس ما يخدم الدين والمجتمع، من ناحية أخرى يصبح المجال مفتوحًا للغلو، ينبغي ترشيد توجهات الناس العاطفية والدينية، وعدم إطلاق العنان لها بلا حدود.

التطبير

إحدى الأخوات سألت عن التطبير، وطلبت أن تعرف رأي الشيخ فيه، فقال سماحته: سبق أن تحدثت عن رأيي حول موضوع التطبير، وأنا لست في مقام الإفتاء حتى أحلّل وأحرّم، ولكني في مقام تشخيص الموضوع، والتطبيق الخارجي، أنا لا

أراه مناسبًا في هذا العصر، وخاصة في هذا البلد.

وأضاف: أنا لا أتكلم في جهة الفتاوى، أنا أتكلم في جهة الممارسة التطبيقية.

بين النقد والدبلوماسية

وحول اللهجة الصريحة أو المباشرة، وأنها كانت أعلى من حدود الدبلوماسية، وهل هذا بسبب إحباط معين، أو استشعار بمرحلة معينة، ما عادت فيها أن الدبلوماسية تنفع، قال الشيخ: أنا أعتقد أن بعض الناس لديهم ضعف في متابعة الخطاب السياسي، وخطاباتنا في الساحة في كل القضايا التي تتطلب أن يكون لنا موقف نتحدث ونبين موقفنا، ولكن نبين وفق الظرف الذي نراه، أتمنى أن تتاح الفرصة لأحد لرصد خطابنا السياسي خلال السنوات الماضية، ليرى حقيقة ما أقول.

بالطبع فإن الخطاب في بعده السياسي لا بدّ وأن يتأثر بالظروف والأوضاع السياسية، والنبرة السياسية لا يمكن أن تأخذ وتيرة ثابتة لأن السياسة تحفل بالمتغيرات.

أفكار ومشاريع

وأشاد سماحته بالمشاريع الخلّاقة، جوابًا على سؤال عن الأفكار الكثيرة التي وردت داخل المحاضرات، لكنه استدرك بأن بعض الناس لديهم قدرة في قيادة مشروع، وبعض الناس لا يستطيع هو أن يقود مشروعًا، أو يخلق إطارًا لمشروع، عليه أن يعمل ضمن المشاريع القائمة.

ممثل الطائفة

وحول تمثيل الشيخ للطائفة قال: بعض الناس يقول أنت تمثل الطائفة، أنا لا أقول أني أمثل الطائفة، أنا أمثل نفسي، ومن يعجبهم كلامي يعتبرون كلامي تمثيلًا لهم، فلا انتخابات أفرزتني ممثلًا، ولا أحد عينني ممثلًا، أنا أتحمل مسؤوليتي، وأحمد الله على أن جعلني في نظر الكثير أن يتوقعوا مني شيئًا قد يكون أكبر من طاقتي، هذا شيء

أحمد الله تعالى عليه، وضمن سياق: وكم من ثناء جميل لست أهلًا له نشرته، ولكن أطالب الناس بأن يتجاوزا هذه العقلية.

مستدركًا إن: مشكلة الطائفة لا يحلها الصفار وحده أو فلان وحده، هذا هم مجتمعي، لا بد أن نتكاتف ونتعاون حتى نستطيع أن نغير واقعنا، وأن نكون إلى جانب إخواننا المواطنين في وطن نشعر جميعًا بالعزة و الكرامة فيه إن شاء الله.

رسالة من كندا

المقدم قرأ رسالة لطالب سعودي يدرس في كندا، جاء فيها: (ان المواضيع التي طرحتها تتسم بالجرأة والشجاعة، وإلى المزيد من هذه الموضوعات، هذه الموضوعات جعلتنا نرفع رأسنا عاليًا بأن لدينا مفكرين ومصلحين أقوياء وشجعان، وهذا يبرز مدى مستوى الهم الذي يشغلكم من قضايا وهموم الوطن، وبالأخص المواطن الشيعي، ولا غرابة في ذلك لأن هذه صفات القياديين والمبادرين الأقوياء).

الدفاع عن السيد السيستاني

وعن الموقف من العريفي الذي أساء للسيد السيستاني قال سماحته: المحاضرة كانت حول المرجعية لذلك تحدثت حول الموضوع، وأعتقد أن المسألة بحاجة إلى جهد أكبر من مجرد خطاب على المنبر.

مشيرًا إلى أن الجمهور: ينظر وكأن الخطاب علاج سحري للمشاكل، بينما الأمور لا تعالج بمجرد خطاب، بل تحتاج إلى معالجة أكبر من هذا، نحتاج إلى أناس يتحركون وليس خطابًا يقال وانتهى كل شيء.

وعن دور المعتدلين من السلفين قال الشيخ: البعض يسأل: أين أصدقاؤكم من الشيوخ السلفيين الذين تتحدث معهم عن التقارب والتحاور؟ لماذا لا تستنكر هذا الفعل؟.

هذه مسؤوليتهم وليست مسؤوليتنا، لكن هذا الكلام هم أيضًا يوجهونه لنا إذا تحدث أحد ضد الخلفاء، أين دوركم؟

على العقلاء من السنة والشيعة أن يتحركوا لمنع الفتنة، ولمنع أن تتجه الأمور نحو التصعيد.

رسالة من بغداد

مدير الجلسة قرأ رسالة الحاج جهاد فارس من بغداد الكاظمية يقول فيها:

كثيرًا ما أستمع إلى خطبكم ومحاضراتكم القيمة التي تبث على الفضائيات، والتي ترتقي إلى أعلى روح الوطنية، وبناء المواطنة، وحب البلد، والتي يفتقر إليها للأسف البعض الكثير من خطبائنا في العراق، وكم أتمنى أن يرتقي خطباؤنا إلى ما تسيرون عليه من تهذيب المجتمع والنفس، وهو أكبر شيء يحتاجه العراقيون بعض سقوط النظام المباد.

المنبر الحسيني

وعن المنبر الحسيني الذي يعتبر الوسيلة الاهم، وإن لم تكن الوحيدة لدى الطائفة في منطقتنا، وهل حان الوقت أم أنه ما زال مبكرًا لإجراء عملية مراجعة لهذه المهمة؟ قال سماحته: المراجعة موجودة، والتطوير موجود، وأنا أعتقد أن تطوير الخطاب المنبري في منطقة القطيف أفضل من كثير من المناطق الشيعية الأخرى، عندنا عدد من الخطباء الجيدين المتفاعلين مع قضايا المجتمع، وعندهم أطروحات جيدة، وأفكار طيبة، نعم تتفاوت المستويات، لكن ينبغي ألا نتنكر للكفاءات والطاقات الموجودة.

المرأة نصف المجتمع

وفي مداخلة من القسم النسائي قالت إحدى الأخوات: أنها تعتب على الشيخ الذي لم يجعل للمرأة في هذا العام إلا ليلة واحدة للحديث عن المرأة، فأجابها سماحته:

أنا عندي عتاب على الأخوات، حينما يميزن أنفسهن، فالمواضيع التي نطرحها كانت تتكلم عن الإنسان والمواطن والمجتمع، لماذا المرأة لا تجد نفسها معنية إلا بالحديث حول قضاياها المعينة؟

الليلة الأولى كان الحديث عن الحسين رسالة حب عن الأسرة والحب تجاه المرأة وتجاه الأولاد، وليلة تكلمنا عن العنف الاجتماعي، وعن الشباب وصناعة المستقبل، ولا أعني الشباب الذكور فقط إنما الذكور والإناث.

وأضاف: الحديث عن هموم المجتمع لا يخص الرجال فقط، على المرأة أن توسع الأفق، فحينما يتحسن الوضع العام للمجتمع فهذا ينعكس على كل شرائحه وفئاته بما فيهم المرأة.

بالإضافة إلى بعض المداخلات التي نذكرها هنا مختصرة:

مداخلة خالد النزر: أشكر سماحة الشيخ حسن الصفار على هذا المستوى الراقي من الخطب التي حاكت الكثير من واقعنا وتطلعاتنا مدعمة بالمعلومات والإحصاءات والتحليلات العلمية وكانت بلا شك متميزة ومكملًا أساسيًا للمشهد الحسيني في المنطقة.

مداخلة مطر النجيدي: أنا سعيد جدًّا بهذا اللقاء، كل ما جال بفكري تكلم به الإخوة، وزادوا عليه، بيد ـ كما يعرف الشيخ ـ أنني من المطالبين بتجاوز الخطوط الحمراء دائمًا في مخاطبة المجتمع، لا لنمط الإثارة وإنما نحن بحاجة إلى من يحرك هذه المياه الراكدة.

مداخلة علي البحراني: في البداية انحناءة للشيخ للمحاضرات القيمة جدًا، واعتبارها أكاديمية بحتة في تسلسلها وفي طرحها بشكل مرتب جدًا من عقلية ذهنية متجددة، وهذا دأب الشيخ أنه لا يقف عند حدّ معين وإنما يتجدد في كل سنة.

٧

السعودية: الشيخ الصفار يستنكر الإساءة للإمام السيستاني ويطالب السلطات باعتذار[1]

احمد المصري

طالب رجل الدين الشيعي الشيخ حسن الصفار المسؤولين السعوديين بتوضيح إزاء الاساءات التي تضمنت «كلامًا نابيًا ودنيئًا» اطلقه رجل دين سعودي مؤخرًا بحق المرجع الديني الإمام السيد علي السيستاني.

ودعا الصفار في مجلس عاشورائي في مدينة القطيف مساء أمس الأول السلطات السعودية لتقديم «اعتذار ورد وتوضيح؛ لأن في ذلك إساءة لمشاعر طائفة كبيرة من المواطنين والمسلمين» حسبما ذكرت شبكة «راصد» الإخبارية الشيعية.

وكان رجل الدين السعودي محمد العريفي وجه خلال خطبة الجمعة في العاصمة الرياض «إساءات فاضحة» للإمام السيستاني تضمنت وصفه بـ«الفاجر والزنديق».

وتساءل الصفار لمصلحة من جرح مشاعر ملايين المواطنين في بلادنا والدول المجاورة، بالإساءة لمرجعيتهم الدينية، عبر هذا الكلام النابي والدنيء، على حد وصفه، مضيفًا بأن هذا التصرف ينطوي على تشويه لصورة بلادنا، وإساءة للنهج الديني الرسمي، موضحًا بأن الإمام السيستاني أرفع من أن تؤثر فيه هذه الإساءات

---

(١) جريدة القدس العربي. «لندن». ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٩م.

«التي تليق بقائليها» والتي لن تضر إلا أصحابها.

وتابع أمام جمهور حاشد، بأن هذه الاساءات تأتي في سياق ما وصفها بالظلامات والاتهامات التي طالما كيلت وألصقت بالطائفة الشيعية ورموزها.

ومضى في القول أن من يطلق هذه الإساءات إنما هو في خطّ أولئك الذين طالما حاولوا تشويه هذه الطائفة والتقليل من شأنها.

وتحدى الصفار بأن ينال العريفي بالإساءة زعماء الأديان الأخرى من المسيحيين واليهود، حتى لا يجبر على الاعتذار، كما سبق وأن حدث مع صحيفة محلية تطاولت على الديانة اليهودية في وقت سابق. إلى ذلك نفى الصفار في محاضرته التي تناولت المرجعية الدينية الشيعية أي تناقض بين التقليد الديني والولاء الوطني، واصفًا هذا الربط بـ «التهريج»، مؤكدًا أن هذه العلاقة هي في الأساس علاقة دينية تنحصر في استقاء الفتاوى والأحكام من علماء الدين المجتهدين، ولا تعني التدخّل من قبل القيادات الدينية في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

وسرد الصفار في هذا السياق تجربة المعارضة السعودية التي كان يقودها، وموقف المرجعيات الدينية الذي ترك للمعارضة حرية اتخاذ القرار المناسب لها، ولظروف بلدها، من مسألة التفاوض والاتفاق مع الحكومة.

وتابع بأن الأمر نفسه تكرر مع المعارضة البحرينية، بحيث نأت المرجعيات الدينية بنفسها عن التدخل في الشأن الداخلي جملة وتفصيلًا.

٧

الشيخ الصفار يستنكر الإساءة للإمام السيستاني ويطالب باعتذار[1]

الكلام حول تناقض التقليد الديني والولاء الوطني مجرد «تهريج»

طالب الشيخ حسن الصفار المسؤولين السعوديين بتوضيح إزاء الاساءات التي تضمنت «كلامًا نابيًا ودنيئًا» أطلقه رجل دين سعودي مؤخرًا بحق المرجع الديني الإمام السيد علي السيستاني.

ودعا الصفار في مجلس عاشورائي بمجلس المبارك في مدينة القطيف مساء أمس السلطات السعودية لتقديم «اعتذار ورد وتوضيح لأن في ذلك إساءة لمشاعر طائفة كبيرة من المواطنين والمسلمين».

وكان رجل الدين السعودي المتشدد محمد العريفي وجّه خلال خطبة الجمعة في العاصمة الرياض إساءات فاضحة للإمام السيستاني تضمنت وصفه بالفاجر والزنديق.

وتساءل الصفار لمصلحة مَنْ جرح مشاعر ملايين المواطنين في بلادنا والدول المجاورة بالإساءة لمرجعيتهم الدينية عبر هذا الكلام النابي والدنيء على حدّ وصفه.

مضيفًا بأن هذا التصرف ينطوي على تشويه لصورة بلادنا وإساءة للنهج الديني الرسمي، موضحًا بأن الإمام السيستاني أرفع من أن تؤثر فيه هذه الإساءات «التي تليق

---

(١) وكالة الأنباء القرآنية العالمية (IQNA) السبت ٢ كانون الثاني ٢٠١٠م، رقم الخبر: ٥١٧٥٣٥.

بقائليها» والتي لن تضر إلا أصحابها.

وتابع أمام جمهور حاشد بأن هذه الاساءات تأتي في سياق ما وصفها بالظلامات والاتهامات التي طالما كيلت وألصقت بالطائفة الشيعية ورموزها.

ومضى في القول أن من يطلق هذه الإساءات إنما هو في خطّ أولئك الذين طالما حاولوا تشويه هذه الطائفة والتقليل من شأنها.

وتحدى الصفار بأن ينال العريفي بالإساءة زعماء الأديان الأخرى من المسيحيين واليهود، حتى لا يجبر على الاعتذار كما سبق وأن حدث مع صحيفة محلية تطاولت على الديانة اليهودية في وقت سابق.

تهريج

إلى ذلك نفى الصفار في محاضرته التي تناولت المرجعية الدينية الشيعية أي تناقض بين التقليد الديني والولاء الوطني واصفًا هذا الربط بـ «التهريج».

مؤكدًا أن هذه العلاقة هي في الأساس علاقة دينية تنحصر في استقاء الفتاوى والأحكام من علماء الدين المجتهدين، ولا تعني التدخّل من قبل القيادات الدينية في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

وسرد الصفار في هذا السياق تجربة المعارضة السعودية التي كان يقودها وموقف المرجعيات الدينية الذي ترك للمعارضة حرية اتخاذ القرار المناسب لها ولظروف بلدها من مسألة التفاوض والاتفاق مع الحكومة.

وتابع بأن الأمر نفسه تكرر مع المعارضة البحرينية بحيث نأت المرجعيات الدينية بنفسها عن التدخل في الشأن الداخلي جملة وتفصيلًا.

في مقابل ذلك اتهم الصفار التيار الديني السلفي السعودي بالتورط في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، بإصدار فتاوى الجهاد والتكفير والتبديع المحرضة على الإرهاب في الجزائر والمغرب والعربي وأفغانستان والعراق حاليًا.

٧

السعودية: الشيخ الصفار يدين «التمييز الطائفي» ويصف مرتكبيه بالخارجين على القانون[1]

طالب النخب في بلاده بعدم السكوت وعزل التشدد

السعودية: الشيخ الصفار يدين «التمييز الطائفي» ويصف مرتكبيه بالخارجين على القانون

لندن ـ «القدس العربي» ـ من احمد المصري:

أكد رجل الدين السعودي الشيعي الشيخ حسن الصفار في محاضرة ألقاها مؤخرا في مجلس المبارك في محافظة القطيف شرق السعودية أن الوقت بات ملائما لطرح مشكلة التمييز الطائفي القائمة في المملكة.

وأوضح بأن «النظام الأساسي» للمملكة يخلو من أشكال التمييز بين المواطنين السعوديين ويضمن المساواة في الحقوق والواجبات حسبما ذكرت شبكة «راصد» للانباء السعودية الشيعية، مستشهدا في ذلك بالمادة الثامنة لنظام الحكم ومستدركا «رغم حضر القانون للتمييز، إلا أن هناك شريحة قليلة متشددة تمارس التمييز ضد المواطنين الذين كفل النظام لهم التساوي في الحقوق والواجبات».

والمحاضرة التي حضرها نحو ألفي شخص، بينهم حضور من مختلف مناطق المملكة شدد الصفار فيها على أن الوقت بات ملائما لطرح مشكلة التمييز الممارسة من قبل شريحة اجتماعية مستفيدة من بقاء الوضع على حاله، واصفا مطبقي التمييز بـ«الخارجين عن القانون».

ورأى بـ«أن بعض الملفات لم تلقَ النقاش والطرح على الصعيد الوطني (سابقا)، إلا أنها في الوقت الحاضر فتحت ملفاتها مثل حقوق الإنسان والفقر».

في إشارة منه لتحقق إصلاحات عدة قدمها مسؤولو المملكة وعلى رأسهم الملك عبدالله بن عبدالعزيز.

وطالب النخب السعودية بالحديث عن هذا الملف الذي بات يؤرق جزءا من أبناء الوطن، منتقدا حالة السكوت الذي جعل ممارسي التمييز يتمادون أكثر من أي وقت مضى.

واضاف «لا بد من خلق مناخ معادي للمتشددين في أي طرف»، ضاربا المثل بـ«الحوار الوطني» الذي أطلقه الملك عبدالله.

وأضاف «إن الحوار الوطني استبشر به الناس لأنهم شعروا أنه سيلامس هذا ملف التمييز بين المواطنين».

وعن التشدد الديني الذي يقود للتمييز قال «هناك جماعات متشددة تتهم عبر وسائل الإعلام المختلفة الشيعة السعوديين بالولاء للخارج، وهذا منطق المهرجين، إذ أن الشيعة يشهد لهم بالولاء الوطني، وقد سمعت ذلك شخصيا من كبار مسؤولي الدولة» ،مضيفا «إننا هنا ندافع كغيرنا عن تراب الوطن وأمنه واستقراره».

ودان الصفار ممارسي التشدد من كل الأطراف، إذ قال «نحن أيضا بيننا متشددون دينيا، وينبغي علينا تحمل مسؤوليتنا، كما نطالب الآخر بتحمل مسؤوليته».



الشيخ حسن الصفار

وزاد «إن عدم الاعتراف بوجود مشكلة تمييز وتشدد ديني يسهم في خلق مناخ وطني سلبي،، كما أن عدم الاعتراف بأخطاء كل طرف ضد الطرف الآخر يؤدي لاستمرار المشكلة التي لا تعتبر من صالح البلاد».

واستعرض جوانب عدة، من أشكال التمييز في العالم، إذ قال «إننا نجد كيف تكون المشاكل وتكبر وتفتح مجالا للتدخل في شؤون البلدان، ففي مشكلة دارفور في السودان تدخل دولي بسبب عدم المساواة هناك، وفي أمريكا ناضل السود حتى وصل أوباما رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية».

مستعرضا تاريخ النضال للسود الأمريكيين الذين جاؤوا لأمريكا كعبيد.

من جانبه قال الباحث حمود العتيبي القادم من العاصمة الرياض «إن ما سمعته هذه الليلة خطاب وطني بامتياز، وهو يصلح ليكون نواة انطلاق لمعالجة هذه المشاكل التي يمارسها البعض».

مضيفا «لا أستطيع أن أخاطب المتطرفين، وأوجه خطابي للعقلاء في هذا الوطن العزيز لأقول لهم يجب أن نقف يدا واحدة ضد المشاكل التي تعترض طريق إصلاح الوطن، وأن نكون عونا لقيادتنا الرشيدة في تحقيق ذلك».

وزاد «من يفرق بين مواطن وآخر هو عدو لهذا الوطن، والجميع متساوون كما نص القانون على ذلك».

أكد رجل الدين السعودي الشيعي الشيخ حسن الصفار في محاضرة ألقاها مؤخرًا في مجلس المبارك في محافظة القطيف شرق السعودية أن الوقت بات ملائمًا لطرح مشكلة التمييز الطائفي القائمة في المملكة.

وأوضح بأن «النظام الأساسي» للمملكة يخلو من أشكال التمييز بين المواطنين السعوديين ويضمن المساواة في الحقوق والواجبات، حسبما ذكرت شبكة «راصد» للأنباء السعودية الشيعية، مستشهدًا في ذلك بالمادة الثامنة لنظام الحكم، ومستدركًا «رغم حظر القانون للتمييز، إلا أن هناك شريحة متشددة تمارس التمييز ضد المواطنين الذين كفل النظام لهم التساوي في الحقوق والواجبات».

والمحاضرة التي حضرها نحو ألفي شخص، بينهم حضور من مختلف مناطق المملكة، شدّد الصفار فيها على أن الوقت بات ملائمًا لطرح مشكلة التمييز الممارس

---

(١) جريدة القدس العربي ـ لندن. الصادرة بتاريخ الجمعة ١/ ١/ ٢٠١٠م، العدد ٦٣٩٧.

من قبل شريحة اجتماعية مستفيدة من بقاء الوضع على حاله. واصفًا مطبقي التمييز بـ«الخارجين عن القانون».

ورأى بـ «أن بعض الملفات لم تلقَ النقاش والطرح على الصعيد الوطني (سابقًا)، إلا أنها في الوقت الحاضر فُتحت ملفاتها مثل حقوق الإنسان والفقر».

في إشارة منه لتحقق إصلاحات عدة قدمها مسؤولو المملكة، وعلى رأسهم الملك عبدالله بن عبدالعزيز.

وطالب النخب السعودية بالحديث عن هذا الملف، الذي بات يؤرق جزءًا من أبناء الوطن، منتقدًا حالة السكوت الذي جعل ممارسي التمييز يتمادون أكثر من أي وقت مضى.

وأضاف «لا بد من خلق مناخ معادي للمتشددين في أي طرف»، ضاربًا المثل بـ«الحوار الوطني» الذي أطلقه الملك عبدالله.

وأضاف «أن الحوار الوطني استبشر به الناس لأنهم شعروا أنه سيلامس ملف التمييز بين المواطنين».

وعن التشدد الديني الذي يقود للتمييز قال: «هناك جماعات متشددة تتهم عبر وسائل الإعلام المختلفة الشيعة السعوديين بالولاء للخارج، وهذا منطق المهرجين، إذ أن الشيعة يُشهد لهم بالولاء الوطني، وقد سمعت ذلك شخصيًا من كبار مسؤولي الدولة»، مضيفًا: «إننا هنا ندافع كغيرنا عن تراب الوطن وأمنه واستقراره».

وأدان الصفار ممارسي التشدد من كل الأطراف، إذ قال: «نحن أيضًا بيننا متشددون دينيا، وينبغي علينا تحمل مسؤوليتنا، كما نطالب الآخر بتحمل مسؤوليته».

وزاد «إن عدم الاعتراف بوجود مشكلة تمييز وتشدد ديني يسهم في خلق مناخ وطني سلبي، كما أن عدم الاعتراف بأخطاء كل طرف ضد الطرف الآخر يؤدي لاستمرار المشكلة التي لا تعتبر من صالح البلاد».

واستعرض جوانب عدة، من أشكال التمييز في العالم، إذ قال: «إننا نجد كيف تكون المشاكل وتكبر، وتفتح مجالًا للتدخل في شؤون البلدان، ففي مشكلة دارفور في السودان تدخل دولي بسبب عدم المساواة هناك، وفي أمريكا ناضل السود حتى وصل أوباما رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية».

مستعرضًا تاريخ النضال للسود الأمريكيين الذين جاؤوا لأمريكا كعبيد.

من جانبه قال الباحث حمود العتيبي القادم من العاصمة الرياض «إن ما سمعته هذه الليلة خطاب وطني بامتياز، وهو يصلح ليكون نواة انطلاق لمعالجة هذه المشاكل التي يمارسها البعض».

مضيفا «لا أستطيع أن أخاطب المتطرفين، وأوجه خطابي للعقلاء في هذا الوطن العزيز لأقول لهم يجب أن نقف يدًا واحدة ضد المشاكل التي تعترض طريق إصلاح الوطن، وأن نكون عونًا لقيادتنا الرشيدة في تحقيق ذلك».

وزاد «من يفرق بين مواطن وآخر هو عدو لهذا الوطن، والجميع متساوون كما نص القانون على ذلك».



الشيخ الصفار نجم المنبر الحسيني[1]

مطر النجيدي

تمكن الخطيب القديرالعلامة الصفار من اجتذاب جمهور كثيف، وطبقة النخبة المثقفة، على امتداد ثلاث عشرة ليلة في ذكرى عاشوراء سيد الشهداء الحسين . يتميز خطاب سماحة الشيخ حسن بالوضوح والجرأة، والشفافية والعمق، وترابط الأفكار والتسلسل، وسلاسة الأسلوب والفصاحة، وسهولة المفردات ودقتها، مما يتيح للمتلقي والمستمع سواء المثقف أوالبسيط على استيعاب الفكرة بسهولة ويسر.

ناقش سماحة الشيخ قضايا مهمة وحساسة، تتعلق بأوضاع وأحوال المجتمع، ومايرتبط بواقعهم الراهن والمعاش، بدءًا من أمور المرأة، مرورًا بظواهر العنف، وحقوق الإنسان، إلى الوحدة الوطنية. وفي كل ذلك وظّف سماحته بامتياز النصوص الدينية والتراث الأسلامي في مناقشاته الهادئة، ومعالجاته الجادة لتلك القضايا، لاقناع المتلقي بصوابية وجهات النظر والرؤى التي يطرحها، ونظن أنه حقق نجاحًا مؤكدًا في الوصول إلى مبتغاه، وذلك نظرًا لعقلانية حججه، ومنطقية أدلته، وقبل ذلك لما يعرف عن الشيخ من صدق وإخلاص، وتجربة طويلة، ونضال مستمر، وإحاطة هائلة بالقضايا التي كانت مكان النقاش.

نعتقد أن الشيخ يوظف المنبر بفعالية في عملية تنويرية لقيادة المجتمع للوعي

---

(١) شبكة راصد الإخبارية. ٢ يناير ٢٠١٠م.

والانتباه، وفهم التحولات، لمواكبة العصر، والدعوة للخروج من شرنقة الماضي وإرهاصاته، وعدم الاستغراق في الاجترار والشكوى والتذمر، والاستجابة لسياسات التهميش والإقصاء، وأن على المجتمع أن يتجاوز الشعور بعقدة الظلم والغبن، وأنه قد حان الآوان للسعي للمطالبة بالحقوق، والاندماج في الوطن، والتفاعل الايجابي مع كافة أبناء الوطن، دون أن يعني ذلك التنازل عن خصوصية أو معتقد.

إن سماحة العلامة قد طرح وناقش أفكارًا وأهدافًا ورؤى، ونحن نجادل على الرغم من الصعوبات والتحديات الحقيقية أمام إنجاز تلك الأهداف والمهمات، إلا أننا نرى أنها أهداف واقعية وقابلة للتطبيق، وذلك إذا ما تمكنت النخب جميعًا من التكاتف والتعاون، وشحذ هممها، وتفعيل طاقاتها، والشعور بمسؤوليتها، والمبادرة بالعمل على وضع استراتيجيات مناسبة، وبرامج مدروسة لتحقيق تلك الأفكار والأهداف على أرض الواقع، سواء فيما يتعلق بالتصدي لظاهرة العنف، أو تمكين المرأة من نيل حقوقها، أو العمل على المطالبة بتحقيق العدل والمساواة في الحقوق والواجبات الوطنية، او فيما يختص بالسعي وراء تخفيف حالة الاحتقان والتشنجات المذهبية، وفتح قنوات التواصل مع كافة شرائح وأبناء الوطن، لتعزيز الوحدة الوطنية، وترسيخ الأمن، ووأد الفتن.

وبالإمكان تلخيص خطاب سماحة الشيخ في ثلاث نقاط رئيسة، وهي فيما نظن تختصر جوهر مشروع الشيخ المطروح:

١. رسالة للمجتمع الشيعي في الداخل «ولربما في الخارج كذلك» بضرورة إعادة المجتمع التفكير في نظرته إلى ذاته وسلوكه وممارساته، بلحاظ شركائه الآخرين في الوطن، وماتستوجبه المتغيرات المتعددة. ويستنهض خطابه المجتمع للقيام بتطويرالمستوى العلمي، والمنسوب المعرفي، ورعاية واحتضان الكفاءات، ولا سيما الشبابية.

٢. التركيز المستمر على الحقوق للمواطنين الشيعة، ومساواتهم بإخوانهم

في مختلف مناطق المملكة، ورفض التمييز ضدهم، والتأكيد الدائم على أن انتماء وإخلاص للشيعة لوطنهم، وأن الدعاوى والتحريض ضدهم من فئة بقصد الابتزاز لايصح أن يقف حائلًا دون المطالبة لنيل حقوقهم المشروعة، والمساهمة في أداء واجبهم الوطني.

٣. أن وجود فئات أومجموعات متشنجة سنية كانت أوشيعية، لاينبغي أن يثني أو يعيق النخب الخيرة من الطرفين في الانفتاح على الآخر، ومدّ الأيدي، وتجسير الهوة بين كل الأطراف، بغية التعارف والتقارب، والعمل على المشتركات، والتسامح في مسائل الاختلاف، وكل ذلك لينعم المواطنون بالأمن والطمأنينة فيما بينهم، لما لذلك من انعكاسات إيجابية على تعزيز اللحمة الوطنية، وترسيخ الوحدة، والتصدي لأطماع المتربصين من الخارج.

إننا هنا نتحدث عن مدرسة الصفار، التي تمتلك خطابًا منبريًا متفردًا ومتميزًا، وليس خطابًا كلاسيكيًا تقليديًا ينغمس في مناقشة التراث والتاريخ والظلامات، ويعيش في الماضي، دون رؤية للحاضر والمستقبل، في ظني أننا اليوم نجد أنفسنا وجهًا لوجه أمام مفكر شيعي مسلم، وثروة وطنية عظيمة.



٧

وجهة نظر خاطفة على موسم المحرم ومحاضرات الصفار[1]

سعيد العبكري

أحيى المسلمون الشيعة في كل مكان ذكرى استشهاد الامام الحسين ، واجتهد الناس في العطاء المادي والمعنوي والوقتي وغيره، لتجديد الولاء والانتماء لأهل البيت .

كما سعى الناس في القطيف لسماع المحاضرات والمشاركة في المآتم، حيث كانت فئة تسعى للخطاب الحسيني، وأخرى تسعى للمحاضرات المتنوعة، وصنف يحاول أن يجمع بين الفكر والنعي الحسيني، وجماعة تسعى إلى أي مجلس عزاء يناسب وقتها، ولا تدير اهتمامًا كثيرًا لنوع المحاضرة.

لذا حاولت أن أسعى لأكون من الصنف الباحث عن الفكر والنعي الحسيني، فاخترت مجلس سماحة الشيخ حسن الصفارمع احترامي لجميع الخطباء.

أعتقد أنه كان موسمًا موفقًا ناجحًا ومتنوعًا، من الناحية الدينية والنفسية والاجتماعية والسياسية، وأُعجبت كثيرًا بمحاضرات الشيخ الصفار، و كان أبرزها كسب السمعة الحسنة للفرد والمجتمع، وحقوق الإنسان بين المحلية والعالمية،

(١) شبكة راصد الإخبارية ٥ يناير ٢٠١٠م.

والوحدة والخصوصيات المذهبية، والحسين نداء العدل والمساواة.

وقد ركز سماحته على أمور مهمة، كان أبرزها المطالبة بفتح ملف لقضية العنصرية المذهبية، وقال بأن حديث الإعلام لم يعد مجديًا، ما دام هناك مواطنون يشعرون بأنهم من الدرجة الثانية ! كما طلب من فئة الشباب خصوصًا بذل المزيد من الجد والاجتهاد والتحصيل، وأن يكونوا خير قدوة لا سيما الطلبة المبتعثين.

كما شدد على عدم فتح موضوعات تستغرق وقت وجهد الإنسان بلا فائدة عائدة عليه أو على المجتمع، وأكد على عدم الانزلاق حول القضايا غير المنتهية، وذات النفق العميق، وأكد على أن ولاء الشيعة للأرض والوطن، وأن ارتباطهم بالمراجع هو ارتباط ديني، كما دعا للالتفاف حول المرجعية.

وكان رده على إساءة الشيخ العريفي للسيد السيستاني ردًا معتدلًا، وبيّن رأي الغرب في السيد السيستاني حفظه الله، وكيف يُنظر له ولحكمته في استقرارالعراق، بل كان مرشحًا لجائزة نوبل للسلام، ومقام السيد أعلى من ذلك.

كما أكد الشيخ الصفاربأن اجترارالألم والغبن لا يحلّ المشكلة، وإنما على كل فرد المطالبة بحقه، وتحمّل المسؤولية، وقد حذرسماحته من زيادة نسبة العنف والقتل، وانتشار المخدرات في الأوساط الشبابية، كما دعا لدعم الجمعيات والمشاريع الخيرية.

وبالرغم من بذل الجهود من قبل بعض رجال الدين، إلا أن المستمعين نادرًا ما يكتبون أو يقترحون موضوعات عليهم، أو أن يطرحون حوارًا أو نقاشًا بعد المحاضرة بالمستوى المطلوب.

وإذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد ضحى بنفسه وأهله وعياله من أجل الأمة، فنحن علينا أن نضحي بكل ما نستطيع من أجل أنفسنا ومجتمعنا ولرقي الدين والمذهب.

٧

حول الحوار المفتوح مع الشيخ الصفار: هل يمكن التأسيس لحالة حوارية ؟[1]

السيد إبراهيم الزاكي

في لقاء تحت عنوان حوار مفتوح، عقد قبل عدة أيام حوار مع الشيخ حسن الصفار، حول المواضيع التي تطرق إليها في محاضراته خلال أيام عاشوراء لهذا العام، وقد تضمن الإعلان عن هذا اللقاء، دعوة إلى عملية تقييم ومراجعة نقدية لهذه المحاضرات، وما ورد فيها من أفكار وآراء، وهو الأمر الذي دفعني وشجعني لحضور هذا اللقاء والمشاركة فيه.

ويجب أن اعترف أولًا، إنني لم أحضر أو أستمع إلى محاضرات الشيخ، بل تابعت وقرأت في الخلاصات التي كانت تنشر حول مضمونها يوميًا. وإذا كان لي أن أجري عملية مراجعة وتقييم لما قرأت، بالإضافة لهذا الحوار المفتوح، فإن ذلك يحتاج إلى مقاربة ذات وجهين.

الوجه الأول يتمحور حول الأمور والدلالات الشكلية والظاهرية، أما الوجه الآخر فإنه يتجه إلى تقييم المضمون والمحتوى. وسأكتفي هنا فقط بذكر بعض الملاحظات العامة والشكلية، التي يمكن أن تكون كمدخل أو مفتاح يساعد على الولوج إلى المضامين والمحتوى، ومناقشته وتقييمه بشكل موضوعي، وذلك عندما

---

(١) http: //www.saffar.org

تحين الفرصة إلى ذلك مستقبلًا.

إن دعوة الشيخ إلى عقد هذا اللقاء، وفتح حوار نقدي مفتوح حول الموضوعات التي تطرق إليها خلال موسم عاشوراء، هو سُنّة حسنة، ومبادرة خلّاقة، وقيمة يجب أن تترسّخ اجتماعيًا، من أجل تعميم ثقافة النقد والمراجعة والمحاسبة، حيث من المهم ألا نتحول أو نظل دائمًا مستمعين سلبيين، لا نحاور ولا نجادل ولا نناقش ما يلقى على مسامعنا، من أفكار وموضوعات وآراء، هي قابلة للاختلاف والأخذ والرد فيها، ولكي لا يظل الخطيب فوق مستوى النقد والمساءلة، ولكي يشعر هذا الخطيب أن هناك من يراقبه ويقيمه، وهو الأمر الذي يدفعه إلى العمل والاجتهاد والبحث بجد، كي يقدم لمستمعيه الأفضل من علوم ومعارف.

قد تكون لدينا مشكلة بنيوية نعاني منها في مجتمعنا، عندما نكتفي بالاستماع والتلقي، ولا نتفاعل مع ما يلقى أو يطرح على مسامعنا من موضوعات، من خلال مجادلتها ومناقشتها والبحث فيها، وخلق حالة حوارية تجادل هذه الأفكار والآراء، حيث يعاب علينا أننا نخاف من حالة الاختلاف، والدخول في مثل حوارات كهذه، اتقاءً للمشكلات التي يمكن أن تجرّها علينا، أو لأننا نستسلم ونسلم ونقبل بما هو معروض علينا من أفكار، نتيجة التقصير أو القصور الذاتي في بناء التراكم والحصيلة المعرفية.

إنه لمن المهم الدعوة إلى الجرأة في مناقشة ما يقال ومجادلته، لأن ذلك مدعاة لاستفادة جميع المتحاورين، ومصدر إثراء لهم، خصوصًا الخطيب أو العالِم أو المتحدِّث الذي يفتح باب الحوار والنقاش مع أفكاره؛ لأنه من خلال الحوار تنكشف وتتكشف أشياء جديدة لم تكن واضحة قبل ذلك، بالإضافة إلى أن هذه الحالة الحوارية تخلق في المجتمع حراكًا ثقافيًا واجتماعيًا، عندما يتطور ويعمّ، ويتحول إلى عادة وتقليدٍ اجتماعي، ستساهم أجواؤه الحسنة في رفع مستوى الاتصال والمثاقفة بين النخب وعموم الناس، وهو أمر لن يتحقق إلا من خلال حرية الرأي، وفتح باب

الحوار والاختلاف، الأمر الذي نحن أحوج ما نكون إليه من أجل الدفع بمجتمعنا إلى التقدم والتطور بشكل ووتيرة أكثر سرعة.

إن الإعلان عن موضوعات وعناوين المحاضرات قبل بدأ الموسم، هو من الأعراف والتقاليد الجديدة في السنوات الأخيرة عند بعض الخطباء والمحاضرين، وهو أمر جدير بالاهتمام والتعميم، ويدل على أن خلف هذه العناوين جهدًا مبذولًا، وعملًا وبحثًا شاقًا، وتحضيرًا مسبقًا قبل بدء الموسم، كما تؤكد أن الخطيب لا يبخس عقول مستمعيه، بل هو يحترمها، من خلال إعداد ما يثري عقولهم من معارف وأفكار جديدة، تواكب التطورات الحادثة في العالم المعاصر.

إن هذا الجهد والعمل والمثابرة يجب تقديره والثناء عليه، حيث لا يستوي الذين يُحضّرون ويجتهدون في العمل من أجل تقديم الجديد، مع الذين لا يهتمون بعملية التحضير، ويكررون ويعيدون ما يحفظونه دائمًا وباستمرار.

إن ما يقدمه ويطرحه الشيخ الصفار من موضوعات وأفكار، تدل على الجهد الذي يبدله من أجل إعداد محاضراته، ويمكن تلمّس هذا الجهد وملاحظته ورصده، من خلال لغة الخطاب الذي يحمل في طياته لغة حديثة، ويتضمن مفاهيم معاصرة، فيها مواكبة للحاضر ومعايشة له، لغة تحرص على تبيئة المفاهيم المعاصرة المستقاة من بيئات حضارية أخرى ومختلفة، والحرص على تأصيلها من خلال البحث عن جذورها ضمن الدائرة الحضارية الإسلامية، في عملية اجتهادية تحاول الموائمة بين التراث والمعاصرة، والخروج من هذه المواءمة بصيغ وأفكار وأطروحات جديدة، تعكس رؤية وثقافة الشيخ، وتجربته وخبرته في مجالي الخطابة والكتابة.

ومن المهم هنا ونحن نتحدث عن التراث والمعاصرة وما يشملانه من مفاهيم وقيم، وفي ظل ما يسمى ثورة الإنفوميديا «الإعلام والمعلوماتية»، أن يتطور الخطاب الديني، وترتقي لغته ومصطلحاته إلى مستوى التقدم المعرفي الحادث في الزمن المعاصر، وألا يظل هذا الخطاب أسير لغة ومصطلحات أزمان وحقب ماضية.

وعندما يرتقي مستوى الخطاب الديني ولغته، فسوف يرتقي برقيه مستوى وعي الناس وثقافتها إلى مستويات لغة العصر والحضارة المعاصرة.

لقد حظي الشيخ أثناء هذا اللقاء الحواري على الثناء والإطراء والشكر والتقدير، من قبل المداخلين، على ما قدمه من موضوعات وأفكار، كان لها أكبر الأثر والوقع على نفوسهم وفي عقولهم، إلا أنني أعتقد أن هذه المداخلات، بشكل عام، لم ترتقِ إلى مستوى ما يمكن تسميته بالمراجعة أو القراءة النقدية في مضمون محاضرات وموضوعات عاشوراء، والأفكار التي عرضت فيها، ولم تساجلها أو تناقشها بشكل معمق، ليس بقصد تفنيدها أو الرد عليها، وإنما من أجل استخراج القيمة الحيوية من مضمونها، وإثراء جو اللقاء بحوار يرتقي إلى مستوى اللقاءات الفكرية والثقافية الرفيعة.

وعلى الرغم من أن هذا اللقاء معلن عنه مسبقًا، ومعروفة هي أهدافه وأغراضه، إلا أن بعض ما طرح من أسئلة واستفهامات لم تكن على علاقة بموضوع اللقاء، بالإضافة إلى أنها أسئلة دائمًا ما تتكرر، وأصبحت إجاباتها من فم الشيخ أيضًا معروفة ومكررة. وقد كان من الأجدر بجمهور الحاضرين الاستعداد المسبق لهذا اللقاء، وتسجيل الملاحظات والأسئلة، حتى يمكن لهم حين اللقاء المشاركة بفاعلية، عوضًا عن تلك المداخلات العفوية، التي تخرج عن سياق وهدف اللقاء.

إن الدعوة إلى خلق حالة حوارية بين النخبة والجمهور، وكسر النمطية السلبية التي تتصف بها شخصية الفرد في مجتمعنا، يتطلب إتاحة فرص أكبر للجمهور في المشاركة، وتشجيعه على الإلقاء والتحدث والكلام والتعبير عن رأيه، بكل أريحية ورحابة صدر. ومجالس العلماء يجب أن تكون مدارس في تربية أفراد المجتمع على الشجاعة والمبادرة والثقة بالنفس، وكسر حاجز الرهبة والتردد والخوف من الوقوف والتحدث وإبداء الرأي. وهو أمر في حال تأسسه، ستكون له مردوداته وانعكاساته الإيجابية على المجتمع وأفراده، عندما ينخرطون للعمل في الحياة العامة.

من المهم تأسيس وتكوين وبلورة البيئة المناسبة لتطوير الحالة الحوارية التي نعاني ونشتكي من ضعفها في مجتمعنا، وإيجاد الأطر المناسبة التي تمتلك الرؤية لتشجيع واحتضان وتنمية وتطوير هذه الحالة، وسيكون لمجالس العلماء والمنتديات الثقافية والاجتماعية المنتشرة في مجتمعنا دور مهم في ذلك، وفي المساهمة في إنتاج الأفكار وصناعة الرؤى الجديدة، وتنشيط التفاعل الثقافي والاجتماعي بالشكل الذي يؤدي إلى تغييرات نوعية في ثقافة المجتمع.

وعندما يسود ويعمّ ويدبّ في مجتمعنا ذاك القدر من النشاط والفاعلية الثقافية الايجابية، والقدرة على إنتاج وصناعة الأفكار الخلاقة، فإن ذلك سيكون مدعاة للفخر والاعتزاز، وسيكون له انعكاساته وتأثيره المؤكد في البيئات الاجتماعية الأخرى، من خلال التأثير والتأثر المتبادل، الذي يفرضه التواصل والتبادل الثقافي، في فضاء كوني مفتوح على كل آفاق المعرفة والمعلومات، وهي ميزة يجب الاستفادة منها، لتعميم ونشر ثقافة ورسالة التسامح والتآخي والتعاون بين بني الإنسان.

من الملاحظات التي يمكن ذكرها في هذه المناسبة أننا دائمًا ما ننفعل ونتفاعل مع القضايا ذات البعد العقدي، حيث يرتفع عدد القراء والمشاركين في موضوعات كهذه إلى أرقام قياسية، بينما الموضوعات ذات الأبعاد الاجتماعية والتربوية والثقافية والأخلاقية والحضارية، لا تحظى بالاهتمام والتعليق إلا ما ندر، وهو أمر يترك انطباعًا بضعف الاهتمام بالموضوعات الأخرى غير العقدية والأيدلوجية، وبهشاشة البنية الثقافية في المجتمع، الأمر الذي يحتاج منا إلى مراجعة ودراسة وإعادة نظر.

هذا لا يعني بالطبع أن الدفاع عن الذات ورد التهم عنها هو أمرٌ خطأ أو سلبي، بل على العكس من ذلك، فإن الدفاع عن الذات ضد التهم الباطلة والتشويه المتعمد والعنف المادي والمعنوي هو ضرورة، بل هو من الأمور الواجبة. إلا أن السؤال هو كيف يمكن أن تتحول إساءات المغرضين، أو تلك المشكلات العقدية، التي هي قناعات متغلغلة وراسخة في النفوس ويصعب تبديلها، ومن ثم تحويلها من

مجالها العقدي الأيديولوجي، ونقلها إلى مجالها الثقافي الفكري القابل للسجال والاختلاف، مع السعي إلى الدفع بالتي هي أحسن تلك الإساءات، ومحاججة المسيء بالعقل والمنطق والبرهان، والعمل على رفع مستوى أبناء المجتمع العلمي والثقافي والفكري والأخلاقي، ليكونوا النموذج والقدوة الحسنة، والمؤهلين أيضًا لخوض غمار تلك الحوارات العقلانية، بعيدًا عن لغة العنف وعنف الكلمة، التي إذا ما انزلقت إلى الهاوية فإنها ستؤدي إلى أضرار فادحة، ومن ثم السقوط والإنجرار إلى متاهات لا تحمد عقباها.

٧

المجتمع يحاسب الشيخ الصفار[1]

وليد سليس

حسن الصفار كما يحب أن يُعرف نفسه، هو ذلك المعدن الأصيل الذي يحترم الإنسان؛ لأنه إنسان، صور متعددة يمكن أن يذكرها كل من قرأ شيئًا من مؤلفات الصفار، التي تعكس القدرة الإبداعية بتوظيف المضامين الدينية في حياتنا المعاصرة. لم يمنعه زيه الديني أن يكون متجددًا في التعرف على الفلسفات الأخرى والاستفادة منها؛ لأنه يؤمن بالفكر الإنساني، وبقيمة الإنسان، والأكثر من ذلك أنه يبحث عن الحكمة بين ثنايا الكتب، وفي عقول الناس، ليجد ضالته فيها.

أمام هذا الشموخ الفكري والأخلاقي نتساءل ما الذي يجعل الشيخ الصفار وللمرة الثالثة يفتح أبواب مجلسه بعد أكثر المواسم حيوية وتأثيرًا ضمن المجتمع الشيعي ـ شهر المحرم ـ لكي يلتقي الجمهور، ويتعرف على آرائهم، ويستمع إلى ملاحظاتهم ونقدهم، لماذا يُمكن المجتمع من ممارسة دور الرقابة العلنية عليه، رغم أننا بطبيعتنا لا نحب المسألة.

من الممكن أن يقرأ ذلك في صور متعددة، لكن ببساطة، ذلك يدل بوضوح على إيمان الصفار بمنهج الحوار كأساس للنجاح . فالحوار مع الصفار ليس حوارًا يأخذ

(١) الكلمة كانت مقدمة للندوة الحوارية التي أجريت مع سماحة الشيخ حسن الصفار يوم الخميس الموافق ١٥/ ١/ ١٤٣١هـ.

شكل المجاملة، فهو حوار ندي يتسم بالشفافية والعقلانية، وقائم على احترام وجهات النظر المختلفة، مهما كانت قاسية على الصفار.

الحب، صناعة التغيير، المرأة، العنف الاجتماعي والسياسي، حقوق الإنسان، الشباب، العدل والمساواة وعدم التمييز، الإبداع، المرجعية الدينية، الثقافة الشيعية، كانت عناوين محاضرات شهر محرم، أكثر ما يميزها أنها تطرقت لمعظم المناطق الحرجة في المجتمع بكل شفافية ووضوح فيما يتعلق بتحديد المشكلة وآلية المعالجة.

كان خطاب الشيخ الصفار في هذا العام يتسم ـ حسب وجهة نظري ـ بتوجيه أنظار المستمعين إلى تحمل المسؤولية المباشرة تجاه القضايا المختلفة التي يعاني منها المجتمع، وهذا تجلى بوضوح في حديثه ـ في معظم المحاضرات التي ألقاها ـ عن دور الفرد كنقطة أساس؛ لأنه كثيرا ما يستثني الإنسان نفسه عندما يكون الحديث عن الجماعة، فقد كان الخطاب شكلًا من أشكال النداء العاجل لأبناء المجتمع بتحمل المسؤولية، وعدم التهرب أمام ما يجري من أحداث متجددة، على مستوى المجتمع والوطن.

يمكن الإشارة إلى نقطة بارزة في محاضرات هذا العام، هو تسمية الأشياء بأسمائها، بعد أن كانت في أعوام سابقة عبارة عن إشارات وتلميحات، فعلى سبيل المثال في موضوع التمييز الطائفي، الذي يمارس ضد الشيعة في السعودية، كانت الرسالة واضحة لطرفي المعادلة، فللطرف الأول وهو الحكومة كان النداء أن التمييز يسبب الاحتقان عند المواطنين، وخطر ذلك على الوطن كبير ومكلف جدًا، أما الرسالة للطرف الآخر فكان صريحًا بأنه «ينبغي أن يتحرك الناس بأنفسهم للمطالبة بحقوقهم لا أن ينتظروا أن تقدم لهم على طبق من ذهب».

أما فيما يتعلق بموضوع الإهانة الموجهة إلى آية الله العظمى السيد السيستاني، فقد كان حديث الشيخ مباشرًا، ولا يقبل التأويل في التعامل الراقي مع الحدث، بأنه يجب إسكات مثل هذه الأصوات النشاز التي تثير الفتن الطائفية في الوطن،

وهذه من المرات القلائل التي وجدنا فيها الصفار حاضرًا إعلاميًا أمام الكم الهائل من البيانات والمقالات والصوتيات التي صدرت من رموز سلفية سعودية متشددة خلال الأعوام السابقة.

ما يجب الإشارة إليه، أن الشيخ الصفار كما ذكر نماذج من شباب القطيف المبدعين عندما تحدث في التاسع من المحرم عن الشباب وصناعة المستقبل، أحب أن أشيد بالإنجاز الذي حصل عليه وهو في حقيقته إنجاز للوطن وللمجتمع القطيفي، باختياره كأحد الشخصيات من ضمن ٥٠٠ شخصية إسلامية مؤثرة في العالم حسبما أشار إليه التقرير الذي أصدره المركز الملكي للبحوث والدراسات لعام ٢٠٠٩. هذا الإنجاز يجب أن نفخر به خصوصًا إذا علمنا أن عدد المسلمين في العالم يزيد على المليار والنصف، أن يتم اختيار ٥٠٠ شخص من مليار ونصف، هذا يدل بوضوح على أن الخطوات التي يقوم بها الصفار من الناحية الفكرية والعملية تستحق أن يتعرف عليها المجتمع بشكل معمق.







نظرة على خطاب المحرم[1]

سامي الدبيسي

يتنوع مضمون ومستوى الخطاب المنبري في شهر محرم تبعًا لاختلاف مستوى الخطباء، لجهة التميز الفكري، واختلاف التوجه، ومقدار الجهد المبذول في التحضير لما يلقى على المنبر، والجرأة في الطرح، والهدف من الخطابة بمجملها، وهل هي للارتقاء بالوعي، أم لمجرد الإلقاء وكفى؟ وغير ذلك.

فهناك من الخطباء من ينحى جانب تناول القضايا العامة التي ترتبط بوضع الناس، منطلقًا في أطروحاته من فهم للدين على أساس أنه منهج للحياة، وليس مجرد كلمات وشعارات لا أكثر، وهناك من يركزعلى جانب الفلسفة كوسيلة للخوض في جانب العقائد، كإثبات أونفي وغيره، يتناول التاريخ ويغوص فيه، متفاعلًا مع تفاصيله، بعيدًا عن الواقع والوضع المعاش، ومن وجهة نظري، لا ضير في التنوع كواقع موجود، يعكس الرؤى المختلفة، ما دام لايحمل الإساءة ويدعو للفتنة، وإلا وجب وضع حدّ له من الناحية القانونية والاجتماعية، لكن بغض النظر عن القبول أوعدم القبول بالتنوع، فإن الواقع يقول أنه كلما كان الخطيب يحمل فكرًا ينتمي للمدرسة التي ترى أن الدين منهج لتنظيم الحياة، والرقي بالوعي والسلوك، وبمقدار مايلتزم المجتمع بتلك الرؤية، فإن ذلك هو ما ينعكس على وضعهم من ناحية التقدم أو التخلف.

---

(١) شبكة راصد الإخبارية. ٢١ يناير ٢٠١٠م.

وفي رأيي لا ينبغي اختيار المجلس الحسيني على أساس أن المتحدث محسوب على جهة معينة، بمقدار ما يتم البحث عن مستوى الفائدة العلمية والعملية، التي تفهم ثورة الامام الحسين على أنها مدرسة ثورية ضد العدوان بمختلف أشكاله، ورفض للظلم، والتي كانت تلك الثورة بغض النظر عن طبيعتها اعتراضًا على انتهاك الحقوق الإنسانية، وطلبًا للإصلاح، والارتقاء بالوضع العام.

وفي هذا الموسم ومع احترامي لمختلف الخطباء من مختلف التوجهات، ما عدا المسيئين إن وجدوا للعلاقة بين مختلف أطياف الأمة الإسلامية، أو الأمم المتباينة دينيًا، فقد تألق الشيخ حسن الصفار بأسلوب ومضمون خطابه الذي تناول بعمق مختلف القضايا المرتبطة بالواقع، بنظرة دينية مستنيرة، إن دلت على شيء فإنما تدل على تميّز فكري، وجهد متناهٍ، لتقديم ما هو أفضل، إضافة إلى جرأته في الطرح والنقد البناء والموضوعي سواء للذات أو للآخر.

وشكرًا لمن أخلص النية وأحسن القول وأجاد العمل.

٧

رسالة لمن يحاول التمييز والتصنيف بين المواطنين[1]

تعقيبًا على خطاب خادم الحرمين الشريفين في مجلس الشورى يوم الأحد ٢١ ربيع الأول ١٤٣١هـ صرح سماحة الشيخ حسن الصفار لجريدة الوطن بما يلي:

إن الخطاب يعبّر عن تطلعات المواطنين، ويتحدث عن آمالهم، وهو يضعنا جميعًا كمواطنين، وكأجهزة حكومية، أمام تحدي الارتقاء والاستجابة لتوجهات هذا الخطاب الرفيع.

وإن المواطنين ينتظرون من أجهزة الدولة بذل المزيد من الجهد، ومعالجة موارد الخلل، ليكون أداؤها بمستوى الخطاب الملكي، الذي يؤكد على وحدة الوطن، وتساوي المواطنين في الحقوق والواجبات، فالوطن للجميع وهي حقيقة أكد عليها خادم الحرمين الشريفين ليوجه من خلالها رسالة لمن يحاول التمييز والتصنيف بين المواطنين.

كما أن جهات التوجيه الديني والثقافي والإعلامي في البلاد، عليها أن تلتزم المسار الذي رسمه الخطاب، في بث روح التسامح والتقارب بين أبناء الوطن والأمة، بعيدًا عن إثارة النعرات والعصبيات، ذلك أن خطاب التطرف والتشدد أصاب بلادنا والإسلام والأمة ببلاء شديد، لذا حذّر الملك من تحوّل البعض إلى عبء على دينهم

(١) صحيفة الوطن الاثنين ٢٢ ربيع الأول ١٤٣١ ـ ٨ مارس ٢٠١٠ – العدد ٣٤٤٧.

ووطنهم وأهلهم.

وعلينا جميعًا كمواطنين أن نتحمل المسؤولية في خدمة هذه التوجهات الوطنية الرائدة، فلا نقصّر في أداء الواجبات، ولا نسكت على الخطأ، وأن نبذل كل الجهود لتحقيق هذه التطلعات الكبيرة.

كلمة الشيخ حسن الصفار في مؤتمر آل عصفور بالبحرين[1]

سادتي العلماء، إخواني الأعزاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعلى منازل العلماء، وجعل مدادهم أفضل من دماء الشهداء، والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم الأنبياء نبينا محمد وعلى آله الطاهرين الأصفياء.،

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة».

أيها السادة الأعزاء، حفلنا المبارك هذا مصداق من مصاديق قول أمير المؤمنين ﵇، إننا نحتفي بذكرى عالم كبير، غاب جسمه ـ غاب عينًا ـ لكن مثله لا يزال موجودًا، وفي عصره كان عدد من الأثرياء، والتجار، وأصحاب المال والثروة، ولكن ذكرهم قد غاب وانتهى. ورحم الله الحاج منصور آل عصفور الذي أدرك هذه الحقيقة فأراد أن يهدي بلاده خلود العلم، ولذلك أقام مجلسه هذا الحفل المبارك، فتغمده الله تعالى

(١) عُقِد المؤتمر يوم الأحد ٢٨ ربيع الأول ١٤٣١ هـ الموافق ١٤ مارس ٢٠١٠ م بقاعة الدانة بقرية مقابة ولمدة ثلاثة أيام، تحت عنوان العلامة الشيخ حسين آل عصفور (الرسالة والموقف).

بواسع رحمته وجزى الله أبناءه خير الجزاء على هذه المبادرة الكريمة.

يزخر تاريخ مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الخليج والجزيرة العربية بحراك علمي معرفي نشط، امتد منذ بداية العهد الإسلامي؛ لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا في هذه المنطقة، فهم هاشميون قرشيون مدنيون، ولدوا وترعرعوا وعاشوا في المدينة المنورة، وما خرج أحد منها إلا قسرًا وللاضطرار، ولذلك كان مسجد جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله هو مكان حلقاتهم العلمية، وكانت بيوتهم مدارس العلم والمعرفة، وواصل المسيرة بعدهم تلامذة مدرستهم في هذه المنطقة، لذلك نجد في كل القرون علماء وفقهاء من منطقة الجزيرة العربية والخليج، كانوا يواصلون مسيرة أهل البيت عليهم السلام في نشر علومهم ومعارفهم.

الفقيه العماني الحسن بن علي بن عيسى من منطقة عمان، يعتبر من أوائل المرجعيات الشيعية، بل إن كتب التراجم تتحدث عنه أنه أول مجتهد من الشيعة استنبط قواعد الفقه على أساس الأصول، الفقيه العماني كان من أوائل المرجعيات الشيعية، وكان يعيش في مطلع القرن الرابع للهجرة، وهو شيخ ابن قولويه في الرواية، وأستاذ الشيخ المفيد كما وصفته بعض المصادر، وكتابه المتمسك بحبل آل الرسول صلى الله عليه وآله في مناسك الحج، قال عنه المؤرخون: إن كل شيعي يذهب إلى الحج كان يحرص على أخذ نسخة منه، كان هو الرسالة العملية المتداولة آنذاك للشيعة، وقد جُمعت أخيرًا فتاوى الفقيه العماني من قبل مركز المعجم الفقهي، فبلغت ٥٠٠ صفحة.

وفي المدينة المنورة كانت هناك حركة علمية واسعة من روادها السادة آل شلقم، والسيد ابن معصوم المدني رحمه الله وهو السيد على خان الحسيني المدني (توفي ١١٢٠هـ)، صاحب أفضل وأوسع شرح للصحيفة السجادية (رياض السالكين).

وفي الأحساء كان هناك فقهاء وعلماء ومراجع في طليعتهم العالم المعروف الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي صاحب العوالي(توفي ٩١٠هـ)، وكذلك الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي(توفي ١٢٤١هـ)، وعشرات العلماء من الفقهاء في كل التاريخ.

وفي القطيف كان هناك الفاضل الشيخ إبراهيم القطيفي(توفي٩٤٥هـ)، والشيخ

محمد بن علي آل عبد الجبار القطيفي(توفي١٢٤٢هـ)، وعشرات بل المئات من الفقهاء والعلماء.

وفي البحرين، وما أدراك ما البحرين، كانت نبعًا فياضًا للعلم والمعرفة، ويكفي البحرين الفقيهان العظيمان الشيخ يوسف آل عصفور(توفي ١١٨٦هـ) والشيخ حسين آل عصفور(توفي١٢١٦هـ) رحمة الله عليهما، وقبلهما الشيخ ميثم البحراني(توفي٦٨١هـ) الفيلسوف الكبير الذي شرح نهج البلاغة، والذي ترك كتبًا عظيمة في الفلسفة، وعلم الكلام، ومختلف المجالات.

الحركة العلمية الامتدادية لمدرسة آل البيت كانت مستمرة في هذه المنطقة، ووجودها وجود أصيل عريق عميق. قرية واحدة في الأحساء تسمى التيمية قالوا إنها في عهد ابن أبي جمهور كان يوجد فيها في وقت واحد أربعون مجتهدًا، يصلون في أربعين مسجدًا.

القطيف كانت تسمى النجف الصغرى.

ولكن في العقود الأخيرة ضعفت هذه الحركة العلمية وانحسرت لأسباب سياسية، ولضعف الهمم، وانشغال الناس بالأمور الدنيوية والمادية في هذه المنطقة، التي تفجرت فيها الثروات، ولذلك في العقود المتأخرة نرى انحسارًا في الحركة العلمية في المنطقة، لكننا الآن والحمد لله نرى بشائر عظيمة، هناك إقبال من أبناء المنطقة على طلب العلم، وعلى التوجه للمعرفة في الحوزة العلمية في قم، وفي الحوزة العلمية في النجف مئات الطلاب من أبناء هذه المناطق، يعكفون على دراسة العلم، وفي مناطقنا الآن في القطيف حوزة علمية، وفي الأحساء حوزة علمية، وفي الكويت حوزة علمية، وفي البحرين حوزة علمية، وفي المدينة المنورة حوزة علمية، وهكذا تستعيد الحركة العلمية عافيتها ونشاطها من جديد.

نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق لهؤلاء العاملين والساعين في طلب العلم والمعرفة، وما أود أن أشير إليه في حديثي: أن وجود حركة علمية في أي منطقة أو مجتمع يجب أن تضطلع بدورها في معالجة هموم مجتمعها ومنطقتها، الفقيه في أي

مجتمع يتحسس هموم وحاجات ذلك المجتمع، وعليه أن يجتهد في إنتاج فقه ومعرفة تلبي حاجات الناس في جيله وعصره ومنطقته، لا شك أن معارف الفقه والأصول معارف عميقة وواسعة، لكننا بحاجة إلى الفقهاء الذين يستجيبون لتحديات العصر.

الفقيه الشهيد السيد محمد باقر الصدر أهم ميزة له استجابته لتحديات عصره ومجتمعه، لم يتمحض للبحوث الأصولية و الفقهية التقليدية، رغم أنه أخذ منها بالحظ الأوفى، لكنه طوّرها واستفاد منها في قضايا عصره، لذلك كانت كتبه وأطروحاته، (فلسفتنا، اقتصادنا، الأسس المنطقية للاستقراء، البنك اللاربوي في الإسلام)، وسائر كتبه وأبحاثه لها الريادة على هذا الصعيد.

الإمام الخميني ميزته أنه طرح مشروعًا استجاب فيه لتحديات العصر، ومتطلبات المرحلة التي تعيشها الأمة، ومشروع الإمام ونهضته هي التي أعادت للأمة عزتها وكرامتها واهتمامها بدينها في هذا العصر، إلى جانب جهود الإسلاميين والحركات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، لكن جهده كان مميزًا ورائدًا.

نحن في حاجة إلى جهود علمية معرفية تواكب حاجات مجتمعاتنا، ويبدو لي أننا في هذه المنطقة في الخليج والجزيرة العربية نحتاج الآن إلى اهتمام في بعدين أساسين، دون التنكر لسائر الأبعاد، لكن هذين البعدين يحتاجان إلى تركيز خاص:

٤. نحتاج إلى فقه الإصلاح الاجتماعي والسياسي.

٥. ونحتاج إلى فقه التعايش.

فقه الإصلاح الاجتماعي والسياسي

مجتمعاتنا الآن تعيش مرحلة انتقال من الدولة التقليدية القديمة إلى الدولة الحديثة، التي تعتمد مفهوم المواطنة، وتقوم على أساس المشاركة الشعبية الواسعة، مرحلة الانتقال تواجهها عقبات، وتواجهها عوائق داخلية وخارجية.

نحن نحتاج إلى فقه وثقافة تساعد منطقتنا حكامًا ومحكومين في تخطي هذه المرحلة الانتقالية بأقل قدر من الخسائر، والحرّ تكفيه الإشارة، ونحتاج إلى فقه

اجتماعي، عصر العولمة ترك مجتمعاتنا وعوائلنا وأبناءنا فريسة لمختلف الأفكار الوافدة، هذا الغزو الإعلامي المعلوماتي ترك أثرًا سلبيًّا كبيرًا على مجتمعاتنا المحافظة، المتمسكة بدينها وهويتها، نعم نحن نفخر بهذه المظاهر الدينية، بإقامة الشعائر، وإقامة العزاء، ولكن يجب أن نهتم بتعزيز القيم في النفوس، يجب أن ننتبه إلى غزو السلوكيات الفاسدة والمنحرفة، التي تغزو الآن مجتمعاتنا، وهذا يعني إننا بحاجة إلى فقه وثقافة في الإصلاح والتربية الاجتماعية.

فقه التعايش:

هذه المنطقة فيها تنوع في المذاهب، وتنوع في المدارس المذهبية والفقهية، وقد عاش أبناؤها منسجمين متآلفين فيما بينهم، لكننا في هذا العصر وبسبب وجود توجهات تعصبية متطرفة متشددة، لا تتحمل وجود رأي آخر أو مذهب آخر، هذه الاتجاهات التعصبية أشاعت أجواءً من الكراهية والبغضاء في أوساط الناس، وامتلكت قدرات مالية لبث ثقافتها، وزرع مؤسساتها في مختلف المناطق، ومنطقتنا مستهدفة سياسيًّا لما فيها من ثروات وإمكانات، لذلك من صالح الدول ذات الأطماع ألا يكون هناك استقرار سياسي واجتماعي في مناطقنا.

مطلوب منا أن نحمي حالة التعايش بين الناس، وألا ننجرف وألا ننساق إلى الخلافات والصراعات الطائفية، رأينا آثارها البشعة في العراق وباكستان وأفغانستان، وفي مناطق متعددة، حيث حصل الاعتداء على مقدسات ومساجد، وعتبات مقدسة، ومراسم إقامة شعائر، واغتيال شخصيات، وتفجيرات، مما يعرفه الجميع، ونريد أن نحمي منطقتنا، وأن نحصن مجتمعنا، من أن تتسرّب إليه هذه الأخطار، وهذا يحتاج إلى جهد مشترك من كل الأطراف، ومن أتباع كل المذاهب، وهذا لا يعني أن يتنازل أحد عن شيءٍ من خصوصياته، الخصوصيات المذهبية ليست قابلة للمساومة؛ لأنها قضية تعبدية بين الإنسان وبين ربه، ما نتحدث عنه هو الاحترام المتبادل، هو حفظ الحقوق المتبادلة بين كل الأطراف، والكفّ عن أيّ إساءة من هذا الطرف لذاك الطرف، ألا يسيء أحد لشعائر ولا لرموز ولا لمقدسات الطرف الآخر، إننا نواجه الآن

توجهات متطرفة متشددة وكأنه لا يعجبها أن يعيش هؤلاء الناس في حالة استقرار وانسجام فيما بينهم.

في صحيح عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله جعفر الصادق عليه السلام يقول: «أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، ولا تحملوا الناس على أكتافكم فتذلوا، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾»، لا ينبغي أن يسمع أحد منا غير القول الحسن من الطرف الآخر، حتى في النقاش مع المخالفين لنا في الدين، لا يجوز لمسلم أن يتكلم مع يهودي أو نصراني إلا بالتي هي أحسن، إذا لم يكن قادرًا على الجدال بالتي هي أحسن فلا يجوز له أن يجادل، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، طبعًا إلا الذين ظلموا، الظالم والمعتدي يواجه في مجال ظلمه وعدوانه ثم قال عليه السلام: «عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم وأشهدوا لهم وعليهم وصلّوا معهم في مساجدهم».

رحم الله المرجع الفقيه الكبير الشيخ حسين آل عصفور، ورحم الله كل الفقهاء الذين حفظوا لنا ديننا وقيمنا، وأوصلوا الأمانة إلينا، وعلينا أن نجتهد كما اجتهدوا، وأن نعمل كما عملوا، لكي نورّث هذه الأمانة، لأجيالنا المقبلة، وذلك لا يكون إلا بالمعرفة الصحيحة السليمة، وإلا بالعلم الصادق الواضح، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي الإخوة القائمين، على هذا المؤتمر، خير الجزاء، وأن يوفقهم ويوفق أمثالهم، لأمثال هذه المبادرات الحضارية الواعية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





٧

بمشاركة الشيخ الصفار انطلاق أعمال مؤتمر «العلامة العصفور: الرسالة والموقف» (1)

الوسط
Alwasat
يومية سياسية مستقلة

العدد: 2747 | الإثنين 15 مارس 2010م الموافق 29 ربيع الاول 1431هـ

يدشن خطوة جديدة لإحياء تراث العلماء...

انطلاق مؤتمر الشيخ العصفور «علامة البحرين الكبير» أمس

0



دَشَّنَ مؤتمر العلامة الشيخ حسين آل عصفور: «الرسالة والموقف» الذي بدأت أعماله صباح أمس بقاعة الدانة في قرية مقابة بتنظيم من مجلس الحاج منصور آل عصفور خطوة جديدة لإحياء تراث علماء البحرين، فبعد مؤتمر فيلسوف البحرين الشيخ ميثم البحراني الذي نظمته وزارة العدل والشئون الإسلامية في شهر يناير/ كانون الثاني من العام 2007، يأتي مؤتمر العلامة الكبير الشيخ حسين آل عصفور ليقدم تراث عالم فذّ من علماء البحرين القدماء.

وشهدت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر أمس أطروحات متنوعة قدمت جوانب من السيرة العلمية لعلامة البحرين الشيخ حسين آل عصفور، فيما يتوقع أن تشهد جلسات المؤتمر اليوم (الإثنين) وغدا (الثلثاء) المزيد من أوراق العمل والأبحاث في مجالات الفقه والعقائد والتاريخ للمحتفى به العلامة آل عصفور.

وتوالت كلمات عدد من العلماء في الحفل الافتتاحي لتُجمع على المكانة العلمية الرفيعة للمحتفى به العلامة آل عصفور واستحضار مآثره ونبوغه ودوره في خدمة الدين الإسلامي، فيما مهّد رئيس الجلسة العلمية الأولى رئيس تحرير «الوسط» منصور الجمري لبدء تقديم أوراق العمل انطلاقًا من دور عالم عاش في فترة شهدت خلالها البحرين نهضة علمية، ونقش التاريخ أسماء علماء كبار أسهموا في تلك النهضة من بينهم علامة البحرين الشيخ حسين آل عصفور.

شهدت الجلسة الافتتاحية لمؤتمر العلامة الشيخ حسين آل عصفور: «الرسالة والموقف» الذي انطلقت أعماله صباح أمس (الأحد)، بقاعة الدانة، بقرية مقابة، أطروحات متنوعة، قدمت جوانب من السيرة العلمية لعلامة البحرين الشيخ حسين آل عصفور، فيما يتوقع أن تشهد جلسات المؤتمر على مدى اليوم وغدًا المزيد من أوراق العمل والأبحاث، في مجالات الفقه والعقائد والتاريخ، للمحتفى به العلامة آل عصفور.

قال الشيخ حسن الصفار القطيفي فيما يتعلق بالاحتفاء بذكرى عالم كبير لا يزال موجودًا: إن هناك من الأثرياء والتجار وأصحاب الثروة، غاب ذكرهم»، مشيرًا في هذا الصدد إلى المرحوم الحاج منصور العصفور الذي أدرك حقيقة أن يخدم الدين، فأقام مجلسه لخدمة العلماء، ذلك أن تاريخ مدرسة أهل البيت في الخليج والجزيرة العربية

---

(١) صحيفة الوسط البحرينية الإثنين ١٥ مارس ٢٠١٠م الموافق ٢٩ ربيع الأول ١٤٣١هـ العدد: ٢٧٤٧.

يتمتع بحراك علمي معرفي نشط امتد منذ بداية العهد الإسلامي.

ودعا الصفار إلى الانتباه إلى خطورة غزو السلوكيات الفاسدة المنحرفة، والحاجة إلى فكر وثقافة الإصلاح والتربية الاجتماعية، أما فقه التعايش، فهذه المنطقة فيها تنوع في المذاهب والمدارس المذهبية والفقهية، وقد عاش أبناؤها منسجمين متآلفين فيما بينهم، لكننا في هذا العصر، وبسبب وجود توجهات تعصبية متطرفة متشددة لا تتحمل وجود رأي آخر أو مذهب آخر، فإن هذه الآراء التعصبية أشاعت أجواء من الكراهية والبغضاء في أوساط الناس، وامتلكت قدرات مالية لبث عداوتها ولزرع مؤسساتها، وأيضًا منطقتنا مستهدفة سياسيًا، لما فيها من ثروات وإمكانات، ولذلك فمن صالح الدول ذات الأطماع ألا يكون هناك استقرار، ومطلوب منا أن نحمي حالة التعايش بين الناس، وألا ننجر ولا ننزلق للخلافات الطائفية، وأن آثارها البشعة في العراق وفي باكستان وفي مناطق متعددة، حيث حصل الاعتداء على مقدسات ومساجد وعتبات مقدسة ومراسم، واغتيال لشخصيات، وتفجيرات مما يعرفه الجميع، ونريد أن نحمي مجتمعنا من أن تتسلل إليه هذه الأخطار، وهذا يحتاج إلى جهد مشترك من كل الأطراف، ومن أتباع كل المذاهب، وهذا لا يعني أن يتنازل أحد عن شيء من خصوصياته المذهبية، فهي ليست قابلة للمساومة؛ لأنها قضية تعبدية بين الإنسان وربه، وما نتحدث عنه هو الاحترام المتبادل، وحفظ الحقوق المتبادلة بين كل الأطراف، والكفّ عن الإساءة، وألا يسيء أحد لشعائر ورموز ومقدرات الطرف الآخر، واليوم نواجه آراء متشددة لا تحب أن ترى الناس في حالة انسجام».

٧

الشيخ الصفار: رسالتنا تنمية المجتمع وتعزيز موقعيته الوطنية

للسنة الخامسة على التوالي يقيم مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار فعاليات الاحتفالية السنوية، لاستعراض التقرير السنوي لنشاطات المكتب، وذلك في صالات الشهاب في القطيف مساء يوم الجمعة ٣/ ٤/ ١٤٣١هـ الموافق ١٩/ ٣/ ٢٠١٠م.

بدأ الحفل بكلمة عريف الحفل الأستاذ منصور جواد، ثم تلاوة من القرآن الكريم تلاها المقرئ السيد عدنان الحجي، ثم بدأ عرض التقرير السنوي، الذي تضمن عرضًا مفصلًا لمجمل الدخل المالي الذي توزع بين الحقوق الشرعية والتبرعات، والمصروفات التي توزعت على المرجعيات وطلبة العلوم الدينية، واللجان الأهلية، والجمعيات الخيرية والثقافية في البلاد، ومساعدة المحتاجين، والإصدارات الثقافية.

كما رصد التقرير مجمل النشاط الثقافي للمكتب، وتضمن طباعة عشرة كتب، وتوزيع آلاف النسخ من النشرات والكتب والأقراص المدمجة (CD)، إلى جانب الدعم المالي للعديد من الأنشطة الثقافية في المنطقة، ودعم المؤسسات الاجتماعية والثقافية، والكتب، والتسجيلات، ومساعدة الجمعيات الخيرية بالمنطقة، ومساعدة طلبة العلوم الدينية، كما استعرض التقرير نشاط موقع سماحة الشيخ حسن الصفار saffar.org الذي استقبل (٢٦٦,٤٢٧) زيارة، وقرأت صفحاته بعدد (١,٠٤٤,٢٨٦) وأضيف له خلال هذا العام ٣٤٢ مادة تحريرية، و٦٨ مادة صوتية،

واستقبل وأجاب على أكثر من ٢٠٠٠ رسالة، وبلغ مجموع الكتب في مكتبة سماحة الشيخ العامة (١١٨٦٤) كتابًا، أضيف لها خلال العام ٤٩٨ كتابًا.

المؤتمرات

واستعرض التقرير أيضًا مشاركات الشيخ الصفار في عدد من المؤتمرات، منها: مؤتمر عاشوراء النص والوظيفة وإمكانيات التعبير ـ بيروت لبنان، والمؤتمر الثاني للهيئة العالمية للفقه الإسلامي الذي انعقد بعنوان (الفقه الإسلامي وتحديات العصر) ـ اسطنبول تركيا، ومؤتمر الوقف الجعفري ـ الكويت، ومؤتمر تكريم الشيخ محمد جواد مغنية والشيخ عبدالله العلايلي ـ بيروت، ومؤتمر الشهيدين في قم.

كما شارك الشيخ حسين الصويلح في: الملتقى السنوي الثاني للمبلغين في شرق أفريقيا، المنعقد في عروشة ـ تنزانيا، والمؤتمر الدولي الأول للداعمين للعمل التبليغي في أفريقيا والمنعقد في دار السلام ـ تنزانيا.

وشارك سماحة الشيخ فوزي السيف في المؤتمر الدولي الثالث للتقريب بين المذاهب الإسلامية في لندن.

المساعدات

كما استعرض التقرير عمل لجنة المساعدات، التي تقوم بعدة مهام، منها: دراسة الحالة بالتنسيق مع الجمعيات الخيرية في المنطقة، وتقوم بتوجيه صاحب المشكلة المالية إلى طُرُق تجاوز الأزمة التي يمر بها، والمساعدات المالية المباشرة، والمساعدة في توفير مصدر دائم للدخل عبر التأهيل والتوظيف.

وتتنوع المساعدات حسب الحاجة، حيث قامت اللجنة بتقديم المساعدات للحالات التالية: مساعدات للزواج وبلغت سبعين حالة، ومساعدات للعلاج وبلغت خمسين حالة، تسديد ديون أربعٍ وستين حالة، وتسديد فواتير الخدمات سبع عشرة

حالة، ومساعدة في بناء مسكن سبعٍ وأربعين حالة، ومساعدات شهرية خمس حالات، ومواد غذائية في شهر رمضان عشرون حالة، ومساعدات في تسديد إيجار عشر حالات، ومساعدات دراسية ثمان حالات، وقد بلغت طلبات المساعدة التي تقدمت للّجنة خلال العام، مئتين وتسع وثلاثين حالة.

أما عدد الحالات التي تم بحثها وإصدار تزكيات لها إلى رجال الأعمال فقد بلغت مئةَ حالة، وقد أسهم سعي اللجنة في توفير فرص وظيفية لعشرين شخصًا.

وعرض ضمن التقرير مجمل لقاءات سماحة الشيخ خلال العام مع المسؤولين والقيادات السياسية في الوطن، واللقاءات مع الشخصيات الوطنية من علماء ودعاة ومثقفين ورجال أعمال، كما استعرض التقرير استضافات المكتب خلال العام.

كلمة الشيخ الصفار

ثم تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار الذي أكد على: المضي في كسر العزلة المفروضة على المواطنين الشيعة في السعودية، عبر المزيد مما وصفه بكسر الحواجز، وبناء الجسور، مع مختلف الأطياف الوطنية في المملكة.

وقال الشيخ الصفار أمام حشد ناهز الألف مشارك من السعودية والخليج «نحن ماضون باتجاه تعزيز وتوسيع مساحة الاعتدال في بلادنا، عبر التواصل مع محيطنا الوطني».

وشدد سماحته على الاستمرار في «كسر العزلة عن المجتمع الشيعي في المملكة، عبر التواصل، وكسر الحواجز، وبناء الجسور مع مراكز صنع القرار، ومختلف الأطياف الوطنية».

لافتًا في الوقت نفسه إلى أن التواصل مع مراكز القرار في الدولة «يعدّ وسيلة مهمة لخدمة مجتمعنا».

وأضاف: «جنينا بعض نتائج هذه السياسة مع وقوف الكثير من إخواننا السُّنة معنا».

إشارة لوقوف العشرات من المثقفين وكتّاب الصحافة السعودية مع مواطنيهم الشيعة إبان الإساءة التي طالتهم من رجل الدين المتشدد محمد العريفي نهاية ديسمبر الماضي.

ونوّه في سياق حديثه إلى أحقية الجميع في اختيار الطرق التي يخدمون من خلالها مجتمعاتهم. معيدًا التذكير برسالة مكتبه التي لخصها في «تنمية المجتمع وتعزيز موقعيته الوطنية».

تلا كلمة الشيخ الصفار قصيدة للشاعر باسم العيثان ضمنها التطلع للوحدة والوئام بين جميع المسلمين، شاكيًا للرسول ﷺ ما آلت إليه الأمة من تفرقة وشتات.

وكان لفرقة الإمام الحسن عليه السلام بالقطيف أوبريت بعنوان: اعملوا فسيرى الله عملكم.

مداخلات

ثم بدأت المداخلات بمداخلة للأستاذ النائب صالح عاشور (الكويت): شكر فيها إدارة المكتب الذين أتاحوا له فرصة الالتقاء والتعرف على الأنشطة والفعاليات المختلفة في المنطقة.

وأضاف: لي شرف التعرف على سماحة الشيخ لأكثر من ر بع قرن، وقد عرفته عالمًا وخطيبًا وداعيًا ومصلحًا ومتميزًا في عمله، وما شاهدته الليلة وما سمعته هو جزء من هذا التميز.

داعيًا للإستفادة من الفرص المتاحة من خلال التعاون.

ثم مداخلة الشيخ محمد الملا علي (البحرين): الذي أبدى إعجابه بنشاط سماحة الشيخ الذي كان له الدور الكبير في ردم الهوة بين السنة والشيعة، بطرحه الوسطي وحرصه الشديد على وحدة الأمة الإسلامية، وبتصديه للخطاب الطائفي.

وقال: كنت أحسب أن البرنامج سيكون في مكان صغير، ويلقى بين مجموعة من رجال الدين، ولم أكن أتوقع أن يكون بهذه الشفافية، وبهذا العدد الكبير، وبهذا الحضور، وبهذا التنسيق.

كما شكر القائمين على البرنامج، وتمنى أن يحتذي وكلاء المراجع بهذه الخطوة، خصوصًا مع التساؤلات التي تنطلق بين فترة و أخرى حول موضوع الخمس.

ومداخلة الدكتور إحسان بو حليقة: تحدث فيها عن الأرقام التي عرضت في التقرير، حيث إنها «تمثل بالفعل نقلة في إشراك المجتمع في الأنشطة الاجتماعية»، وأقترح أن تكون هناك وقفية استثمارية، الهدف منها الحفاظ على الأصل من خلال استثماره والاستفادة من العائد.

تلتها مداخلة الأستاذ محمد كاظم الشهابي (البحرين): الذي دعا إلى تأطير العمل ضمن مؤسسة لضمان استمرار هذا العطاء.

الشيخ آل محسن

وقال قاضي التدقيق بدائرة الأوقاف والمواريث بالقطيف سماحة الشيخ على آل محسن، في كلمة مسجلة عرضت أمام الجمهور عبر شاشة كبيرة: إن العلاقة الطيبة مع أهل السنة والجماعة كانت محورًا رئيسًا في حياة أئمة أهل البيت.

وتناول الشيخ آل محسن أوجهًا من وصايا الأئمة التي شددت على توطيد العلاقة مع إخواننا السنة، وعدها من أهم السبل للتعريف بمذهب أهل البيت وأخلاقيات أئمتهم.

1000 مشارك

حضر فعاليات اللقاء السنوي عدد من الضيوف من دولة الكويت ومملكة البحرين وسلطنة عمان والأحساء إلى جانب أكثر من ١٠٠٠ مشارك ومشاركة من أهالي المنطقة.

حيث اكتظت قاعة مجاورة بنحو ٢٥٠ من سيدات المجتمع، تابعن مجريات اللقاء عبر دائرة تلفزيونية مغلقة.

شارك من الكويت: النائب صالح عاشور والشيخ حامد حسين والأستاذ عادل دشتي والحاج رمضان أبل.

وكان ممن حضر من مملكة البحرين: الشيخ عبد المجيد العصفور، والسيد موسى الموسوي، والشيخ عبد الكريم العباس، والشيخ علي الهميلي، والشيخ محمد الملا علي، والسيد محمد جعفر الغريفي، والأستاذ محمد كاظم الشهابي، والحاج محمد حبيب الجمري.

ومن سلطنة عمان: الأستاذ كمال اللواتي.

ومن بين من شارك من الأحساء: الدكتور إحسان بوحليقة، الحاج مهدي ياسين رمضان، الحاج أحمد جواد الخرس، الحاج محمد جلال البحراني، الشيخ جواد الخليفة والخطيب الأديب محمد صالح المطر، وآخرون.

ومن جدة: الشيخ محمد عطية مع عدد من الأفراد. ومن الرياض: الحاج عيسى المرزوق.

كما شارك من علماء المنطقة كل من: الشيخ فوزي آل سيف، الشيخ يوسف المهدي، الشيخ حسن الخويلدي، الشيخ فؤاد الخيري، الشيخ محمود السيف، الشيخ منصور السيف، الشيخ جواد جضر، الشيخ عبد الله المسكين، الشيخ حسين جضر، الشيخ عبد الله اليوسف، الشيخ جعفر البناوي، الخطيب الملا حسين الفضل، الشيخ جعفر الداوود، الشيخ فؤاد المتروك، الشيخ أحمد الناصر، الشيخ عبد الغفار الزاهر، الشيخ عبد الله المويس، الشيخ عبد الله المسلم، الشيخ صالح البراهيم، الشيخ محمد فندم، الشيخ جعفر الأمرد، الشيخ محمد عبد العال، الشيخ حسين الصويلح، الشيخ محمد الصفار، الملا حسن شهاب، الشيخ سعيد المرهون.

وممن شارك من رجال الأعمال والوجهاء: المهندس شاكر نوح، الأستاذ أحمد منصور الصادق، الحاج عبد الجبار الحمود، الحاج عبد الجبار بو مرة، الحاج فؤاد بو مرة، الحاج علي الحي، عضوا المجلس البلدي المهندس نبيه البراهيم، والمهندس عيسى المزعل، والأستاذ طالب المطاوعة، الفنان التشكيلي عبد العظيم الضامن، الباحث الأستاذ خالد النزر، الشاعر الأستاذ محمد رضي الشماسي، الأستاذ عبدالعزيز المحروس، الأستاذ باقر الشماسي، الحاج عبد القادر أبو المكارم، الدكتور حسن علي تركي العباس، الأستاذ السيد محمد الدعلوج، الحاج عبدالله عنيزان، الدكتور محمد رضا بو حليقة، الأستاذ مطر النجيدي.

ومسؤولون في الجمعيات الخيرية كرئيس جمعية مضر بالقديح السيد شرف السعيدي، والأستاذ ماجد عبد العال رئيس جمعية أم الحمام، والأستاذ مسلم الدار رئيس جمعية الجارودية، وأعضاء من إدارة جمعية القطيف الخيرية.

وبعض مسؤولي المنتديات الثقافية كالأستاذ جعفر الشايب مدير منتدى الثلاثاء الثقافي، والأستاذ عبدالله النمر مدير منتدى العوامية، والأستاذ علي محمد آل عباس مدير منتدى الوسطية بصفوى، والأستاذ كمال المزعل رئيس منتدى سيهات الثقافي، والأستاذ فؤاد نصر الله رئيس منتدى حوار الحضارت.



٧

النخبة الوطنية ودعم توجهات الاصلاح[1]

السلام عليكم جميعا أيها الأخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

إنها أمسية سعيدة ولقاء رائع، وسأكتم مشاعري؛ لأن الوقت لا يسعني لإبدائها، ولأن الكلمات لا تفي بالتعبير عن هذه المشاعر، التي أشعر بها وتشعرون بها جميعًا، ونحن نلتقي من مختلف أنحاء الوطن الواحد، لنؤكد عزمنا جميعًا على ترسيخ وحدتنا الوطنية، وعلى التعايش فيما بين كل أطياف هذا الوطن الواحد.

يجب أن ندرك جميعًا إننا نعيش لحظة تاريخية مهمة، فعندنا، والحمد لله، قيادة سياسية تعلن شعارات إصلاحية، وتطرح مشاريع وطنية، يتطلع إليها الجميع، إننا مدعوون بأن ندعم هذه المشاريع الوطنية، وأن نصر على تحويل هذه الشعارات إلى واقع عملي على الأرض؛ لأن هناك من يسعى لعرقلة هذه التوجهات، بإفراغ هذه المشاريع والشعارات من مضمونها ومحتواها، لذلك لا بدّ من وقفة وطنية شعبية، تدعم هذه التوجهات، وتصرّ على تحويلها إلى مشروع فعلي، يتجاوز به الوطن ما يعانيه من بعض المشاكل والثغرات، التي لا يخلو منها وطن من الأوطان، ومن أهم العراقيل

(١) كلمة الشيخ حسن الصفار في افتتاح ملتقى التعايش ووحدة الوطن بمنتدى حوار الحضارات، المنعقد يوم الأربعاء ٨ ربيع الآخر ١٤٣١هـ الموافق ٢٤ مارس ٢٠١٠م في ديوانية الأستاذ فؤاد نصر الله بالقطيف، والذي حضره عدد من الشخصيات الوطنية من مختلف أنحاء المملكة.

والعقبات التي تواجهها هذه الشعارات والمشاريع الوطنية التي تطرحها القيادة، إشغال أبناء الوطن والشعب بالخلافات الجانبية، مرة بعنوان الخلاف الديني الليبرالي، ومرة باسم الخلاف السني الشيعي، وثالثة باسم النعرات القبلية، وما أشبه ذلك.

علينا أن نكون في مستوى الوعي، وألا ننزلق إلى هذه المنزلقات الخطيرة، التي أعتقد أن هدفها عرقلة مشاريع الإصلاح والتطوير.

وطننا أمام هذا الاستحقاق التاريخي، وما حولنا من القضايا الإقليمية التي تدفع بهذا الاتجاه، والواقع الدولي يدفع بهذا الاتجاه.

لقد تصارعت الأطياف في لبنان، واستمرت في صراعاتها إلى أعلى الحدود حيث تورطت في حرب أهلية قذرة، ثم اكتشفت أنه لا خيار إلا الاعتراف ببعضهم بعضًا في ظلّ التعايش.

وقد افتعلت الصراعات في العراق، وسالت الدماء، وانتهكت الأعراض، وأصيبت المقدسات، ثم وصل الجميع إلى قناعة بتجاوز الاصطفافات الطائفية، والدخول في أحلاف وتكتلات تتجاوز الشعارات الطائفية.

ونحن بحمد الله في وطننا الغالي لا نريد أن يحصل عندنا شيء مما حصل في تلك البلدان، نريد لوطننا أن يستمر في حالة السلم والسلام بين أطيافه وطوائفه وقبائله ومناطقه، وأن تترسخ هذه الوحدة، وهذا لا يتأتى إلا بإصرار النخب الواعية والمثقفة، والحاضرون بحمد الله خير نموذج لها، إصرارهم على التواصل والتلاقي، وعلى وضع مشاريع عملية تدعم توجهات الإصلاح، الإصلاح والتطوير في الوطن يخدم الجميع بمختلف الفئات والطوائف والتوجهات الفكرية والدينية، وعلينا جميعا أن نسعى لمواجهة ثقافة التعصب وإثارة التحريض والبغضاء والكراهية بين الناس، فكلنا أبناء وطن واحد، ولنا مستقبل واحد.

أرجو أن تتكرر مثل هذه اللقاءات، وأن نخرج جميعًا بما يدعم مثل هذه التوجهات،

بأن نلتف حول مشاريع الإصلاح، ونصرّ على تحويلها إلى واقع فعلي، وألا تبقى مجرد شعارات، ولا تبقى مجرد مشاريع معلنة، وهذا يحتاج إلى تضامن بين القيادة السياسية والشعب، وإلى وقوف أما العراقيل والمعوقات. أكتفي بهذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومن أبرز المشاركين في الملتقى:

١. الشيخ عبدالمقصود خوجة.
٢. الشيخ فهد أبو العصاري.
٣. السيد منير الخباز.
٤. الدكتور عبد الرحمن العصيل.
٥. الدكتور محمد آل عسكر.
٦. الشيخ عادل أبو خمسين.
٧. الناشطة الحقوقية عالية آل فريد
٨. الأستاذ عبد الرحمن الوابلي.
٩. الدكتور توفيق السيف.
١٠. الأستاذ محمد سعيد طيب.
١١. السيد عبدالله فراج الشريف.
١٢. الدكتور عبد الرحمن المحرج.
١٣. الدكتور زيد الفضيل.
١٤. الدكتورة سعاد الشمري.
١٥. السيد حسن النمر.
١٦. المحامي مخلف دهام الشمري.
١٧. الدكتور إحسان أبو حليقة.







٧

لقاءات للشيخ الصفار في جدة

لبّى الشيخ حسن الصفار دعوة الإعلامي الدكتور عبدالعزيز قاسم للمشاركة في لقاء ضم عددًا من العلماء والدعاة والمثقفين في منزل الدكتور قاسم بجدة مساء يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر ١٤٣١هـ الموافق ١/ ٤/ ٢٠١٠م

وقد حضر اللقاء كل من:

الدكتور الشيخ عوض القرني، الدكتور الشيخ سعد البريك، الدكتور الشيخ محمد السعيدي، السيد زيد الفضيل، المحامي خالد أبا الخيل، الدكتور محمد أبو زيزة، المحامي وليد أبو الخير، الشيخ إبراهيم الحارثي، السيد عبد الباسط رضوان، الدكتور فايز حابس، الأستاذ هاشم الرفاعي، الأستاذ جميل الفارسي، الشيخ عبدالله القرشي مدير محطة دليل، الأستاذ عبدالله المالكي، وآخرون، وكان بمعية الشيخ الصفار كل من الشيخ محمود آل سيف، الشيخ محمد آل عطية، الأستاذ علي عبدالله الراشد.

ودار الحديث في اللقاء الذي استمر ثلاث ساعات حول سبل معالجة التوترات والخلافات الطائفية، وأكدّ الشيخ الصفار على ضرورة تجسيد مفهوم المواطنة، وتفعيل مبدأ المساواة، ليتمتع كل المواطنين على اختلاف مذاهبهم بتكافؤ الفرص، كما أشار إلى الانعكاسات السلبية لخطاب التعبئة الطائفية والتحريض على الكراهية، داعياً إلى وقف وتجريم تلك الخطابات من أي جهة صدرت.

وعرض بعض الحاضرين لإشكاليات وتساؤلات تتعلق ببعض المعتقدات

والمواقف الشيعية، حيث أجاب عنها الشيخ الصفار بالتوضيحات اللازمة، مؤكدًا على ضرورة قبول التعددية المذهبية، واختلاف وجهات النظر، مع التزام الاحترام المتبادل، وعدم الإساءة من كل طرف لرموز ومقدسات الطرف الآخر.

وانتهى اللقاء باتفاق الجميع على أهمية التواصل والتعارف المباشر، والتعاون على حفظ الاستقرار والأمن في الوطن.

لقاء قناة دليل

في ظهر يوم الجمعة ١٧ ربيع الآخر الموافق٢/ ٤ / ٢٠١٠م شارك الشيخ الصفار في لقاء حواري مباشر على قناة دليل، ضمن برنامج (البيان التالي) مع الدكتور الشيخ سعد البريك، بإدارة الدكتور عبدالعزيز قاسم، تحت عنوان (الوطن للجميع) وفيما يلي بعض الفقرات من حديث الشيخ الصفار في ذلك اللقاء :

فقد بدأ سماحته اللقاء بكلمة مختصرة جاء فيها: كلمة خادم الحرمين الشريفين: «الوطن للجميع» هي تعبير عن حقيقة واقعية؛ لأن الناس شركاء في أوطانهم، كل مواطن شريك في كل ذرة من تراب هذه الأرض، وفي كل قطرة من مائه، وفي كل إمكاناته وثرواته. فخادم الحرمين الشريفين يعبر عن حقيقة واقعية.

وأضاف: العبارة الثانية أن معيار أي مواطن يكون حسب عطائه وإخلاصه، هذا هو المعيار الإسلامي والإنساني. فالإنسان لا يُقَوَّم بعرقه أو بقبيلته أو بانتمائه المذهبي؛ وإنما يقوم بعطائه وحسن تعامله مع من حوله، وبالتالي فهذا تأكيد من خادم الحرمين الشريفين على ما نص عليه النظام الأساسي للحكم في مادته الثانية؛ أن الحكم بين الناس في المملكة يكون على أساس العدل والمساواة. فلا يكون هناك تمييز بين المواطنين، الفرص تكون متكافئة، والحقوق أيضًا مشتركة والواجبات كذلك. وهذا يعني أن على كل المواطنين أن يتحملوا المسؤولية اتجاه وطنهم.

وقال سماحته: الكلام حول الوطن والوطنية ليس الكلام عن الحقوق فقط؛ وإنما

عن الواجبات، على الجميع أن يتحملوا واجبهم ومسؤوليتهم في حماية الوطن، وفي الارتقاء بالوطن، وفي الدفاع عن الوطن، خاصة وإن أوطاننا مستهدفة بما يريد اختراق أمنها وتهديد استقرارها، فلا بدّ وأن نتحمل جميعًا هذه المسؤولية، فالوطن لنا جميعًا وهو أمانة في أعناقنا، وأجيالنا أيضًا ستسائلنا عن تصرفاتنا وممارساتنا، خاصة وأننا نعيش في وطن ليس كسائر الأوطان؛ وإنما هو وطن فضّله الله سبحانه وتعالى على جميع بقاع الأرض بالحرمين الشريفين، وبانبثاق نور الإسلام من أرض هذا الوطن. فهذه الكلمة بالفعل هي استلهام من مبادئنا وقيمنا وتعزيز لأصالتنا.

وقال الشيخ الصفار: إن الإجماع عند الشيعة على عدم تحريف القرآن، مطالبا بترك إثارة مثل هذا الموضوع؛ لأنه ليس له واقع خارجي، فإثارة مثل هذا الكلام في كل وقت وفي كل آنٍ، يصنع بعض التوترات والتشنجات ويعيدنا إلى نفس الحلقة المفرغة.

وعن التحصين الطائفي قال: التحصين تارة يكون بعرض معتقدات كل فئة أمام جمهورها، وتارة يكون بتعبئة الفئة ضد الفئة الأخرى.

من حق أي علماء وأي دعاة أن يحصّنوا مجتمعهم وجمهورهم ويعرضوا عقائدهم ومعارفهم، لكن لا يصح أن يصل إلى مستوى التعبئة ضد الآخر والتحريض على الآخر.

وعلق الشيخ على مداخلة الدكتور صادق الجبران عن معوقات هذا التعايش المثالي وفتاوى التكفير من قبل الآخرين فقال: أنا أعتقد أن من المشاكل التي ينبغي الإفصاح عنها، والحديث حولها؛ أن المواطنين الشيعة يشكون من بعض الممارسات التمييزية. هذه الممارسات تقوم بها بعض الجهات، بعض الموظفين، بعض الجهات الدينية الموجودة التي عندها نوع من التشدد، هذه الممارسات التمييزية لا بدّ وأنها تسبب ردود فعل عند الناس.

الحمد لله أن الشيعة في المجمل لم ينزلقوا إلى منزلقات العنف، ولم يدخلوا في

متاهات الإرهاب والحمد لله في المملكة. وهذا ما أكده النائب الثاني وزير الداخلية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز في لقاء له مع الشيعة حينما جئنا لتهنئته بهذا المنصب، أشار إلى هذه القضية.

ولكن في بعض الأحيان حينما يتعرض المواطن إلى ما يرى أنه إذلال، إلى ما يرى أنه انتقاص من حقوقه الوطنية كمواطن، تحصل عنده حالة انفعال، تحصل عنده حالة تشنج، فقد يقول كلامًا غير إيجابي.

وتعقيبًا على مداخلة الشيخ البريك واتهام السيد السيستاني قال الشيخ الصفار: إرسال المسلمات بأن السيد السيستاني يقول بأن من يجحد الإمامة فهو كافر، هذا كلام غير صحيح، هذا افتراء على السيد السيستاني.

السيد السيستاني لا في رسالته العملية، ولا في كتبه، ولا في فتاواه.. السيد السيستاني موجود وكتابه الفقهي وفتاواه موجودة وآراؤه موجودة، وهناك مجلد كامل النصوص الصادرة عنه موجودة، وأنا الآن لست في مورد الدفاع عن السيد السيستاني في هذه الحلقة. لكن أقول: ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ كما أمرنا القرآن الكريم. علينا أن نتثبت، إذا كان هناك موقع على الانترنت محسوب على السيد السيستاني وفيه كتب الشيعة السابقة ككتب رقمية... لا يُحاسب رجل عن الكتب الموجودة في مكتبته المكتبة الرقمية التي على الانترنت هي مثل المكتبة الورقية. نحاسب السيد السيستاني على كل كلمة وردت في أي كتاب من الكتب، كان في مكتبة رقمية في موقع على الانترنت تابع له؟

نحاسب الرجل على فتاواه، إذا كان هناك فتوى، إذا كان هناك شيء في كتابه، فيمكننا أن نتناقش حول الموضوع.

وحول نص سؤال قرأه الشيخ البريك وجه للسيد السيستاني وهو: «هل يعتبر مسلمًا من لم يؤمن بأحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام؟

الجواب: إذا استلزم إنكاره تكذيب النبي ﷺ فيما بلغه عن الله في الأئمة فهو كافر».

قال الشيخ الصفار: هذا حتى أنت تقول به لأنه شرط مشروط؛ إذا استلزم... أنا لم أطلع على الفتوى، لكن أقول إذا استلزم...

عفوًا أنا أؤكد أنه لو استلزم أي موقف ليس فقط في هذه المسألة... إذا استلزم التكذيب، فالكفر على استلزام التكذيب وليس على حسب الاعتقاد.

وتعليقًا على كلام الدكتور السعيدي، وقوله: إن موضوع المواطنة وحقوق المواطنين هذا لا يهم طلبة العلم؛ وإنما ينبغي أن يكون الحديث فيه مع الدولة. قال الشيخ الصفار: أنا أريد أن أعلق هنا أن الدولة أعزّها الله تعطي اعتبارًا كبيرًا لطلبة العلوم الشرعية وللجهات الدينية، وأنا أعتقد أن بعض الجهات الدينية تُحَرّض بعض أجهزة الدولة ضد المواطنين الشيعة للانتقاص من حقوقهم.

أجهزة الدولة لا مانع لها أن يبنى مسجد أو حسينية للشيعة، أجهزة الدولة لا تمنع أن يتساوى المواطن الشيعي مع بقية المواطنين في كل المجالات والحقوق. ولكن تحصل حالات من التحريض، الحمد لله الآن منذ سنوات، جزى الله خيرًا النائب الثاني وزير الداخلية وكذا أمير المنطقة الشرقية الأمير محمد بن فهد، سعوا في حل مشكلة بناء المساجد في مناطق الشيعة في القطيف والأحساء، ولكن في غير القطيف والأحساء لا زال الشيعة يعانون من هذه المشكلة، لماذا بسبب الجهات الدينية. ولذلك أقول من المهم جدًا أن نتحدث مع طلبة العلوم الدينية حول هذا الموضوع، عدم تحريض أجهزة الدولة على هؤلاء المواطنين الشيعة للانتقاص من حقوقهم...

وبخصوص نتيجة الاستفتاء قال الشيخ الصفار: إنها تعني أن علينا مسؤولية كبيرة في أن نبذل جهدًا لتشجيع مسيرة التقارب والتعايش، وأن وجود متوجسين من الطرفين يحملنا مسؤولية كبيرة بمعالجة هذه التوجسات عبر التوعية السليمة المطلوبة.

واشتمل اللقاء على مداخلة للدكتور صادق الجبران من الأحساء والدكتور محمد

السعيدي من جامعة أم القرى بمكة، والدكتور الشيخ عوض القرني من أبها، وأعيد بث اللقاء ثلاث مرات.

وكان للقاء أصداء واسعة، حيث تداولته بعض الصحف وعدد كبير من المواقع الإلكترونية، وحيث تفاوتت آراء المستمعين والكتاب حول ما دار في ذلك اللقاء.

دعوة الأستاذ محمد سعيد طيب:

كما لبّى الشيخ الصفار دعوة الأستاذ محمد سعيد طيب مساء يوم الجمعة ١٧ ربيع الآخر ١٤٣١هـ الموافق ٢/ ٤/ ٢٠١٠م الذي احتفى بقدوم الشيخ الصفار في جمع حاشد من الأكاديميين والمثقفين والإعلاميين، حيث ألقى كلمة رحّب فيها بسماحته، وألقى الأستاذ السيد عبدالله فرّاج الشريف كلمة أشاد فيها بفكر الشيخ الصفار ودوره الوطني، ثم تحدث الشيخ الصفار شاكرًا للأستاذ طيب دعوته، وللسادة الحاضرين حفاوتهم ، وعرض وجهة نظره في آلية تفعيل وتنفيذ ما طرحه خادم الحرمين الشريفين أن الوطن للجميع، وكيفية الوقوف أمام الإثارات والممارسات الطائفية، المخالفة لما نصّ عليه النظام الأساسي للحكم من العدل والمساواة بين المواطنين، وطالب الشيخ الصفار النخبة الوطنية الواعية بتحمل مسؤوليتها بنشر ثقافة الوحدة والمساواة، ومكافحة كل ألوان التمييز بين المواطنين.

وتوالت المداخلات من الحاضرين حيث أجاب عنها الشيخ الصفار بما يؤكد ضرورة التواصل والتلاقي، ويزيل أي التباس في مجال العلاقات المذهبية والوطنية. وطال اللقاء لأكثر من ثلاث ساعات.

وكان من ضمن الحاضرين في اللقاء كل من: الدكتور علوي درويش كيال وزير البرق والبريد والهاتف سابقًا، الدكتور مدني علاقي وزير الدولة وعضو مجلس الشورى سابقًا، الدكتور سهيل قاضي مدير جامعة أم القرى سابقًا، الدكتور زهير السباعي عضو مجلس الشورى سابقًا، الدكتور عبدالله دحلان عضو مجلس الشورى

سابقًا، الدكتور شهاب جمجوم وكيل وزارة الإعلام سابقًا، الأستاذ فؤاد أبو منصور عضو مجلس الشورى سابقًا، السيد أمين عطاس الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي سابقًا، سعادة السفير محمد طيب، الدكتور عبدالله مناع، الأستاذ فايز صالح جمال، الشريف عبدالله فراج الشريف ـ كاتب وباحث، الأستاذ علي حسون رئيس تحرير جريدة البلاد، الشيخ جميل فارسي عضو مجلس إدارة نادي أدبي جدة، الدكتور محمد بترجي ـ رجل أعمال، الشيخ منصور إبراهيم بدر ـ رجل أعمال، الكاتب الصحفي نجيب يماني، المستشار إحسان صالح طيب، محمد الأمين الفال مدير عام مؤسسة المدينة للطباعة والنشر السابق، محمد المختار الفال رئيس تحرير صحيفة المدينة سابقًا، الكاتب الصحفي أسامة السباعي، الكاتب الصحفي هاشم عبده هاشم، عبدالله العمري نائب رئيس تحرير صحيفة المدينة، الشريف محمد العربي، الدكتور سليمان توفيق أستاذ العلوم السياسية بجامعة الملك عبدالعزيز، البروفيسور سعود سجيني الأستاذ بجامعة الملك عبدالعزيز، المهندس زكي فارسي، الأستاذ والكاتب الصحفي عبدالرحمن عرابي ، الكاتب الصحفي هشام الكعكي، الأستاذ منصور أبو منصور مدير عام التعليم سابقًا، الكاتب الصحفي خالد الحسيني، البروفيسور محمود زيني ـ جامعة أم القرى، البروفيسور عبدالمحسن هلال ـ جامعة أم القرى، الدكتور وديع كابلي أستاذ الاقتصاد بجامعة الملك عبدالعزيز، الدكتور عمر يحيى رئيس قسم التاريخ بجامعة الملك عبدالعزيز.

تعزية السيد اللواساني:

واغتنم الشيخ الصفار فرصة زيارته لتقديم التعازي لسماحة السيد محمد اللواساني من كبار علماء الشيعة في المدينة المنورة لوفاة زوجته الكريمة، تغمدها الله بواسع رحمته، حيث حضر مجلس العزاء فور خروجه من مطار جدة مساء يوم الخميس، وشكر السيد اللواساني وأسرته والحاضرون للشيخ الصفار مواساته وحرصه على مشاركتهم في مصابهم الأليم.

كما التقى الشيخ الصفار مساء يوم الجمعة جمعًا من المواطنين الشيعة المقيمين في جدة من أهالي المدينة المنورة، حيث زارهم في أحد مجالسهم، واستقبله فضيلة الشيخ كاظم الشيخ محمد علي العمري والشيخ محمد العطية والشيخ منصور البغولي، وعدد من رجالاتهم ووجهائهم، وألقى الشيخ الصفار كلمة أكدّ فيها على ضرورة الالتزام بالتعاليم والشعائر الدينية، وحسن تربية الأبناء، والإخلاص والاجتهاد في خدمة الوطن، وطيب العلاقة والمعاشرة مع الآخرين، ومواجهة المشاكل بالصبر والثبات والسعي بحكمة ونشاط.

في ضيافة الشيخ خوجة:

وكان مسك الختام في برنامج الزيارة ضيافة معالي الشيخ عبدالمقصود خوجة، حيث استقبل الشيخ الصفار في دارته العامرة ظهر يوم السبت ١٨ ربيع الآخر ١٤٣١هـ الموافق ٣/ ٤/ ٢٠١٠م ودار الحديث عن تحصين الوحدة الوطنية، ومعالجة ما قد يعكّر صفر العيش المشترك بالتواصل والحوار.

وقد صحب الشيخ الصفار في زيارته لجدة فضيلة الشيخ محمود آل سيف والأستاذ علي بن عبد الله الراشد، كما شارك في برنامج الزيارة، فضيلة الشيخ محمد العطية، وفضيلة الشيخ كاظم بن الشيخ محمد علي العمري.





٧

الشيخ الصفار يشارك في مؤتمر الاجتهاد في الخطاب الإسلامي[1]



بدعوة من كلية الدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، وبمشاركة عدد من العلماء والباحثين من العالمين العربي والإسلامي، شارك سماحة الشيخ حسن الصفار خلال يومي الأحد والاثنين ١٢-١٣/ ٥/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٥-٢٦/ ٤/ ٢٠١٠م في مؤتمر الاجتهاد في الخطاب الإسلامي «نحو خطاب إنساني متجدد» ببحث بعنوان: تجديد خطاب الوحدة، وقد كانت مشاركة سماحته في الجلسة الثالثة ومحورها (قضايا أساسية في الاجتهاد والتجديد) بمشاركة الدكتور منذر القحف، وأ.د. سيف الدين عبد الفتاح.

جاء في كلمة الشيخ الصفار: إن خطاب الوحدة المعاصر يواجه عددًا من التحديات

---

(١) http: //www.saffar.org

الخطيرة التي تتمثل في تداعيات واقع الانقسام، وسياسات التمييز، ومعارك الخلافات، وعواصف الفتن، والانتشار الواسع لخطاب التعبئة والشحن الطائفي، حيث لم يعد مجرد خطبة في مسجد أو حسينية، ولا مجرد كتاب مطبوع، بل أصبح إعلامًا عابرًا للقارات، عبر شاشات القنوات الفضائية، ومواقع الشبكة العنكبوتية، وخدمات الهواتف النقالة، وضعف استجابة خطاب الوحدة لدواعي التجديد والتطوير، فمعظمه يعاني من السكونية والجمود في المضامين التي يتبناها، والأساليب التي يستخدمها، وفي مستوى الفاعلية، وإمكانات التأثير.

وأكد الشيخ الصفار: إن خطاب الوحدة يعاني قصورًا كبيرًا في جانبي الكمّ والكيف، وقال: «في مقابل مئات المؤسسات والمنابر الإعلامية والثقافية المنتجة للشحن الطائفي، والمروجة لاتجاهات التعصب المذهبي، لا تكاد تجد سوى عدد محدود من المؤسسات المهتمة بالخطاب والشأن الوحدوي، ومن بين عشرات الآلاف من علماء الدين والمنتسبين للحالة الدينية من الخطباء والدعاة، قد لا نجد منهم إلا عشرات الأفراد ممن يحملون همّ نشر خطاب الوحدة، ومواجهة ثقافة الخلاف والشقاق، ولو رصدنا حركة الكتاب ونشر المقالات، لوجدنا أن مؤشر إنتاج وانتشار الكتابات الطائفية المذهبية هو الأعلى، قياسًا إلى النسبة المنخفضة من الكتابات الداعية إلى الوحدة والتآلف».

وطالب سماحته بإنشاء مؤسسات أهلية، تُعنى بنشر ثقافة الوحدة والتسامح، وتقود مبادرات لإطفاء الحرائق، وتشجيع الحوار بين مختلف الأطراف، خدمة للاستقرار والسلم الاجتماعي.

كما حذر من أن الخطاب الطائفي الذي يتحدث بنبرة أعلى، وثقة أقوى، بينما يتسم معظم الخطاب الوحدوي بدرجة كبيرة من الخجل والحياء، وقال: «على صعيد المقارنة بين مستوى أداء الخطابين، فإن الخطاب الطائفي يمتلك من قدرة على التأثير في الجمهور، وإثارة مشاعره وعواطفه، ودفعه إلى أتون الفتن ومعارك الصراع أكبر ،

بينما يكاد يقتصر التفاعل مع الخطاب الوحدوي على مستوى نخبوي محدود، مما يستدعي البحث في بنية الخطاب الوحدوي، وأساليب تخاطبه مع جماهير الأمة، ومدى قدرته على إثارة العواطف الإيجابية، والمشاعر البناءة، في أعماق نفوس أبناء الأمة، لصالح اتجاهات الوحدة، ومواقف السلم والوئام».

وأشار الشيخ الصفار إلى أن الهدف الأساس لخطاب الوحدة هو تصحيح العلاقة بين فئات وأطراف المجتمع الإسلامي، وحمايته من النزاع والشقاق، ليعيش الاستقرار والسلم الداخلي، ويتجه نحو التنمية والبناء، وخدمة المصالح العليا، ومواجهة التحديات الخطيرة.

داعيًا إلى تبني مفهوم المواطنة، ومفهوم حقوق الإنسان، للقضاء على عناوين الصراع والشقاق، ومداخل الفتنة، في واقع الأمة المعاصر، ولمعالجة المسألة الطائفية عبر إقرار المساواة بين المواطنين، ورفع أي تمييز طائفي، وهذا ما يقتضيه مفهوم المواطنة، بأن تنظر الدولة لأبنائها كمواطنين قبل أي شيء آخر، وبغض النظر عن هوياتهم الفرعية.

فإن الخطاب الوحدوي يحتاج إلى تحديد الموقف تجاه التعددية المذهبية العقدية والفقهية، حيث لا مصداقية لأي طرح وحدوي يقوم على إلغاء أي طرف من أطراف الأمة، أو يشترط تنازل الآخرين عن معتقداتهم ومتبنياتهم، بعد التسليم بأصول الإيمان وأركان الإسلام. فلا بدّ من الإعلام الصريح بقبول الآخرين ضمن دائرة الإسلام والأمة، بالإضافة إلى رفض الإساءة للرموز المحترمة عند أي مذهب من المذاهب، قائلًا: «الاختلاف في تقويم شخصيات السلف وتحليل أحداث العهود الإسلامية الأولى، داخل ضمن حق الاختلاف في المعتقدات والقناعات، ومقبول في إطار البحث العلمي، لكنه لا يبرر لأي طرف التعدي والإساءة لرموز الطرف الآخر».

ودعا سماحته إلى إدانة التمييز الطائفي في أي بلد ومجتمع إسلامي، وقال: «لا يصح السكوت على سياسات التمييز التي تمنع أتباع أي مذهب إسلامي من ممارسة

شعائرهم الدينية المذهبية، أو تحرمهم من التمتع بحقوقهم الوطنية».

وشدد على ضرورة تشجيع حالة التواصل والاندماج الاجتماعي بين أبناء الأمة على اختلاف مذاهبهم، وتجاوز واقع القطيعة والفصل في النشاط العلمي والثقافي والإعلامي والسياسي والاجتماعي، وتجريم أي تحريض على الكراهية والبغضاء.

كما التقى سماحة الشيخ الصفار على هامش المؤتمر وضمن جلساته بعدد من العلماء والمفكرين من المشاركين في المؤتمر، منهم: الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، والدكتورة عائشة يوسف المناعي، عميدة كلية الشريعة بجامعة قطر، وأ.د. علي محي الدين القرة داغي، أستاذ الفقه والأصول بجامعة قطر والعضو التنفيذي لهيئة الرقابة الشرعية ببيت الاستثمار، والدكتور حسن حنفي، وسماحة الشيخ أحمد مبلغي رئيس المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية في حوزة قم، والبروفيسور منذر قحف عضو هيئة التدريس في كلية الدراسات الإسلامية بمؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، وأ.د. سيف الدين عبد الفتاح، وأ.د. صالح قادر كريم الزنكي رئيس قسم الفقه و الأصول ـ جامعة قطر، ود. عبد الجبار سعيد، أستاذ مشارك في كلية الشريعة ـ جامعة قطر، وزار الشيخ الصفار الدكتور الشيخ عبد الملك السعدي من أبرز فقهاء السنة في العراق وعضو هيئة تدريس في جامعة العلوم الإسلامية العالمية في العاصمة الأردنية عمان، واستقبل الشيخ الأستاذ ياسر الغرباوي المدير العام لمركز التنوع للدراسات والاستشارات، والمهندس عبد العزيز الدليمي واطلع منهما على نشاط المركز واهتماماته.

كما استقبل سماحته كلًا من الدكتور محمد امزيان المدرس في جامعة الشيخ زايد بأبوظبي، والدكتور رشيد بالحبيب والدكتور حسن يشوا عضوا هيئة التدريس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر.

كما أجاب الشيخ الصفار دعوة الدكتور محمد الأحمري في منزله والتقى المفكر الإسلامي القطري الدكتور جاسم السلطان.

علماء: الخطاب الإسلامي يواجه أزمة ولا بدّ من أنسنته وعولمته[1]

الدوحة ـ محمد عزام



8 | شؤون محلية

الثلاثاء 27 أبريل 2010م - الموافق 13 جمادى الأولى 1431هـ

العدد 7989

في ختام مؤتمر الاجتهاد

علماء: الخطاب الإسلامي يواجه أزمة ولا بد من أنسنته وعولمته

باحث يصف البنوك الإسلامية بـ «الاحتكارية» والصفار يطالب بمؤسسات أهلية تنشر ثقافة الوحدة

اتفق علماء شرعيون ومفكرون إسلاميون على أن الخطاب الإسلامي يواجه أزمة ويحتاج إلى «أنسنته» وتوجيهه للعالم كلّه.

وأكد العلماء المشاركون في ختام مؤتمر الاجتهاد في الخطاب الإسلامي ـ الذي نظمته كلية الدراسات الإسلامية بجامعة قطر بالاشتراك مع كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمؤسسة قطر ـ أن أهم مشاكل الخطاب تتركز في تباين رؤية القائمين عليه، وصياغته، ومنهجه، ومستوى التحليل به، واستقلاله عن السلطة، والتنظيمات السرية، بالإضافة إلى طائفية بعض القائمين عليه وتشددهم المذهبي.

---

(١) جريدة العرب القطرية في عددها رقم ٧٩٨٩ الصادر يوم الثلاثاء ١٣/ ٥/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٧/ ٤/ ٢٠١٠م.

ودعا المفكرون إلى إنهاء واقع الانقسام الذي يعاني منه الخطاب، وسياسات التميز، ومعارك الخلافات، وعواصف الفتن، والربط بين الفقه والتربية لدى القائمين على الخطاب و«أنسنته» عبر فقه المقاصد.

ودعا الدكتور منذر قحف في بداية جلسة أمس إلى عولمة نظام التمويل الإسلامي، وتقديمه إلى العالم كأنه أسلوب تمويل إنساني عام يتألف من قواعد ينظمها أهداف محددة تربطها بالجوانب الاقتصادية والحياة العامة حتى يتحول إلى منظومة عالمية تصلح لكل الناس، وهو يتناسب مع رؤية الإسلام التي تقوم على أنه رحمة للعالمين.

ووصف قحف البنوك الإسلامية بالاحتكارية، نظرًا لأنها تفرض على زبائنها نظامًا بنكيًّا محمّلًا بالعمولات بشكل يفوق البنوك التقليدية، كما أنها تفرض أسعارها على عملائها قائلًا: «المصارف الإسلامية ليست هي الاقتصاد الإسلامي».

وعن نظام الأوقاف قال قحف: «إن الأوقاف صنعها المسلمون للتخلص من سيطرة السلطة، لكننا أهديناها مرة أخرى للسلطات»، وطالب بفقه لإدارة الأوقاف لصون مصالح الأمة ودعم استقلال قرارها وخطابها عن الحكام.

وقال الدكتور حسن الصفار (باحث): «إن خطاب الوحدة المعاصر يواجه عددًا من التحديات الخطيرة التي تتمثل في تداعيات واقع الانقسام، وسياسات التمييز، ومعارك الخلافات، وعواصف الفتن والانتشار الواسع لخطاب التعبئة والشحن الطائفي، حيث لم يعد مجرد خطبة في مسجد أو حسينية، ولا مجرد كتاب مطبوع، بل أصبح إعلامًا عابرًا للقارات، عبر شاشات القنوات الفضائية، ومواقع الشبكة العنكبوتية، وخدمات الهواتف النقالة وضعف استجابة خطاب الوحدة لدواعي التجديد والتطوير، فمعظمه يعاني من السكونية والجمود في المضامين التي يتبناها، والأساليب التي يستخدمها، وفي مستوى الفاعلية، وإمكانات التأثير.

وأكد الصفار أن خطاب الوحدة يعاني قصورًا كبيرًا في جانبي الكمّ والكيف، وقال: «في مقابل مئات المؤسسات والمنابر الإعلامية والثقافية المنتجة للشحن

الطائفي، والمروجة لاتجاهات التعصب المذهبي، لا تكاد تجد سوى عدد محدود من المؤسسات المهتمة بالخطاب والشأن الوحدوي، ومن بين عشرات الآلاف من علماء الدين والمنتسبين للحالة الدينية من الخطباء والدعاة، قد لا نجد منهم إلا عشرات الأفراد ممن يحملون همّ نشر خطاب الوحدة، ومواجهة ثقافة الخلاف والشقاق، ولو رصدنا حركة الكتاب ونشر المقالات، لوجدنا أن مؤشر إنتاج وانتشار الكتابات الطائفية المذهبية هو الأعلى، قياسًا إلى النسبة المنخفضة من الكتابات الداعية إلى الوحدة والتآلف».

وطالب الصفار بمؤسسات أهلية، تُعنى بنشر ثقافة الوحدة والتسامح، وتقود مبادرات لإطفاء الحرائق، وتشجيع الحوار بين مختلف الأطراف، خدمة للاستقرار والسلم الاجتماعي.

وحذر الصفار من أن الخطاب الطائفي يتحدث بنبرة أعلى، وثقة أقوى، بينما يتسم معظم الخطاب الوحدوي بدرجة كبيرة من الخجل والحياء، وقال «على صعيد المقارنة بين مستوى أداء الخطابين، فإن الخطاب الطائفي يمتلك من قدرة على التأثير في الجمهور، وإثارة مشاعره وعواطفه، ودفعه إلى أتون الفتن ومعارك الصراع أكبر ، بينما يكاد يقتصر التفاعل مع الخطاب الوحدوي على مستوى نخبوي محدود، مما يستدعي البحث في بنية الخطاب الوحدوي، وأساليب تخاطبه مع جماهير الأمة، ومدى قدرته على إثارة العواطف الإيجابية، والمشاعر البناءة، في أعماق نفوس أبناء الأمة، لصالح اتجاهات الوحدة، ومواقف السلم والوئام».

وأشار الصفار إلى أن الهدف الأساس لخطاب الوحدة هو تصحيح العلاقة بين فئات وأطراف المجتمع الإسلامي، وحمايته من النزاع والشقاق، ليعيش الاستقرار والسلم الداخلي، ويتجه نحو التنمية والبناء، وخدمة المصالح العليا، ومواجهة التحديات الخطيرة.

ودعا الصفار إلى تبني مفهوم المواطنة، ومفهوم حقوق الإنسان، للقضاء على

عناوين الصراع والشقاق، ومداخل الفتنة، في واقع الأمة المعاصر، ولمعالجة المسألة الطائفية عبر إقرار المساواة بين المواطنين، ورفع أي تمييز طائفي، وهذا ما يقتضيه مفهوم المواطنة، بأن تنظر الدولة لأبنائها كمواطنين قبل أي شيء آخر، وبغض النظر عن هوياتهم الفرعية.

وأكد الصفار أن الخطاب الوحدوي يحتاج إلى تحديد الموقف تجاه التعددية المذهبية العقدية والفقهية، حيث لا مصداقية لأي طرح وحدوي يقوم على إلغاء أي طرف من أطراف الأمة، أو يشترط تنازل الآخرين عن معتقداتهم ومتبنياتهم، بعد التسليم بأصول الإيمان وأركان الإسلام.

فلا بدّ من الإعلام الصريح بقبول الآخرين ضمن دائرة الإسلام والأمة، بالإضافة إلى رفض الإساءة للرموز المحترمة عند أي مذهب من المذاهب، قائلًا: «الاختلاف في تقويم شخصيات السلف وتحليل أحداث العهود الإسلامية الأولى، داخل ضمن حق الاختلاف في المعتقدات والقناعات، ومقبول في إطار البحث العلمي، لكنه لا يبرر لأي طرف التعدي والإساءة لرموز الطرف الآخر».

ودعا الصفار إلى إدانة التمييز الطائفي في أي بلد ومجتمع إسلامي، وقال: «لا يصح السكوت على سياسات التمييز التي تمنع أتباع أي مذهب إسلامي من ممارسة شعائرهم الدينية المذهبية، أو تحرمهم من التمتع بحقوقهم الوطنية».

وشدد على ضرورة تشجيع حالة التواصل والاندماج الاجتماعي بين أبناء الأمة على اختلاف مذاهبهم، وتجاوز واقع القطيعة والفصل في النشاط العلمي والثقافي والإعلامي والسياسي والاجتماعي، وتجريم أي تحريض على الكراهية والبغضاء.

أما الدكتور سيف عبدالفتاح ـ أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة ـ فركز على مفهوم الحكم الصالح الرشيد، وعلاقته بمفهوم الخطاب الإسلامي.

وأشار عبدالفتاح إلى أن الحكم الرشيد يرتبط بنموذج الحكم والأصول الشورية

المتبعة ومعايير المساءلة والشفافية، بما يطور من العلاقة بين الدولة وأفراد المجتمع، ويتم استلهامه في صياغة معاني الشرعية والمرجعية والواقعية والفاعلية في الخطاب الإسلامي.

ودعا عبدالفتاح إلى الربط بين الفقه والتربية، وتحليل النصوص التراثية لتطوير الخطاب، حتى نصل إلى عمل قاموس للحكم الراشد.

وقال الدكتور حاتم القرنشاوي عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في ختام الجلسة: «إن الخطاب الإسلامي يعاني من أزمة بسبب تباين رؤى مقدميه، كما أننا نحتاج إلى حوار داخل كل مذهب لتوحيده وحوار بين المذاهب».

وأشار إلى أن بعض المفكرين أشاروا إلى أن الخطاب حصر نفسه في التفصيلات وفصل نفسه عن القضايا العامة قائلًا: «داخل الخطاب هناك من يؤمنون بالتفاعل مع الحياة العامة، وهناك من يرفضون ويحبذون الانفصال».

وقال الدكتور حسن حنفي، أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة، في ختام كلمته: «إن لغة الخطاب الإسلامي لم تعد قادرة على التفاعل مع تحديات العصر». ودعا إلى صياغة خطاب إسلامي مزود بالبراهين والحجج ومستقل عن السلطة والتنظيمات السرية.

أما الدكتور سلطان الهاشمي فقال: «إن أزمة الخطاب تتركز بين العلماء والدعاة العاملين والعلماء المنظرين؛ لأن المنظرين لا يستطيعون تشخيص الواقع بخلاف العلماء العاملين». ودعا إلى التعاون بين الاثنين لمصلحة الأمة.

يذكر أن المؤتمر نظم بالتعاون بين كلية الدراسات الإسلامية عضو مؤسسة قطر التعليمية، وكلية الشريعة والدراسات بجامعة قطر، للعمل على تقريب الفجوة بين العلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة، والعلوم الشرعية التي تهتم بالاجتهاد الفقهي.



أكد أن لا مصداقية لأي طرح وحدوي يشترط تنازل الآخرين عن معتقداتهم

رجل دين شيعي سعودي يدين سياسات التمييز الطائفي ويطالب بالتصدي لها[1]

اكد ان لا مصداقية لأي طرح وحدوي يشترط تنازل الآخرين عن معتقداتهم

رجل دين شيعي سعودي يدين سياسات التمييز الطائفي ويطالب بالتصدي لها

لندن ـ «القدس العربي»:

أدان رجل الدين الشيعي السعودي الشيخ حسن الصفار سياسات التمييز الطائفي في البلدان العربية داعيا إلى معالجة المسألة الطائفية عبر إقرار المساواة ورفع كافة أشكال التمييز بين المواطنين.

وقال الصفار ضمن مشاركته في أعمال مؤتمر الاجتهاد في الخطاب الإسلامي الذي اختتم في العاصمة القطرية مؤخرا «لا يصح السكوت على سياسات التمييز التي تمنع أتباع المذاهب الإسلامية من ممارسة شعائرهم الدينية المذهبية أو تحرمهم من التمتع بكافة حقوقهم الوطنية».

ووسط حضور علمائي واسع من مختلف المذاهب الإسلامية حذر الصفار من مغبة استمرار رجال الدين في الشحن الطائفي عبر استغلال المنابر الدينية ـ حسبما ذكرت شبكة «راصد» الشيعية السعودية الاخبارية.

وأوضح بأن الهدف الأساس لخطاب الوحدة هو تصحيح العلاقة بين فئات وأطراف المجتمع الإسلامي، وحمايته من النزاع والشقاق، ليعيش الاستقرار والسلم الداخلي، ويتجه نحو التنمية والبناء، وخدمة المصالح العليا، ومواجهة التحديات الخطيرة.

وأضاف «لا مصداقية لأي طرح وحدوي يشترط تنازل الآخرين عن معتقداتهم ومتبنياتهم.. لابد من الإعلان الصريح بقبول الآخرين ضمن دائرة الإسلام والأمة».

وشدد في السياق نفسه على رفض الإساءة لرموز



الشيخ حسن الصفار

المذاهب الأخرى.

وقال «الاختلاف في تقويم شخصيات السلف وتحليل أحداث العهود الإسلامية الأولى داخل ضمن حق الاختلاف في المعتقدات والقناعات، ومقبول في إطار البحث العلمي، لكنه لا يبرر لأي طرف التعدي والإساءة لرموز الطرف الآخر».

وضمن ورقة قدمها للمؤتمر الذي افتتح بكلمة من الشيخ يوسف القرضاوي قال الصفار ان قلة من رجال الدين مهتمة بالخطاب الوحدوي فيما الغالبية لازالت تدفع باتجاه الشحن الطائفي والتعصب المذهبي.

مضيفا القول ان من بين عشرات الآلاف من علماء الدين والخطباء والدعاة «لا نجد منهم إلا عشرات الأفراد يتبنون همّ نشر خطاب الوحدة».

وانتقد الخطاب الديني المتسم بالتقليدية والجمود والسكونية في مقابل خطاب التعبئة والشحن الطائفي الذي أصبح إعلاما عابرا للقارات على حد تعبيره.

وقال الصفار ان الخطاب الطائفي يتحدث بنبرة أعلى فيما يتسم معظم الخطاب الوحدوي بدرجة كبيرة من الخجل والحياء.

وأعرب عن اعتقاده بأن الخطاب الطائفي يمتلك قدرة أكبر على التأثير في الجمهور وإثارة مشاعرهم والزج بهم في أتون الفتن ومعارك الصراع.

وطالب في مقابل ذلك بتشكيل مؤسسات أهلية تُعنى بنشر ثقافة الوحدة والتسامح وتقود مبادرات وأد الفتن وإطفاء الحرائق وتشجيع الحوار بين المختلفين لتعزيز الاستقرار والسلم الاجتماعي.

ويأتي المؤتمر الذي نظمته كلية الدراسات الإسلامية بجامعة قطر على مدى ثلاثة ايام في سياق تقريب الفجوة بين العلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة والعلوم الشرعية التي تهتم بالاجتهاد الفقهي من جهة أخرى.

لندن ـ «القدس العربي»:

أدان رجل الدين الشيعي السعودي الشيخ حسن الصفار سياسات التمييز الطائفي في البلدان العربية داعيًا إلى معالجة المسألة الطائفية عبر إقرار المساواة ورفع كافة أشكال التمييز بين المواطنين.

وقال الصفار ضمن مشاركته في أعمال مؤتمر ا لا جتها د في الخطاب الإسلامي الذي اختتم في العاصمة القطرية مؤخرًا: «لا يصح السكوت على سياسات التمييز التي تمنع أتباع المذاهب الإسلامية من ممارسة شعائرهم الدينية المذهبية أو تحرمهم من التمتع بكافة حقوقهم الوطنية».

ووسط حضور علمائي واسع من مختلف المذاهب الإسلامية حذّر الصفار من مغبة استمرار رجال الدين في الشحن الطائفي عبر استغلال المنابر الدينية ـ حسبما ذكرت شبكة «راصد» الشيعية السعودية الإخبارية.

وأوضح بأن الهدف الأساس لخطاب الوحدة هو تصحيح العلاقة بين فئات وأطراف

(١) صحيفة القدس العربي. العدد ٦٤٩٨ الصادر يوم الجمعة ٣٠ ابريل ٢٠١٠م الموافق ١٦ جمادى الأولى ١٤٣١هـ.

المجتمع الإسلامي، وحمايته من النزاع والشقاق، ليعيش الاستقرار والسلم الداخلي، ويتجه نحو التنمية والبناء، وخدمة المصالح العليا، ومواجهة التحديات الخطيرة.

وأضاف: «لا مصداقية لأي طرح وحدوي يشترط تنازل الآخرين عن معتقداتهم ومتبنياتهم.. لا بدّ من الإعلان الصريح بقبول الآخرين ضمن دائرة الإسلام والأمة».

وشدّد في السياق نفسه على رفض الإساءة لرموز المذاهب الأخرى.

وقال: «الاختلاف في تقويم شخصيات السلف وتحليل أحداث العهود الإسلامية الأولى داخل ضمن حق الاختلاف في المعتقدات والقناعات، ومقبول في إطار البحث العلمي، لكنه لا يبرر لأي طرف التعدي والإساءة لرموز الطرف الآخر».

وضمن ورقة قدمها للمؤتمر الذي افتتح بكلمة من الشيخ يوسف القرضاوي قال الصفار: «إن قلة من رجال الدين مهتمة بالخطاب الوحدوي فيما الغالبية لا زالت تدفع باتجاه الشحن الطائفي والتعصب المذهبي».

مضيفًا القول أن من بين عشرات الآلاف من علماء الدين والخطباء والدعاة «لا نجد منهم إلا عشرات الأفراد يتبنون همّ نشر خطاب الوحدة».

وانتقد الخطاب الديني المتسم بالتقليدية والجمود والسكونية في مقابل خطاب التعبئة والشحن الطائفي الذي أصبح إعلامًا عابرًا للقارات على حدّ تعبيره.

وقال الصفار: «إن الخطاب الطائفي يتحدث بنبرة أعلى فيما يتسم معظم الخطاب الوحدوي بدرجة كبيرة من الخجل والحياء».

وأعرب عن اعتقاده بأن الخطاب الطائفي يمتلك قدرة أكبر على التأثير في الجمهور وإثارة مشاعرهم والزجّ بهم في أتون الفتن ومعارك الصراع.

وطالب في مقابل ذلك بتشكيل مؤسسات أهلية تُعنى بنشر ثقافة الوحدة والتسامح وتقود مبادرات وأد الفتن وإطفاء الحرائق وتشجيع الحوار بين المختلفين لتعزيز الاستقرار والسلم الاجتماعي.

ويأتي المؤتمر الذي نظمته كلية الدراسات الإسلامية بجامعة قطر على مدى ثلاثة أيام في سياق تقريب الفجوة بين العلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة والعلوم الشرعية التي تهتم بالاجتهاد الفقهي من جهة أخرى.

٧

الصفار من الدوحة يدين سياسات التمييز الطائفي ويطالب بالتصدي لها ومعالجتها[1]

أدان الشيخ حسن الصفار سياسات التمييز الطائفي في البلدان العربية والإسلامية، داعيًا إلى معالجة المسألة الطائفية، عبر إقرار المساواة ورفع كافة أشكال التمييز بين المواطنين.

وقال الصفار ضمن مشاركته في أعمال مؤتمر الاجتهاد في الخطاب الإسلامي، الذي اختتم في العاصمة القطرية مؤخرًا: «لا يصح السكوت على سياسات التمييز التي تمنع أتباع المذاهب الإسلامية من ممارسة شعائرهم الدينية المذهبية أو تحرمهم من التمتع بكافة حقوقهم الوطنية».

ووسط حضور علمائي واسع من مختلف المذاهب الإسلامية حذر الصفار من مغبة استمرار رجال الدين في الشحن الطائفي عبر استغلال المنابر الدينية.

وأوضح بأن الهدف الأساس لخطاب الوحدة، هو تصحيح العلاقة بين فئات وأطراف المجتمع الإسلامي، وحمايته من النزاع والشقاق، ليعيش الاستقرار والسلم الداخلي، ويتجه نحو التنمية والبناء، وخدمة المصالح العليا، ومواجهة التحديات الخطيرة. وأضاف: «لا مصداقية لأي طرح وحدوي يشترط تنازل الآخرين عن معتقداتهم ومتبنياتهم.. لا بدّ من الإعلان الصريح بقبول الآخرين ضمن دائرة الإسلام

(١) شبكة راصد الإخبارية. ١ مايو ٢٠١٠م.

والأمة». وشدد في السياق نفسه على رفض الإساءة لرموز المذاهب الأخرى. وقال: «الاختلاف في تقويم شخصيات السلف وتحليل أحداث العهود الإسلامية الأولى داخل ضمن حق الاختلاف في المعتقدات والقناعات، ومقبول في إطار البحث العلمي، لكنه لا يبرر لأي طرف التعدي والإساءة لرموز الطرف الآخر».

وضمن ورقة قدمها للمؤتمر الذي افتتح بكلمة من الشيخ يوسف القرضاوي قال الصفار: إن قلة من رجال الدين مهتمة بالخطاب الوحدوي فيما الغالبية لا زالت تدفع باتجاه الشحن الطائفي والتعصب المذهبي. مضيفًا القول أن من بين عشرات الآلاف من علماء الدين والخطباء والدعاة «لا نجد منهم إلا عشرات الأفراد يتبنون همّ نشر خطاب الوحدة».

وانتقد الخطاب الديني المتسم بالتقليدية والجمود والسكونية في مقابل خطاب التعبئة والشحن الطائفي الذي أصبح إعلامًا عابرًا للقارات على حدّ تعبيره. وقال الصفار: إن الخطاب الطائفي يتحدث بنبرة أعلى فيما يتسم معظم الخطاب الوحدوي بدرجة كبيرة من الخجل والحياء.

وأعرب عن اعتقاده بأن الخطاب الطائفي يمتلك قدرة أكبر على التأثير في الجمهور وإثارة مشاعرهم والزج بهم في أتون الفتن ومعارك الصراع.

وطالب في مقابل ذلك بتشكيل مؤسسات أهلية تُعنى بنشر ثقافة الوحدة والتسامح وتقود مبادرات وأد الفتن وإطفاء الحرائق وتشجيع الحوار بين المختلفين لتعزيز الاستقرار والسلم الاجتماعي.

ويأتي المؤتمر الذي نظمته كلية الدراسات الإسلامية بجامعة قطر على مدى ثلاثة أيام في سياق تقريب الفجوة بين العلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة والعلوم الشرعية التي تهتم بالاجتهاد الفقهي من جهة أخرى.

٧

الصفار يلتقي الطلاب المبتعثين في أمريكا

حَفِلَ الطلبة المبتعثون بجامعة شمالي أيوا في مدينة سيدر فولس بولاية أيوا، الولايات المتحدة الأمريكية مساء يوم الجمعة الموافق ٧/ ٥/ ٢٠١٠ باستقبال سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار الذي يزور الولايات المتحدة الأمريكية. الدكتور رضي المبيوق المستضيف الذي قدم سماحة الشيخ بأنه كان متواصلًا مع الطلبة خلال السنوات الخمس المنقضية عبر المحاضرات والندوات المختلفة من خلال شبكة الإنترنت، وها هو سماحته يتجشم عناء السفر ليكون بين أبنائه الطلبة.

ثم ألقى سماحة الشيخ محاضرة بعنوان (تغيير النفس نواة التطور)، وحث الطلاب بالبدء بتغيير النفس من الداخل الفردي، ثم محاولة التغيير من الخارج الاجتماعي، فالتغيير أصبح ضرورة لتقدم المجتمعات، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فتغير الأفراد لا يغيير المجتمعات إلا بشرط أن يكون هناك مشروع للتغيير، فالحديث في الآية عن سنة التغيير في المجتمعات لا الأفراد. والتغيير يُعنى بأمرين: تغيير الأفكار، وتغيير المشاعر والأحاسيس.

داعيًا في الوقت نفسه الطلبة إلى بث الأفكار الجديدة وتطويرها لنمو المجتمع، والاستفادة من التجارب الإيجابية للمتقدمين من الأمم فـ «الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها أنى وجدها»، كما أكد على أن هجرة الإنسان لطلب العلم أبعد من كسب معلومات ومعارف فقط، فهي كسب قيم وأساليب لحياة متقدمة، مشددًا على تعلم

المنهجية في العلم والعمل والتصنيع، فهي أكثر الأمور ضرورة لانتاج التغيير. وبارك سماحته لأبنائه الطلبة هذا الاندماج الطيب الحاصل بين أبناء الوطن من مختلف مناطقهم، كالقطيف والرياض ونجران والقصيم وجدة والدمام، في مدينة سيدرفولس، كما شجع أن يتكرر هذا التآلف وهذه المحبة في الولايات الأخرى. ثم هنأ سماحته الطلبة المتخرجين بإنجازهم، ودعاهم لمواصلة طريق العلم والمعرفة، متمنيًا أن يحتفي بهم في مستويات متقدمة إن شاء الله.

بعد ذلك تلقى سماحة الشيخ مجموعة من أسئلة الطلبة ومداخلاتهم، ففي إجابته عن كيفية تجاوز عوائق التطور في المجتمع قال: إن التغيير في أي مجتمع من المجتمعات يحتاج إلى إرادة وتضحية، فالمعوقات موجودة، ولكن يجب علينا ألا نخضع، ويجب أن نواصل العمل، فالطريق للتغيير غير مفروش بالورود.

وفي مداخلة أخرى عن إمكانية وجود مؤسسة أو جهة لتبني الأفكار الصناعية الجديدة وخلقها على أرض الواقع ثم تطويرها، أكد على وجود مؤسسات كصندوق المئوية لتشجيع المنشآت الصغيرة على النهوض بتوفير ثلاثة أمور: تسهيل الإجراءات القانونية بعد دراسة جدوى المشروع، توفير التمويل للمشروع لمدة سنتين، وتوفير الخبراء للاستشارة والتوجيه.

وفي الختام تقدم الطلبة وعلى رأسهم الدكتور رضي المبيوق بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ على تلبيته دعوة أبنائه المبتعثين، متمنين أن تتوالى الزيارات من قبل علماء المنطقة ووجهائها.

كما انعقد لقاء لسماحة الشيخ مع الأخوات المبتعثات في جامعة آيوا، وتحدث لهنّ عن ضرورة الجدّ والاجتهاد في دراستهن، وأن يكن قدوات في أخلاقهن ليمثلن دينهن ومجتمعهن أفضل تمثيل، وأكد عليهن أن يهيئن أنفسهن لممارسة دور أكثر فاعلية في خدمة الوطن والمجتمع، فإن مؤشرات إتاحة الفرص للمرأة في البلاد أصبحت أكثر وضوحًا، مما يعني إمكانية تجاوز العقبات التي تواجه المرأة حاليًا في

أخذ دورها المناسب.

وأجاب عن الأسئلة التي وجهت إليه من قبل الأخوات مما يتعلق بالمشاكل التي تواجههن في ظروف الغربة.

الشيخ الصفار يكرم مجموعة من المتخرجين في أمريكا

قام سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار مساء يوم الأحد الموافق ٩/ ٥/ ٢٠١٠ بتكريم الطلبة المتخرجين من الدفعة الأولى بشهادة البكالوريوس في جامعة شمالي أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية، وانعقد حفل التكريم في إحدى قاعات الجامعة، والمتخرجون المكرمون، هم: علي الغباري (نجران)، السيد أحمد الهاشم (صفوى)، أمجد البو (سيهات)، أسعد البو (سيهات)، محمد البحارنة (القطيف)، مصطفى البوري (حلة محيش)، وألقى كلمة قصيرة بارك فيها للطلاب المتخرجين وحثهم على مواصلة طريق العلم، كما أكد على حاجة الوطن الماسة للكفاءات في مختلف مجالات المعرفة.

وشدد من ناحية أخرى على الطلبة المقبلين على التخرج للاستفادة من هذه الفرصة الثمينة والقيمة، من خلال برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث لإنهاء دراستهم بتفوق نوعي يخدم الوطن. وشكر الجميع على هذا الاحتفاء الكريم، متمنيًا لهم التوفيق والسداد.

ثم تلا ذلك مجموعة من فقرات الحفل بكلمة للدكتور رضي المبيوق الذي عبر فيها عن سعادته لأن يكون شاهدًا على تخرج مجموعة من الطلاب، وبارك ودعا الله لهم بالموفقية وللطلبة الباقين بإنهاء دراستهم بنجاح. ثم كلمة للأستاذ مهدي البحارنة شكر فيها الطلبة على هذا الحفل الكريم، كما بارك للطلاب الخريجين.

وتلا ذلك كلمات قصار لكل خريج بالمناسبة شكروا فيها الجميع على هذا التكريم والاحتفاء، ووعدوهم بمواصلة الطريق لنيل درجات أعلى، كما قدموا

جزيل الشكر والتقدير لسماحة الشيخ حسن الصفار على قبوله الدعوة والحضور لتكريمهم، متمنين له التوفيق. وبعدها زُيّن الحفل بصورة جميلة من الفلكلور الشعبي تمثلت بعرضة بني يام من نجران، قدموا خلالها مجموعة من الأبيات الشعرية الشعبية مباركين المتخرجين هذا الإنجاز. كما شكر مقدم الحفل الأستاذ عبدالعزيز الزهراني بعد وجبة العشاء الحضور الكريم على تفاعلهم وتلبيتهم الدعوة.

الجالية الإسلامية في ديترويت تحتفي بالشيخ الصفار

أقام سماحة الشيخ عبد اللطيف بري مرشد المجمع الإسلامي الثقافي في «ديترويت» حفل تكريم مساء يوم الاثنين ١٠/ ٥/ ٢٠١٠م لسماحة الشيخ حسن الصفار بمناسبة زيارته لولاية ميشيقن، وقد حضر الحفل الذي أقيم في قاعة المجمع عدد من علماء الدين ورجالات الجالية الإسلامية، حيث ألقى الشيخ بري كلمةً رحب بها بالشيخ الصفار وأشاد بإطروحاته في الحوار والانفتاح، وطالبه بالاستمرار في جهود التواصل مع سائر الأطراف على المستويين الوطني والإسلامي، معتبرًا ذلك من أفضل سبل تجاوز الاحتقان الطائفي والنزاعات في الساحة الإسلامية.

ثم ألقى الشيخ الصفار كلمة شكر فيها سماحة الشيخ بري على حفاوته وضيافته وأثنى على دور المؤسسات الدينية والاجتماعية في أوساط الجالية.

وتحدث عن توجهات الحوار وجهود التواصل في الساحة السعودية، وركز على أهمية تقديم الصورة الحسنة عن الإسلام والمسلمين أمام الرأي العام العالمي محملًا الجالية الإسلامية في أمريكا دورًا أساسًا على هذا الصعيد، ثم أجاب الشيخ الصفار عن أسئلة ومداخلات المشاركين.

كما أقام سماحة السيد حسن القزويني إمام المركز الإسلامي في «ديربورن» حفل تكريم لسماحة الشيخ الصفار ظهر يوم الثلاثاء ١١/ ٥/ ٢٠١٠م في إحدى قاعات المركز حضره جمع من العلماء والشخصيات الشيعية والسنية، وتحدث في بداية

الحفل سماحة السيد القزويني عن عمق علاقته وقديم صلته بالشيخ الصفار، وأثنى على الكتب والمؤلفات التي قدمها الشيخ الصفار للساحة الإسلامية، خاصة وأنها تميزت بالتبشير لثقافة التسامح وقبول التعددية وتبادل الاحترام بين أتباع المذاهب الإسلامية، وقال سماحته أنه قد استفاد من كتب الشيخ الصفار في التحضير لبعض خطبه ومحاضراته.

بدوره قدم الشيخ الصفار جزيل الشكر لسماحة السيد القزويني على حفاوته وثنائه، وتحدث عن ضرورة اهتمام المسلمين بتوفير السمعة الحسنة عن دينهم ومجتمعهم في المحيط الذي يعيشون فيه، كما تناول مشكل العلاقات الداخلية في المجتمعات الإسلامية، ومسؤولية العلماء في التشجيع على التواصل والحوار، وأخذ المبادرات الجادة في التقريب بين أبناء الأمة، وعدم الاستسلام للعوائق والعقبات التي يختلقها الأعداء أو يصنعها المتشددون من مختلف الأطراف.

وأجاب الشيخ عن تساؤلات الحاضرين حول ما تناوله في حديثه.

وزار الشيخ الصفار صباح يوم الثلاثاء ١١/ ٥/ ٢٠١٠م (مؤسسة الإمام المهدي) بدعوة من إدارتها حيث اطلع على نشاط المؤسسة وتفقد قسم الإنتاج التقني الفني فيها واستمع إلى شرح من سماحة السيد مهدي الأمين والسيد حيدر الحكيم عن توجهات عمل المؤسسة.

كما لبى الشيخ الصفار دعوة سماحة الشيخ محمد علي إلهي في (دار الحكمة) «ديربورن» لزيارة الدار والتعرف على نشاطاتها حيث أقام الشيخ إلهي مأدبة غذاء حضرها عدد من العلماء في المنطقة ظهر يوم الأربعاء ١٢/ ٥/ ٢٠١٠م.

وفي مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس ١٣/ ٥/ ٢٠١٠م احتفت الجالية العراقية بمركز كربلاء بسماحة الشيخ الصفار الذي أمهم في صلاة الجماعة، ثم ألقى سماحة الشيخ هشام الحسيني مدير المركز كلمة رحب فيها بالشيخ الصفار وأشاد بعلمه وجهاده ومواقفه، طالبًا منه إلقاء كلمة توجيهية لأبناء الجالية.

ودارت كلمة الشيخ الصفار حول ضرورة استفادة أبنائه الجالية العراقية من الفرص المتاحة لهم، لتوظيفها ونقلها إلى ساحة وطنهم العراق، والذي ينتظر من أبنائه الشيء الكثير لبناء نهضته وتجاوز محنته.

كما زار الشيخ الصفار معرضًا فنيًا أقيم بقاعة تابعة للمركز.

وأجرت إذاعة كربلاء المحلية لقاءً على الهواء مع الشيخ الصفار.

كما لبى الشيخ الصفار دعوة سماحة الشيخ جعفر الحائري صباح يوم الأربعاء ١٢/ ٥/ ٢٠١٠م لزيارته في منزلة حيث حضر اللقاء بعض العلماء.

وأقام سماحة الشيخ صائل الأتات من علماء الجالية اللبنانية وجبة غذاء على شرف سماحة الشيخ الصفار ظهر يوم الجمعة ١٤/ ٥/ ٢٠١٠م بحضور عدد من العلماء والشخصيات.

واستقبل الشيخ الصفار صباح يوم الأربعاء ١٢/ ٥/ ٢٠١٠م الأستاذ أسامة السبلاني رئيس تحرير جريدة (صدى الوطن) وهي الجريدة العربية في ولاية ميشيقن، حيث أجرى معه حوارًا سينشر في العدد القادم من الجريدة.

والتقى الشيخ الصفار الطلبة والطالبات السعوديين المبتعثين في مدينة «ديترويت» مساء يوم الثلاثاء ١١/ ٥/ ٢٠١٠م في قاعة بالمركز الإسلامي، حيث طالبهم باغتنام الفرص، والاستفادة من الأجواء التي يعيشونها لكسب العلم، وصقل الشخصية، وتقديم الصورة الحسنة عن بلادهم ودينهم، وأجاب عن أسئلتهم.

الشيخ الصفار يزور الطلبة في مدينة ساجناو

زار سماحة الشيخ حسن الصفار الطلبة السعوديين المبتعثين في مدينة «ساجناو» بولاية ميشيقن مساء يوم الخميس ١٣/ ٥/ ٢٠١٠م، حيث ألقى كلمة توجيهية ركز فيها على ضرورة بذل الجهد للنجاح والتفوق في المجال الدراسي، وخاطب الطلبة والطالبات بأن أسرهم التي تحملت عناء فراقهم، وكذلك وطنهم ومجتمعهم ينتظرون

منهم تحقيق التطلعات، بأن يعودوا كفاءات وأصحاب خبرات، للإسهام في بناء الوطن وتنمية المجتمع، مذكرًا بأن شهادة التخرج ليست هي القيمة والهدف، وإنما تحصيل العلم والمعرفة، ودعا الطلاب والطالبات إلى الاستمرار ومتابعة الدراسات العليا، وعدم العجلة على الوظيفة.

وشكر الشيخ الصفار للطلاب والطالبات في مدينة ساجناو اهتمامهم بالاجتماع مع بعضهم بعضًا، وإحياء المناسبات الدينية، مما يوفر أجواء الاستقامة الصلاح، ويساعد على تجاوز مشاعر الاغتراب. وقدم الشيخ الصفار شهادة تكريم وتقدير للمتخرج محمد عيسى القصاب وزوجته الكريمة، لجهودهما في احتضان نشاط الطلبة والطالبات.

وحث الشيخ الصفار الطلبة على إقامة صلاة الجماعة بإمامة أحدهم حين يجتمعون أسبوعيا ويوم الجمعة، كما أجاب عن أسئلة الطلاب والطالبات وتناول معهم وجبة العشاء وسط أجواء ودّية رائعة.







٧

كلمة الشيخ الصفار في استضافته الشيخ سعد البريك



لبّى الدكتور الشيخ سعد البريك دعوة سماحة الشيخ حسن الصفار لزيارة القطيف، حيث استضافه في مكتبه ظهر يوم الخميس ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ الموافق ١٠/٦/٢٠١٠م، وقد دعا الشيخ الصفار على شرف ضيفه عددًا من الشخصيات من القطيف والدمام والأحساء، من شريحة العلماء والدعاة والمثقفين.

واستمر برنامج اللقاء حوالي ثلاث ساعات، في جو أخويٍّ ودّي، تسوده الصراحة والشفافية، حيث جرى الحوار وتبادل الآراء والأفكار حول تجاوز القطيعة وتعزيز التواصل، خدمة لمصلحة الوطن واستقراره، وتجسيدًا لقيم الدين المجيدة.

وكان بمعية الشيخ سعد البريك الدكتور عبد العزيز قاسم الذي سبق أن استضاف الشيخين الصفار والبريك في حلقة من برنامجه البيان التالي، على قناة دليل الفضائية بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٣١هـ كما كان برفقته الأستاذ وليد البريك، الأستاذ سعود

السياري، الأستاذ عبد اللّه الجعفر والأستاذ إبراهيم العصيلي من المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات.

وقد رحب الشيخ الصفار بضيفه الكريم بالكلمة التالية:

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، مرحبًا بك يا فضيلة الشيخ الدكتور سعد، وقد أسعدتنا بزيارتك، جاءت هذه الزيارة بعد طول انتظار، لتؤكد التزام الشيخ بالوفاء بوعده، فقد وعدنا بهذه الزيارة، والآن تحقق الوعد في أول خطواته، ونأمل أن تكون هذه الزيارة بداية لتواصل مستمر إن شاء اللّه، مع أهالي هذه المنطقة، التي هي جزء من هذا الوطن الغالي، وأهلها جزء لا يتجزأ من شعب هذه البلاد العزيزة الحبيبة.

أهلًا وسهلًا بك يا فضيلة الشيخ وبالأحبة الذين معك وفي طليعتهم الدكتور عبدالعزيز قاسم، وهو الذي له فضل كبير في إقامة جسور التواصل، من خلال حواراته الصحفية، وأخيرًا حواراته الفضائية، التي مهما تخلّلها من إثارات أو نقاشات ساخنة، لكنها تدشين لمرحلة جديدة، ينفتح الناس فيها بعضهم على بعض، يتحاورون ويتناقشون، تتعرف كل جهة إلى الأخرى، في البداية تحصل هذه الإثارات وهذا اللغط الذي نجده يصحب كل لقاء من اللقاءات، ولكنني أعتقد أنها مرحلة سنتجاوزها إن شاء اللّه، بالاستمرار وترشيد أساليب الحوار بين أبناء الوطن.

أنتم تعلمون يا فضيلة الشيخ، إن أمتنا عانت كثيرًا في قرون متمادية من الانشغال بالخلافات الفكرية والمذهبية، هذه الخلافات التي أفقدت أمتنا الاستقرار، وسلبتها أمنها المجتمعي، وعوقت مسيرتها نحو التنمية والتقدم، وأعطت الفرصة للأعداء لكي يتسللوا إلى أوساط أبناء الأمة، ولكي يحققوا أطماعهم في الهيمنة على أراضي وثروات بل وقلوب أبناء الأمة.

إن وجود تعدد في المذاهب والآراء والتوجهات السياسية أمر طبيعي في كل المجتمعات البشرية، لا يوجد مجتمع يتقولب الناس فيه ضمن رأي واحد، وخاصة في تفاصيل القضايا الدينية أو الحياتية، حتى في عهد رسول اللّه نجد أن الصحابة

كانوا يختلفون في بعض الآراء، ولكن وجود رسول فيما بينهم كان يحسم أيّ نزاع أو خلاف، إذا كان الأمر يقتضي الحسم، وفي بعض المسائل نجد أن رسول اللّه ما كان يستخدم مكانته للحسم، كما هو الوارد بالنسبة لصلاة المسلمين في طريقهم إلى بني قريظة، حينما أدى بعضهم الصلاة حفاظًا على وقتها، وأجّلها البعض الآخر التزامًا بحرف ونص كلام رسول اللّه، لم ينقل لنا التاريخ أن الرسول تدخل لحسم الموقف، وإنما صحح عمل الفئتين و الجانبين.

إذًا فوجود الاختلاف في الرأي في مختلف المجالات أمر طبيعي، ولكن غير الطبيعي أن يتحول الاختلاف في الرأي الديني أو السياسي إلى نزاع وصراع، وإلى قطيعة، وهذا ما عانته أمتنا في القرون الماضية، وفي الواقع الحاضر، في كثير من البلدان والمناطق، هذا الجيل من أبناء الأمة، وخاصة طليعة هذا الجيل من الدعاة والعلماء والمثقفين يتحملون مهمة كبيرة، هي العبور بالأمة من واقع النزاع والصراع إلى واقع أفضل، يديرون فيه خلافاتهم بالحوار بالتي هي أحسن، وبالتعايش، وباحترام الرأي الآخر، لا أظن أن أحدًا يتوقع انتهاء اختلاف الآراء والأفكار، ليس هناك من يطمح أو يتطلع إلى أن تختفي الآراء والمذاهب والتوجهات، من سلف الأمة الصالح إلى الآن، هناك آراء متنوعة ومتعددة في المجال العقدي والفقهي والسياسي، لكن الأمر الذي نطمح إليه هو الوصول إلى مستوى التعايش وخدمة المصالح العليا لأوطاننا ومجتمعاتنا وديننا، وأعتقد أن هذا يستلزم أمرين:

الأول: التأكيد على مفهوم المواطنة والأخوة الإسلامية، المواطنة في بعده السياسي، والأخوة في بعدها الديني، بأننا ننتمي والحمد للّه إلى دين واحد، نتشهد الشهادتين، ونصلي إلى قبلة واحدة، ومرجعيتنا واحدة هي الكتاب والسنة، إذًا نحن إخوة بنص القران: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

ومفهوم المواطنة الذي يحفظ العدل والتساوي بين أبناء الوطن الواحد، فلا يتميّز أحد على أحد في شيء من الواجبات أو الحقوق، إنما يكونون سواسية أمام القانون،



وفي إتاحة الفرص، والتمايز بالعطاء والكفاءة.

الثاني: التوجيه المنطلق من الجهات الدينية في مجتمعاتنا ينبغي أن يوجه الناس إلى حسن العلاقة والمعاشرة والطيبة؛ لأن كثيرًا من المشاكل والنزاعات إنما يؤججها تحريض من هنا، وبعث على الفتنة من هناك، خاصة ونحن نعيش في زمن أصبح فيه الإعلام مشرعة أبوابه، وخاصة هذا الإعلام الفضائي المفتوح، وأصبحت هناك أصوات وأقلام تثير الفتن، وتؤجج المشاعر.

على الواعين من أبناء الأمة أن يعملوا من أجل بث ثقافة التآخي والتسامح، وتشجيع الناس على المحبة فيما بينهم، وحسن الظن في بعضهم بعضًا، ونأمل أن يكون فضيلة الشيخ سعد في طليعة الطليعة التي تقوم بهذه المهمة، وتنجزها إن شاء اللّه تعالى، خاصة وأن خادم الحرمين الشريفين فتح أبواب الحوار الوطني، ودعا المواطنين إلى أن يعيشوا كأبناء وطن واحد، ويحققوا الوحدة الوطنية فيما بينهم، هذا التوجه السياسي من قيادة البلد يجب أن يكون دافعًا للدعاة وباعثًا حتى ينطلقوا في هذه المهمة.

لا أريد الإطالة، كنت أودّ أن اكتفي بالترحيب بفضيلتكم، وبأصحاب الفضيلة والسعادة الذين رافقوكم، كما أرحب بجميع الإخوة العلماء والفضلاء والمثقفين، هؤلاء نخبة من أبناء المنطقة يا فضيلة الشيخ، وبعضهم جاء من الأحساء، قطعوا مسافات طويلة، وفي الحاضرين من العلماء والخطباء والمثقفين والناشطين الاجتماعيين ما يمثلون نخبة من هذا المجتمع، جاؤوا ليرحبوا بكم، وليشكروكم على زيارتكم، ويؤكدوا اهتمامهم بالتواصل والتلاقي، بما يحقق مصلحة الدين



والوطن إن شاء اللّه، نسأله تعالى أن يجعل هذا اللقاء لقاءً مباركًا، محفوفًا برحمته ورضوانه، إذا أردتم يا فضيلة الشيخ أن تتحفونا وتتحفوا الحضور بكلمة فالجميع مصغون لكلامكم وخطابكم.

تعقيب الشيخ حسن الصفار على كلمة البريك:

شكرًا فضيلة الشيخ على ما تفضلت به، واسمحوا لي أن أرحب بفضيلة الشيخ فيصل الكاف الذي جاء أثناء حديثكم وكذلك فضيلة الشيخ حسن الخويلدي.

مرحبًا بكم جميعًا أيها الفضلاء والأحبة في هذا اللقاء العامر بالمحبة إن شاء اللّه، من الجميل أن نصغي لبعضنا بعضًا، لا غضاضة أن يقول الإنسان كل ما لديه، والمجلس مجلس قائم على أساس الصراحة والشفافية والحوار بالتي هي أحسن، لا أريد أن أستأثر بالحديث، حتى لا يكون حديثًا ثنائيًا بيني وبين فضيلة الشيخ سعد، فقد سبق أن التقينا في أكثر من لقاء، وسنلتقي إن شاء اللّه مستقبلًا، فالفرصة متاحة للإخوة الأعزاء من العلماء والفضلاء ليتحدثوا، لكنني أشير إذا سمح فضيلة الشيخ سعد وإذا سمحتم إلى نقطتين سريعتين:

النقطة الأولى: إنني أتصور أن المدخل لحسن العلاقة بين الشرائح المختلفة في وطننا وكل بقاع العالم الإسلامي هو تحقيق مفهوم المواطنة، بحيث يعيش الناس واقع المساواة، فلا يشعر أحد بالغبن، ولا يمارس طرف الاستئثار؛ لأن ذلك هو المنفذ الذي ينفذ منه الشيطان، الكلام العقدي والفقهي قد يكون تبريرًا، وقد يكون عنوانًا، الإنسان حينما يشعر بأن له حقًا قد يستخدم أسلوبًا سليمًا، أو أسلوبًا غير سليم، علينا جميعًا أن نتعاون، وأن نعضد موقف خادم الحرمين الشريفين في كلامه وخطاباته ومشاريعه والبرامج التي يطرحها، حين يؤكد على جانب المساواة بين المواطنين،

وحتى خطابه الأخير في مجلس الشورى الذي تحاورنا مع فضيلة الشيخ حول مقطع منه (الوطن للجميع)، يؤكد على هذا الأمر، إذا استطعنا أن نعين ولاة أمورنا، وأن نرشّد الحالة القائمة في بلادنا.

لا يخلو بلد من أخطاء، لا يخلو بلد من مشاكل، قد تكون الحقبة الماضية، والأوضاع السابقة، والتأثيرات الإقليمية، تركت بعض الخلل في هذا الجانب، علينا أن نتعاون وأن نؤازر ولاة الأمر في بلادنا حتى تتحقق المساواة في صورتها الكاملة الصحيحة، حتى يشعر المواطنون جميعًا بوحدتهم وبتآخيهم، وحين يكون الخلاف العقدي والكلام الفكري في حجمه، كما يوجد بين الناس في أمريكا وفي أوربا، وفي كل البلدان، يوجد بينهم خلافات، ويوجد بينهم اتهامات، ولكنهم بشكل عام يحققون حالة من التعايش والتفاهم والتعاون، وإن شاء اللّه بلادنا تسير على هذا الطريق.

النقطة الثانية: ما أشار إليه فضيلة الشيخ سعد من إصدار بيان يبين مواقف الشيعة، سبق أن صدرت عشرات البيانات، أحد كبار علماء الشيعة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء قبل ستين عامًا، كتب بيانًا تحت عنوان «أصل الشيعة وأصولها» ونشر وهو كتيب مختصر، وكاشف الغطاء مرجع فقهي يتزعم الحوزة العلمية في النجف الأشرف، نشر هذا الكتاب، وطبع عدة مرات، وجاء علماء آخرون من بعده وكتبوا، الشيخ محمد جواد مغنية أيضًا كتب في هذا المجال وأبان مواقف الشيعة في كل الأصول والمعتقدات، ورد على هذه الشبهات، وهذه الأوهام كما تحدث فضيلة الشيخ، وعشرات من الكتب، إن شاء الله يشرّف فضيلة الشيخ المكتبة ليرى عشرات من الكتب وعشرات من البيانات التي توضح هذا الموقف، لكن المتطرفين من الجانبين لن يسكتوا، حتى ولو صدرت آلاف البيانات؛ لأنهم يعيشون على إيقاظ الفتنة، كلما صدر بيان حول جانب يطلبون بيانًا حول جانب آخر، وضع جهة من الجهات وكأنها في زاوية الاتهام وعليها أن تثبت كل يوم براءتها من هذه التهم هذا ليس مقبولًا، أن يُطالب إنسان كل يوم أن يعلن براءته من الكذب، اكتب بيانًا أنك لم

تكذب، اكتب بيانًا أنك لم تسرق، سبحان الله يجب أن نطالب المدعي بالبينة، أنت تقول هؤلاء قالوا كذا، البينات التي تساق هي نقولات من كتب التراث، هناك ردود عليها، هناك مناقشة لها، آمل أن نتجاوز هذه المرحلة، وقد سبق أن أعلنت وسجل هذا الإعلان الدكتور عبدالعزيز قاسم في المقابلة المفصلة تحت عنوان مكاشفات، طلبت توقيع وثيقة شرف، وتناقشنا مع كثيرين، ولكن أرجو من الطرف الآخر، من الجهات الدينية في المدرسة القائمة في المملكة، أعتقد أن هم أنفسهم من لديهم التردد، نحن ما عندنا تردد بأن نوقع على بيان، نقرر الأصول المشتركة بين المسلمين، ويشير إلى وجوب العدل والمساواة بين كل أبناء البلد وأبناء الأمة، ولا أحد يمتنع عن ذلك، وقد سعينا وحاولنا مع المشايخ، منهم الشيخ عبدالمحسن العبيكان وكدنا أن نصل، وأعددنا المسودة، ولكن الاعتراض والتوقف كان من الطرف الآخر، وحتى في الأيام الأخيرة كتبت أيضًا أنا مسودة مقترحة، وقدمتها إلى مجموعة من الفضلاء، نحن ما عندنا تردد، أعتقد أن علماءنا وفقهاءنا ليس لديهم ما يخفونه، أو يخجلون منه، وهم قد كتبوا وأعلنوا، ولا مانع أن يكتب من جديد، التردد هو من الطرف الآخر، بعض الفضلاء طرحت عليهم هذا الأمر بإلحاح وقالوا إن الوقت ليس مناسبًا من إخواننا السلفيين في المملكة، ولا داعي لذكر الأسماء، ما تدعون له يا فضيلة الشيخ نحن مستعدون له، وليس لدينا مشكلة في هذا الأمر، ولكننا نعتقد أن هناك من يتردد، وهناك من يتحفظ، وهناك من يضع كل يوم نقطة إضافية.

طبعًا المذاهب لهم حريتهم في آرائهم ومعتقداتهم، أنا أعتقد أن الشيء الوحيد الذي ينبغي النص عليه هو عدم الإساءة للطرف الآخر، ورموز الطرف الآخر، ومقدسات الطرف الآخر، ماعدا ذلك، الاختلاف في المعتقدات التفصيلية، أو في الجوانب الفقهية، هذه تترك، تراث السنة وتراث الشيعة فيه الكثير مما يجب أن ينقح وأن يغربل، ولكنها مهمة داخلية، السنة في داخلهم يقومون بهذه المهمة، وقد انبرى منهم أعلام التصحيح عند أهل السنة أيضًا موجودون، والشيعة في داخلهم هناك من يقوم بهذه المهمة، لا ينبغي أن تدخل هذه المسألة في مجال الحوار، حتى لا تظهر

وكأنها ضغط من طرف على طرف، حينما تبدو المسألة وكأن هناك طرفًا يضغط هنا تثار غريزة التحدي، وبالتالي تتعرقل مسيرة المصلحين في داخل طوائفهم ومذاهبهم، ما يسيء للطرف الآخر هذا ما يجب أن نمنعه وأن نقف أمامه، وقد تلقيت دعوة أخيرًا من جهة شيعية عليا في إيران تدعو إلى عقد مؤتمر لمناقشة تحريم الإساءة لرموز المسلمين، والإساءات المتبادلة بين المذاهب، وطلبوا مني إعداد بحث، ووجهوا الدعوة إلى كثيرين حتى يعدوا بحوثًا حول هذا المجال، أما على صعيد التحليل السياسي ما هي أسباب هذه المشكلة، قد نختلف في بعض التحليلات، ونختلف في بعض الأسباب، لكننا جميعًا ندرك أن هناك عوامل إقليمية ودولية لا تريد للمسلمين أن يتحدوا وأن يجتمعوا.

٧

الشيخ الصفار يستقبل وفودًا مشاركة في حفل تكريم السيد السلمان



استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار عصر يوم الجمعة ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ الموافق ١١/٦/٢٠١٠م في مكتبه بالقطيف، وفـدًا من الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة) جاء للمشاركة في حفل تكريم سماحة العلامة السيد علي السيد ناصر السلمان.

وكان على رأس الوفد كل من سماحة الشيخ كاظم العمري، والشيخ محمد عطية، والشيخ بدر آل طالب، وضم مجموعة من المثقفين والوجهاء والناشطين الاجتماعيين، حيث شكرهم سماحته على مشاركتهم لأهالي المنطقة في احتفائهم بالشخصية العلمائية البارزة سماحة السيد علي السلمان، وتحدث لهم عن الدور الكبير لسماحة السيد علي في الوسط الديني والاجتماعي، من خلال تعزيزه ورعايته للحالة الدينية، وخاصة في منطقة الدمام، التي لولا وجود سماحته لما وصلت إلى هذا المستوى البارز المتقدم.

كما دار معهم الحديث حول الأجواء الدينية والثقافية والاجتماعية في أوساطهم في منطقة الحجاز، وأكدّ على ضرورة الانفتاح على المحيط والتواصل مع مختلف

الشرائح والاتجاهات، تعزيزًا للوحدة الوطنية، ودرءًا للفتن وسوء الظن، وتبادل الانطباعات السلبية.

كما استقبل الشيخ الصفار صباح يوم السبت ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ الموافق ١٢/٦/ ٢٠١٠م وفدًا من أهالي الكويت، جاؤوا للمشاركة في المناسبة نفسها، وفي طليعتهم الأستاذ عمار بن الحاج كاظم عبد الحسين، والحاج عبد الأمير بن الشيخ حسين الفيلي، حيث رحب بهم الشيخ الصفار وشكرهم على تجشّم العناء لمشاركة أهالي المنطقة في هذه المناسبة الجميلة، في تكريم أحد أبرز علماء المنطقة العاملين، وهو سماحة السيد علي السيد ناصر السلمان، كما تحدث لهم عن الدور الأبوي المهم الذي يقوم به سماحة السيد علي في المجتمع، حيث يتبنى مواقف الوسطية والاعتدال، ويشجع كل مبادرات الخير في المجتمع.

كما استمع منهم الشيخ الصفار عن أوضاع مجتمعهم ومسيرة الأنشطة الدينية والثقافية لديهم.

يشار إلى أن سماحة الشيخ الصفار حضر حفل التكريم لسماحة العلامة السيد علي السيد ناصر السلمان الذي انعقد مساء يوم الجمعة ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ الموافق ١١/٦/ ٢٠١٠م في قاعة (الحيدرية) بسيهات، وحضره حشد كبير من المواطنين الذين قدموا من مختلف المناطق، ومن الوفود الخليجية المشاركة من البحرين والكويت وسلطنة عمان، وألقيت فيه كلمات وقصائد للإشادة بشخصية المحتفى به، وتمجيد دوره الديني والاجتماعي.

كما شارك سماحته في كتاب (سيد العطاء) الذي أعدّ لهذه المناسبة بكلمة بعنوان: «الأبوة والقيادة الاجتماعية»، تحدث فيها عن تنوع وتعدد تجليات الدور القيادي لعالم الدين، ومن أهمها دور الرعاية والأبوة للمجتمع الذي يملأ فراغًا روحيًا كبيرًا في المجتمع.

ويحتاج هذا المقام إلى عدد من المواهب والصفات، أهمها الوعي الاجتماعي وسعة الأفق، وكذا الإدارة والتدبير، وأيضًا رحابة الصدر وحسن الخلق.

وكان السيد السلمان يتسم بالموضوعية والاتزان في مواقفه تجاه الجميع لهذا استحق أن يحتل موقع الأبوة لجميع أطياف المجتمع.

الشيخ الصفار يشارك في مؤتمر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في اسطنبول

شارك الشيخ حسن الصفار في أعمال الجمعية العمومية الثالثة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، التي انعقدت في مدينة اسطنبول بتركيا بتاريخ ١٧ - ١٩ رجب ١٤٣١هـ الموافق ٦/٢٩ - ١/ ٧/ ٢٠١٠م.

حيث بادر الشيخ الصفار إلى الانضمام في عضوية الاتحاد منذ إعلان تأسيسه قبل أربع سنوات. وقد زاد عدد المشاركين في المؤتمر هذا العام على ٦٠٠ شخصية من العلماء والدعاة والسياسيين والمثقفين المسلمين من جميع أنحاء العالم. منهم حوالي (٤٥٠) عضوًا في الاتحاد.

كما حضر جلسة الافتتاح ممثلون عن القيادة السياسية في تركيا من رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء والبرلمان التركي. حيث ألقى ممثل الجمهورية التركية السيد حمزة اقطا كلمة ترحيب ودعم للاتحاد ركز فيها على أن (حلّ المشاكل يحتاج لرأي العلماء، وإن التخلص من المشاكل الكثيرة بالعالم الإسلامي يحتاج لترسيخ مبدأ التساوي والبعد عن التفرقة، وإن مقاومة الظلم والتخلص منه مسؤولية إنسانية عالمية).

كما ألقى رئيس اتحاد المنظمات المدنية التركية كلمة شدد فيها على دور الإمبريالية الرأسمالية والانحراف الموجود بالحضارة الغربية في المشاكل المتفاقمة

بالعالم. ورأى أن الوقت حان لإنشاء حضارة بديلة وعالم جديد، وهذا يتطلب توحد المسلمين وتقوية عامل الأخوة.

واهتمت كلمات أكثر المشاركين في جلسات المؤتمر بقضية وحدة الأمة، والتنسيق بين علمائها، وعلى محورية القضية الفلسطينية، ومواجهة الكيان الصهيوني، وكسر الحصار عن قطاع عزة. حيث ألقى منظم رحلة أسطول الحرية كلمة مؤثرة عن بعض تفاصيل تلك الرحلة المهمة، تخللها التكبير والتصفيق من الحاضرين مرات عديدة.

وتحدث رئيس الاتحاد الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي مفتتحًا أعمال الجمعية، شاكرًا للجمهورية التركية احتضانها للمؤتمر الذي تعذّر انعقاده في الدول الإسلامية الأخرى. كما أشاد بالتوجهات الجديدة للسياسة التركية، وطالب مصر بفتح معبر رفح الحدودي مع فلسطين بشكل دائم، وأعلن عن عزم الاتحاد على تسيير قافلة قادمة نحو غزة.

وقد عُرض على أعضاء الجمعية تعديلات مقترحة للنظام الأساسي للاتحاد، كما عُرضت الخطة الإستراتيجية للاتحاد للسنوات الأربع القادمة، وتشكلت لجان لدراستها، حيث تم إقرارها في جلسات لاحقة.

وعلى المستوى الإداري للاتحاد تم تجديد انتخاب الدكتور القرضاوي لرئاسة الاتحاد للفترة القادمة (أربع سنوات) كما تمت الموفقة على ترشيح الرئيس لنوابه الثلاثة: الشيخ عبد الله بن بيّة ممثلًا لأهل السنة، والشيخ واعظ زاده الخراساني ممثلًا للشيعة، والشيخ أحمد الخليلي ممثلًا للاباضية، مع التأكيد على اختيار مرشح عن الزيدية كنائب رابع للرئيس مستقبلًا.

وقد اختير آية الله الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني خلفًا لآية الله الشيخ محمد علي التسخيري الذي استقال بسبب الضغوط المناوئة له داخل الاتحاد من قبل بعض المتشددين.

وكان من بين المشاركين في أعمال المؤتمر من علماء الشيعة الشيخ التسخيري، والشيخ واعظ زاده الخراساني، والسيد علم الهدى، والسيد النواب من إيران، والسيد علي السيد محمد حسين فضل الله من لبنان، والشيخ جواد الخالصي من العراق، والشيخ أحمد الحسين من الكويت، والشيخ حسن الصفار، والشيخ فوزي آل سيف والدكتور عبد الله الحليمي من السعودية، وغاب عن الحضور عضو الاتحاد الشيخ محمد سعيد النعماني من العراق لظروف خاصة.

وقد حظي المؤتمر بتغطية إعلامية واسعة، وخاصة من قبل قناة الجزيرة، التي بثت جلساته عبر قنواتها.

كما حضر عشرات الإعلاميين من وسائل الإعلام التركية والعربية والعالمية.

وقد تكونت لجنة للإشراف على انتخابات مجلس الأمناء، حيث ترشح أكثر من ستين شخصًا، تم انتخاب ثلاثين منهم، عبر تصويت سري، وكان الشيخ الصفار قد اختير كأحد المشرفين على فرز الأصوات بعد انتهاء العملية الانتخابية، وقد نجحت ثلاث من السيدات في الدخول إلى مجلس الأمناء لأول مرة، حيث كان يخلو من السيدات في الدورة الماضية.

ولم تخلُ جلسات المؤتمر من وجود مشاكل وتشنجات، وخاصة لجهة اختيار المواقع الإدارية، وطريقة عمل الجلسات، حيث أعلن بعض المشاركين اعتراضه واستياءه، وقدم بعض المسؤولين كالدكتور محمد سليم العوا استقالته من منصب الأمين العام للاتحاد، بسبب الضغوط والاعتراضات التي وجهت إليه من بعض الجهات.

وأيضًا قدم الدكتور محمد هيثم خياط استقالته من عضوية مجلس الأمناء.

وكان واضحًا سعي جهات متشددة لأخذ دور أكبر في التأثير على أعمال المؤتمر ومسيرة الاتحاد، بينما كانت اتجاهات أخرى تعمل لسيادة أجواء التوازن والاعتدال بين

الأطراف المختلفة في الاتحاد، لإنجاح تجربته كإطار جامع للمذاهب والاتجاهات.

كما أن قلة الأعضاء المنتمين للاتحاد من الشيعة يجعل حضورهم ضعيفًا باهتًا، ويتيح الفرصة أكثر لمثيري الإشكاليات الطائفية.

وعلى هامش أعمال المؤتمر عقد الشيخ الصفار عددًا من الجلسات واللقاءات مع بعض الشخصيات المشاركة في المؤتمر، للمساعدة على تخفيف التوترات، وسيادة الأجواء الإيجابية، ولتوثيق أواصر العلاقة والتواصل مع مختلف القوى والاتجاهات.

كما التقى سماحة الشيخ فوزي آل سيف عددًا من العلماء والشخصيات المشاركة. وصدر في ختام المؤتمر بيان يتضمن التوصيات التي اتفق عليها المشاركون.





٧

الشيخ الصفار يستقبل جمعًا من الكتاب والمثقفين[1]

زار جمع من الكتاب والمثقفين في المنطقة سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه مساء يوم الاثنين ٧ شعبان ١٤٣١هـ الموافق ٢٠/ ٧/ ٢٠١٠م مبدين استياءهم مما تشهده أجواء المنطقة من ارتفاع حدة الجدل، واستخدام أساليب التحريض والتعبئة بين الجهات والفئات في ساحة المجتمع، وخاصة على صفحات مواقع الإنترنت، وبلغة منافية للقيم والأخلاق، التي يجب أن يتحلى بها المجتمع المسلم.

وألقى الشيخ الصفار كلمة شكر فيها الإخوة الكتاب والمثقفين على زيارتهم وعلى اهتمامهم بتنقية الأجواء العامة في مجتمعهم، وأشار إلى عدد من النقاط:

أولًا: إن اختلاف الآراء، وتعدّد وجهات النظر، هو أمر طبيعي وصحي في كل مجتمع، فليس مطلوبًا أن تتطابق وجهات النظر في مختلف الأمور، ولكن ينبغي إدارة الاختلاف بروح حضارية، لا يمارس فيها طرف وصايته مقصيًا الأطراف الأخرى، ولا تتهم فيها النيات، فالجميع إن شاء الله مخلصون لدينهم وعقيدتهم، ومحبون لخدمة مجتمعهم، لكنهم قد يختلفون في الخيارات والمناهج.

وإذا ما اعتبر طرف أن خياره ومنهجه ورأيه فقط هو الذي يمثل الدين والمجتمع، وأن ما عداه مروق وتمييع للدين، وخيانة للمجتمع، فذلك منزلق خطير.

---

(١) http: //www.saffar.org

ثانيًا: هناك احتقانات في المجتمع بسبب ما يواجه من ضغوط ومشاكل، وفي حالة عدم التوجيه السليم، تتفجّر هذه الاحتقانات داخليًا، على أساس نظر بعض الأطراف لبعضها على أنها جدار هبيط، فتوجه السخط نحوها.

ثالثًا: تتحمل وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، كالمواقع الإلكترونية، دورًا كبيرًا في صنع مثل هذه الأجواء السلبية، بنشر كتابات تسيء للأشخاص بدل أن تمارس النقد الموضوعي للفكرة أو الحدث، أو تقدم الأخبار بصياغة تعبوية تحريضية.

وأشار الصفار إلى خطورة الكتابات بأسماء مستعارة، وكذلك التعليقات السلبية الجارحة، التي هي مدخل للاختراقات من قبل أعداء المجتمع، الذين يعملون على إشغال المجتمع بالنزاعات والخلافات لإضعافه، وإسقاط رموزه وشخصياته.

وقال الشيخ الصفار: إنه قد أصدر بيانًا تحذيريًا يدين فيه هذا النهج في المواقع الإلكترونية ويتبرأ منه، تحت عنوان (إلى أصحاب المواقع الإلكترونية: اتقوا الله في مجتمعكم) نشر بتاريخ ٢٤/ ٨/ ٢٠٠٥م كما أصدر بيانًا آخر بتاريخ٤/ ٨/ ٢٠٠٨م، تحت عنوان: (لا علاقة لي بأي من المواقع الإلكترونية).

وألقى خطبة جمعة بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ تحت عنوان (مواقع الانترنت وإفساد العلاقات الاجتماعية) وقد طبعت ونشرت في وقتها.

وقال إن الجميع يسمع ويقرأ خطاباته وكتاباته، فهو في كل كتاباته وخطاباته يدعو إلى الحوار الايجابي، والاحترام المتبادل، ويرفض التشكيك في أديان الناس ونياتهم، ولم يسبق له أن تحدث ضد أحد أو أساء إلى أحد، ممن يختلف معه.

وقال الشيخ الصفار: إنه يتحمل مسؤولية ما ينشر على موقعه الخاص به، ويبرأ إلى الله تعالى من تحمل مسؤولية أي موقع آخر، ويدين هذا الأسلوب المسيء من أي موقع كان.

رابعًا: إن الحاجة ملحة لوجود إطار وصيغة للتشاور والتعاون بين المهتمين

بقضايا الشأن العام في المجتمع، من علماء ومثقفين ووجهاء وناشطين وسياسيين، وإن جهودًا بذلت في سبيل ذلك، وحصلت تجارب للقاءات ضمت شخصيات شيعية من المدينة والأحساء والدمام والقطيف، وتكررت خلال عام كامل، ولكنها لم تصل إلى مستوى الاتفاق على إطار وصيغة دائمة.

وكان في القطيف لقاء منتظم بين عدد من الرموز الدينية الفاعلة استمر لأكثر من سنتين ثم توقف.

كما كنا نستضيف لقاءً أسبوعيًا للمشايخ والخطباء لمدة ثمان سنوات، ثم تحول إلى لقاء شهري متنقل بين مجالس العلماء، لكنه توقف أيضًا.

ومن أواخر المحاولات ما سعى إليه الإخوة في ديوانية القطيف بعد أحداث البقيع في المدينة المنورة قبل عامين، وبعد نجاح تجربة الوفد الكبير الذي ذهب إلى الرياض، لمعالجة تلك المشكلة، حيث حصلت لقاءات لبلورة إستراتيجية وصيغة للتعاون بين قوى المجتمع ورموزه الاجتماعية والدينية، ولكنها توقفت.

وقال الشيخ الصفار: إن ذلك يعني أننا نحتاج إلى نضج أكبر في ساحتنا لإنجاز مثل هذا العمل، ويجب أن تستمر المحاولات والجهود.

ولكن لا يعني ذلك أن يتوقف العاملون عن خدمة مجتمعهم وفق اجتهاداتهم إلى أن يحصل توافق واتفاق فهذا ما لا يقوله أحد، ولا يلتزم به أحد، حيث نرى الأنشطة والمواقف والمبادرات من قبل مختلف الجهات.

خامسًا: إن الحوار مع الآخر على مختلف المستويات الإنسانية والدينية والوطنية من القيم العليا دينيًا وحضاريًا.

وقال الشيخ الصفار: إنه سعى للانفتاح على مختلف الأطياف في الوطن، وبالرجوع إلى موقعه الإلكتروني على الإنترنت، يتضح تنوع لقاءاته، في زياراته للآخرين، أو استضافته لهم، وأنه قد نظّر وكتب حول موضوع التعددية والحرية والحوار والانفتاح،

حتى قبل عودته للبلاد، فكتابه (التعددية والحرية في الإسلام) مطبوع سنة ١٤١٠هـ.

ويرى الشيخ الصفار أهمية للحوار مع السلفيين، فهم القوة الأبرز والأكثر تأثيرًا، وجانب كبير من معاناة الشيعة في الوطن والعالم يأتي من اتجاه التشدد في الوسط السلفي كما هو معروف.

وأشار إلى رؤيته حول هذا الموضوع، التي قدمها في كتابه المطبوع (السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل). وأن الحوار لا يعني التنازل عن شيء من المعتقدات والخصوصيات المذهبية، إلا عن الإساءة من أي طرف للآخر.

وأشار الشيخ الصفار إلى عدم السكوت عن الإساءة للمذهب، مستذكرًا موقفه من تكفير الكلباني للشيعة، وموقفه المعروف من إساءة العريفي للمرجعية، لكن ذلك لا يعني ألا نصرف جهدًا في السعي لتغيير موقف المسيئين، عبر التواصل والحوار، وخاصة عندما نجد استعدادًا عند الطرف الآخر.

وعن زيارة الشيخ سعد البريك قال الشيخ الصفار: إنها زيارة متفق عليها من قبل حوالي شهرين، عندما التقاه في الحوار مع قناة دليل. وأن الزيارة كانت فرصة لكي يلتقي البريك مع بعض الشخصيات الشيعية، وأن يجري حوار صريح حول ما يساعد على التقارب، ويسهم في تجليّة مواقف كل طرف تجاه الآخر.

وكان الحوار معه حينما حضر في مجلسنا جيدًا وهو منشور بتفاصيله.

أما عن حديث البريك في صالة الملك عبدالله، فقال الشيخ الصفار: إنه لم يحضره ولم يعرف تفاصيله.

ولا يرى أنه ينبغي أن يمنع من اللقاء وتوضيح الصورة، واستشهد بموقف الإيرانيين من الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، وكيف أنهم حاولوا احتواء المشكلة وليس تكبيرها.

سادسًا: يؤكد الشيخ الصفار على ما كتب حوله وتحدث به سابقًا من أن الأساس

في المشكلة الطائفية هو العامل السياسي، وأن الدولة تتحمل مسؤولية تحقيق المساواة بين أبنائها دون تمييز طائفي، لكن الحوار مع السلفيين والأطياف الأخرى مفيد لتجاوز سلبيات القطيعة، والصور النمطية المتداولة.

وحتى في البلدان التي لا يوجد فيها تمييز طائفي، فإن الحوار والتقارب بين السنة ومنهم السلفيون وبين الشيعة أمر مطلوب، فالحوار قيمة بحد ذاته، وليس مجرد وسيلة لعلاج مشكلة سياسية.

لقد عانت الأمة كثيرًا من الصراعات الطائفية، وعلى كل واعٍ أن يبذل جهده للتخفيف من الاحتقان.

ولا ينبغي أن نستسلم لقوى التطرف والتشدد، ونترك الساحة لها، فإن ذلك مضر بمصلحة أوطاننا ومجتمعاتنا، ومخالف لتوجيهات الدين.

وقد تحدث في اللقاء وداخل عدد من الكتاب والحاضرين، ومنهم الأستاذ علي البحراني، والأستاذ فؤاد نصر الله، والأستاذ منير النمر، والأستاذ محمد الصادق، والأستاذ حسين العلق، والأستاذ محمد الشيوخ، والأستاذ حسن حمادة، والأستاذ أحمد الربح.







٧

السيد فضل الله وهمّ الوحدة الإسلامية[1]



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

المرجع الراحل السيد محمد حسين فضل الله رضوان الله تعالى عليه، هو في الطليعة من علمائنا الذين اهتموا بالوحدة الإسلامية في هذا العصر، واهتمامه بالوحدة الإسلامية جاء في اتجاهين:

الاتجاه الأول

هو الاتجاه الفكري النظري، حيث إنه من أكثر العلماء إنتاجًا وحديثًا وكتابة حول الوحدة الإسلامية، همّ الوحدة الإسلامية في خطاب المرجع الراحل السيد فضل الله، ليس مجرد خانة أو مساحة من خانات أو مساحات خطابه، إنما هو روح

(١) كلمة سجّلها سماحة الشيخ لتبث في حفل تأبين العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، الذي جاء تحت عنوان (الفقيه الإنسان) يوم الأربعاء ٢٠/ ١٠/ ١٤٣١هـ في مجلس المبارك بالقطيف. والذي شارك فيه العشرات من رجال الدين من القطيف والأحساء والمدينة المنورة، ومشاركة علمائية من الكويت والبحرين، وحشد كبير من أبناء المنطقة.

سارية في جميع كتاباته وخطاباته، ترى هذا الهمّ في تفسيره لآيات القرآن الكريم، كما تراه مقصدًا من مقاصد الشريعة يأخذه بعين الاعتبار في استنباطاته الفقهية، وتراه في توجيهه للجماهير، وتناوله للأحداث السياسية، وطرحه للقضايا العقدية، فهو همّ يمثل روحًا سارية في كل خطاباته وعطائه الثقافي والمعرفي.

ومن الملاحظات المهمة: أن همّ الوحدة في خطاب السيد فضل الله لم يأتِ في مرحلة من مراحل نشاطه المعرفي والدعوي، وإنما كان همًّا رافقه منذ بداية اهتماماته الدعوية والفكرية. بعض العلماء تستطيع أن ترصد أن اهتمامهم بالوحدة الإسلامية جاء في مرحلة متقدمة من مراحل وعيهم أو اهتماماتهم العامة، لكن السيد فضل الله من بداية كتاباته يوم كان في النجف الأشرف يكتب افتتاحيات مجلة الأضواء التي كانت تصدر هناك، وكذلك كتاباته الأولى وخطاباته الأولى ترى هذا الهمّ حاضرًا فيها، هذا على الصعيد النظري الفكري.

الاتجاه الثاني

الاتجاه العملي، كان يحمل كل هموم الأمة الإسلامية، لم يكن مهتمًا ولا منشغلًا بالهموم الخاصة بطائفته أو أهل المذهب الذي ينتمي إليه، بل كان له حضور في جميع القضايا الإسلامية، مما يعني أن الوحدة كانت جزءًا لا يتجزأ من تفكيره، ومن شخصيته وسيرته، لذلك ترى اهتمامه بالقضية الفلسطينية، واهتمامه بالثورة الإسلامية في إيران، واهتمامه بوضع الشعب العراقي، ووضع الشعب الأفغاني، وترى تصديه للاستكبار العالمي من منطلق الدفاع عن مصالح الأمة في كل مكان، ومواقفه العملية في نصرة الشعب الفلسطيني ونصرة مختلف الشعوب الإسلامية، وانفتاحه على جميع الحركات وجميع الفئات الإسلامية، وعلاقته مع كل الاتجاهات والتوجهات تشكل وتترجم سيرته، واهتمامه بالوحدة على الصعيد العملي هذا الاهتمام نراه نابعًا من أمرين أساسيين:

الأمر الأول:

قراءته الأصيلة للإسلام، السيد فضل الله لم يدرس آيات الأحكام فقط في القرآن

الكريم، وإنما درس كل آيات القران الكريم، لم يركّز على أحاديث السنة الواردة حول الأحكام الفقهية فقط، وإنما نرى دراسته للحديث والروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام دراسة شاملة، وكذلك قراءته للعقيدة الإسلامية، وقراءته للعطاء والتراث الروحي لأهل البيت عليهم السلام، هذه القراءة الشاملة للإسلام عند المرجع الراحل، هي التي صنعت له فكرًا إسلاميًّا أصيلًا، انطلق منه في طرحه واهتمامه بالوحدة الإسلامية، ومن يتابع خطاباته حول أئمة أهل البيت، ويقرأ كتابه المهم «في رحاب أهل البيت» وكتابه عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام «الزهراء القدوة» وهو من مهمات الكتب التي تحدثت عن الصديقة الزهراء عليها السلام في هذا العصر، من يقرأ كتاباته عن أهل البيت، يدرك مدى أصالة فكر الرجل، ومدى شمولية وعيه، ومن ذلك انطلق في اهتمامه بالوحدة الإسلامية.

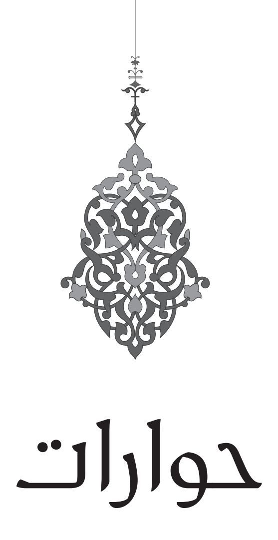
الأمر الثاني:

وعيه بالواقع الذي تعيشه الأمة، يتابع قضايا السياسة، ويفهم خلفيات المواقف السياسية، قد لا تجد إلا نادرًا من العلماء من له اطّلاع على خلفيات الحراك السياسي العالمي والدولي، وعلى قراءة مختلف الشخصيات المؤثرة في السياسة الدولية، المرجع الراحل السيد فضل الله بقراءته للسياسة، وبقراته للواقع المعاصر، ومتابعته للتطورات، رأى أن حاجة الأمة لموضوع الوحدة، وخطط الأعداء التي يريدون تمزيق الأمة من خلالها، تحتاج إلى تصدٍّ ومواجهة، بالتأكيد على موضوع الوحدة الإسلامية.

رحم الله المرجع الفقيد ووفق الله المؤمنين والمسلمين الواعين للسير على خطه في الاهتمام بالوحدة الإسلامية. والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.







حوارات



٧

الشيخ الصفار: الخلاف الشيعي السني مستمر ويجب تجريم العريفي[1]


فارسي أردو English

العربية Al Arabiya

الرئيسية العرب و العالم السعودية الأسواق الحرة شمال إفريقيا

آراء برامج العربية نوافذ دراسات العربية ترددات العربية

آخر تحديث: الإثنين 24 ذو القعدة 1431هـ - 01 نوفمبر 2010م KSA 11:37 - GMT 08:37

الشيخ الصفار: الخلاف الشيعي السني مستمر ويجب تجريم العريفي

نوّه بحكمة العاهل السعودي في حادثة البقيع و"جهود الحوار فشلت"

الثلاثاء 19 محرم 1431هـ - 05 يناير 2010م

رجل الدين الشيعي حسن الصفار

القطيف- محمد عطيف

أكد رجل الدين الشيعي المعروف في السعودية الشيخ حسن الصفار على أن كلام الداعية السعودي محمد العريفي، الذي دار حول الطائفة الشيعية والمرجع الديني آية الله علي السيستاني، يندرج ضمن منحى الخطابات المتطرفة المسيئة، وطالب بسن نظام يجرم التحريض على الكراهية والإساءة للأشخاص.

واعتبر، في حوار خاص مع "العربية.نت"، أن الخلاف السني الشيعي سيستمر وليس الشيعة المعنيون بإنهائه.. كما تطرق لجوانب أخرى مثل حادثة البقيع الشهيرة والتدخل الحكيم للعاهل السعودي، وكذلك قضية شتم الخلفاء الثلاثة، وعدد آخر من أهم الملفات المذهبية الساخنة في الساحة السعودية بين السنة والشيعة.

□ فضيلة الشيخ حسن الصفار .. كيف ترى لغة الخطاب الديني التي انتهجها الشيخ العريفي في خطبته الأخيرة؟ وكيف يمكن التأكيد على أن هذا الخطاب يفرق أكثر مما يقرب؟

■ الألفاظ النابية التي تفوه بها الشيخ العريفي في خطبته تجاه المرجعية الدينية الشيعية، كالاتهام بالزندقة والفجور، تأتي في سياق منحى الخطابات المتطرفة المسيئة للمواطنين المسلمين الشيعة في المملكة، التي لم تبدأ من الشيخ العريفي ولا يبدو أنها ستنتهي به، ما دامت الحكومة السعودية تغض الطرف عنها، مع أن النظام الأساسي للحكم في مادته رقم (١٢) تنص على أن واجب الدولة منع كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام.

(١) حوار مع سماحة الشيخ حسن الصفار. نشر بتاريخ الثلاثاء ١٩ محرم ١٤٣١هـ - ٠٥ يناير ٢٠١٠م على موقع العربية نت.

وقد حدث خلال هذا الأسبوع: أن كاتباً نشر في جريدة عكاظ بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠٠٩م مقالاً بعنوان (وعلى الأرض الكلام) مسّ برئيس أساقفة بيروت للموارنة المطران الماروني بولس مطر، لا يصل إلى مستوى اتهامات العريفي للسيد السيستاني، ولا يرتبط بمشاعر فئة من المواطنين، إلا أن الجريدة نفسها اعتذرت عن الإساءة في اليوم التالي مباشرة، كما أن السفير السعودي في بيروت اتصل بالمطران ونقل إليه تحيات واعتذار وزير الإعلام، هكذا تتم مراعاة مشاعر الآخرين، بينما يستهان بمشاعر المواطنين الشيعة.

فقبل سنة أصدر أحد العلماء في المملكة هو الشيخ عبدالله السعد فتوى بحرمة بيع العقارات لأي مواطن شيعي في سائر مناطق المملكة، ونشرتها المواقع الإلكترونية ووزعت في بعض المساجد.

كما أفتى عضو مركز الدعوة والإرشاد بالرياض الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السحيم لمن استفتاه حول زيارة جاره الشيعي، بعدم جواز حتى ردّ السلام عليه، فضلاً عن قبول دعوته وزيارته، وهي فتوى منشورة أيضاً.

وقد تناقلت وسائل الإعلام تكفير أحد أئمة الحرم المكي الشيخ عادل الكلباني لعلماء الشيعة.

□ **نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة، كيف يمكن رسم خطوط ثابتة نحو ذلك بمشاركة من الدولة وهيئة كبار العلماء وكبار علماء المذهبين؟**

■ أعتقد أن من أهم خطوط إقامة علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة، هو إقرار المساواة بين المواطنين، ومراعاة حقوق الإنسان، حتى لا تشعر فئة من المواطنين بالتعالي والتميّز، وفئة أخرى بالحرمان والغبن، مما يهيئ الأجواء لعلاقة سليمة في ظل النظام والقانون، ثم تأتي مسألة تجريم التحريض على الكراهية والإساءة من أي طرف للآخر، وتشجيع أجواء التواصل والحوار.

□ **شهد تاريخنا الإسلامي الطويل الكثير من المعارك والنزاعات الفكرية والمذهبية**

التي أحدثت شروخاً في السلم المجتمعي، وأوجدت نوعاً من الاحتراب الأهلي، وكان العامل السياسي وراء قسم كبير منها، حيث كانت بعض القوى الداخلية والخارجية، تغذي هذه الصراعات وتدفع باتجاهها لإشغال جمهور الأمة عن قضاياهم الأساسية، ولاستنزاف قواهم فيما بينهم، حتى لا يتحدوا مقابل تلك القوى المهيمنة، أو الراغبة في التسلط. وكان التعصب المذهبي، بما يعني من سعي لفرض الرأي، ورفض للرأي الآخر، هو الأرضية لتلك النزاعات والصراعات .. كيف يمكن قراءة ذلك في ظل الظروف الأخيرة؟

■ لا شك أن العامل السياسي الداخلي والخارجي هو الأصل والأساس في إثارة الخلافات المذهبية، وتشجيعها، وكان ينبغي في ظل الظروف الخطيرة التي يمر بها العالم العربي، أن يدرك النظام السياسي العربي، أن الخلافات الداخلية تهدد وجود النظام ووحدة الأوطان، فما جرى في العراق وأفغانستان، وما يحدث في السودان والصومال واليمن، يجب أن يلفت نظر الحكومات إلى خطورة التغاضي عن نشوب الفتن والاختلافات الداخلية.

□ **لقد بقي الخلاف السني الشيعي كأوسع ثغرة في جدار وحدة الأمة الإسلامية، تنفذ منه رياح الفتن، وتتسلل مطامع الأعداء ومؤامراتهم. وقد تحرك العلماء المصلحون من السنة والشيعة مطلع هذا القرن، لسدّ هذه الثغرة الخطيرة المتبقية من ثغرات الخلافات الكلامية والفقهية. وكان من مظاهر هذا التحرك الإصلاحي تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة في الخمسينيات، وإنتاج خطاب وحدوي يؤكد القواسم المشتركة، ويحرر محل النزاع ضمن إطار الخلاف الاجتهادي عقدياً وفقهياً : ما مصير دار التقريب كيف يمكن النظر لوضعنا السعودي في ظل رؤية البعض أن الهيمنة الإيرانية الشيعية تعيق الأمر؟**

■ الخلاف السني الشيعي في بعديه العقدي والفقهي سيبقى مستمراً، ولسنا معنيين بإنهائه، فالتنوع المذهبي أمر قائم، لكننا ملزمون بألا يتجاوز الاختلاف إطاره الاعتقادي والعبادي، وذلك يتحقق في ظل نظام يجسّد مفهوم المواطنة، وينظّم العلاقة

بين مواطنيه على أساس احترام النظام والقانون، دون تمييز بينهم.

وهذا ما هو قائم في الدول الأخرى التي يتعايش فيها الناس بمختلف أديانهم ومذاهبهم.

□ **الخطبة الأخيرة للعريفي .. كيف ترى موقف جمعيات حقوق الإنسان في المملكة منها؟ وكيف يمكن حصر الخسائر التي تسببت بها هذه الخطبة على صعيد القبول بالاختلاف والمجاورة؟**

■ في المملكة جمعيتان لحقوق الإنسان، لكنهما حذرتان من مقاربة الملف المذهبي الطائفي، لحساسيته، وقد تفاءلنا خيراً بقيام هاتين الجمعيتين، وبادرنا للتواصل معهما، أملاً في أن يكونا إطاراً مناسباً لمعالجة هذه المشكلة، التي هي من صميم حقوق الإنسان، وللإنصاف فقد لمسنا شيئاً من الجهد والمحاولة من الجمعيتين في البداية، ثم لاحظنا التردد والتراجع والفتور في الاهتمام بالموضوع، ولم يحصل عبرهما أي معالجة أساسية لحدِّ الآن، حتى في بعض القضايا البسيطة، كمقبرة لدفن الموتى للمواطنين الشيعة في الدمام، أو مصلى لإقامة صلاة الجماعة للمواطنين الشيعة في الخبر.

□ **المدرسة السلفية كما قلت سابقًا في أحد مقالاتك تمثل تياراً نشطاً في أوساط أهل السنة، وهو الأكثر امتلاكًا لأدوات التأثير. ويمتاز هذا التيار غالباً بالصرامة في الموقف تجاه الرأي الآخر، لذلك كان معارضاً لدعوة التقارب والتقريب بين السنة والشيعة.. هذا حديثك قبل أربع أو خمس سنوات .. هل حصلت تغيرات على هذه الجوانب وإلى أي اتجاه؟ وكيف ترى الرد الشيعي على ما يحصل من مواجهات نظرية أو تشدد في لغة الخطاب الديني بين السنة والشيعة؟ خاصة أنه سبق وقلت أن التقارب بين اليهود والمسيحيين أفضل منه بين الشيعة والسنة؟**

■ في المدرسة السلفية شخصيات تتفهم ضرورة الحوار والتواصل مع الشيعة، وتتحدث عن تحقيق التعايش في هذه المرحلة، إن كان يصعب الوصول إلى حدِّ

التقارب، لكنها حذرة في الإجهار برأيها، أو القيام بمبادرات لتفعيل التواصل والحوار، رعايةً للجوِّ العام في الوسط السلفي.

إن هذه الشخصيات تعبّر لنا عن عدم ارتياحها من الخطابات المتشددة تجاه الشيعة، لكنها تصمت وتسكت أمامها، ولا تريد أن تتحمل ثمن الاعتراض على مثل هذه الخطابات.

□ **نأتي إلى النقطة التي يعتبرها البعض الأكثر حساسية وهو ما يأخذه السنة والسلفيون كما تسمونهم على الشيعة من الإساءة إلى الخلفاء الثلاثة، .. سبق واعترفت أنت أن ذلك موجود في بعض كتب الشيعة وماضيهم وتراثهم، وبررته أنه قد يكون ناتجاً عن الظروف التي كانوا يعيشونها آنذاك من القمع والاضطهاد .. حسنًا كيف هو الوضع اليوم .. هل ما زالت الإساءة للخلفاء الثلاثة الراشدين موجودة؟ وكيف تبرر ذلك؟**

■ إن جهود المصلحين الشيعة في مواجهة التشدد الداخلي في ساحتهم واضحة جليّة، وخاصة من قبل القيادات الشيعية البارزة، كالإمام الخميني والسيد الخامنئي في إيران، والمرجع السيستاني في العراق، والمرجع فضل الله في لبنان، لكننا نعاني من مشكلة الفعل وردّ الفعل، إن سياسات التمييز الطائفي، وفتاوى التكفير والإساءة للشيعة، تجعل مهمة المصلحين في أوساطهم أكثر صعوبة وتعقيداً.

□ **التعايش الطائفي في منطقة القطيف كيف يمكن تبريره إيجابيًا وهو مثار إعجاب بعض المراقبين من داخل و خارج البلاد ..وهناك تداخل عظيم بين السنة والشيعة فيه؟.. هل يمكن إشراكنا زاوية رؤيتك حول الأمر؟**

■ منطقة القطيف معظم أهلها من الشيعة، وهناك قبائل سنية في قرى من القطيف، ولم تكن أي مشكلة في التعايش فيما بينهم؛ لأنه لم تكن هناك اتجاهات متشددة في وسط أهالي المنطقة من السنة والشيعة.

لكنني أشعر الآن بالقلق، فالفضائيات الطائفية تشحن النفوس، والاتجاهات

المتشددة غزت مختلف المناطق، ولا بدّ لنا جميعاً كأهالي المنطقة من السنة والشيعة أن نتحمل مسؤوليتنا في حماية الجيل الجديد من عدوى التشدد الطائفي، وأن نواصل مسيرة التعايش والتواصل والتعاون التي نفخر بها في هذه المنطقة.

□ **عن (الوطن أولًا والمذهب ثانيًا) .. كيف يمكن تطبيق ذلك من خلال فكّ الاشتباك بين الديني والسياسي .. أنت موهوب من خلال متابعتك في فهم الخطوط الرفيعة مـا بين الديني والسياسـي الـذي خلط فيه الكثيـر، ثم هل مطالبتـك بإعلاء الولاء للوطـن قبـل المذهب يتفق مـع مطالبتك بإطلاق من اعتقلوا علـى خلفية أحداث المدينة المنورة؟**

■ لا أجد تناقضاً بين الولاء للوطن والولاء للمذهب؛ لأن المذهب هو مدرسة في فهم الدين، والولاء للمذهب هو الولاء للدين، وبحمد الله فبلادنا تفخر بالولاء الديني وهو جزء لا يتجزأ من هويتها.

ومن يرى أن الولاء للوطن يكون على حساب المذهب أي الدين، أو أن الولاء للمذهب يكون على حساب الولاء للوطن، فهو يعاني من خلل في الفهم، فالمذهب الديني يربِّي على حب الوطن والإخلاص له، والدفاع عنه، والاستشهاد من أجله؛ لأن حب الوطن من الإيمان، ومن مات دون أرضه فهو شهيد.

كما أن الوطن مأوى لجميع أبنائه وملجأ لهم، فيه يشعرون بوجودهم وكرامتهم، إنه ليس وطناً لمذهب دون آخر، أو قبيلة دون أخرى.

والسعي لوأد الفتن الطائفية ينبع من الحرص على خدمة الوطن وحماية مصالحه، وهو كان دافعنا للتحرك لاحتواء المشكلة التي حصلت في حادثة البقيع في المدينة المنورة في العام المنصرم. وبحمد الله فقد مارس خادم الحرمين الشريفين دور الأبوة والحكمة وأمر بإطلاق سراح المعتقلين من الطرفين، حتى لا تتفاقم المشكلة أكثر ويتم استغلالها على حساب مصلحة الوطن.

□ **هـل يمكن أن تحدد لنـا ومع دخول ٢٠١٠ كيف تقيم مظاهر التمييز ضد الشـيعة**

بحسب ما يتردد، وهل ما ذكره الشيخ العريفي يندرج ضمن ذلك؟

■ كلام الشيخ العريفي بما ينطوي عليه من إساءة وتجريح مذهبي، هو مظهر من مظاهر المعاناة للمواطنين الشيعة في المملكة، وعدم اتخاذ أي إجراء تجاه هذا الكلام، يشجّع دعاة التحريض والفتن الطائفية على الاستمرار في نهجهم، وينشر الكراهية بين المواطنين، ويؤلِّب الناس في الدول المجاورة من الشيعة ضد المملكة.

□ **فـي رؤيتك ماذا قدم الحوار الوطني من تطلعات للخطاب الديني وإشـكاليات ما بين السنة والشيعة في المملكة؟**

■ كانت بداية الحوار الوطني مشجعة قوية، أنعشت الآمال في تعزيز الوحدة الوطنية، وتجاوز حالة القطيعة والنفور والخصام بين المذاهب والتيارات المختلفة في المملكة.

لكن المؤسف تحوّل اهتمامات الحوار الوطني باتجاه مناقشة القضايا العامة كالعمل والخدمات الصحية وهي قضايا مهمة، لكنها ليست موارد مفاصلة بين المذاهب والتيارات، ويمكن مناقشتها ضمن الأطر القائمة.

إن مهمة الحوار الوطني كما يوحي بها العنوان، وكما فهمنا من حديث خادم الحرمين الشريفين، هي معالجة معوقات ومنغّصات الوحدة الوطنية، والعمل على تجاوزها، وتحقيق التماسك والتكاتف بين أبناء الوطن الواحد.

إن جهود نشر ثقافة الحوار التي يتبناها مركز الحوار الوطني جهود طيبة، لكنها لا تزال خجولة ضعيفة، لم تقتحم ميدانها الحقيقي وهو الحوار بين الاتجاهات المختلفة، وتأهيل الناس للقبول بالتعددية المذهبية والفكرية، وتدريبهم على التعامل والتعاون في المشاريع المشتركة، مع اختلاف انتماءاتهم المذهبية.

ولا تزال لغة ثقافة الحوار التي يعتمدها المركز في مطبوعاته ضمن ثقافة المذهب الواحد، والاتجاه الواحد، تخلو من أي نص أو شاهد من مصادر المذاهب الأخرى.

□ **هل مازلت تؤيد وترى أن الجماهير الشيعية عامة مستعدة للتوقيع على ميثاق شرف إسلامي يتجاوزون به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية ويؤكدون فيه وحدة الأمة ومرجعية الكتاب والسنة؟ و أن الوحدة الوطنية على أساس الإسلام تشكل أمانة في أعناق المسلمين جميعا سنة وشيعة. ولا يزال انفتاح الشيعة على الثقافة السنية أكبر بكثير من انفتاح السنة على الثقافة الشيعية، نظرا لأنهم يعيشون مناخ الاحتقان الطائفي؟**

■ رغم ما يعانيه المواطنون الشيعة من تمييز وإساءات وانتقاص من حقوقهم، ورغم كل ما يبدو من بعضهم من تشنج في ردود فعله على تلك الإساءات، إلا أني أعتقد بتجاوب معظمهم مع أي دعوة جادة، وأي مشروع للتقارب والتواصل، وقد لمست استعداد كثير من العلماء والمثقفين والناشطين الشيعة للتفاعل مع طرح أي ميثاق شرف لتجاوز الصراعات المذهبية، ولحماية الوحدة الوطنية.

وقد بادر جمع من أبناء وبنات القطيف لدعوة عدد من الشخصيات السنيّة من الرجال والنساء من مختلف مناطق المملكة، للمشاركة في برامج عاشوراء عند الشيعة في القطيف، والاطلاع عليها، وقد حصل ذلك للعام الثالث على التوالي.

وقابلهم الجمهور بكل حفاوة واحترام، وفي برامج عاشوراء للسنة الماضية ألقى أحد الدعاة السلفيين هو الدكتور الشيخ عبدالرحمن المحرج كلمة في وسط المعزّين الشيعة، وتفاعل معه الجمهور الشيعي، مما يوضح قابلية الجمهور الشيعي للتجاوب مع أي خطوة أو بادرة إيجابية.

٧

حوار قناة الوطن[1]



طابت أوقاتكم مشاهدينا الكرام، وأهلاً بكم إلى هذه الحلقة من برنامجكم المشهد السياسي، التي نستضيف فيها الداعية والمفكر من القطيف في السعودية، الشيخ حسن الصفار، سماحة الشيخ، أهلاً بكم في هذه الحلقة من برنامج المشهد السياسي.

■ الشيخ: وأهلاً وسهلاً بكم وبمشاهديكم الأعزاء في الكويت وكل الوطن العربي.

□ **بداية شيخنا، أبتدي معك بالحرب مع المتسللين الحوثيين، ما هو موقف الشيخ حسن الصفار من هذه الحرب الدائرة بين المملكة العربية السعودية والمتسللين الحوثيين؟ وهل موقف الشيخ حسن الصفار يتعارض مع الموقف الرسمي للمملكة العربية السعودية؟**

(١) قناة الوطن الكويتية. برنامج المشهد السياسي، تقديم الأستاذ علي حسين، ٢٨/ ٢/ ١٤٣١هـ.

■ الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم، وعلى آله وصحبه الطيبين.

الموقف تجاه أي عدوان على أي شبر من الوطن فإننا في بلادنا نكون صفًا واحدًا أمام العدوان، من أي جهة كان، ومن أي مصدر كان، وهذا ما تحدثت عنه في تصريحي منذ اندلعت هذه المعركة، حينما يتسلل أحد معتديًا على شبر من أراضي وطننا، فإننا بالتأكيد لن نقبل بأي عدوان على أرض للوطن، هذا هو موقف الشعب، وهذا هو موقف الدولة، وهذا موقف الناس في كل أوطانهم، ليس هناك مواطن يقبل بأن يكون هناك عدوان على وطنه.

□ **هل هذا الموقف من قبل الشيخ حسن الصفار هو الموقف الرسمي لجميع شيعة السعودية أم أن هذا الموقف فقط لسماحة الشيخ حسن الصفار؟**

أنا ليست لي صفة تمثيلية، وأنا لا أمثل طائفة أو مذهبًا، فأنا تكلمت باعتباري مواطنًا وأعتقد أن هذا شعور جميع المواطنين بمختلف مذاهبهم، جميع المواطنين ضد أي عدوان على الوطن.

□ **هل تؤيد بأن هناك جهات تحاول تصوير أن هذه الحرب حرب مذهبية؟**

■ هناك جهات حاولت أن تصور أن ما حصل وكأنه حرب مذهبية، ليس فقط هذه الحرب، إنهم يعطون طابعًا لأي صراع فيه طرف شيعي، وكأنها حرب مذهبية بين الشيعة والسنة، الأحداث التي حصلت في العراق، والأحداث التي حصلت في لبنان، وهذا استغلال سيء، هناك صراعات سياسية، هناك تضارب في المصالح يحصل بين أبناء البشر في كل مكان، قد يكون هذا الطرف مظلومًا أو ظالمًا، هذا بحث آخر، ولكن ليس من الصحيح أن نعطي هذه الصراعات السياسية طابعاً مذهبياً.

□ **لمصلحة من تُعطى هذه الصفة ولمصلحة من يتم استغلال هذه المواقف وتروج أن هذه الحرب حرب طائفية؟**

■ هناك أناس يحملون الهمّ الطائفي، ويحملون مشروعاً طائفياً، فيفسرون مختلف الأحداث بما يخدم توجهاتهم الطائفية، وقد كتب أحد المفكرين من المملكة العربية السعودية حول «مشكلة التحليل العقدي»، كما أطلق عليه أن الأحداث السياسية تحاول هذه الأطراف أن تحللها تحليلًا عقديًّا، ويغفلون الجوانب السياسية، والجوانب الدولية، والصراعات الإقليمية، ويتمحورون حول محور الاختلاف العقدي، أو الاختلاف المذهبي، وهو تحليل ناقص، وموظف لهذه الأحداث.

أطروحات طائفية

□ **ما هي مصلحة الشخص الذي يتغذى على هكذا حروب طائفية ويستغل هذا الوضع ما هي مصلحته؟**

■ حينما يكون له مشروع طائفي، يريد منه أن ينال زعامة وبروزًا في أوساط الجمهور، ويريد أن ينال مكاسب، وأن يحظى ببروز، وفي بعض الأحيان تكون هناك أطراف سياسية تستفيد من أمثال هذه الطروحات، وتدفع بهؤلاء حتى يطرحوا مثل هذه الطروحات، وتستفيد منها وتستثمرها، أصحاب المشاريع الطائفية هم الذين يستفيدون من هذا الطرح الطائفي.

□ **إذن أنت ترى بأن هذه كأنها كلمة حق يراد بها باطل؟**

■ ليست كلمة حق، هي كلمة باطل يراد بها باطل؛ لأنه لا يكون في التفرقة بين الناس، ولا يكون في إثارة الفتنة حق، ولا يمكن أن يخدم الدين، ولا أن تخدم الأوطان بالفتنة والتفرقة، إنها كلمة باطل يراد بها باطل.

تؤجج العداء

□ **في الفترة الأخيرة استمعنا إلى تصريحات من الداعية الشيخ محمد العريفي ضد**

السيد السيستاني والشيعة عمومًا، هذه التصريحات أثارت ردود فعل عديدة، ما هو موقف الشيخ حسن الصفار من هذه التصريحات؟

■ بشكل عام أنا أعتقد أن مثل هذه التصريحات لا تخدم وحدة الأمة، وإنما تخدم أعداء الأمة، الأمة تواجه تحديات خطيرة ومصيرية، نحن نواجه تحديًا خارجيًا، يتمثل في العدوان الصهيوني الجاثم على أرضنا، أراضي العرب والمسلمين، ونواجه محاولات الهيمنة الاجنبية، ونواجه ركامًا من التخلف الذي نعيشه، وأمامنا تحدي التنمية، في حاجة إلى أن تتجه شعوبنا نحو البناء، نحو التنمية والإنتاج، مثل هذه التصريحات التي تثير المشاعر، وتؤجج حالات العداء في داخل الأوطان، وبين أوطاننا والأوطان الإسلامية الأخرى؛ لأن الشيعة موجودون في مختلف البلدان، والمرجع السيد السيستاني له مكانته في العراق وفي العالم الاسلامي، وعند الشيعة وعند المسلمين بشكل عام، والإساءة إلى شخصيته، والتحريض وإثارة الكراهية ضد الشيعة، وهم جزء من هذه المنطقة، وجزء من الأمة، هذا بالتأكيد يضر بمصلحة الأمة، ويخدم مصالح الأعداء، ولذلك نحن ضد مثل هذه التصريحات، سواء صدرت من إنسان سني، أو إنسان شيعي، في بعض الأحيان قد تكون هناك تصريحات سيئة من دعاة أو من شخصيات شيعية، أيضًا نحن نرفضها وندينها، فالمسألة لا ترتبط بأن هذه التصريحات لأنها صدرت من شخصية سنية نحن ندينها، نحن ندين المبدأ، مبدأ التحريض على الكراهية، مبدأ إثارة الفتنة بين الناس، كل من يتلبس بهذا المبدأ، وكل من يمارس هذا الدور، نحن نرفضه وندينه.

لا للكراهية

□ **دعوت في تصريحات سابقة إلى تجريم الشيخ العريفي على خلفية تصريحاته الأخيرة؟**

■ نعم أنا أدعو إلى تجريم كل من يثير الكراهية، كل من يحرض على الكراهية

بين الناس، كائنًا من كان؛ لأن هذا ليس في مصلحة البلد؛ ولأن هذا يخالف حقوق الإنسان، ويخالف السلم الاجتماعي، الآن كل الأوطان تبحث عن الاستقرار السياسي والاجتماعي.

□ **عفوًا شيخنا هناك من يقول إن تصريحات الشيخ العريفي ضد السيد السيستاني تأتي لأن السيستاني هو طرف في الحرب مع الحوثيين؟**

■ لا أعرف أن للسيد السيستاني دخلًا في مسألة الحرب مع الحوثيين، السيد السيستاني معروف عنه الاتزان والاعتدال، ولا يتحدث في أي موضوع، ولا يتحدث في أي جانب، حتى فيما يرتبط في الشأن العراقي حديثه قليل، حينما تدعو الحاجة إلى حديثه يتحدث، حينما تدعو الحاجة إلى تدخله يتدخل، لم يصدر عن السيد السيستاني أو مكتب السيد السيستاني ولا نصف كلمة فيما يرتبط بهذه القضية، وكل ما في الأمر أن المتحدث نقل بأن هؤلاء الحوثيين طلبوا وساطة السيد السيستاني، فهو غضب لماذا يريدون وساطة السيد السيستاني؟ وانهال بالسب والشتم على السيد السيستاني، وإلا لم يكن هناك أي كلام للسيد السيستاني حول الموضوع.

مظهر للاضطهاد

□ **هناك قضية دائمًا تردد التشكيك في ولاء الشيعة لأوطانهم هل هذا التشكيك ناتج لممارسات بعض الشيعة وهم من أدوا لهذا التشكيك؟**

■ أعتقد أن هذا التشكيك هو مظهر من مظاهر الاضطهاد للشيعة، الشيعة هم جزء من أوطانهم ومجتمعاتهم، هذا مظهر من مظاهر الاضطهاد لهم، لا يراد لهم أن يأخذوا دورهم في أوطانهم ومجتمعاتهم، لذلك تستخدم الذرائع والحجج والمبررات من عدم إعطائهم دورهم في مجتمعاتهم، بالتشكيك في ولائهم، مع أن هذا التشكيك لا يستند إلى أي مستند تاريخي، الشيعة مثلاً في المملكة العربية السعودية منذ أن تأسست المملكة هم من بادروا إلى طلب الحكم السعودي، الملك عبدالعزيز زعماء الشيعة

في القطيف والأحساء هم راسلوه، وطلبوا منه أن يأتي إلى المنطقة، وطلبوا الانضمام والانطواء تحت حكمه، والشيعة في الكويت موقفهم واضح في مواجهة العدوان الصدامي الذي كان على الكويت، والشيعة في البحرين موقفهم واضح حينما حصل استفتاء على استقلال البحرين، وأنها هل تكون دولة مستقلة، أو تكون تابعة لإيران، الشيعة وهم أكثرية الشعب في البحرين صوتوا لصالح الاستقلال، هذا التشكيك إنما هو نوع من التبرير لمنع الشيعة عن أخذ دورهم الوطني الكامل.

تقليد الخارج

□ **ألا ترى بأن هناك لدى الشيعة عقيدة التقليد، وبالتالي هل ترى بأن التقليد يتعارض مع مفهوم المواطنة وبالتالي التشكيك لأن هذا التعارض موجود؟**

■ التقليد ما هو؟ التقليد هو العمل بفتاوى المجتهد في المسائل الشرعية الدينية، والناس يقلدون المرجع الذي تتوفر فيه صفات التقليد، سواءً كان موجودًا في بلدهم، وكانت المرجعية موجودة عندنا في القطيف والأحساء، كان الشيعة مراجعهم من القطيف والأحساء، وكان مراجع للشيعة في البحرين، والبحرين كان فيها مرجعية دينية، لكن حينما لم يكن عندنا مجتهدون وفقهاء مؤهلون للتقليد في مناطقنا، كان لا بدّ للتوجه لمن تتوفر فيه مواصفات التقليد، فهو تقليد في المسائل الفقهية، هذا التقليد في المسائل الفقهية لا ربط له بالشأن السياسي.

□ **لكن هناك تقليد في المسائل السياسية؟**

■ في المسائل السياسية لا يجري التقليد، مراجع الشيعة المعروف عنهم أنهم لا يتدخلون في الشأن السياسي، وأنا شخصيًا لي تجربة مباشرة في الموضوع، أنا كنت في المعارضة خمسة عشر عامًا كنت خارج المملكة العربية السعودية، وكنت في معارضة لتوخي الإصلاح، ولتوخي المساواة بين المواطنين، وحينما أردنا أن نعود إلى وطننا، والتفاوض مع الحكومة السعودية، بعض الإخوان أرادوا أن يسألوا بعض مراجع

الشيعة عن رأيهم، كل المراجع الذين سألناهم قالوا هذا شأن وطني محلي، أنتم فكروا فيه وتشاوروا فيما بينكم واتخذوا قراركم، الشيعة في البحرين حينما طرحت مسألة المشاركة في الانتخابات أيضًا سألوا مراجع كبارًا، كلهم قالوا هذا قرار متروك لكم. مراجع الشيعة أناس في قمة الاتزان، وفي قمة التعقل، وهناك فرق كبير في الوضع الشيعي عندنا، أنا لا أريد هنا أن أجرح أو أطعن في أحد، ولكن تصريحات علماء السنة أنفسهم هم يتحدثون عن فوضى الفتاوى، ويكتبون في الجرائد أن كل شخص يفتي، في الواقع الشيعي ليس هناك مثل هذه الفوضى، المرجع الذي يقلده الشيعة عادة يكون ممتلئًا بالعلم وناضجًا من خلال التجربة، ولديه تعقل واتزان، وبالتالي هذا لا يسمح له بالتدخل في الشأن الداخلي للبلدان.

ثغرة الولاء

□ **هنـاك أيضًـا تصريحـات طائفية من قبل بعض رجـال الدين الشـيعة وهذا موجود وأدّت إلى خلافات ونقول الله ستر فيها.**

■ أنا أتكلم عن المراجع، أما وجود خطباء، وجود علماء، توجد نزعات تطرف وتشدد عند السنة والشيعة، الكلام عن التقليد والمرجعية، حينما يقولون أن الشيعة يقلدون مرجعاً خارج وطنهم فهذا يكون ثغرة في ولائهم، نحن نرى المسيحيين في مختلف أنحاء العالم يدينون في ولائهم الروحي إلى البابا، والبابا في الفاتيكان في إيطاليا فهل هذا يخلّ بولائهم لأوطانهم؟

□ **لكن لا يوجد لدينا مواطنون مسيحيون في الخليج.**

■ ليس في الخليج، في مختلف أنحاء العالم، هل أن المسيحين في أمريكا في أوروبا في مختلف أنحاء العالم الذين يدينون بولائهم الديني للبابا هل هذا يضعف من ولائهم لأوطانهم؟ الجامع الأزهر له مكانة في العالم الإسلامي، ومجتمعات إسلامية وخاصة في أفريقيا وفي بلدان كثيرة يعتبرون الجامع الأزهر مرجعية دينية

لهم، يأخذون منه الفتاوى والآراء، هل ينقص من ولائهم؟ عندنا في المملكة العربية السعودية المرجعية السلفية التي يتواصل معها أتباع الخط السلفي، والخط السلفي في الكويت وفي مختلف البلدان في باكستان ومناطق مختلفة، هل هؤلاء السلفيون الذين يتواصلون مع العلماء السلفيين في السعودية، هل هذا خلل في وطنيتهم، وفي ولائهم لأوطانهم؟

واسمح لي أن أكمل وأقول إن بعض التوجهات السلفية المتشددة هي التي يجب أن تتهم في الولاء لأوطانها، لأنها تأخذ أوامرها من جهات تمارس الإرهاب والعنف، هذه الجماعات والمجاميع السلفية والعنفية التي حصلت في بلدان عديدة من العالم الإسلامي، هؤلاء يمارسون العنف والإرهاب بتوجيهات من القيادات التي ينتمون إليها، لكن نحن لا نعمم نقول هذه توجهات متطرفة، فمسألة التقليد لا ترتبط بالولاء الوطني ولا الشأن السياسي.

□ **هناك من يقول بأن لدى الشيعة مفهوم ولاية الفقيه، وأن هذه الولاية تدخل في الجانب السياسي، وهي تتعارض مع مفهوم المواطنة؛ لأن المقلد سيفتي في الأمور السياسية؟**

■ أولاً ولاية الفقيه على مراتب في البحث الفقهي عند الشيعة، وهناك مرتبة متفق عليها، وهي في بعض الأمور الحسبية، وهناك الولاية المطلقة للفقيه، هذه لا يقول بها كل فقهاء الشيعة، إنما يقول بها بعض فقهاء الشيعة، وحتى ولاية الفقيه المطلقة فإنها تحترم الوضع السياسي في أوطان الشيعة، ولا تتدخل في الشؤون السياسية، وهذا ما رأيناه عمليًّا، ليس هناك مستمسك، وليس هناك أي مشهد من المشاهد، والآن نفترض في إيران من عهد الإمام الخميني، والآن عهد السيد الخامنئي المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، لا نجد أنهم يعطون أوامر للشيعة الذين يقلدون الإمام الخميني، أو السيد الخامنئي، فيما يرتبط بشانهم السياسي، وإنما هي قضايا ومسائل فقهية، فالموضوع ليس موضوعًا سياسيًا، الموضوع موضوع ديني، والتقليد هو في

المسائل الدينية.

حرب صدام

□ التصعيد الطائفي في الفترة الأخيرة أخذ شكلًا غير محمود بشكل قبيح جدًّا والصراعات المذهبية بدأت تأتي على السطح، ولن يقال بأن هذا التصعيد الطائفي لم يكن موجودًا في السابق، هل تؤيد أن التصعيد الطائفي زاد في الفترة الأخيرة؟

■ نعم، خاصة في منطقتنا الخليجية، كانت مجتمعاتنا تعيش حالة من الوئام، وحالة من العلاقات الحميمة في داخلها، في الكويت، في المنطقة الشرقية عندنا في المملكة، في البحرين، ما كانت هناك خلافات ونزاعات بين السنة والشيعة، كانوا يعيشون في مناطق واحدة، وكانوا يشتركون في أعمالهم، أيام الغوص كان من الشيعة ومن السنة مع بعض في سفينة واحدة، وفي عمل واحد، وكذلك في التجارة والزراعة، سابقًا ما كانت هذه الخلافات وهذه النزاعات القائمة الآن.

□ متى بدأت نقطة الخلاف إذا أردنا أن نحدد فترة زمنية كانت هي النقطة المفصلية التي بدأ بعدها التصعيد الطائفي يزداد؟

■ بشكل أساس بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، عندما انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، وحصلت الحرب العراقية، صدام شن الحرب على إيران ومن أجل أن يكسب موقف العرب وموقف المسلمين معه، صور الحرب على أنها حرب مذهبية وطائفية، وأن إيران الشيعية وأن هناك تصديرًا للمذهب الشيعي، وتصديرًا للثورة، وبدأ هناك ضخ إعلامي، وضخ ثقافي كبير، وهنا بدأت تصنع الأرضية الطائفية.

فعل ورد فعل

□ أنت تحمّل المشكلة إلى صدام، ولكن ألا ترى أن تصريحات بعض المسؤولين

الإيرانيين في قضية تصدير الثورة وغيرها أدّت أيضًا إلى انتشار هذا التصعيد الطائفي، وانتشار هذا القلق من التشيع ومن تصدير الثورة؟

■ أنا لست في موقع الدفاع عن كل المسؤولين وعن كل التصريحات الإيرانية، وبعض التصريحات بالطبع خطأ، وبعض الممارسات خطأ، يوجد من الطرفين حينما يكون هناك فعل يكون رد فعل، الفعل ورد الفعل صنع هذه المشكلة.

□ **هل ترى شيخنا بأن من الممكن أي حرب مقبلة والآن الانقسامات الطائفية الموجودة في العراق وغيرها من الحروب التي ممكن أن تشهدها المنطقة يمكن أن تكون هناك حرب بين إيران والولايات المتحدة أو إسرائيل وإيران؟ هل من الممكن هذه أن تساعد في التصعيد الطائفي في المنطقة؟**

■ نسأل الله أن يبعد المكارة والحروب، كفى المنطقة حروبًا، هذه المنطقة عانت من الحروب والمشاكل، حرب الخليج الأولى والثانية، آن لها أن تستقر، نسأل الله تعالى أن يبعد شبح الحروب والمكاره عن هذه المنطقة، ولكن بالفعل نحن نشعر بالقلق أن تجيّر بعض الأحداث السياسية لإثارة النعرات والمشاكل الطائفية، وهذا يؤثر على الوحدة الوطنية، ويؤثر على الموقف الوطني عند هذه الدول وهذه الشعوب.

□ **كيف نحصّن أنفسنا ونكون محصنين ضد أي فتنة طائفية قد تأتينا من الخارج بسبب حروب لا علاقة لنا بها؟**

■ في الواقع التحصين يحتاج إلى أمرين أساسيين:

الأمر الأول: على الصعيد السياسي أن يفعّل مفهوم المواطنة والمساواة بين المواطنين، بحيث لا يشعر أحد من المواطنين بأنه لم ينل حقوقه بسبب انتمائه المذهبي، الشعور بالغبن، أو الشعور بالحرمان، أو الشعور بانتقاص الحقوق بسبب الانتماء المذهبي، هذا ثغرة كبيرة يمكن أن تستغل، ويمكن أن ينفذ منها الأعداء والطامعون

إلى أوطاننا، ويثيروا الفتن والخلافات. على الحكومات أن تفعّل هذا المفهوم، وتعالج الثغرات، بعض الأجهزة التنفيذية قد تمارس أدوارًا تخالف هذه المباديء، على الدول والحكومات في مناطقنا وبلداننا أن تحقق مفهوم المواطنة والعدالة والمساواة بين المواطنين على اختلاف مذاهبهم، هذا يحصن ساحتنا الوطنية، ويحمي وحدتنا الوطنية.

ثانيًا: تعزيز ثقافة التسامح، وتجريم ثقافة التفرقة والتحريض على الكراهية، من خلال التشريعات، ومن خلال دور العقلاء في مجتمعاتنا، وأنا أعتقد أن علماء الدين والخطباء والدعاة في مجتمعاتنا يتحملون مسؤولية أساسية، عليهم أن يعيدوا النظر، بعضهم الذي لا يراعي هذا الجانب عليه أن يعيد النظر في موقفه وخطابه، كفانا إثارة لهذه الخلافات، هذه خلافات مذهبية لا تنتهي ولن تنتهي، ولو استمر فيها الجدل إلى يوم القيامة، علينا أن نتحدث إلى مجتمعاتنا وشعوبنا بما يساعدهم على الاندماج والتعايش.

□ **هل ترى بأن الخلاف الموجود حاليًا بين الفريقين هو خلاف عقائدي مذهبي أم هو خلاف سياسي؟**

■ في الأصل يوجد هناك خلاف في المجالين العقدي والفقهي، وإلا لما تعددت المذاهب، تعدد المذاهب بسبب تعدد الاجتهادات، توجد اجتهادات متنوعة متعددة، وعلى أساس هذه الاجتهادات قامت المذاهب، فهناك اختلاف عقدي في مسائل عقدية تفصيلية، مع الاتفاق على أصول العقائد، وهي الإيمان بالله تعالى، والإيمان برسالة النبي محمد ﷺ، والإيمان باليوم الآخر، والايمان بمرجعية الكتاب والسنة، الاصول متفق عليها، ولكن هناك خلافًا في تفاصيل المعتقدات، وأيضًا هناك خلاف فقهي، لا نستطيع أن نبسّط الأمور ونقول لا يوجد خلاف بين الشيعة والسنة، يوجد خلاف عقدي، ويوجد خلاف فقهي، ولكن لا يصح أن يتحول هذا الخلاف العقدي والفقهي إلى صراع سياسي واجتماعي، هناك صراعات سياسية تستغل الخلاف

العقدي والفقهي، تستغلها وتوظفها، وإلا فوجود الخلاف العقدي والخلاف الفقهي أمر قائم في تاريخ الأمة، ليس جديدًا وليس طارئًا.

□ **هل الخلاف خلاف سياسي؟**

■ إثارة الخلاف بهذا الشكل نعم لأغراض سياسية.

□ **بأي مصلحة؟**

■ مصلحة كسب جمهور، وتحصيل مواقع باسم هذه الطائفة وتلك الطائفة، أنا حينما أتحرك باسمي الشخصي وبكفاءتي قد لا أجد لي موقعًا أتحرك باسم طائفة وباسم مذهب حتى أجد لي موقعًا أنا أريد أن اكسب معي جمهورًا فأثير عنده هذا الدافع المذهبي الطائفي كثير من الخطباء الذين يتحدثون بنفس طائفي إنما يدغدغون مشاعر الناس، حتى يجدوا من يلتف حولهم، ولا أخصص مذهباً دون آخر.

□ **حتى لو أدى ذلك إلى ضرب الدين وتفريق وحدة الأمة؟**

■ هذه هي المشكلة، أن الإنسان يتوقف كيف أن هؤلاء يمارسون الطرح بهذا الأسلوب، وبهذه المنهجية التي تفرق الأمة، والخوف من الفتنة ليست مسالة نظرية، وقد رأينا الفتن أمام أعيننا في العراق ولبنان، ورأيناها في أفغانستان وباكستان، ونراها الآن في الصومال، وفي مناطق مختلفة، وبعناوين مختلفة، خلاف قبلي وخلاف قومي وخلاف مذهبي، لماذا نريد أن نوقع أوطاننا وشعوبنا في هذا الفخ، وفي هذا المأزق، وهذا النفق التي وقعت فيه مجتمعات أخرى؟.

□ **هل هناك من يغذي هذه الخلافات أم أن هذه الخلافات نابعة من أنفسنا نحن؟**

■ لا شك أن هناك من يغذي، هناك قوى سياسية خارجية وداخلية في الأمة، قد تجد أن من مصلحتها أن تغذي هذه الخلافات، وهناك جهات دينية ضيقة الأفق، ترى

ان هذه الخلافات هي التي تشد إليها الأتباع، تشد إليها المريدين وهناك مستفيدون من هذه الخلافات.

تباينات سياسية

□ **الحديث عن قضية اتهام الشيعة بالانتماء لجهات خارجية في بعض الأحيان يتهم الشيعة بأنهم موالون لإيران نأتي إلى شيعة العراق يتهمون بأنهم مواولون لأمريكا إيران وأمريكا هما متناقضان كيف يتم الاتهام بشيئين متناقضين ؟.**

■ هذا السؤال يجب أن يوجه لمن يقول هذا ويطرح مثل هذا التشكيك، وأعتقد أن من يطرحون هذه التشكيكات وهذه التساؤولات هم في أعماقهم يعلمون أنها لا واقعية لها، وأنهامجرد تهريج إعلامي، وأنها مجرد أخذ نقاط على الطرف الآخر، أما على صعيد الواقع لا شيء يثبت ويوثق مثل هذا الأمر، حتى في داخل إيران نجد أن هناك تباينات في الآراء السياسية، بعد الانتخابات الأخيرة حصلت تباينات سياسية هل هناك ولاء لجهة أخرى؟.

□ **الحكومـة الإيرانيـة تتهم بعض الأشـخاص في داخل إيران أنهـم موالون لجهات خارجية .**

■ تتهم أن جهات تغذي مثل هذه الأمور، لكن أريد أن أقول إن هناك تغطية أو إعطاء غطاء لمثل هذه الصراعات وإدانة للطرف الآخر دون أن يكون هناك مستمسكات حقيقية.

تاريخ التشييع

□ **ألا تعتقد أن هذا الاتهام يثبت بأن الشيعة فئة «براغماتية» تنتفع سواء كان من إيران أو الولايات المتحدة في سبيل تحقيق مصالحها؟**

■ في الجانب السياسي هذا صحيح، ومن حق أي إنسان أن ينتقد دولة أو حزبًا سياسيًا، ولكن ليس من الصحيح أن ينتقد مذهباً، وينتقد طائفة بكاملها، المجال مفتوح، إنسان عنده إشكال على موقف سياسي لحزب معين شيعي في العراق، أو لدولة شيعية في إيران، النقد على الصعيد السياسي، والاعتراض على الصعيد السياسي أمر قائم، ولكن إعطاؤه الصفة المذهبية الشيعة والمذهب الشيعي هذا ما نعترض عليه، أما أن يكون هناك خلاف سياسي، واعتراض سياسي على تلك الدولة، على هذا الحزب، هذا أمر قائم، تحليل سياسي، ورأي سياسي، وصراع سياسي، لكن لماذا تعمم ويكون هناك كلام حول الشيعة من أصولهم ومن آبائهم ومن أجدادهم ومن أسلافهم من معتقداتهم؟ هذا تهريج وليس صحيحًا.

□ **هناك من يقول إن ولاء الشيعة لإيران لأن التشيع أصلًا ظهر من إيران؟**

■ كل من يقرأ التاريخ يعرف أن التشيع جاء إلى إيران، وإيران لم تكن بكاملها شيعية، التشيع انتقل إلى إيران من البلاد العربية، والتشيع في الأصل من الحجاز، أهل البيت ﷺ كانوا في الحجاز، وعندنا في الخليج التشيع في البحرين وفي المنطقة الشرقية تشيع تاريخي من العهود الأولى، وكان علماء للشيعة من لبنان انتقلوا إلى إيران، ونشروا التشيع، علماء للشيعة من الأحساء، أحد علماء الأحساء وهو الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي هاجر إلى إيران فترة، وكان ربع الشعب الإيراني يقلده، كان شاه إيران يقلده، الذي يتحدث هذا الحديث لم يقرأ التاريخ ولم يعرف التاريخ.

إضافة إلى أننا في المجال الديني نعتقد أن الفكر الديني والحضارة الإسلامية لا تقيدها جغرافية، ولا يقيدها عرق، وأهل السنة يعتمدون صحيح البخاري هل هو عربي؟ هل هو من البلاد العربية؟ البخاري ليس عربيًا، فكبار العلماء في الفقه والحديث من مختلف الشعوب الإسلامية، كمسلمين الحضارة الإسلامية اشتركت كل الشعوب الإسلامية في صنعها، ولذلك مصادرنا في التفسير الزمحشري، الطوسي، الطبرسي، علماء من مختلف البلدان، إثارة هذا الموضوع وإثارة هذا الطرح، هو لأغراض ليس

إلا والجميع يعلم أن الفكر الإسلامي والتراث الإسلامي يتجاوز الحدود القومية والعرقية.

موجات الفتن

□ **الشيخ حسن الصفار يبذل جهدًا كبيرًا في سبيل الدعوة للوسطية ولكن عندما نأتي إلى أرض الواقع ما الذي استطاع الشيخ حسن الصفار أن يحققه من خلال دعوته للوسطية هل تحقق شيء ملموس؟**

■ المسألة ليست مسألة شخص، هناك مسيرة من قبل الواعين المصلحين في الأمة يدعون للوحدة، وأنا مجرد طالب صغير ضمن هذه المدرسة، ولم تبدأ الدعوة إلى الوحدة والتقارب مني، ولن تنتهي بي، هناك أجيال من العلماء المصلحين من الشيعة والسنة حملوا هذا اللواء، وطرحوا هذه الدعوة، واستطاعوا أن ينشروا هذا الوعي في أوساط الأمة، وأن يضعوا حدًّا للإثارات والفتن، ولكن هناك أمواجًا عاتية في بعض الأحيان تأتي موجة عاتية، ونحن نعيش في هذه الظروف، هناك موجات من الفتن الطائفية لأسباب داخلية خارجية.

□ **هل استطعتم التصدي لهذه الموجات من الفتن؟**

■ إن شاء الله القوى الواعية في الأمة تتعاون وتتصدى اتّكاء على مبادئنا الإسلامية، واتّكاء على وجدان هذه الأمة، إن شاء الله نتصدى لهذه الفتن.

دعوة الوحدة

□ **هناك من يتهم الشيخ حسن الصفار بأنه أفرط في جانب الدعوة إلى الوسطية وأن هذه تعد انهزامية منك؟**

■ مجال الاتهامات مجال مفتوح، ولكن المسألة هي الأدلة والبراهين، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ

فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾، ما ينفع الأمة هو الدعوة إلى الألفة والوحدة، هذه الدعوة تجد سندها في القرآن الكريم وهو يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ الذي يدعو إلى الاعتصام بحب الله، والذي يدعو إلى التمسك بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، نحن نتمسك بهذه الدعوات القرآنية الإلهية ومستعدون أن ندفع الثمن.

حراك ثقافي

□ **ومن خلال دعوتك للوسطية هل استطعت أن تقنع الشارع السعودي بالجمع بين العقيدة والمواطنة؟**

■ هناك حراك ثقافي قوي في الشارع السعودي، وأنا أعتقد أن الحراك الثقافي الذي يجري في المملكة الآن وفي أعماق المجتمع السعودي، لا يضاهيه أي حراك في المجتمعات العربية الأخرى؛ لأن المجتمعات العربية الأخرى يكاد المشهد قد تشكّل فيها، ولكن في المملكة الآن المشهد الثقافي والاجتماعي في طور التشكل الآن، هناك والحمد لله أصوات واعية كثيرة في داخل المملكة، ومن يتابع الصحافة يجد أن هناك طروحات وسطية ومعتدلة، وإن كان صوت التشدد ظاهراً؛ لأنه صوت عال، وصراخ يبدو وكأنه سيد المشهد، في الواقع هناك أصوات إيجابية.

□ **هناك أصوات خافتة مقابل الصوت العالي يدعو إلى الفتنة؟**

■ عادة هؤلاء المتطرفون صوتهم يكون رفيعًا وعاليًا، سواءً كان على المستوى السياسي أو المستوى الديني وهذا أمر طبيعي.

طرح وطني

□ **كان لكم مقال بعنوان «فتنة التكفير من جديد» فهل تراها تستغل لضرب الوسطية سواء في المملكة أو المنطقة ؟**

■ أعتقد أن هناك من أغاظهم وجود طرح وطني، ووجود تواصل بين كل الأطياف الوطنية، وخاصة أن خادم الحرمين الشريفين طرح مشروع الحوار الوطني، ومشروع حوار الأديان، وهذا الطرح أغاظ بعض الأطراف، لذلك هم يثيرون المشاكل لعرقلة مثل هذا الطرح، ولكن نأمل أن الفئة الواعية في المجتمع تتصدى لمثل هذه العراقيل، ولو على المدى الطويل.

□ **في مجالسكم العاشورية والحسينية الأخيرة استضفتم بعض مشائخ وعلماء من الأخوة السنة وبعضهم من الفكر السلفي، هل هذا نتيجة دعوتكم للوسطية؟**

■ مما يسعدنا ويبعث الأمل في نفوسنا أننا نجد أن إخوة لنا من أهل السنة، حتى من أتباع المدرسة السلفية يتزاورون معنا، ويدعوننا لزيارتهم، كانت هناك نظرة تحاول أن تشوّه المراسيم التي يقوم بها الشيعة أيام عاشوراء، وتخلق أكاذيب وأشياء مفتعلة حولها، ومنذ ثلاث سنوات تشكّلت مجموعة شباب من القطيف والأحساء تحت عنوان «لجنة التواصل الوطني» يقومون كل عام قبل أيام المحرم بتوجيه دعوة إلى إخواننا أهل السنة في المملكة من مناطق مختلفة، من الدعاة والمثقفين والصحفيين ومن الصحفيات والمثقفات لزيارة القطيف أيام عاشوراء، وحضور المجالس، ومشاهدة الفعاليات، والحمد لله للسنة الثالثة على التوالي يأتيننا مجاميع ممن يستجيبون للدعوة، ويحضرون المجالس، وبالتالي تكون انطباعاتهم من خلال مشاهدتهم، لا من خلال النقولات التي قد يسمعونها من هنا وهناك، وقد لمسنا أثراً إيجابيًا لذلك.

تطور عصري

□ **كان لكم كتاب بعنوان «السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل» هل هذا الكتاب برأيك أنه يعدّ من القصص الخيالية التي لا تستطيع تحقيقها على أرض الواقع؟**

■ لا أعتقد ذلك، فالأمة تعيش تطورًا جيدًا في عصرنا الحالي ارتفع مستوى الوعي والإدراك لحجم التحديات القائمة، وهناك توجهات اعتدال للطوائف والمذاهب، وعملياً هذا الكتاب استقبل من بعض الأطراف السلفية، وزارنا الدكتور «محمد النجيمي»، وهو معروف ضمن الحالة السلفية، وتحدث عندي في منزلي، وكان معه تسخة من الكتاب، و قال إنه قرأه أكثر من مرة، وقال أنا مع هذه الدعوة، ومع هذا الطرح، نحن ينبغي أن نتفاءل، وأن نعمل من أجل أن يتحقق طرح هذا الكتاب، هناك مكاسب وإنجازات كبيرة، ولكن يجب أن يكون نفسنا طويلًا؛ لأن خلفنا تاريخًا وتراثًا فيهما ما يدعو إلى القطيعة، وما يدعو إلى الصراع والنزاع والخصومة، ولتجاوزه نحتاج إلى النفس الطويل.

المتشدد السلفي

□ **لماذا دائمًا عند الشيعة تجد حساسية تجاه التيار السلفي والفكر السلفي؟**

■ في الواقع لأن هناك تشددًا في المدرسة السلفية تجاه الشيعة، وللانصاف المدرسة السلفية في الغالب لديها مواقف حادة من مخالفيهم في الرأي سواء من الشيعة أو غيرهم، ولكن لا يصح أن نعمم، ونحن نراهن على التوجهات الوسطية والمعتدلة في المدرسة السلفية، كما أنني لا أنفي وجود وجهات متشددة ومتطرفة ضمن الشيعة، وحالة التشدد والتطرف في الجانبين لا يمكن أن يلتقيا، ولا يمكن أن تتحسن العلاقة بين المتشددين الشيعة والمتشددين السنة، نحن نراهن أن تكون العلاقة الطيبة حينما يكون هناك اتجاه معتدل في السلفيين واتجاه معتدل في الشيعة.

□ **أنت تحمّل أيضًا الشيعة المسؤولية من ناحية تشدد الشيعة من ناحية السلفية؟**

■ طبعًا التطرف موجود عند كل الأطراف، ولكن حجمه يتفاوت، وتأثيره ونفوذه يتفاوت، لكن توجد أصوات متطرفة ومتشددة أيضًا من الشيعة، لا نستطيع أن ندين فقط التطرف والتشدد الموجود عندهم، عندنا أيضًا بعض الأصوات المتطرفة والمتشددة، نحن نرفضها وندينها، القرآن الكريم يأمرنا بأن نكون منصفين ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ نحن ندين التشدد وندين الأصوات المتطرفة سواءً انطلقت من حنجرة شيعي أو حنجرة سلفي، هناك تفاوت في المساحة وتفاوت في مستوى النفوذ.

اتجاهات تكفيرية

□ **هل ترى أن أكثر الخلافات حدة بين الطوائف هي بين الشيعة والسلف؟**

■ نعم، في هذه المرحلة بؤرة الخلاف الأشدّ هي بين هاتين الدائرتين، أما الجهات الأخرى فهناك مساحات للتلاقي بين الشيعة والسنة في مختلف المدارس ومختلف المذاهب، وقلت بالنسبة للسلفيين الاتجاه المتشدد فيهم ليس فقط تجاه الشيعة مثلاً تجاه الصوفية أيضًا هناك معركة.

□ **ولكن أيضًا تجد بعض الشيعة يطلق وصف التكفيريين على من يعتنق المذهب السلفي؟**

■ التعميم خطأ، ليس كل السلفيين تكفيريين، هناك اتجاهات تكفيرية والسلفيون يعانون من هذه الاتجاهات التكفيرية، وكلامنا لماذا تكون إدانة للجهات التكفيرية في بعض المجالات ولا يكون لها إدانة في المجالات الأخرى؟ يجب أن ندين من يكفّر أحدًا من المسلمين، إذا كان هناك سلفي يكفّر الشيعة فيجب أن يدان، وليس فقط يدان من يخرج عن النظام السياسي، عندنا في المملكة هناك فتاوى صدرت من هيئة كبار

العلماء ضد التكفيريين، الذين كفّروا الدولة السعودية وكتبوا كتبًا في تكفير الدولة السعودية، صدرت فتاوى ضدهم، نقول أيضًا على نفس المستوى يجب أن تكون هناك إدانة لمن يكفّر أحدًا من المسلمين، من يكفر الشيعة والصوفية والليبراليين هذا تكفير أيضًا ولا يصح أن يحصل.

التواصل مع السلطة

□ **كيف ترى علاقة الشيعة في السعودية بقيادة المملكة والحكم؟**

■ الشيعة كمواطنين لهم علاقتهم مع الحكومة كبقية المواطنين، يتواصلون مع قياداتهم، ويريدون عزة وتقدم بلدهم، وتعزيزًا للوحدة الوطنية، وإذا لاحظ الشيعة أن هناك سياسات تميزية بين المواطنين على أساس انتماء مذهبي، فإنهم يتواصلون مع السلطة لمعالجة هذه المشكلة، والعيش كما يقرر النظام السياسي في الدولة على حدِّ المساواة.

□ **هل أنت تواصلت مع السلطات السياسية بقضايا تمييز مذهبي؟**

■ التواصل قائم، والقيادة السياسية تؤكد عدم قبولها التمييز بين المواطنين، ونحن في سعي لتجاوز هذه المشكلة، ولا يخلو أي بلد من مشاكل، ولكن في الماضي كان يكون هناك تستر على المشاكل الموجودة، ولكننا في عصر بدأت الدولة أكثر ثقة بنفسها ولا ترى مشكلة بطرح المشاكل التي تعيشها على الصعيد الوطني، وقد مرّ علينا زمن كان الحديث فيه عن فقر وفقراء في المملكة أمرًا مرفوضًا، ثم بادر خادم الحرمين الشريفين إلى طرح المشكلة، وزار بعض بيوت الفقراء، وتحدث عن الفقر في المملكة، ووجوب التصدي له، وبدأ الناس يتحدثون عنها وكان قبل مبادرة الملك لا أحد يجرؤ على الحديث عن وجود فقراء في المملكة.

وكذلك قضية حقوق الإنسان فسابقًا لم يكن لدينا جمعيات أو مؤسسات تتحدث

عن انتهاكات حقوق الإنسان وتعمل من أجل حمايتها، والدولة فيما بعد شجعت إنشاء «الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان» و«هيئة حقوق الإنسان» وتصدر تقارير داخل المملكة، فحينما نتحدث عن وجود بعض المشاكل الطائفية في المملكة إنما هو بهدف ترسيم الحالة، وتحقيق الوحدة الوطنية بالتواصل مع المسؤولين، والقيادة تؤكد المساواة بين المواطنين.

في مناطقنا

□ **هل يسمح لكم كشيعة ممارسة شعائركم داخل المملكة؟**

■ في مناطقنا الأحساء والقطيف نعم، وعندنا مساجدنا وحسينياتنا، ولكن هناك مشكلة في الوجود الشيعي خارجهما، ولا تزال بعض الجهات لا تسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، ونأمل إن شاء الله معالجة هذه المشكلة.

مساجد للشيعة

□ **طالبتم ببناء مساجد للشيعة ولكن كان الرد أن المساجد مفتوحة فلماذا لا تصلون بها؟**

■ في القطيف والأحساء تبنى مساجد للشيعة، وهي كبيرة وضخمة، لكن خارج المنطقتين لا نزال نواجه تلك المشكلة، وقد حاول بعض الشيعة الصلاة في مساجد أهل السنة ولكن هناك من يتعمد الاحتكاك وإثارة المشاكل وبالتالي تفتح مجالًا للنزاع وقد حدثت مثل هذه الأمور.

إضافة إلى ذلك أن صلاة الجماعة هي فرصة للتبصير بالمسائل الشرعية، فهم بحاجة إلى إمام يبصرهم بمسائل دينهم، فيحتاجون إلى أن يكون لهم مسجد خاص بهم، وعندما يحصل لقاء مشترك بين سنة وشيعة يصلون مع بعض، وأنا لدي كتيب تحت عنوان «صلاة الجماعة مظهر الوحدة والتآلف» أدعو فيه الشيعة إلى مشاركة

السنة صلاتهم إذا ما وجدوا معًا، وهذا ما تؤكده أحاديث أهل البيت عليهم السلام وما يفتي به مراجع الشيعة وفقهاؤهم.

□ **إذن أنت تدعو الشيعة إلى أن يؤدوا صلاة الجماعة مع أهل السنة؟**

■ إذا حصل أي لقاء مشترك بين السنة والشيعة لا تكون هناك جماعتان، الشيعة يصلون مع السنة، لكن الشيعة المتواجدين في أحياء، والساكنين في مكان من حقهم أن يكون لهم مسجد يصلون فيه جماعة، ويكون لهم إمام يتلقون منه دروسهم الدينية ومسائلهم الشرعية، عندنا في مدينة القطيف كلها من الشيعة يوجد بعض القرى سنة، وهناك مساجد سنية في القطيف الشيعية يصلون فيها، فلماذا لا يكون للشيعة في المناطق السنية مساجد يصلون فيها؟، هذا حق ولو كانوا خمسة فقط، فما هي المشكلة؟!

أليس من «العيب» أن يكون للجاليات الإسلامية في الغرب مسجد يصلون فيه على اختلاف مذاهبهم، ونحن في بلادنا الإسلامية الشيعة يشعرون بمضايقات داخل مناطق السنة، والسنة يشعرون بمضايقات بمناطق الشيعة؟ هذا أمر يجب أن تتجاوزه بلادنا، أنا أدعو إلى أن السنة في كل مكان من حقهم أن تكون لهم مساجدهم في المناطق الشيعية، وأنا أرفض أن يمنع سنة من بناء مساجدهم، وأيضًا أرفض أن يمنع شيعة من بناء مساجدهم في مناطق سنية، فالشيعي في المملكة العربية يجب أن يشعر بأنه في وطنه؛ لأن هناك شراكة في كل ذرة من تراب الأرض، وكذلك السني، هذا ما ندعو إليه ويتحقق بالقيادة السياسية الواعية وبالجهود المخلصة من أبناء الوطن.

تشويش إعلامي

□ **عندما أُقيم «مؤتمر الحوار الوطني» وهو من جملة إصلاحات قامت بها المملكة قوبلت هذه الإصلاحات بالتشويش من بعض وسائل الإعلام، لماذا؟**

■ هذا التشويش؛ لأنهم لا يريدون للمشاريع الوحدوية أن تنجح في مجتمعاتنا، يريدون إشغالنا بالخلافات، ولا يريدون لنا أن نتحد في وحدة وطنية، وعندما بدأ الحوار الوطني في المملكة كانت بدايته قوية وجادة، ولكن حصل فيه انشغال فيما بعد بقضايا أخرى، فمسألة الوحدة الوطنية على اختلاف المذاهب والأفكار تجمّد البحث فيها.

□ **هل هذا كان بفعل تجميد الوسطية وضرب الوسطية أم نتيجة الانشغالات بالصراعات الأخرى؟**

■ لا يعرف سبب التباطؤ، وعلى الرغم من تفاؤلنا، وكنا نتوقع أن يقطع شوط أكبر مما حصل، ولكننا نأمل أن تتجدد مسيرة الحوار الوطني، خاصة أن الملك مهتم بهذا المشروع، والإدارة المشرفة عليه أسمع عنها كلامًا طيبًا على هذا الصعيد، نأمل أن تتجدد روح الحوار الوطني ومسيرة الحوار الوطني.

تباطؤ في الحريات

□ **وماذا عن مستقبل الحريات في المملكة العربية السعودية ومنطقة الشرق الأوسط؟**

■ هناك تباطؤ كبير في مسألة الحريات في الوطن العربي، كما نقرأ في تقارير حقوق الإنسان، لا يزال عند كثير من السلطات حذر من حالة الحرية مع أن الحريات هي ما تعزز حالة الاستقرار.

□ **لماذا هذا الحذر من الحرية؟**

■ هذا حذر ناشيء من خلفية تاريخية وثقافية معينة، ونأمل أن تكون الأنظمة في الدول العربية والإسلامية تنبثق من إرادة الشعوب، وبالتالي لا تخشى من إرادة شعبية جاءت من حريات الناس، والخشية تأتي لوجود تصور أن الحرية تجعل الناس يسقطون النظام.

□ **أليس هذا التوجه صحيحًا؟**

■ لا يفترض هكذا؛ لأن الناس أيضًا عليهم أن يتعاملوا مع الحرية بمسؤولية، فقد جربنا في العالم العربي الانقلابات العسكرية والصدامات، وآن لنا أن نتجاوز هذه المرحلة، بأن تتفهم الحكومات تطلعات الشعوب، وأن تتفهم الشعوب ضرورة وأهمية الاستقرار، وبالتالي يكون هناك إصلاح سياسي ومشاركة شعبية واسعة، حتى نتجاوز هذه الحالات.

ضرب الاستقرار

□ **تقارير حقوق الإنسان بإعطاء الأقليات حقوقها ألا يعتبر ذلك تدخلًا في الشأن الداخلي للبلاد؟**

■ تعريف الأقليات يحتاج الى نقاش، ولكن إذا كانت تصدر من مؤسسات تهتم بالشأن العالمي وتابعه للأمم المتحدة فهذه منظمات مهمتها أن تصدر هذه التقارير، في الغالب هذه غير متهمة، وهناك محاولات للتأثير السياسي من قبل دول على توجهات هذه المنظمات وعلى تقاريرها لتكون في خدمة الدول الكبرى.

□ **إذن أنت ترى أن بعض التقارير التي تصدر من الدول هدفها ضرب الاستقرار؟**

■ في بعض الأحيان قد يكون الهدف كذلك، ولكن لا ينفي ذلك وجود مشاكل في أوطاننا، وعلينا عدم الخلط بين الأمرين، فتسييسها لا يعني عدم صحتها، فمنها الكثير يحتوي على معلومات صحيحة.

□ **ألا تعتقد أن هذا حق يراد به باطل؟**

■ وفي بعض الأحيان نعم، وهناك من يستغل هذه التقارير، ولكن علينا ألا نأخذ موقفًا سلبيًا من هذه المنظمات الدولية، الأمم المتحدة والمنظمات المنبثقة عنها،

وعلينا تفعيل دورنا فيها، ونكون على تواصل معها؛ لأنها باسم الإنسانية والبشرية، ونحن جزء من البشرية فلماذا نغيب ونتباطأ في التواصل معها ليستغلها الآخرون ضدنا؟

الليبراليون مسلمون

□ **هناك دعوات من التيار الليبرالي في السعودية بالانفتاح هل أنتم كتوجه إسلامي تنسق مع هذه التيارات أم أنك لا تفضل الخوض مع هذه التيارات لأن توجهاتها غير إسلامية؟**

■ أنا بعيد عن التصنيفات وليس لديَّ مشكلة مع الخلفيات الفكرية لأي شخص، عندما يكون الطرح لخدمة الوطن.

أتعاطى مع كل الأطراف سواء شيعية أو سلفية أو ليبرالية، وبالتالي لا نستطيع أن نقول أن الليبراليين غير مسلمين.

□ **عرف عن التيار الليبرالي أنه مطالب بفصل الدين عن الدولة؟**

■ هذه وجهة نظر عندهم يناقش فيها، وفي الصحافة السعودية طرح عدد من المفكرين والدعاة والعلماء آراءهم، وهو أمر مطروح للبحث، لكننا لا ننفي فكرة صالحة ومناسبة؛ لأن مطلقها ينتمي لمدرسة فكرية معينة، نحن نقول ينبغي أن يتعاطى الناس بمختلف طوائفهم ومدارسهم بما يخدم مصلحة الوطن وشأنه، أنا ضد هذه التصنيفات، وأرى هذه التصنيفات ليست واقعية.

مانع شرعي

□ **هل أنتم مع تمكين المرأة من قيادة السيارة في المملكة العربية السعودية؟**

■ هذه المسألة لها جانبان: جانب قانوني ونظامي يجب أن يأخذ مداه بما تقرره

وتقننه الحكومة. لكن على المستوى النظري الفكري لا أجد في الشرع مانعًا من قيادتها للسيارة، يبقى الموضوع على مستوى قبول المجتمع وهذا بحث آخر، المجتمع الذي أعيش ضمنه لم أرصد ولم أشعر بأن الناس لا يقبلون مثل هذه الفكرة، بل يبحثون عن حل لهذه المشكلة، وهي جزئية من قضية المرأة في العالم الإسلامي والعالم العربي التي هي أوسع من مسألة قيادة السيارة.

دعوات الانفصال

□ هناك بعض الأقليات إذا جئنا إلى اليمن قد تطالب الحوثيين بالانقسام كما كان حادث سابق للشمال والجنوب، وإذا جئنا للعراق هناك متوقع أن تكون العراق من ثلاثة أقاليم: شيعة وسنة وأكراد، وفي إيران الآن الاهواز يطالبون بالانفصال، في السودان في الصومال.. من أين أتت تلك المطالبات من قبل الأقليات في الانقسام والانفصال عن دولهم؟

■ في الغالب يكون السبب الشعور بالغبن والحرمان حين تشعر هذه الفئات بأنها لم تأخذ حقوقها، وأن هناك جهات مهيمنة عليها، وليست مشاركة في صنع القرار، كل ذلك أرضية لمثل هذه الدعوات، ولكنني أعتقد أنها من أسوأ الأخطار على أمتنا وشعوبنا.

□ لماذا؟

■ العالم يتجه نحو التكتلات والاتحاد مثل الدول الأوروبية، ونحن ننتمي إلى دين يدعو إلى الوحدة والتعاون والتكافل، فأيّ طرح للتجزئة يخالف الدعوة الدينية.

ومن ناحية أخرى يخالف مصلحة المجتمعات، وفي الاتحاد قوة كما في أوروبا، فكيف نريد تجزئة المجزء وتقسيم المقسم؟ هذه دعوات نعوذ بالله منها، ونأمل ألا تلقى صدى في أوطاننا، نحن ندعو إلى تعزيز الوحدة، وسدّ الثغرات التي تدخل

منها هذه الدعوات، فمثلًا من وجهة نظري، ولا أتدخل في الشأن العراقي، الأكراد كانوا يعانون، والآن لا مبرر لهم فرئيس الجمهورية في العراق كردي، إذن لا يستطيع الكردي أن يتكلم في العراق أنه مظلوم ولم يأخذ حقه وله حصته في الدولة، فوجود هذا الاشتراك في القرار والتمثيل السياسي لكل الأطراف والأطياف، يسدّ الثغرات، ويمنع الأقليات من هذه المطالبات.

□ **هل ترى أن هذه المطالبات مدفوعة من قبل جهات خارجية؟**

■ لا شك أن الجهات الخارجية تستفيد من الثغرات، وتحاول النفوذ من خلالها ولكنني ضد أن نلقي باللائمة دائمًا على الخارج، وكأننا أناس طيبون ولا يوجد لدينا مشكلة، والخارج هو من يريد بنا الخراب.. لا، فنحن لدينا مشاكل وثغرات، ورحم الله «مالك بن نبي» كان يستخدم تعبير «القابلية للاستعمار» هناك استعمار وهناك قابلية للاستعمار، هناك مؤامرات وهناك قابلية لإنجاح هذه المؤامرات، وعلينا أن نحصن أجواءنا وواقعنا حتى لا ينفذ الأعداء إلينا.

هاجس المؤامرة

□ **ألا ترى شيخنا أننا نعيش هاجس المؤامرة، وكلما صار شيء قلنا هناك مؤامرة علينا وننفي التهمة هذه عن أنفسنا؟**

■ هذه مشكلة كبيرة، نحن ابتلينا بهذه العقلية، نتصور أن الآخرين لا همّ لهم إلا التآمر علينا، بينما لو نظرنا إلى الوضع العالمي نجد أن هناك تنافسًا أكبر من حالتنا التي نعيش فيها، التنافس الاقتصادي بين أمريكا والصين، وبين اليابان وأوروبا وأمريكا والدول الكبرى وروسيا، هناك تنافس ومصالح سياسية واقتصادية كبرى. نحن نتصور وكأن الآخرين لا همّ لهم سوى التآمر علينا، هذه مبالغة، لا شك أن الآخرين إذا رأوا مجالًا ليفرضوا هيمنتهم يستفيدون من هذه الفرص، ونحن علينا أن نعمل لتقوية واقعنا للانطلاق، ما هو مشروعنا نحن؟ وما هو برنامجنا؟ ليس لدينا أية مشاريع

عربية أو إسلامية، والآخرون لديهم مشاريع هيمنة علينا والاستفادة من ثرواتنا لخدمة مشاريعهم، المشكلة فينا نحن.

المشروع الإسلامي

□ **كيف يمكن للمشروع الإسلامي أن يوحّدنا؟**

■ المشروع الإسلامي الذي نتحدث عنه أن هذه الأمة الكبيرة بهذا الكم البشري الكبير، مليار واربعمائة مليون نسمة موجودون في منطقة واسعة من الأرض، وبمختلف القارات، إذا استطاعوا إيجاد أواصر وحدة وتعاون بين الدول والحكومات، يستطيعون أن يعملوا كثيرًا لمصلحة اقتصادهم واستقرارهم السياسي وتقدمهم التكنولوجي، الأوربيون ماذا يصنعون في اتحادهم الأوروبي؟ علينا أن نفكر في مشروع إسلامي فيه تعاون وتكاتف يجعلنا كتلة بارزة في هذا العالم.

اللوبي الصهيوني

□ **بعد تولي أوباما لسدة الحكم في الولايات المتحدة الامريكية كيف ترون إلى السياسية الأمريكية الجديدة إلى المنطقة وإلى الإسلام بشكل خاص؟**

■ هناك تفاؤل بخطابي أوباما في القاهرة وتركيا؛ لوجود نظرة تصالحية إيجابية فيهما، ولكن المشكلة أن أمريكا لا يديرها شخص، فهي دولة مؤسسات، وهناك قوى سياسية واقتصادية، تعمل من أجل أن تكون السياسة الأمريكية في خدمة مصالح هذه القوى، ومشكلتنا الأساس كعرب ومسلمين هي في دعم أمريكا للكيان الصهيوني، وكان أملنا من خلال خطابه أن يضع يده على الجرح وهو يتحدث عن موضوع الاستيطان وتوقيف الاستيطان من قبل إسرائيل، ولكنه تراجع عن هذا الأمر.

□ **هل تجدون أن هذا كلامًا يذهب هباءً منثورًا؟**

■ هناك توازن قوى في أمريكا من اللوبي الصهيوني والقوى الأخرى، قوى ضاغطة مؤثرة، وللأسف التأثير العربي والإسلامي يكاد يكون منعدمًا، ليس هناك تفعيل للقوى العربية والإسلامية حتى تخلق حالة من التوازن، وهذه مشكلة كبيرة، هم ينظرون إلى المنطقة من خلال هذا العدو الصهيوني، ويدافعون عن أمن إسرائيل ويسعون إلى تفوقها.

وحتى موقفها المتشدد من النووي الإيراني إنما هو لعيون إسرائيل وحمايتها، وما لم تحل هذه المشكلة باتخاذ أمريكا موقفًا أقرب إلى العدل، ورعاية حقوق الفلسطينيين في ظل التعنت الإسرائيلي، أظن التأزم سيبقى قائمًا وله تداعياته وانعكاساته.

انحياز أمريكي

□ اعتبر الرئيس الأمريكي «أوباما» أن منابع الإرهاب قد انتهت ولكنه ركّز على الإرهاب في أفغانستان؟

■ واضح أننا ندين الإرهاب، لسنا مع الإرهاب، لكن المشكلة أن هناك احتقانًا وتأزمًا عند المسلمين وهم يرون هذا الانحياز الأمريكي والغربي لإسرائيل، والمجازر التي ترتكبها، كما حصل في عدوانهم على غزة، والحصار القائم الآن عليها، كل هذه الأمور تفجر المشاعر والأحاسيس عند المسلمين، وهو ما يصنع أرضية للإرهاب والتطرف، ونحن ضد الإرهاب، ولكن نقول للأمريكيين والغرب أن هذه المعالجة التي تسلكونها ليست معالجة جذرية.

□ ولكن شيخنا أنتم هكذا تبررون الإرهاب؟

■ لا نبرر، نحن نقول يجب أن تسقط كل تلك الذرائع وتسقط الحجج من أيدي هؤلاء الذين يستقطبون الشباب والمتحمسين، والحل يكمن في حل جذر المشكلة وهي القضية الفلسطينية، ونحن ندين الإرهاب، ولكنهم بسياستهم الظالمة هم من

يغذونه. والإرهاب يتغذى بهذه السياسة الظالمة.

إيقاف الاستيطان

□ وهل يملك أوباما مقومات للوقوف ضد إسرائيل وتحقيق السلام في الشرق الأوسط؟

■ إذا أراد أن يكون رئيسًا متميزًا لأمريكا، وإذا أراد أن يسجل نفسه في سجل الرؤساء الأبطال ومن أصحاب القرارات يجب أن يضع حدًّا للنفوذ الصهيوني في دوائر السياسة الأمريكية، وأن ينحاز إلى الحق، فنحن لا نطالب بأن يكون هناك تحول مفاجئ، على الأقل إيقاف الاستيطان، وإشعار العرب بأن هناك ضوءًا في نهاية النفق.

حصار فلسطيني

□ ألا تعتقد أن على الفلسطينيين أن يتوحدوا حتى تكون هناك مبادرة من الموقف العربي كعرب نحن منقسمين لذلك لا يجب أن نحمل الجانب الأمريكي بأنه أخفق لأننا بالأساس نحن متفككين؟

■ هم يريدون للتفكك الذي نعيشه أن يبقى، ويمنعون الأجنحة الفلسطينية من الالتقاء، ويعتبرون أن أي حوار بين السلطة الفلسطينية وحماس يجب أن يكون ضمن شروط تفرض على حماس، وبالتالي يضعون المعوقات للتصالح والمصالحة الفلسطينية بالشروط التي يفرضونها هم.

□ الفرقاء الفلسطينين كل طرف يحمل الطرف الآخر مسؤولية فشل الحوار ولا نجد أحدًا يحمّل الولايات المتحدة فشل الحوار؟

■ كل طرف يحمل الآخر الفشل، فإن الطرف الآخر ليس حرًا في اتخاذ القرار، هناك تدخلات تريد أن تسير المسألة باتجاه معيّن، حتى لو كان هناك انقسام في الساحة

الفلسطينية، قصية الاستيطان ما ربطها بهذه المسالة؟ وما ربط موضوع الاستيطان بالانقسام الفلسطيني؟ إسرائيل في كل يوم تقضم أراضي فلسطينية جديدة، تخرج فلسطينين من بيوتهم للعراء، وتعطي هذه البيوت لأناس قادمين من مناطق أخرى، حينما تناولت إدارة أوباما مشكلة الاستيطان وكان كلامًا قويًا في البداية، لماذا تراجعت عنه؟ وحتى السلطة الفلسطينية التي يتحاورون معها اليوم محرجة ومحبطة، يتحججون بموضوع الانقسام، وهناك حق للشعب الفلسطيني، وهذا الحق يجب الاعتراف به، هذا الانقسام مشكلة يجب أن تعالج، ولا يصلح مبررًا لعدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، وعدم وضع حدّ لهذا العدوان الصهيوني.

ضغط عربي

□ **هل تعتقد أن الدول العربية يجب أن تكون جهة ضاغطة أسوة باللوبي الصهيوني؟**

■ نعم بما تملك الدول العربية من قدرة اقتصادية وثروة نفطية وقدرات مختلفة لو أرادت لكانت قادرة.

اتركوا العراقيين

□ **وماذا عن الشأن العراقي هل تجد أن سياسة أوباما بالنسبة للعراق هي سياسة أيضًا تصالحية ويمكن أن تحقق الاستقرار في الجانب العراقي؟**

■ فيما يرتبط بسحب القوات الأمريكية في العراق هذا يخدم الاستقرار في العراق فلم يعد هناك مبرر لوجودها، وترك الإرادة السياسية العراقية تتبلور دون التدخل الأمريكي، هذا ما يخدم الاستقرار في العراق. فإذا كانت الإدارة الأمريكية جادة في نجاح التجربة العراقية، فعليها أن تترك العراقيين وشأنهم ليديروا أنفسهم، ونعتقد أن في شعب العراق من القيادات والنضج والوعي ما يمكنه من أن يدير نفسه بنفسه.

□ **هناك جانب شيعي يقول إن وجود الأمريكان هو أمر حتمي ومطلوب وتجد جانب آخر من السنة يقول إن هذا احتلال ويجب أن يخرج إلى الخارج؟**

■ ليس هناك مواطن عراقي يقبل بوجود أجنبي على أرضه، يمكن أن يكون هناك تحليل لحالات استثنائية ومؤقتة، أما ليس هناك مواطن شريف يقبل أن تكون هناك قوات أجنبية على أرضه، الأمريكيون جاؤوا واحتلوا العراق، هذا أمر واقع، أما أن يقبل بوجود أمريكي في العراق لا أعرف عراقيًا يؤيد هذا الشيء أو يقبله.

المصالح الأساس

□ **بالحديث عن السياسات الأمريكية في المنطقة دائمًا تجد تقارير ومطالبات من قبل الإدارة الأمريكية بتجميد بعض الأموال في اللجان الخيرية السنية لكن لا يوجد حديث عن تجميد أي أموال شيعية، لماذا هذا الكيل بمكيالين؟**

■ هي ليست مسألة شيعية وسنية، فالأمريكان وضعوا حزب الله في القائمة، وقبل مدة اعتقلوا أشخاصًا في أمريكا بحجة التعاون مع حزب الله، وجمدوا أموالًا باعتبار أنها ترتبط بإيران، المسألة ترتبط بمصالحهم، وليس لهم موقف من المذهب السني أو الشيعي، ويواجهون من يناقض مصالحهم، والمسألة لا ترتبط لا بمذهب سني، ولا بمذهب شيعي، كما يحاول البعض، وهذه أزمة في التحليل العقدي، أن يربط المسألة بمسالة مذهبية، وأن الأمريكان مع الشيعة، والأمريكان مع السنة، وهذا الكلام ليس سليمًا نجد أن الأمريكان في يوم من الأيام كانت مصلحتهم أن يدعموا نضال الأفغانيين في أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي ودعموهم، لذلك لا ينبغي النظر إلى هذه المواقف من خلال المنظار المذهبي، لا تعمم على المذهب الشيعي أو المذهب السني، وإنما يقال هذه مواقف سياسية اتخذها هذا الطرف وذاك الطرف، نصحح موقفه أو نخطيء موقفه تبقى المعالجة في الإطار السياسي وليس في الإطار المذهبي، فإذا ما وجدنا طرفًا عميلًا من السنة أو من الشيعة هل نقول أن المذهب كله خائن،

بالطبع لا، ينبغي أن نخرج من صيغة التعميم، وفيه ظلم وتأجيج للفتن، ويؤلب الناس بعضهم على بعض.

محنة اسلامية

□ **وكيف تنظر إلى مستقبل الوحدة بين المسلمين في ظل الظروف الإقليمية التي نعيش فيها؟**

■ أعتقد أن الوحدة تمر بمحنة بسبب الصراعات التي تحصل في العراق ولبنان، والصراع القائم بين قوى إقليمية في المنطقة، لكنني متفائل بأن هذه الصراعات والخلافات ستنجلي، وسيعرف الناس أن مصلحتهم في وحدتهم ضمن أوطانهم وأمتهم الإسلامية الكبيرة.

□ **متفائل بدرجة كبيرة؟**

■ نعم أنا متفائل بدرجة كبيرة.





٧

حوار قناة المنار(1)



يقول الله عز وجل في محكم كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال، الآية:٤٦] صدق الله العظيم

ما هو واقع الوحدة الإسلامية اليوم؟ وعلي أيّ أساس يفترض أن تقوم الوحدة بين المسلمين؟ ما هي العقبات والعوائق التي تحول دون وحدة المسلمين وكيف نتجاوزها؟ وما هي الأضرار السلبية للفرقة والاختلاف بين المسلمين؟ وكيف نجعل من التعدد المذهبي والاختلاف الاجتهادي إثراءً معرفيًا وحضاريًا للإسلام والمسلمين؟ وما هو دور العلماء والدعاة في تركيز الوحدة والانسجام بين مكونات المجتمع المسلم العرقية واللغوية والمذهبية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة معي من المملكة العربية السعودية سماحة الشيخ حسن

(١) برنامج الكلمة الطيبة تقديم محمد الذكير بث الحوار بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٤٣١هـ.

بن موسى الصفار، إمام الجمعة في مدينة القطيف.

□ **سماحة الشيخ، عندما يتحدث دعاة الوحدة الإسلامية عن أهمية الوحدة ويعملون على إنجاز بعض الخطوات العملية في ذلك نجد البعض يشكك في هذه الجهود ويتهم مشروع الوحدة بأن وراءه أهدافًا لا تصب في الوحدة والاتحاد بين المسلمين، لو نتحدث في البداية عما هي مبررات وأهداف مشروع الوحدة الإسلامية..**

■ بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين

الوحدة الإسلامية في الأصل مبدأ قرآني إسلامي، فإن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أكّد على هذا المبدأ ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾. [سورة الأنبياء، الآية:٩٢]

وفي آية أخرى ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[سورة المؤمنون: الآية٥٢] ويقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[سورة آل عمران: الآية١٠٣] والآية الكريمة التي بدأتم بها حديثكم قوله تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فالوحدة الإسلامية مبدأ قرآني إسلامي، من هنا فإن على المسلم أن ينطلق في سعيه في تحقيق الوحدة من منطلق ديني عبادي كما أن عليه أن يصلي وأن يحافظ على الصلاة، وكما أن عليه أن يحافظ على الصوم يجد نفسه معنيًا بالأمر الإلهي بالدعوة إلى الوحدة والتأكيد على الوحدة هذا من ناحية.

من ناحية أخرى، فإن العقل البشري يهدينا إلى ضرورة وجود التكتلات والتعاون بين أبناء البشر، نحن نجد أممًا وشعوبًا ليس بين فئاتها وأطرافها من المشتركات ما هو بين فئات وشرائح المجتمع الإسلامي، ومع ذلك تراهم يعملون من أجل الوحدة، مثلًا أوروبا فيها شعوب تختلف في تاريخها، وفي قومياتها، وفي لغاتها وفي مذاهبها،

وفي أنظمتها السياسية، ولكنهم مع ذلك اتجهوا لتكوين الاتحاد الأوروبي، هذا يدل على أن الوحدة هي من مصلحة الناس المتحدين، البشر الآن يبحثون عن أي عنوان يجمعهم، تارة يكون العنوان سياسيًا وأخرى يكون العنوان عسكريًا، ونحن لدينا عنوان فريد يعطينا دافعية كبيرة لكي نقترب ونتعاون، هي القيم الدينية والروحية الإسلامية فحري بنا أن نستفيد من هذا الزخم، ومن هذا الثراء، وهذه الأمة كتلة بشرية كبيرة جدًا، لو أنها استفادت من هذا الرابط الروحي القوي، والرابط الثقافي العظيم، واقتربت من بعضها بعضًا، لاستطاعت أن تبني كتلة بشرية عظيمة على وجه الأرض تنفع نفسها وتنفع البشرية جميعها، نحن لا نتكلم عن تكتل إسلامي في مقابل الخير، نحن نتكلم عن تكتل إسلامي يحمل الخير للآخرين، لجميع بني البشر، كما أن هناك تحديات تواجهنا كمسلمين، تحديات سياسية واقتصادية، اعتداءات من الأعداء علينا، هذه التحديات ينبغي أن تدفعنا لكي نتحد ونتعاون حتى نستطيع أن نواجه هذه التحديات.

من جهة أخرى، إننا نعاني من حالات من النزاع والتفرقة، أضعفتنا كأمة، وأضعفتنا كأوطان، لم تعد المشكلة الآن مشكلة خلافات داخلية، وإنما أصبحت أوطاننا التي هي مجزأة بالأصل، هي أيضًا على شفا تجزئة المجزّء وتقسيم المقسّم، لكل هذه الأمور تبدو أهمية الوحدة بمختلف أشكالها وعناوينها.

□ **هنا يُطرح السؤال: الوحدة بين مَنْ ومَنْ طبيعة هذه الوحدة، هل هي فقط على مستوى المذهب أم على مستوى الدين أم على أي مستوى هذه الوحدة؟**

■ الوحدة ينبغي أن تكون شاملة على مختلف المستويات، لكن ما هي الوحدة؟ البعض يتصور أن الوحدة تعني أن يتفق الناس على آراء محددة في المجال الديني، أو في المجال الثقافي أو السياسي، يفهمون الوحدة بمعناها الحرفي، الوحدة بمعنى إلغاء الآراء المتعددة والمختلفة، بحيث تكون بمعنى الرأي الواحد، ليس هذا هو المعنى المطلوب للوحدة في فهم المصلحين، نحن كمسلمين أمة كبيرة، نختلف في آرائنا واجتهاداتنا ومذاهبنا وتوجهاتنا، هناك تفاصيل كثيرة نختلف فيها، ليس المقصود أن

يتنازل أحد عن قناعاته، بتذويب المذاهب في مذهب واحد، وتذويب الآراء في رأي واحد، إنما الهدف أمران:

الأمر الأول: هل نحن نختلف في كل شيء أم أن هناك مساحات نتفق فيها، ومساحات نختلف فيها؟ بالتأكيد هناك مساحات نتفق فيها، ومساحات الاتفاق هي أكبر وأوسع، فلماذا نعرض عن مساحات الاتفاق؟ لماذا لا نتعاون مع بعضنا بعضًا فيما نتفق عليه، ويبقى مجال الاختلاف كل إنسان يعمل برأيه وقناعته دون إساءة للآخر؟

الأمر الثاني: هناك مصالح مشتركة غير مسألة الاتفاق والاختلاف في الآراء والمذاهب، مصالح الأوطان ومصلحة الأمة، نعيش في وطن واحد، هناك مصالح وطنية يجب أن تجمعنا. على صعيد الأمة، القضية الفلسطينية قضية مركزية يجب أن نتعاون فيها جميعًا، بغض النظر عن مذاهبنا وأعراقنا وقومياتنا، موضوع التنمية والنهضة من المهم جدًا أن نتعاون فيها، وهذا لا ربط له بمسألة الاختلافات الفقهية..

□ **سماحة الشيخ، هناك مذاهب متعددة نتيجة لفتح باب الاجتهاد في المجال الفقهي والكلامي، هنالك كذلك أسباب سياسية وموضوعية للاختلاف، وهذا سيستمر، بالتالي هنا: أين نضع الوحدة في إطار هذه الاستمرارية لوجود هذه العناصر التي تشكّل دائمًا عناصر تمايز وعناصر اختلاف؟**

■ أنا أعتقد أن هناك خللًا كبيرًا تعيشه الأمة الإسلامية في إطار المجال السياسي والاجتماعي، هذا الخلل الكبير هو الذي يفسح المجال أمام حالات التفرقة والصراع والتناحر، والخلافات المذهبية هي مظهر من المظاهر، وليس كل الخلاف هو خلاف مذهبي، الحرب المستعرة في دارفور التي نأمل أن تكون في نهايتها إن شاء الله ليست مذهبية، الصراع في الصومال حيث لم تقم للدولة قائمة، منذ ١٥ سنة من الزمن ليس خلافًا مذهبيًا، وحتى بدأت عندنا نعرات قبلية في المملكة العربية السعودية، قبل

أسبوعين، ووزارة الإعلام أغلقت قناة فضائية اسمها (الساحة)؛ لأنها تثير كما قالت وزارة الإعلام نعرات قبلية، عندنا مواقع كثيرة على الإنترنت تثير النعرات القبلية بين القبائل، المشكلة أننا نعاني من خلل في النظام الاجتماعي والثقافة السائدة.

□ **إذن هنا الوحدة ليس على مستوى الوحدة المذهبية وإنما هناك على المستوى اللغوي على المستوى العرقي، هناك عناصر متفجرة في العالم العربي؟**

■ ينبغي أن نعمل من أجل ألا تكون هذه الخصوصيات القومية أو العرقية أو المذهبية أو الدينية سببًا للنزاع والخصومة، وإنما نحاول أن نغلّب الهوية الأشمل على الهويات الفرعية، أن يكون عندنا إطارٌ للهوية المركزية في أوطاننا وأمتنا، هذا الإطار في ظله يكون هناك مجال للهويات الفرعية بغير تصادم مع الهوية الأساسية.

□ **هناك مصالح كثيرة كما ذكرت تستطيع أن تكون هي الإطار الجامع، كما أن في أوروبا هناك لغات متعددة وهناك مذاهب متعددة حتى المصالح العملية ليست كلها منسجمة الآن في أوروبا هناك أكثر من عملة، بدليل أن بريطانيا دائمًا لديها خصوصية، ومع ذلك هي منسجمة بشكل عام، هنا شعاران في هذا المجال الوحدة الإسلامية، والتقريب بين المذاهب، ما الفرق بين الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب؟**

■ ليس هناك فرق كبير، التقريب بين المذاهب أعتقد أنه عنوان طارئ يناقش حالة استثنائية، بسبب وجود تباعد وجفاء وقطيعة، لذلك جاء هذا العنوان، من أجل أن يقترب أبناء المذاهب وعلماء المذاهب، قد لا يكون العنوان دقيقاً ليس التقارب بين المذاهب، المذاهب كلها تأخذ من مصادر واحدة، وتختلف في مساحات كبيرة من الفكر ومن الفقه، وإنما المقصود تقريب أبناء المذاهب الذين عاشوا فترة من الخلافات والصراعات والحساسيات والتباعد المتبادل، المقصود أن يقتربوا من بعضهم بعضًا.

نحن نواجه مشكلة أن التباعد المذهبي تحوّل إلى قطيعة اجتماعية، بحيث حتى

في الوطن الواحد والمنطقة الواحدة أصبحت أحياء يسكنها أتباع هذا المذهب وأحياء يسكنها أتباع المذهب الآخر، حتى في مجال الرياضة أصبح هناك فرق رياضية تنتسب إلى هذا المذهب أو إلى ذلك المذهب، وفي بعض الأحيان متشددون يصدرون فتاوى ضد شركات وضد مصانع لكونها تتبع للمذهب الفلاني قاطعوها.

كتب أحد الكتّاب عندنا في المملكة العربية السعودية مقالًا في جريدة الوطن تحت عنوان (اخرجوا جارنا المذهبي) يتحدث عن عمارة سكنية، وأحد الساكنين فيها من مذهب آخر، المتشددون ضغطوا حتى يخرج هذا المستأجر من العمارة، وبعض المتشددين أصدروا فتوى نشرت في المملكة تحرّم بيع العقار لأبناء المذهب الشيعي، مع أنهم يعيشون في وطن واحد، هذه الحالة قد توجد في بلدان أخرى، لا أريد أن أدين طرفًا محددًا وإنما أريد أن استنكر هذه الحالة، لماذا هذه القطيعة؟.

في بعض المناطق يمنع أن يتزوج الإنسان من امرأة من مذهب آخر، حالة القطيعة هذه لا مبرر لها.

حتى الأسماء أصبحنا نصنّفها، أصبحت عندنا أسماء يتداولها الشيعة وأخرى يتداولها السنة، هذا التمييز وهذا التصنيف أمر مضر ينبغي أن نتجاوزه، لكي لا نعطي فرصة للأعداء، ولا نعطي فرصة لمشاعر الكراهية أن تنمو بين أبناء مجتمعاتنا وأوطاننا وأمتنا.

☐ **في بعض المناطق، سماحة الشيخ، كأنما المذاهب أصبحت عبارة عن دول، عبارة عن هوية تمييز الآخرين، ولكن بالرجوع العلمي الحقيقي لهذه المذاهب، هي آراء اجتهادية، فإن رجعنا للمذهب الحنفي نجد أربعة آراء، خمسة آراء في المذهب الحنفي في القضية الواحدة المذهب الشافعي كذلك، في المذهب المالكي، في المذهب الحنبلي يوجد عشرات من الآراء في القضية الواحدة، كيف تحولت هذه الآراء الاجتهادية والعلمية إلى أن تصبح جزءًا مكونًا من الهوية الوطنية أو حتى ربما أصبحت مشاكل دول داخل الدولة؟**

■ في فترة الصراع والنزاع صار كل طرف يريد أن يرسم حدوده، ولذلك استعانوا بهذه الأمور، ولذلك نجد في داخل المذاهب والمدارس هناك رأيان في معظم المسائل وأكثر، لكن أحد الرأيين يتوافق مع المذاهب الأخرى وبسبب الميل لإيجاد التمايز نأخذ الرأي المخالف للطرف الآخر، مع أن الرأي الموافق للطرف الآخر لا ينقصه الدليل، عند السنة مثلًا قد تكون بعض الآراء عندهم يعرضون عنها؛ لأن هذا الرأي يوافق الشيعة، لذلك يكون عزوف عنه، أو عند الشيعة هذا الرأي يوافق أهل السنة لذلك يكون عزوف عنه، والأكثر من ذلك أن هذا قيّد حركة الاجتهاد داخل المذاهب، وحركة التعبير عن الرأي، ضمن المذهب الشيعي ربما يكون عندي اجتهاد في قضية عقدية أو قضية فقهية يتفق مع السنة، لا أجرؤ أن أطرحه؛ لأني إذا طرحته سأتهم أمام جماعتي بأنني بعت المذهب، وهذا ما نقرؤه في التراجم، بعض علماء الشيعة متهم بأنه يميل إلى التسنن، وكذلك من علماء السنة من يتهم بأنه يميل إلى التشيع .

هذه الحالة هي ضمن إرساء التخوم ورسم الحدود الفاصلة بين مذهب وآخر.

□ **هذه الحدود والرسوم نحن نريد أن نضع النقاط على الحروف في هذه الحلقة من المستفيد من رسم هذه الحدود في الأمة؟**

■ لا يعدو أن تكون هناك جهتان تستفيدان من هذه الحالة، الجهة الأولى، هي: السياسية، والجهة الثانية، هي: الجهة الدينية داخل كل مذهب.

أحد الكتّاب في صحافة المملكة العربية السعودية، وفيها حراك ثقافي جميل، وتناقش هذه المواضيع، وفيها كتّاب يكتبون بعقلانية وموضوعية، أحد الكتّاب نشر تحت هذا العنوان (التفشيل المذهبي أو حراسة الدكاكين) مفاده أن كلّ واحد يريد أن يحافظ على زبائنه، لا يريدهم أن يسمعوا للرأي الاخر، أن ينفتحوا على الرأي الآخر، فلربما تأثروا به فيفقد من زبائنه.

بينما يفترض أن نعمل بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[سورة

الزمر، الآية:١٨].

من المؤسف جدًا أن نسمع عن دولة إسلامية في الأسبوع الماضي أنهم اعتقلوا فلاناً؛ لأنه يروّج لكتاب شيعي، ويعتقل لأجل ذلك؟ أو في معرض الكتاب يمنعون كتب هذا المذهب أو ذاك المذهب، بعض الدول تتخذ قرار بمقاطعة كتب المذهب الفلاني، ما هذا؟ بأيّ ميزان تزن هذه الأمور؟ نحن نعيش في عصر الانفتاح وعصر العولمة وعصر المعلوماتية!!

□ **يعني بالرجوع إلى العصور الإسـلامية سـنجد أن كل المدرسين كانوا يتواجدون في المسجد الواحد.**

■ العالم السني كان يدرس عند العالم الشيعي، والعالم الشيعي كان يدرس عند العالم السني، الشهيد الأول، الشهيد الثاني العامليان في لبنان درسا عند علماء من السنة وأخذوا شهادات من السنة، الشهيد الثاني كان يدرس صحيح البخاري ويدرس صحيح مسلم، حالة الانغلاق والمبالغة في رسم الحدود بين مذهب وآخر، هذه حالة ناتجة من التعصب، وناتجة من النزاع.

□ **ربما يعني حسبما نراه ونسمعه في مواطن كثيرة نجد أنه حينما تكون مصلحة لفئة معينـة أو فئـة أخرى أن يتوقف هذا الصراع المذهبي يصـدر له الأوامر بأنه يتوقف فـي حالة المصالحة ولكن عندما يختلف السياسـيون يتحول هذا إلى الصراع هنا بالنسبة لعامة الناس ألا ينتبهوا إلى القضية؟**

■ يفترض في الناس أن يمتلكوا مستوى من الوعي والنضج، ولكن الناس أيضًا يتأثرون بالإعلام، ويتأثرون بالخطابات الدينية، إمام يخطب على المنبر يوم الجمعة وهو يحترمه ويقدسه، عادة ما يتأثر بكلامه، ولكن قلة من الناس الذين يتجاوزون هذه التأثيرات، ويناقشون خطباءهم وعلماءهم، ويرفضون الآراء التعصبية المتشددة في السنة والشيعة يوجد شريحة بهذا الاتجاه ولكنهم ليس الأكثرية.

□ **سماحة الشيخ، إذا أردنا أن نضع بعض النقاط على الحروف، عندما نقول الخلاف بين السنة والشيعة، حقيقة أيّ سنة وأيّ شيعة، هناك عشرات من العلماء من السنة والشيعة لا يخوضون في هذه الحرب عندما تأتي مثلًا لعالم من علماء السنة يقول: أنا لست مع هذا الصراع، صحيح نحن مختلفون في بعض القضايا ولكن لا أتهجم على الشيعة، وكذلك الكثير من علماء الشيعة لا يتهجمون على السنة، ولا يعتبرون السنة أعداءهم، هناك نوع من الإجماع بأن الخلاف هو بين تيارات تكفيرية داخل السنة، وهي سيرة السلفية التي تكفر أهل السنة من الشوافع، وتكفر المالكية، وتكفر الطرق الصوفية، كذلك تكفر الشيعة وهناك كذلك متطرفون في الجهة الأخرى في التصوف وفي التشيع وهنا التدقيق في التوصيف إلى ماذا يؤدي؟**

■ المشكلة هي في التعميم حينما نسمع متشددًا من أهل السنة يتكلم ضد الشيعة، قد ترتسم في أذهان الشيعة صورة تعميمية، وأيضًا حينما يكون هناك متشدد من الشيعة يتكلم ضد السنة وعن الرموز المحترمة عند أهل السنة أيضاً ترتسم هذه الصورة عند أهل السنة، هذه النظرة النمطية التعميمية نحن نرفضها من الغربيين، حينما حصلت حوادث عنف وإرهاب، وبدأت تنتشر صورة عن الإسلام وعن المسلمين، أن المسلمين أمة إرهابية، وأن الإسلام فيه إرهاب، نحن اعترضنا على الغرب كمسلمين، إذا كان هناك من أبناء المسلمين من مارسوا الإرهاب فلا يحق لكم أن تعمموا على الجميع، هذا الذي نعترض عليه عند الآخرين نحن نمارسه اتجاه بعضنا بعضًا، والمشكلة أن صوت التشدد هو الصوت الأرفع، ولذلك يكون صوتاً مسموعاً، ويعتقد الطرف الآخر أن هذا يمثل الجميع، هذه مشكلة كبيرة نعيشها، لذلك حين نسمع متشددًا لا ينبغي أن نعمم وزره على طائفته، ولا تزر وازرة وزر أخرى، لماذا نعمم هذه الحالة؟

في السنة هناك متشددون وفي الشيعة هناك متشددون، والعلاقة والتقارب الوحدوي إنما يصنعه المعتدلون، غير أن هناك ملاحظة أن المعتدلين في كثير من الأحيان فاعليتهم

ليس بالمستوى المطلوب، ولا توازي النشاط المحموم التي تقوم به الأطراف والجهات الأخرى، لذلك المعتدلون الوحدويون في كل مذاهب الأمة وطوائفها مطالبون بأن يرفعوا أصواتهم، بأن يضاعفوا مستوى فاعليتهم ونشاطهم، حتى لا يبدو الصوت المتشدد المتطرف وكأنه هو المساحة الأوسع في كل جهة من الجهات ..

□ **نحن هنا كنا في الفعل ورد الفعل، خطاب يواجه بخطاب، محاضرة تواجه بمحاضرة، ولكن ما يميز هذه المحاكمات المذهبية بما فيها من موضوعية هنا كيف نتجاوز هذه الحالة التي تصل إلى حالة سباب وليس فقط التكفير؟**

■ السباب خلق سيئ لا ينبغي أن يتحلى به مسلم، المسلم لا يكون لعاناً ولا يكون طعانًا ولا سبابًا، القرآن الكريم يؤكد ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ القرآن الكريم لم يسمح لنا بأن نتناقش في الأمور الدينية مع أتباع الأديان الاخرى إلا بأفضل أسلوب ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إن كنت قادرًا على إدارة الحوار مع أهل الكتاب بأفضل أسلوب حاور، إذا لم تكن قادراً يحرم عليك أن تجادل أهل الكتاب وهم خارج الدائرة الإسلامية؟

وهذا يعطينا منهجاً أنك حينما تجادل وتحاور المختلف معك في المسألة الدينية، ينبغي أن تناقشه وتتحاور معه بأدب واحترام، أما السباب والشتم فهو خلق سيئ، ينبعث من حالة نفسية غير سوية، لا ينبغي أن يمارسه الإنسان العاقل السوي، وعادة ما فإن الإنسان الذي يفتقد الحجة والمنطق يلجأ إلى الصراخ والعويل والسباب، ولذلك فإن الإمام علي عليه السلام في صفين حينما رأى بعض اتباعه يسبّون جيش معاوية قال لهم: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَ لَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ».

الإنسان يجب أن يتحلى بالمنطق حينما يتحدث حول الموضوع الديني.

ولكن لماذا ينشغل الناس كثيرًا بالجانب الديني؟ تحولت الخلافات المذهبية الطائفية إلى شغل شاغل في مجتمعاتنا، طلاب يدرسون في الجامعة ما شأنهم أن

يشغلوا أنفسهم بهذه الخلافات؟ وأناس يعملون في الشركات والمؤسسات يعيشون هذه المشكلة، أصبح الجدل المذهبي شغلًا شاغلًا للناس، ويترتب عليه تنازع وكراهية وخلاف، وهذا الذي يصنع أرضية للمشاكل وللخلافات بين أبناء الأمة، علينا أن ندعو إلى إيقاف هذا الاهتمام المبالغ فيه في الجدل المذهبي، أنت على قناعتك والآخر على قناعته.

أئمة أهل البيت ﮋ وأئمة المذاهب الإسلامية السابقة ما كانوا في كلّ الأوقات يتجادلون، مثلًا الإمام الصادق ﮋ وكما ورد في التاريخ كان الإمام أبو حنيفة إمام المذهب الحنفي لمدة سنتين يدخل على الإمام الصادق ويحضر في مدرسته، والكلمة المشهورة عنه: «لولا السنتان لهلك النعمان»، هل كل يوم حين يدخل الإمام أبو حنيفة على الإمام الصادق يفتح له ملفات النقاش؟ نجد أنه في موارد معدودة كمسألة القياس تناقش معه بأسلوب علمي وأدبي، لماذا نحن كلما التقينا يطرح هذا الموضوع ويطرح هذا الجدل؟

□ **هناك قضايا علمية تناقش داخل المدارس الدينية والحوزات، داخل الجامعات، لكننا نجد أن العوام يتشاجرون في المساجد حول أحاديث وروايات، أن هذا صحيح أو ضعيف حتى داخل المذهب الواحد، هنا عقبة العقبات الكبرى وهي ظاهرة التكفير، ربما هذه الظاهرة ليست حديثة، إنما هي ظاهرة أعتقد لازمت المذاهب كيف يمكن تجاوز هذه العقبة الكبيرة؟**

■ يمكن من الناحية السياسية أن يكون هناك تجريم يضع حدًّا لهذا الأمر، في دول الغرب لا تستطيع أن تثير الكراهية، أو تحرّض على دين معين، أو قومية معينة، إثارة الكراهية أمر مرفوض، التكفير يجب أن يجرّم قانونيًا، ويجب أن يجرّم من الناحية الشرعية، المراجع الدينية والمؤسسات الدينية في كل المذاهب يجب أن يكون لهم موقف واضح في تجريم وتكفير أحد من أهل القبلة، ممن تشهّد الشهادتين كما أن هناك نصوصًا صريحة منها ما ورد عنه ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له ما للمسلمين

وعليه ما على المسلمين.»، القرآن الكريم يتحدث عن صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، هذه حدود الإيمان، أما هذه الاضافات المذهبية لا ينبغي أن نخرج بها الناس من الدين، من لم يؤمن بالإمامة فهو خارج عن مذهب الشيعة ولا يخرج عن الإسلام، من لم يؤمن بعدالة الصحابة هو خارج عن مذهب أهل السنة، إذا كانت هذه المسألة متفق عليها عند أهل السنة والجماعة.

فلا يصح لنا أن نتساهل في فتاوى التكفير أو التبديع، حتى لو لم يكن تكفير فالحكم على طائفة كبيرة بأنها مبتدعة، في مجال اختلاف الاجتهادات غير صحيح، البدعة هي إدخال ما ليس من الدين في الدين، أما الاختلاف في تفسير آية، أو الاختلاف في قبول حديث أو ردّه، أو الاختلاف في فهم حديث أو ترجيح حديث على حديث، هذا لا يصح أن يكون له عنوان بدعة، إنما هو تعدد وجهات نظر واختلاف في الاجتهادات، في عهد رسول الله ﷺ عندما اختلف المسلمون في فهم قوله ﷺ: «لا يصلّينّ أحد منكم إلا في بني قريظة» لم يطلق على أحد الطرفين أنه ابتدع، هذا فهم النص بهذه الطريقة، وهذا فهم النص بتلك الطريقة، نحن كلنا نؤمن بالقرآن الكريم، هو كتاب المسلمين، وهو كتاب الله من دون زيادة ولا نقصان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

□ **إذا جرّمنا التكفير هذا لا يؤثر في الاجتهاد داخل المذاهب وعلى النقاشات والحوارات والتحقيق مثلًا قد يريد الإنسان التحقيق في قضية معينة، هل يسقط التجريم هنا؟**

■ لا يصح أن يكفر أحدًا بعينه أو يكفر فئة وطائفة؛ لأن لهم آراء تخالفه من ناحية مذهبية، هذا لا يصح ما داموا من أهل القبلة، ويتشهدون الشهادتين، ويلتزمون أركان الإسلام، والرسول ﷺ يعاتب ذلك الصحابي لأنه قتل من كان قبل لحظة كافرًا، حينما تشهد الشهادتين، قال له: هلّا شققت عن قلبه؟ مع أنه للتوّ كان كافرًا، بمجرد أن نطق الشهادتين منحه الرسول ﷺ العصمة في حياته ودمه ولا يصح قتله، فكيف نحن يكفر

بعضنا بعضاً بمجرد أننا نختلف في بعض التفاصيل والمعتقدات والمسائل الفقهية؟ هذا لا يصحّ.

□ **هنـا نرى أن الحكومات يجب أن تتدخل في هذا الإطار ولكن كذلك نخاف؛ لأن الحكومات عادة ما تستفيد من هذه الفتاوى وتستغل المذاهب في خدمة مصالحها السياسية، طبعًا في إطار هذا الواقع والتعدد والاختلاف ما هي الأسس التي يجب أن تقوم عليها الوحدة الإسلامية وما الخطوات العملية في ذلك؟**

■ على مستوى الأمة الإسلامية أعتقد بأولوية التعاون في مجال المصالح المشتركة، مثلًا ضمن منظمة المؤتمر الإسلامي حيث تجتمع كل الدول الإسلامية، وهي فكرة رائدة، ولكن مع الأسف الشديد ليس هناك تفعيل لبرامجها في مجال التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، والتعاون العلمي والتكنولوجي، كذلك لا تزال التجارة البينية بين دول المسلمين ضعيفة، هذه المنظمة لو فعّلت قراراتها وتوجهاتها لحققت الشيء الكثير للمسلمين، وهذا يحتاج إلى إرادة سياسية؛ لأن هذه المنظمة تتكون من الدول والحكومات السياسية، لتفعيل هذه المنظمة لا تزال الإرادة ضعيفة، ولذلك لم تستفد الأمة كثيرًا من هذا الإطار، نحن لا ندعو لإلغاء هذا الإطار، بل ندعو لتفعيله وإفادة الأمة من خلاله، وقد انبثق من هذه المنظمة المجمع الفقهي الإسلامي، حيث يجتمع الفقهاء المسلمون من مختلف الدول، ومن مختلف المذاهب، لكن هذا المجمع الفقهي الإسلامي لا يزال دوره محدودًا في مواجهة التحديات الكبيرة التي تعيشها الأمة، نريد من المجمع الفقهي الإسلامي المنبثق من منظمة المؤتمر الإسلامي أن يأخذ دوره في ساحة الأمة، لماذا تترك الساحة لهؤلاء انصاف العلماء ودعاة إصدار الفتاوى التي أصبحت مشكلة في الساحة الإسلامية، الآن نواجه فوضى الفتاوى، لماذا يعطي الفرصة لهؤلاء؟ يفترض أن المجمع يفعّل دوره بشكل أفضل، وتلتقي ضمنه الكفاءات العلمية لأبناء المذاهب والمجتمعات الإسلامية، بحيث يكون له دور ريادي.

□ هنـاك عدد كبيـر من المؤتمرات يكون اللقاء فيها للتعـارف، وقد تتغير وجهة نظر البعـض ولكن المشـكلة التي تطـرح دائمًا حول هـذه المؤتمرات أنهـا مؤتمرات نخبويـة، فكيـف نعمـم هذا التعـارف من النخـب إلـى المجتمع الـذي يكون فيه الاختلاف والاصطدام؟

■ يفترض أن المشاركين في هذه المؤتمرات ينقلون رسالتها إلى جماهيرهم، لكن في بعض الأحيان يكون المشارك في هذا المؤتمر غير متحمس للفكرة، أو يكون ضعيف الشخصية، يخشى ردود فعل من آخرين، وأنا أعتقد أن المؤتمرات مع وجود نواقص ونقاط ضعف فيها، لكنها مفيدة جدًا؛ لأنها تعطي فرصة للناس لكي يتعرفوا إلى بعضهم بعضًا، وتضع حدًا لحالات النزاع والاختلاف، بعض الناس يحمّلون هذه المؤتمرات أكثر من طاقتها وقدرتها، مرض التفرقة والخلاف موجود، ولا يطلب من هذه المؤتمرات أن تستأصل هذه الأمراض، هذا المرض مضت عليه قرون، له خلفية تاريخية، وهناك تراث يغذّيه عند مختلف المذاهب، لذلك لا يتوقع من هذه المؤتمرات أن تعالج كل هذه المشاكل، كما أن هناك طوفانًا من الفتن، مؤتمرات تعطي مفعولًا إيجابيًا لكن تأتيك مشكلة سياسية تعصف بالأمة في العراق أو في لبنان أو في أيّ مكان آخر، هذا الطوفان يؤثر على المكتسبات التي تحصل، والحلّ ليس ترك هذه المؤتمرات وإنما زيادتها وتفعيلها أكثر، وتعميقها في جميع أوساط الأمة، وأنا شخصيًا ألمس أن هناك فوائد كثيرة للمؤتمرات، وأدعو إلى تفعيلها أكثر، بإمكان هذه المؤتمرات لو استثمرت ووجدت فيها فرصة للبحوث الموضوعية لكانت أكثر تأثيراً، بعض الأحيان تكون درجة المجاملة والدبلوماسية درجة طاغية ..

□ التوصيات مهمة في كثير من المؤتمرات، ولكن دائمًا المشكلة كما يقول البعض أن التوصيـات لا تجـد طريقها إلـى التطبيق، ويقول البعض كذلـك أنه ليس هناك نوع من التأثير على المؤسسات السياسية حيث يمكن توصيل تلك التوصيات إلى واقع ملموس، ولكن ما يطلق عليه مؤسسـات المجتمع المدني، هل تستطيع هذه

المؤسسات أن تمارس الحوار والتعارف بين مكونات المجتمع؟

■ أحبّ أن أشير إلى أن ضعف الجدية وضعف الإرادة في أوساط أبناء الأمة، يجعل هذه المؤتمرات والمؤتمرات الأخرى، كمؤتمرات الجامعة العربية، ومؤتمرات مجلس التعاون الخليجي، ومختلف المؤتمرات التي تحصل في العالم العربي والإسلامي، توصياتها جيدة لكن حين ما لا تكون هناك جدية وإرادة، فإن التوصيات لا تأخذ مداها.

بالنسبة إلى منظمات المجتمع المدني يعوّل عليها كثيرًا، نحن يجب أن نعقد عليها الآمال، هذه المؤسسات الأهلية التي نفترض فيها أنها تخلصت من شوائب ونقاط ضعف المؤسسات الرسمية الحكومية، نحن بحاجة إلى المزيد منها، كثيرون يتحدثون حول جهود التقريب والوحدة، لكننا لو أردنا أن نحصي عدد المؤسسات المنشغلة والمهتمة بالتقريب والتقارب والوحدة داخل الأمة لوجدناها تعدّ على الأصابع، نحن في حاجة إلى عشرات أو مئات المؤسسات، أمامنا مؤسستان أو ثلاث، وهي تعمل بجهود كبيرة جدًا، ولكن هذا لا يكفي، نحن نحتاج إلى عدد كبير من المؤسسات الأهلية والاجتماعية التي تحمل هذه الرسالة وتعمل من أجلها..

□ **هنا دور وسائل الإعلام في المجتمعات الإسلامية والعربية، هناك ضعف في ثقافة الاعتراف بالآخر، هناك فكرة مترسخة في أذهان الناس هي الفرقة الناجية، هذه خلفية أنا على حق والآخر على باطل، لا نجد حالة وسط، كيف نعمّق أو كيف ننشر هذه الثقافة ثقافة الاعتراف بالآخر، الاعتراف به بثقافته بتميزه عنا؟**

■ المشكلة أن ثقافة التعبئة المذهبية القائمة تُعرض عن المشتركات، لو أننا تحدثنا عن المشتركات وطرحناها أمام الجمهور، المشتركات التي تجمع المسلمين، لخلق هذا في نفوس المسلمين شعورًا بالتقارب، لكننا في الغالب نتحدث عن القضايا التي نختلف فيها، الناحية الثانية إن بعض الخطباء والدعاة في كل مذهب من المذاهب من أجل أن يثبت أحقية وصوابية منهجه، يعمل على التقليل من شأن الآخر، ورسم صورة

دونية للآخر، بما يتجاوز الحدود والحقوق، ومن الناحية الشرعية حتى لو كنا نختلف مع الطرف الآخر لكن القرآن لا يسمح لنا أن نبخسه حقه، يقول تعالى: ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[سورة الشعراء، الآية:١٨٣].

يجب أن نكون منصفين في حديثنا عن الآخر، لا نسلبه إيجابياته، ونصوره أنه كتلة من السيئات والباطل، هذا خطأ كبير، نحن في حاجة إلى إعادة النظر في هذه الثقافة التعبوية المذهبية التي تتحدث عن مناطق الاختلاف مع الآخر، وتتجاهل مساحات الاشتراك معه، والتي تحاول أن ترسم له صورة سلبية دونية، هذا ما يجب أن نبتعد عنه، وأن نبدأ طرحًا منصفًا موضوعيًا للطرف الآخر، حينما نقرأ كتاب الخلاف للشيخ الطوسي نراه يستعرض الآراء المختلفة والمتعددة للمذاهب، ونجد بعض الفقهاء في أبحاثهم حينما يذكرون رأيًا يلتمسون له العذر، ربما قال هذا الرأي؛ لأنه فهم الدليل بهذه الطريقة، هذا هو خلق العلماء، يلتمسون العذر للطرف الآخر في رأيه، ويحاولون أن يستكشفوا منطلقات رأيه، مما يجعل الاختلاف على طاولة البحث العلمي وليس سوء الظن في الطرف الآخر ..

□ **في الحقيقة النماذج كثيرة، ابن رشد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد نجده في مسألة معينة يقدم ويطرح أكثر من رأي في المسألة، فكيف يتعصب شخصٌ ما لرأي ما مع أن المسالة الواحدة الفقهية ليس لها رأيٌ واحدٌ إنما عشرات الآراء، وبالتالي حتى كتابات القدماء التي حدثت فيها اختلاف ليس فيها كل هذا التعصب، التعصب عمليًا طارئ، وهناك حملات تشويه، كيف نقف دون هذه الحملات التشويهية المتبادلة؟.**

■ نحتاج إلى عاملين، العامل **الأول**: أن يكون هناك ضغط على السياسي لكي يضع قوانين تجرّم الإعلام الذي يثير ويحرّض على الكراهية.

الثاني: أن يكون الواقع الذي يعيشه الناس قائمًا على أساس العدل والمساواة، لأنني أعتقد أن بعض هذه المشاكل هي إفراز لخلل في الواقع المعيش، حينما يكون

هناك انسداد سياسي، وتمييز طائفي بين الناس بهيمنة فئة على فئة هذا يخلق حالة ذهنية ونفسية تدفع نحو التشنج والتوتر، والخلاف والنزاع المذهبي، فنحن بحاجة إلى معالجة الخلل في الحالة السياسية والاجتماعية.

ومن ناحية أخرى، فإن على جهات التوجيه الديني، الحوزات العلمية، المعاهد الدينية، ومراكز الافتاء، أن تتحمل مسؤوليتها في توجيه الدعاة والمبلغين من أجل أن يتركوا الأساليب التعبوية، وأساليب تحريض الناس بعضهم على بعض، نحن لا نقدّس تاريخنا الماضي، ولا نملك تاريخًا خاليًا من التعصب، حينما نقرأ كتب التاريخ كتاريخ ابن الأثير نراه يتحدث في القرن الرابع الهجري سنة ٣٢٣ عن فتنة في بغداد بين الحنابلة والشافعية، ونجده يتحدث في القرن الخامس سنة ٤٤٣ عن فتنة بين الشيعة والحنابلة، في الماضي أيضاً كان هناك تعصب وفتن طائفية، لكن الواقع اليوم اختلف عن الأمس، في الماضي كان جسم الأمة له مناعة، الأمة كانت في حالة تقدم، كانت أمة رائدة، فكانت مثل هذه الحالات مثل الجراثيم والميكروبات في الجسم القوي تظهر لها بعض الأعراض، لكن تستوعب لمناعة الجسم القوي، لكن الأمة الآن مناعتها ضعيفة، تعيش واقع تخلف، ولذلك فإن أبسط ميكروب في الجسم الذي يفتقد المناعة الكافية يتحول إلى مشكلة كبيرة، كما أننا اليوم نعيش عصر العولمة، في الماضي كانت كل مشكلة تبقى في حدودها، المشكلة في بغداد تبقى في بغداد، الآن أيّ كلمة في أيّ مكان أصداؤها تكون في كل العالم ..

من جانب آخر، في الماضي لم يكن هناك أعداء متربصون بالأمة يستفيدون من النزاعات والاختلافات ويغذّونها كما هو الحال الآن، نحن نعيش حالة ضعف وحالة وهن كأمة، وهناك أعداء متربصون بنا، وفي ظلّ العولمة فإن أيّ حدث يأخذ تأثيره على مستوى الأمة، لذلك أيّ إثارة وأيّ كلمة من شخص في مسجدٍ ما، فإن كلامه يترك تموجات على المستوى العام في الأمة، لذلك يجب أن نتقيَ الله تعالى، وأن نكون أكثر حذرًا في تناولنا لهذه الموضوعات ..

□ قبل قليل سماحة الشيخ، أشرت إلى تدخل سياسي لإصدار قانون بتجريم التكفير والدعوة إلى الكراهية ولكن نحن نعرف أن هناك استغلالًا سياسيًا للتنوع المذهبي والاجتهادي، كيف نتجاوز هذه العقبة وهي عقبة مهمة الاستغلال السياسي للتنوع المذهبي؟

■ أعتقد أن هناك تحولًا الآن؛ لأنه أصبح إثارة الخلافات والنزاعات خطر حتى على القيادات والأنظمة القائم،ة ربما سابقًا كان الحاكم يستطيع أن يتحكم في الخلاف والصراع، فيوجه الخلاف المذهبي أو الطائفي، أما الآن فهو يخرج عن السيطرة، ويجب أن تعرف الحكومات أنهم إذا فتحوا المجال للخلاف والصراع المذهبي فقد يخرج عن سيطرة الحكومة نفسها؛ لأن هناك قوى دولية وقوى إقليمية، هناك مصالح ومطامع تستفيد وتتدخل ثم تفقد الحكومة السيطرة، أصبحت الخلافات المذهبية الطائفية خطرًا حتى على الأنظمة السياسية القائمة نفسها، هذا التحول ينبغي أن نستفيد منه من أجل الضغط باتجاه تجريم مثل هذه الحالات، نحن رأينا ما حصل في بلدان عربية وإسلامية كثيرة، ربما في البداية كان هناك شعور عند جهة سياسية أنها تستفيد من عملية «فرق تسد»، أو عملية لجم جهة، والاستفادة من موقف جهة أخرى، لكن تبين فيما بعد أن المسألة تخرج عن السيطرة ويفقدون الزمام، وبالتالي يصبح الكيان كله والنظام كله مهددًا، ولهذا نقول للحكومات إن الخلافات المذهبية والطائفية لم تعد خطرًا على الناس فقط، أصبحت خطرًا على الأنظمة نفسها، وعلى كياننا الوطني، ولذلك ينبغي أن يطرح هذا الموضوع، حتى نتلافى في أوطاننا مضاعفات وتداعيات مثل هذه الحالة من الاختراق..

□ التركيز أو الإشـارة إلى مخاطر التفرقة والاختلاف ونشـرها على مسـتوى وسائل الإعلام، هل يستطيع أن يحدّ من هذه الظاهرة؟

■ من المؤثر جدًا أن تكون لنا وسائل إعلام تنشر الفكر المعتدل، والدعوة إلى الوحدة، مشكلتنا أننا بلينا في هذا العصر بفضائيات ووسائل إعلام طائفية من السنة

والشيعة، تنشر الكراهية، بعض مجتمعاتنا ما كانوا يشعرون بهذه الخلافات والفروقات، لكن الفضائيات هي التي ألّبت الناس على بعضهم بعضًا، الشيعي حينما يستمع إلى بعض الفضائيات الطائفية الشيعية يخرج وهو معبأ ضدّ إخوانه السنة، والسني حينما يستمع إلى برامج الفضائيات الطائفية السنية يخرج معبأً تجاه الشيعة، ينبشون كتب التراث، هذا الكتاب المؤلف قبل ألف سنة يقول كذا، هذا العالم الموجود قبل ثمانمئة سنة قال كذا وكذا، يعيدون استخراج ونبش التراث والتاريخ، بعض المتشددين من أهل السنة غالبًا ما يأتون ويتحدثون عن بعض ما في التراث الشيعي، نعم التراث الشيعي فيه أشياء سلبية، فيه روايات مسيئة للطرف الآخر، هذا لا ننكره، وهو موجود، لكن التراث الآخر أيضًا موجود فيه ما يماثل ذلك أو يزيد عليه.

□ **هنا السؤال الرئيس والمهم، كيف نضع هذه الخلافات وهذا التراث الموجود لدى كلّ المذاهب كيف نضعه في إطاره العلمي الحقيقي؟**

■ ينبغي أن يبحث التراث وأن يناقش بموضوعية من قبل الدوائر العلمية، يكون محلّ بحث ونقاش، ما ليس مقبولاً منه يترك على جنب. نحن لسنا أسراء لهذا التراث، ولا يصح أن نعيش في نفق هذا التراث، نحن مطالبون في كل مذاهبنا أن ننقد هذا التراث، وأن نغربله، علم الرواية والدراية دوره تصحيح المرويات والأحاديث، والحكم عليها، لمعرفة الضعيف من الموضوع من الصحيح، وهذا العلم يدرس في كل المذاهب عند الشيعة والسنة، مثلًا كتاب الكافي الذي يستشهد الكثير من السنة ببعض المرويات الموجودة فيه ضد الشيعة، أمامكم موسوعة اسمها «مرآة العقول في أخبار آل الرسول» للشيخ المجلسي، وهو تقويم لمرويات الكافي، حيث علق عليها حديثًا حديثًا، بأن هذا حديث ضعيف، وهذا حديث صحيح، وهذا حديث مرسل، وبموجبه تكون الأحاديث الصحيحة في كتاب الكافي هي ثلث الكافي، إن هذه الأحاديث الموجودة في الكافي الشيعة لا يصححونها كلها حتى تحاسبونهم على كلّ حديث ورد في كتاب الكافي، لكن المشكلة تأتي في سياق التهييج والإثارة الطائفية،

نحن نطالب بأن تناقش هذه الأمور ضمن إطارها العلمي، هذا الكلام الذي يكاد ألا ينتهي حول تحريف القرآن؛ لأن بعض علماء الشيعة وعددهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة صارت عندهم شبهة حول تحريف القرآن، لكن الآلاف من علماء الشيعة رفضوا هذا الكلام، بينما لا يزال بعض المتعصبين يقولون إن الشيعة يؤمنون بتحريف القرآن، هذا تهريج مع أن هناك روايات شبيهة موجودة في مصادر السنة..

□ **هذه قضية علمية هذه مشكلة كبيرة جدًا أشارت إليها بعض الدراسات وهو أن في بعض المؤتمرات النقاش يدور فيها حول الاختلاف بين الأحناف والمالكية أو الأحناف والشافعية على مستوى الواقع، أين الأحناف وأين المالكية وأين الأحناف وأين الشوافع؟ نحن نستورد مشاكل الماضي ومشاكل القرن الثاني الهجري ونحييها بطريقة عجيبة جدًا وتتبنى تلك الصراعات من أجل هذه القضية التاريخية التي عملها ميت؟**

■ لم تعد القضية فقط بين الشيعة والسنة، الآن عندنا في المملكة بعض الدراسات التي صدرت ضد الأشاعرة، واتهام الأشاعرة في دينهم، والأشاعرة هم أكثرية الأمة الإسلامية اليوم، هذه الاتهامات يستغرب الإنسان ويتعجب كيف يطلقها هؤلاء العلماء على بعضهم بعضًا؟ وهم ينتمون إلى دين يؤدّب أبناءه على أساس الأخلاق وأساس ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ ولكنها حالات الضعف البشري لماذا نجعل هذا الخطأ منهاجًا؟

□ **كيف يتم إبعاد العوام عن هذه القضايا؛ لأنه إذا تركت هذه المشاكل أو القضايا الفكرية وطريقة التعامل مع التراث الفكري والكلامي كما تفضلتم بين الجامعات بين الحوزات بين مراكز البحث يكون النقاش فيها نقاشًا علميًا بالأدلة والبراهين ويتم التمحيص ولكن المشكلة في تسرب هذه القضايا إلى العوام كيف نقف دون وصول هذه القضايا إليهم؟**

■ المشكلة أن هناك فراغًا عند الناس في الاهتمامات، لو أننا استطعنا أن نوجه الناس إلى الاهتمامات الحقيقية، الاهتمام بالتنمية، والاهتمام بالتقدم العلمي والتكنولوجي، الاهتمام ببناء أوطانهم، حيث تشير التقارير التي تصدر حول التنمية البشرية أن المجتمعات الإسلامية في آخر القائمة، نحن نحتاج إلى جهد كبير على هذا الصعيد، ينبغي أن نكافح، لا تزال عندنا مساحة واسعة من الأمية في بلداننا، من المعني بمكافحتها؟

لا يزال عندنا الكثير من المشاكل، نحتاج إلى التنمية السياسية وإلى التنمية الاقتصادية، تجد إنسانًا فقيرًا يعيش واقعًا سيئًا، ولكنه مهموم ومشغول بما حدث في القرون الماضية، وحول هذه الفكرة وتلك الفكرة، لماذا نغيّب وعي الناس؟ لماذا نزيّف اهتمامات الناس؟ نحن بحاجة إلى إعلام وإلى ثقافة توجه الناس إلى الاهتمامات الحياتية التنموية، إلى الاهتمام بالقيم الإسلامية، نحن كأمة معنيون بوضع العالم كله، لماذا نجد في البلدان الغربية مؤسسات تهتم بالعمل الإنساني على المستوى العالمي، كمنظمات العفو الدولية ومنظمة الدفاع عن حقوق الإنسان، وأطباء بلا حدود، هذه المنظمات تهتم بالقضايا الإنسانية على مستوى العالم، لماذا نحن لا نوجه أبناء الأمة إلى مثل هذه الاهتمامات، وهم الأولى بها، يقول تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لو توفرت في أبناء الأمة هذه الثقافة وعملوا لأجل التنمية في الواقع الذي يعيشونه، لانشغلوا به عن تلك الاهتمامات الأخرى، لكن مع الأسف الشديد هناك من يشغل الناس بهذه الاهتمامات الزائفة الجانبية، على حساب الاهتمامات الرئيسة مع أن الله تعالى يقو ل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

□ **حتى الآية الكريمة التي أشرنا إليها في المقدمة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**

■ هذه ناحية مهمة ﴿وَاصْبِرُوا﴾؛ لأن العمل لأجل الوحدة ومواجهة حالات النزاع والفشل يحتاج إلى صبر وإلى نفس طويل، بعضهم يحاولون أن يبثوا اليأس

والتشاؤم في النفوس، أنه ماذا حققت دعاوي الوحدة؟ ماذا حققت المؤتمرات؟ الآية الكريمة تقول ﴿وَاصْبِرُوا﴾ المسألة تحتاج إلى نفس طويل، إلى عمل مستمر، إلى تنمية مستدامة على هذا الصعيد، حتى نستطيع أن نحقق أهدافنا وتطلعاتنا التي يأمرنا الدين أن نعمل لأجل تحقيقها، كما يقودنا العقل إلى ذلك..

□ **أصبح التشكيك حتى في هذه الدعوة ـ الدعوة للوحدة ـ فقيل أنها من أجل تغليب مذهب على مذهب.**

■ هذه هواجس وشكوك.

في الواقع يبين القرآن الكريم أنه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ حينما يطرح الإنسان قيمة إيجابية فهو يستفيد منها، ولا شك أنه إذا كان جماعة من أهل السنة تبنوا الاعتدال، وتبنوا الدعوة إلى الوحدة، فإن ذلك يفيدهم أيضًا حتى على مستوى مذهبهم، وإذا كان جماعة من الشيعة تبنوا فإن ذلك يفيدهم على مستوى مذهبهم أيضًا، وهذا ما نقوله لو أن أتباع المذاهب تعايشوا وتقاربوا، فإن ذلك يكون في منفعة الجميع ومصلحة الجميع ..

كان أحد إخواننا من السلفين يتكلم غاضبًا لماذا هناك من يسيء إلى الصحابة ويسيء إلى الرموز؟ قلت له: هل يهمك توقيف الإساءة إلى الرموز والصحابة والخلفاء؟ قال: نعم، يهمني، قلت له: أنتم جربتم طريق التشدد والتطرف حتى توقفوا هذه الإساءات فما أجدى، جربوا وسيلة أخرى، انفتحوا على هؤلاء الناس، تحاوروا معهم، اقتربوا منهم، لعلكم بهذا الطريق تستطيعون أن تحققوا ما تقولون أنكم تريدون من وقف الإساءات، والقرآن الكريم يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ لا شك أن من يأخذ هذا المنهج من السنة أو الشيعة فإنه يكسب الجمهور، والرأي العام حينما يسمعون خطيبًا مؤدبًا مهذبًا، وله طرح موضوعي، ويسمعون في المقابل خطيبًا متشنجًا يسب ويشتم، فالناس يتفاعلون مع الطرح الأول سنيًا كان أو شيعيًا، ولذلك ندعو خطباء السنة وخطباء الشيعة من حقهم أن يطرحوا

آراءهم، من حق السني أن بطرح آراءه العقدية والفقهية، من حق الشيعي أن يطرح آراءه العقدية والفقهية، ولكن من دون إساءة إلى الطرف الآخر، ومن حق الناس أن يختاروا، نحن نعيش في عصر لا تستطيع أن تضع فيه حدًا للفكر وللثقافة، عالم اليوم مفتوح والناس يسمعون ويرون ويشاهدون، فعليك أن تجتهد في عرض ما لديك بالمستوى المناسب، الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ يجب أن أجتهد أنا في أن يكون قولي أحسن، ويجب أن تجتهد أنت في أن يكون قولك أحسن، كما هو في المجال الاقتصادي، الشركات والمؤسسات تتنافس، كل طرف يحاول أن يرفع مستوى الجودة في إنتاجه، ويقلل الكلفة، وبالتالي يستقطب الناس، وفي المجال الفكري والثقافي علينا أن نتنافس أيضًا، بأن يتقن كل واحد منا خطابه، والناس أحرار في قراراتهم، مع أنني لا أؤيد الحالة التبشيرية لكن أقول من يحسن العرض فإنه يستفيد، ولذلك الدعوة إلى الاعتدال والتقارب مفيدة لكل من يأخذ بها سنيًا كان أم شيعيًا ..

□ هناك مسألة هي العامل الخارجي والعامل الخارجي مهم في إثارة هذه القضايا؟

■ العامل الخارجي أنت لا تلومه في الصراعات التي تكون، فإن أي قوة تريد أن تتغلب وتهيمن على الطرف الآخر، تسعى لإضعافه ما داموا يريدون الهيمنة على بلداننا وعلى ثرواتنا وإمكاناتنا، فإن من مصلحتهم أن يشغلونا بالخلافات، من مصلحتهم أن يعوقوا التنمية عندنا، لكي نكون أسواقًا مستهلكة، الطرف الآخر من مصلحته هذا، لكن أنت لماذا تخلق الأرضية؟ كما كان يقول مالك ابن نبي رحمه الله (القابلية للاستعمار) لماذا نحن عندنا أرضية قابلة لاشتعال الفتن والخلافات والصراعات؟ لا يصح لنا أن نعلّق دائماً مشاكلنا على مشجب العدو الخارجي، يجب أن نتحمل مسؤوليتنا، ثقافتنا التي ننشرها بين جمهورنا، وواقعنا السياسي والاجتماعي المعيش، هو الذي يفتح المجال أمام مؤامرات الأعداء..

□ هناك دراسات أشارت إلى أن بعض الغربيين يأتون إلى الدول الإسلامية ويدرسون

الخلافات بين المذاهب يدرسون التنوع العرقي ويدرسون كثيرًا من الدراسات التي تثير النعرات ليس هناك في العالم العربي الكثير من الاختلاف المذهبي على المستوى العرقي دعوات على مستوى البربر على مستوى الأكراد على مستوى جنسيات كثيرة جدًا؟

■ الآخرون لديهم مراكز أبحاث، ويمولون البحوث والدراسات الميدانية، وأنا شخصيًا قابلني بعض الباحثين في بلدان غربية مختلفة يسألون عن بعض الخلافات الإسلامية السنية والشيعية، وفي بعض الأحيان عن بعض التفاصيل في الخلافات داخل الشيعة أنفسهم، أو داخل السنة أنفسهم، لا نقول إنّ كل هؤلاء مغرضون، هناك باحثون موضوعيون.

هناك مستشرقون منصفون وموضوعيون، لكن معظم المستشرقين كان لهم دور سلبي في تعزيز الخلافات، وفي تشويه كل طرف أمام الطرف الآخر، هذا موجود لكن نحن نتحمل المسؤولية لإعطاء الفرصة لهؤلاء أن تنجح طروحاتهم، نحن لماذا لا نتعرف على بعضنا بعضًا بشكل مباشر؟ مشكلتنا في مناهج التعليم أبناؤنا في كثير من البلدان الإسلامية يعيشون في بلد متنوع المذاهب، لكن مناهج التعليم تدرسهم موقفًا سلبيًا تجاه الآخر، هذا كيف سيتعامل مع الآخر، وسيكون زميله في الفصل؟ نحن بحاجة إلى أن يعرف بعضنا بعضًا، حتى وسائل الإعلام يجب أن تُعرّف السني حقيقة الشيعي، ويجب أن تُعرّف الشيعي حقيقة السني، كل طرف يعرف حقيقة الطرف الآخر، كما هو وليس بالصورة التي يرسمها مخالفوه عنه.

٧

حوار وكالة التقريب بين المذاهب[1]

جهود التواصل والانفتاح بين الأطياف داخل المملكة

□ إلـى أين وصلت جهودكم التواصلية والتحاورية مع إخوانكم في الطائفة السـنية، ومع الإخوة السلفيين في السعودية؟

■ بعد عودتنا وممارستنا لنشاطاتنا على أرض الوطن بذلنا جهودًا كبيرة للتواصل مع إخوتنا السلفيين، ذلك أننا لا نجد مشكلة كبيرة في التواصل مع بقية الأطياف والتوجهات داخل الطائفة السنية، لذلك قمت بزيارة مفتي المملكة آنذاك الشيخ عبد العزيز بن باز، وتواصلت هذه الجهود واللقاءات، إلى أن جاءت أحداث ١١ سبتمبر وما أحدثته على الساحة الدولية من تغيرات كبيرة كانت المملكة إحدى أهم الدول التي تأثرت بهذه الأحداث، وعلى إثر ذلك أُطلِقت العديد من المبادرات، وكان منها مبادرة خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي كان وليًّا للعهد حينها للحوار الوطني، وهي المبادرة التي ساهمت بصورة فاعلة ومؤثرة في اتجاه تحسين العلاقة وتجسير الهوّة بين العديد من الأطياف داخل المملكة، وعلى رأسها الطرفان الأبرز: الشيعة والسلفيون.

وعلى إثر لقاءات الحوار الوطني التي جمعت قيادات كلٍّ من الطرفين استكملت

---

(١) نشر بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٤٣١هـ-٦ مارس ٢٠١٠م

اللقاءات الثنائية التي حفّتها الكثير من الاعتراضات لدى أتباع كلٍّ منهما، ولكنها تواصلت وبدأت تتطبّع تدريجيًّا وأذابت جدارًا عريضًا من الجليد بينهما، وهو أمر يرجع بالدرجة الأولى إلى القرار السياسي، وكذلك إلى الاحتضان الشعبي الذي رسّخته القيادات الواعية في كلٍّ من الطرفين.

والتواصل بين هذه القيادات والشخصيات لا يزال مستمرًّا، كان قد بدأ بعددٍ محدود من الشخصيّات البارزة لدى كل طرف، وبزيارات متباعدة زمانيًّا، وفي أماكن محدودة على أرض هذا الوطن، ولكنه الآن في توسّع وقبول لدى شريحة أوسع، ومن قبل شخصيات وقيادات أكثر وفي مناطق أكثر تنوّعًا، نأمل أن تتهيأ له الظروف المناسبة للاستمرار والبقاء.

وما نأمله أيضًا أن يكون بعيدًا عن المؤثرات السلبية التي غالبًا ما تلقي بظلالها على مثل هذه المبادرات، سواءً منها المؤثرات الخارجية (ما يجري من أحداث فتنوية في العراق)، أو الداخلية (بعض التصريحات والفتاوى من قبل أحد الأطراف تجاه الأطراف الأخرى). ولعل أهم عامل يحفظ مسيرة هذا التواصل والوحدة الوطنية الجامعة هو المزيد من القرارات السياسية التي تعمّق وتحتضن هذه التجربة الرائدة، وذلك في الاتجاهات التالية:

١. تهيئة الأجواء لاحتضان مسيرة التواصل والوحدة الوطنية من خلال برامج لقاءات الحوار الوطني، وكذلك من خلال البرامج التعليمية داخل المدارس والجامعات والمقررات الدراسية، وكذلك من خلال الحضور الإعلامي المتكافئ للجميع في الوسائل الإعلامية المحلية بكافّة أنواعه: المقروء والمسموع والمرئي.

٢. تجريم كل طرف يصدر منه أي نوع من أنواع الاعتداء على بقية الأطراف الأخرى، وذلك للتأكيد على جامعية المواطنة وما تتضمّنه من حفظ الحقوق للجميع دون أي تمييز أو تفرقة.

٣. سنّ القوانين التي تحفظ حقوق كل طائفة أو مذهب أو اتجاه داخل المملكة، وترسيخ هذه القوانين في مناهجنا الدراسية.

□ **ما هي العقبات التي واجهتموها؟**

■ يمكن إيجاز بعض العقبات في النقاط التالية:

أولا: العاملان الاجتماعي والنفسي: الخلاف بين الشيعة والسنة عميق ومتجذّر بين أتباع الطائفتين منذ بواكير الانشقاقات داخل الصفّ الإسلامي، لذلك فإن تضييق الهوّة ورفع الحواجز أمر يتطلّب جهودًا متواصلة لإزالة ما خلّفته الحقب التاريخية السابقة من حواجز نفسية وثقافية واجتماعية بارزة، وبخاصّة أننا شعوب ومجتمعات شرقية من الصعب تغيير كثير من العقليات الجماعية الموروثة والمتعارفة في زمن قصير نسبيًّا.

ثانيًا: العامل السياسي: العامل الأساس في نشوء واستمرار حالة القطيعة بين الطرفين هو العامل السياسي، فمتى ما كانت هناك قرارات سياسية تحتضن مثل هذا التواصل بين الشيعة السنة كانت خطوات التقارب بينهما ممكنة وفاعلة أكثر، ولكننا اليوم نعيش في عالم مفتوح، وللإعلام دور كبير في الترويج للتوجهات التي تؤسسها القوى العالمية الفاعلة على مستوى الساحة الدولية، وما تشير إليه كثير من الدراسات هو وجود قرارات سياسية تقف وراءها القوى العالمية تعزز من وجود هذه الحالة من القطيعة بين الشيعة والسنة، وبالخصوص في منطقة الشرق الأوسط التي تتنازع عليها هذه القوى، كما أننا نفتقد في المملكة إلى كثير من القرارات السياسية المهمّة التي من شأنها أن تعزّز هذه المسيرة وتطوّرها، وهو ما نطالب به المسؤولين والقيادات العليا في الدولة دائمًا.

ثالثًا: العامل الديني: لارتباط هذا الأمر بالجانب الديني، على علماء الدين أن

يقوموا بدورهم في نشر ثقافة الحوار والانفتاح على الآخر وتعزيز مسار الوحدة الإسلامية بين شعوب ومجتمعات المنطقة والتأسيس لهذه الأمور دينيًّا، ولذلك فإنه من العقبات التي تحول دون تحقيق احتضان جماهيري واسع لمثل هذه الأمور هو ما نراه من بعض علماء الدين الذين يكونون عاملاً هادمًا لمثل هذه الخطوات، وبخاصّة ما يصدر عن بعضهم من فتاوى وتصريحات تكفيرية وتبديعية بغيضة.

□ **هل لقيتم تجاوبًا مع جهودكم النبيلة من قبل الجهات الرسمية في المملكة؟**

■ الجهات الرسمية العليا في الدولة تبشّر بمثل هذه التوجهات بين أبناء الوطن، فذلك من شأنه أن يعزّز حالة الاستقرار في البلد، وهو ما يعزّز قوّة وتماسك أبنائه ضدّ أي أطماع خارجية، ولكن المشكلة هي وجود جهات متنفّذة داخل أجهزة الدولة تقف في كثير من الأحيان دون تذليل العقبات التي تحول دون تحقيق مثل هذا النوع من التواصل. فنحن نجد أن خادم الحرمين الشريفين هو من احتضن اتفاق مكّة الذي اجتمعت فيه ٥٨ دولة أقرّت فيه اعترافًا رسميًّا بـ٨ مذاهب، كما أنه عقد مؤتمرًا دوليًّا واسعًا لحوار الأديان، وهو رائد تجربة الحوار الوطني في المملكة.

□ **ما هي انعكاسات هذا التواصل على العلاقة بين السنّة والشيعة في المنطقة؟**

■ مما يؤسف له أن الكثير من لقاءات التواصل لا تتمّ بصورة رسمية، وبالتالي لا يتمّ تغطيتها التغطية الإعلامية الواسعة، ولذلك تظلّ محدودة التأثير، وبخاصّة على المستوى الاجتماعي. نعم، نحن نلمس رضًى وثناءً ومتابعة جيدة من قبل القيادات والمسؤولين في المنطقة أثناء اللقاءات الثنائية في المؤتمرات الثقافية والعلمية، ولكن تأثير هذا التواصل لا يزال ضعيفًا على المستوى الجماهيري، فقد لا نجد له أثرًا بارزًا في المناطق الساخنة في باكستان وأفغانستان. كما أن معظم المجتمعات في المنطقة لا تعاني ظهورًا بارزًا لمثل هذا الخلاف، إلاّ ما رأيناه مؤخّرًا في العراق، والخلاف

هناك هو سياسيّ بالدرجة الأولى، نأمل أن يكون الحراك الذي تشهده المملكة في هذا الاتجاه له أثره البارز على المنطقة، وبخاصّة مع ما تمثّله المملكة على مستوى الساحتين الإسلامية والعربية.

□ **هل لقيتم دعمًا من مرجعيات دينية أو جهات حكومية من خارج المملكة لتعزيز الحوار الوطني الذي بدأتم به؟**

■ مرجعياتنا الدينية غالبًا ما تؤيد هذه التوجهات وتدعمها، وما نلقاه في هذا الاتجاه بعضه غير معلن، ونسمعه أثناء اللقاءات الثنائية، وبعضه ما هو معلن، وكمثال على ذلك ما قام به الشيخ أختري الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت في طهران الذي بعث برسالة يشكر فيها ما نقوم به من جهود في هذا الاتجاه.

□ **هل الطائفة الشيعية بشكل عام بحاجة إلى الإصلاح في خطابها الديني وتعاملها مع سائر المذاهب؟**

■ خطابنا الديني الإسلامي بعامّة يحتاج إلى إصلاح، ذلك أننا نطمح إلى أن يكون هذا الخطاب وسيلة لاستنهاض مجتمعاتنا وشحذ همم أفرادها للتطوّر والتقدّم والأخذ بأسباب الحضارة والرقي، وهذا لا يتمّ بما نراه اليوم من إغراق في الخصوصيات المذهبية الصارخة التي تنحو ـ في بعض الأحيان ـ نحو الإساءة إلى الأطراف الأخرى.

إننا نستطيع أن نعلن عن قيمنا ومبادئنا التي تميّزنا عن الآخر وهذا حقّ مكفول للجميع، بشرط عدم الإساءة أو استفزاز الآخرين، إننا نملك ثروة فكرية وروحية وفقهية (قانونية) تنافس كثيرًا من الأطروحات الغربية المتقدّمة، وعلى خطابنا الديني أن يطرح هذه الثروة ويثريها ويبرزها لتكون الأساس الذي تتربى عليه أجيالنا القادمة وسبيلاً لاستنهاضهم.

□ **هل أسستم مؤسسة أو مركزًا لمتابعة هذه الجهود؟**

■ مجتمعنا لا يزال مجتمعًا ناهضًا في هذا المجال، وهو يشهد الآن طفرة في ظهور العديد من المنتديات والملتقيات التي احتضنت معظم اللقاءات الحوارية والتواصلية، وهي المنتديات التي نأمل مع تقادم التجربة ونضجها أن تتحول إلى مؤسسات رسمية لها أنشطتها وبرامجها الإثرائية التي تخدم مثل هذه التوجهات الطيبة والنافعة.

٧

حوار صحيفة عكاظ[1]

حاوره سعيد الباحص الغامدي[٢]:

□ **بداية شيخ حسن، سيكون سؤالي المبدئي والممهد لحوارنا حول مفهوم التعايش والتقارب بين المذاهب ماذا يقصد به؟ وهل ترى بأنه في مجتمعنا المحلي لا زال حالة من الحالات العصية عن تطبيقه عمليًا بيننا ومعنا؟**

■ المقصود بالتعايش هو قبول الآخر والتعامل معه على أساس الشراكة الوطنية، بغض النظر عن الاختلاف معه في الانتماء الديني.



عكاظ OKAZ

الخميس 16/04/1431 هـ 01 أبريل 2010 م العدد : 3210

الصفحة الرئيسة | الدين و الحياة | حوار

الشيخ حسن الصفار لـ «عكاظ»:

سب الصحابة وأمهات المؤمنين حرام

سعيد الباحص ـ الدمام



اعتبر المفكر الإسلامي الشيعي الشيخ حسن الصفار سب الصحابة الكرام وأمهات المؤمنين من أشد المحرمات، ودعا إلى ميثاق شرف يؤكد على الاعتراف بتعددية المذاهب ضمن إطار الإسلام الذي يتشرف الجميع بالانتماء إليه، ويتبنى هذا تعزيز الاحترام المتبادل، ورفض أية إساءة لأي رمز أو شخصية يقدسها ويحترمها الطرف الآخر.

وقال في حواره مع «عكاظ»: «حتى لو كنا نختلف في تقويم الأشخاص السابقين من الصحابة والأئمة والتابعين والعلماء، ونختلف في تحليل أحداث ووقائع التاريخ، لكن ذلك لا يجيز لأي أحد منا أن يسيء إلى من يحترمه الآخر»، مضيفا أن الأمر المهم هو «التأكيد على العدل والمساواة بين المواطنين، ورفض أي تمييز أو ظلم أو انتقاص لحقوق المواطنة بمبرر اختلاف الانتماء المذهبي، فالوطن للجميع كما أعلن خادم الحرمين الشريفين، وكما نص عليه النظام الأساسي للحكم».

التعايش المحلي

• كيف تنظرون لمفهوم التعايش والتقارب بين المذاهب، وهل ترى أنه ما زال في حالة عصية عن تطبيقه عمليا؟

ـ المقصود بالتعايش، هو قبول الآخر والتعامل معه على أساس الشراكة الوطنية، بغض النظر عن الاختلاف معه في الانتماء الديني.

أما التقارب بين المذاهب، فيقصد تجاوز القطيعة على صعيد العلاقات الاجتماعية، والتركيز على مساحة الاتفاق الواسعة، والحوار حول قضايا الخلاف ضمن ضوابط الأخلاق العلمية والآداب الإسلامية.

وأرى أن التعايش والتقارب بهذا المعنى أمر ممكن في مجتمعنا المحلي، وليس حالة عصية، ذلك أن مختلف دول العالم تتعامل مع التنوع كواقع معاش، فلماذا يكون عصيا لدينا؟، علينا أن نعيش كما يعيش الآخرون في بلدانهم مع تنوعاتهم العرقية والدينية.

حماية حقوق الإنسان

• طالبتم بسن قانون يجرم كل محرض على الكراهية والإساءة للأشخاص والمذاهب، هل بهذه الدعوة نستطيع تدارك التراشقات التي تطول الرموز في الوسائل الإعلامية والمنابر المختلفة؟

ـ من المهام الرئيسة للدولة حماية حقوق الناس فيما بينهم، حتى لا يتعدى أحد على الآخر، ومن اعتدى فإن الدولة مسؤولة عن ردعه ومعاقبته، وهذا واضح في مجال الاعتداءات المادية، كما لو اعتدى أحد على شخص أو جماعة جسديا أو ماليا، لكن المطلوب أن يشمل ذلك الاعتداءات المعنوية، التي تحرض على الكراهية

أما التقارب بين المذاهب فيقصد منه التقارب بين أبناء المذاهب بمعنى تجاوز القطيعة على صعيد العلاقات الاجتماعية، والتركيز على مساحة الاتفاق الواسعة، والحوار حول قضايا الخلاف ضمن ضوابط الأخلاق العلمية والآداب الإسلامية.

---

(١) نشر الحوار في جريدة عكاظ يوم الخميس ١٦/ ٤/ ١٤٣١هـ الموافق ١ أبريل ٢٠١٠م العدد: ٣٢١٠.

(٢) مشرف القسم الثقافي والفكر الإسلامي بجريدة عكاظ مكتب المنطقة الشرقية.

وأرى أن التعايش والتقارب بهذا المعنى أمر ممكن في مجتمعنا المحلي، وليس حالة عصية، ذلك أن مختلف دول العالم تتعامل مع التنوع كواقع معيش، فلماذا يكون عصياً علينا أن نعيش كما يعيش الآخرون في بلدانهم مع تنوعاتهم العرقية والدينية؟

□ طالبتم بسنّ قانون يجرّم كل محرّض على الكراهية والإساءة للأشخاص والمذاهب، فهل لاقت هذه المطالبة قبولاً كبيرًا عند كافة الطوائف؟ وهل برأيكم هذا نستطيع أن نتدارك بعضًا من التراشقات التي تطال الرموز ونمنع تواجدها في كافة الوسائل والمنابر المختلفة؟

■ من المهام الرئيسة للدولة حماية حقوق الناس فيما بينهم، حتى لا يتعدى أحدٌ على أحد، ومن اعتدى فإن الدولة مسؤولة عن ردعه ومعاقبته، وهذا واضح في مجال الاعتداءات المادية، كما لو اعتدى أحد على شخص أو جماعة جسديًّا أو ماليًّا، لكن المطلوب أن يشمل ذلك الاعتداءات المعنوية، التي تحرّض على الكراهية والعصبيات القبلية والمذهبية، فإنها نوع من العدوان، وهي تدفع نحو مختلف أنواع العدوان، وقد اتخذت وزارة الثقافة والإعلام أخيراً قراراً بإغلاق مكاتب قناة فضائية تثير النعرات القبلية، وهو قرار في الاتجاه الصحيح، وينبغي أن يشمل القنوات التي تثير النعرات الطائفية من أي جهة كانت.

وكذلك الفتاوى والخطب في المساجد التي تحرّض الناس على بعضهم بسبب اختلافاتهم المذهبية أو الفكرية.

□ ذكرتم ـ رعاكم الله ـ فحوى خطاب يسترعي منا الكثير من الوقفات عنده ودراسة مضامينه ومن ذلك ما ذكرتموه «أن الخلاف السني والشيعي سيستمر وليس الشيعة المعنيون بإنهائه، وكان مما ذكرتم أيضًا، أنه خلاف عقدي فقهي لا ينبغي معه التجاوز إلى إطار اعتقادي وعبادي» لذلك ألا ترى يا شيخ حسن أن فحوى الخطاب بهذه الصورة يفضي إلى حالة من الاحتقان يوسع دائرة الصراع

بين المذهبين السني والشيعي؟ ثم هل تقترحون لصيغة خطاب تقاربي وعملي يوحّد صفوف المصلحين بين المذهبين؟ ثم هل هناك خطابات سلفية ظهرت واستنكرت كل إساءة وانتهاك طالت المرجعات الدينية؟

■ قلت إن الخلاف السني الشيعي في بعده العقدي الفقهي سيستمر ولسنا معنيين بإنهائه، وأقصد لسنا معنيين كدعاة للتقارب وليس كشيعة، لذلك فالعنوان الذي وضع لهذه الفقرة في بعض وسائل الإعلام ليس متطابقاً مع ما ذكرته في الكلام.

إنني أعتقد أن دعاة التعايش والتقارب، ليس مهمتهم معالجة الخلافات العقدية والفقهية بين المذاهب لإنهائها، وإنما يسعون لإبقاء تلك الخلافات في دائرتها الفكرية والعبادية، دون أن تتحول إلى صراع ونزاع، ودون أن تؤثر على الاستقرار الاجتماعي والوحدة الوطنية.

وبحمد الله تعالى فإن هناك مساحة وعي في الجانبين، نراهن على اتساعها، فهناك علماء ودعاة وكتاب من السنة والشيعة، يحملون هم التعايش والتقارب، وهناك التشجيع الرسمي المتمثل في الحوار الوطني، وتوجيهات القيادة السياسية، كخطاب خادم الحرمين الشريفين الأخير في افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشورى.

□ **أبديتم بكل صراحة مطلقة حالة الخوف والقلق من الشرنقة والشحن النفسي الذي كان سببه الرئيس الإعلام الطائفي واتجاهاته المتشددة مما سبب في نشر حالة العدوى نحو التشدد الطائفي بين أبناء الجيل القادم؟ فكيف لنا أن نرفع حالة الخوف ونلتقي عبر خطاب إعلامي يجمعنا ويمنع كل أطماع تريد النيل من وحدتنا؟ وهل لمستم شيئًا واضحًا سواء من وجهاء ورجال الدين من السنة والشيعة يقفون أمام التشدد الداخلي بين أبناء المذهبين؟**

■ نعم أشعر بقلق شديد مما تبثه الفضائيات ومواقع الإنترنت الطائفية، السنية والشيعية، من إثارة للمشاعر والضغائن والأحقاد، واستخراج الصور السلبية القاتمة

من التاريخ الماضي، ومن كتب التراث، لتعبئة أبناء المذاهب ضد بعضهم، ونجد الآثار السيئة واضحة لهذا الإعلام، حيث ينشغل متابعوه بالجدل والنقاش، حول ما يطرح في هذه الفضائيات ومواقع الإنترنت، ويدور حولها نقاش المجالس، وحتى في دوائر العمل، بل وجدنا تأثيرها على الناشئة من أبناء الوطن، خاصة في المناطق التي يتنوع سكانها مذهبياً سنة وشيعة، فإن بعض الطلاب في مدارسهم يتداولون المسائل الخلافية، وتؤثر على علاقاتهم مع بعضهم بعضًا.

إنه لا بدّ من وضع حدٍّ لهذا الإعلام التحريضي، وتوعية الناس حتى لا يتفاعلوا معه، وفي المقابل يجب دعم البرامج الإعلامية الواعية والهادفة إلى بث ثقافة التسامح والتعايش والحوار.

□ **انتقدتم صراحة جهود مركز الحوار الوطني التي وصفتموها بالجهود الخجولة والضعيفة وذلك بسبب عدم اقتحامها لميادين الاتجاهات المختلفة وتأهيل الناس بقبول التعددية المذهبية الفكرية؟ إذن شيخ حسن تعتبر ما قدّم سابقًا عبر السنوات الماضية مجرد إضاعة للوقت والمال وأننا لم نخرج بصيغة واحدة ترضي الجميع؟**

■ الحوار الوطني كشعار ومشروع يعتبر خطوة رائدة، وهو من أهم عناوين الإصلاح والتطوير التي طرحها خادم الحرمين الشريفين، وكان متوقعاً أن تتركز جهود مركز الحوار الوطني على تعزيز العلاقات البينية بين شرائح وطوائف المجتمع السعودي، بالتصدي لكل ما يسيء لحالة التعايش والانسجام، وبالاهتمام بعقد لقاءات ثنائية وجمعية بين المؤثرين في جماعاتهم وطوائفهم، وصولاً إلى تشجيع الأعمال المشتركة التي تتجذر بها حالة التواصل والتعاون، وتنمي أجواء الثقة والمحبة بين الأطراف المختلفة، إني أنتقد البطء والضعف في جديّة التخطيط والتفعيل لبرامج الحوار بين الاتجاهات المذهبية والفكرية، وانشغال مركز الحوار ببحث مواضيع عامة يمكن أن تناقش ضمن مختلف الأطر والمؤسسات القائمة، كمشاكل التعليم أو

العمل أو الصحة أو ما أشبه.

□ لكن شيخ حسن ألا ترى أن المركز قد نجح في تجاوز حالة القطيعة والنفور والخصام بين المذاهب وخير شاهد على ذلك التناغم الذي حدث في الحوار الأخير بمدينة الأحساء حول الخطاب الثقافي السعودي؟

في كل لقاءات الحوار الوطني، تحصل مشاهد جميلة للتناغم وتبادل الرأي بإيجابية بين هذا الطرف وذاك، لكن بقاءها في حدود الجلسات الرسمية للحوار، وعدم انتقالها إلى الشارع وإلى ساحة الجمهور، هو ما يدفع إلى التساؤل عن مدى الجدوى والفائدة.

□ هناك من يقول بأن موانع قد ضربت بسياجها سابقًا وحالت بين خطاب السنة والشيعة فيما اليوم تلاشت تلك الموانع وذهبت وكان سببه وجود مركز الحوار الوطني فهل تؤيد هذا الرأي؟

■ لا شك أن لقاءات الحوار الوطني كانت فرصة للتواصل المباشر بين شخصيات منتمية إلى مذاهب وتوجهات مختلفة، وهذه إيجابية مهمة، لكن لا يصح الوقوف عند هذا الحدّ، والاكتفاء بهذا القدر، بل لا بدّ من توسيع رقعة تلك اللقاءات، ولا بدّ من إنتاج خطاب ينشر التسامح، ويبشر بقبول التعددية واحترام الرأي الآخر.

□ شيخ حسن دومًا تؤكدون عبر خطبكم المنبرية ومقالاتكم العلمية بضرورة سدّ الثغرات من الخارج، فإلى أي مدى ترى هذه المؤثرات والثغرات ستعود علينا سلبًا في تعايشنا وتواصلنا الاجتماعي محليًا؟ وهل ما يحدث في العراق واليمن مثلًا محطة من محطات الخوف والقلق قد تسبب في تأخر التعايش بيننا من جديد؟

■ لا شك أن هناك أطماعاً دولية وإقليمية، تحاول الاستفادة من الثغرات ونقاط

الضعف، في واقع بلداننا وأوطاننا، ومن تلك الثغرات وجود شعور بالغبن عند طائفة من الطوائف، أو شريحة من الشرائح، فإن ذلك يتيح للجهات الأجنبية فرصة الاستغلال والنفوذ، بتضخيمها إعلامياً، لتشويه سمعة البلد، ونشر أجواء النقمة والسخط في الأوساط التي تشعر بالغبن والتهميش، مما قد يؤثر على الاستقرار والأمن الاجتماعي.

□ **طالبتم في وقت مضى من عمر الزمن إذا أردنا تعايشًا فعليًّا بين السنة والشيعة أن يشتمل التعليم لدينا خاصة الديني منه على القيم الدينية العامة وآراء المذاهب جميعها تجاه أي مسألة؟ لذلك ألا زلتم مقتنعين بهذه المطالبة ولا تخشى أن يحدث نتيجة ذلك تأجيج وصراع فكري وعقدي خطير؟**

■ بالدرجة الأولى يهمنا في مناهج التعليم الديني التركيز على قيم الدين ومبادئه وأخلاقه، ولا يصح إشغال الطلاب وخاصة في المراحل الأولى من إدراكهم ووعيهم، بالخلافات المذهبية العقدية والفقهية، بأن يكون هناك تناول حادّ لوجهات النظر الأخرى، تصل إلى مستوى التكفير والتبديع والتفسيق.

□ **هل أنتم مع السجالات الفكرية الدائرة بين الطرفين التي تتبناها بعض القنوات الفضائية بهدف التحاور أم ترى أن الأمر خرج عن مضمونه وبدأ كل فريق يرفض الآخر؟ أم هذا النوع من السجال قد يفضي إلى مصالحة قادمة؟**

■ لا أؤيد السجالات المذهبية التي تتبناها بعض القنوات الفضائية، لأنها في الغالب تثير قضايا الخلاف، وتركز على إساءات كل طرف للآخر، إن الحوار المطلوب هو ما يقوم على استعراض وجهات النظر بموضوعية، وما يهتم بمواقع الاتفاق، وعدم نشر الصور النمطية التي تحاكم أي طائفة ومذهب على أساس قول ورد في هذا الكتاب، أو طرحه ذلك الشخص.

□ **أخيرًا شيخ حسن، طرحتم فكرة لميثاق شرفي يصون المذاهب ويحفظ كرامتها فكيف يمكن أن تجتمعوا كسنة وشيعة لتحرير هذا الميثاق وترسيخ مبادئه؟ ثم**

هل أنت مع مطالبة العقلاء من المذهبين بضرورة صياغة وتنظيف بعض المراجع التي تطال سبّ الصحابة رضوان الله عليهم وتنتقص منهم؟

■ إنني أدعو إلى ميثاق شرف يؤكد على الاعتراف بتعددية المذاهب، وأنها ضمن إطار الإسلام الذي يتشرف الجميع بالانتماء إليه، ويتبنى هذا الميثاق تعزيز الاحترام المتبادل، ورفض أي إساءة لأي رمز أو شخصية يقدسها ويحترمها الطرف الآخر.

حتى لو كنا نختلف في تقويم الأشخاص السابقين من الصحابة والأئمة والتابعين والعلماء، ونختلف في تحليل أحداث ووقائع التاريخ، لكن ذلك لا يجيز لأي أحدٍ منا أن يسيء إلى من يحترمه الآخر.

ورأيي حول حرمة سب الصحابة الكرام وأمهات المؤمنين واضح منشور، فإن سب صحابة رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين من أعظم المحرمات الشرعية.

والأمر المهم التأكيد على العدل والمساواة بين المواطنين، ورفض أي تمييز أو ظلم أو انتقاص لحقوق المواطنة، بمبرر اختلاف الانتماء المذهبي، فالوطن للجميع كما أعلن خادم الحرمين الشريفين، وكما نصّ عليه النظام الأساسي للحكم.



حوار قناة دليل[1]

حوار الشيخ الصفار مع الدكتور الشيخ سعد البريك في قناة (دليل) أدار الحوار الدكتور عبد العزيز قاسم في برنامجه (البيان التالي) تحت عنوان (الوطن للجميع) ظهر الجمعة ١٧ ربيع الآخر ١٤٣١هـ ٢ أبريل ٢٠١٠م.

حديث الشيخ حسن الصفار في مستهل الحوار

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين. أعرب عن شكري وتقديري للأستاذ عبد العزيز قاسم لإتاحته هذه الفرصة الطيبة لكي ألتقي الدكتور الشيخ سعد البريك في هذه الحلقة أمام المشاهدين، وأرجو إن شاء الله أن تكون هذه الحلقة باعث خير، وباعث وئام، وباعث إصرار على ما قاله خادم الحرمين الشريفين.

كلمة خادم الحرمين الشريفين: «الوطن للجميع» هي تعبير عن حقيقة واقعية؛ لأن الناس شركاء في أوطانهم، كل مواطن شريك في كل ذرة من تراب هذه الأرض، وفي كل قطرة من مائه، وفي كل إمكاناته وثرواته. فخادم الحرمين الشريفين يعبر عن حقيقة واقعية.

هذه العبارة أيضًا تنطلق من فهم عميق لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه

(١) قناة فضائية سعودية دينية اجتماعية خاصة.

وعلى آله وصحبه، فإن كتاب الله يأمر بالعدل ويأمر بالمساواة، وإن سنة رسول الله ﷺ هي التي أسست لأول دستور مدني بين الناس. صحيفة المدينة، حينما هاجر رسول الله ﷺ وصحبه إلى المدينة، وفي المدينة يهود وأديان مختلفة، وضع هذه الصحيفة، وفي الصحيفة جاءت عبارات ملهمة، من عباراتها: «إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، ثم يذكر بقية قبائل اليهود ويقول: «وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأن يثرب ـ محل الشاهد ـ وإن يثرب وجوفها حرام لأهل هذه الصحيفة».

من هذه الصحيفة ومن مبادئ الإسلام نرى أن خادم الحرمين الشريفين قد انطلق من هذا الفهم العميق.

العبارة الثانية أن معيار أي مواطن يكون حسب عطائه وإخلاصه، هذا هو المعيار الإسلامي والإنساني. فالإنسان لا يُقَوَّم بعرقه أو بقبيلته أو بانتمائه المذهبي؛ وإنما يقوّم بعطائه وحسن تعامله مع من حوله، وبالتالي فهذا تأكيد من خادم الحرمين الشريفين على ما نص عليه النظام الأساسي للحكم في مادته الثانية؛ أن الحكم بين الناس في المملكة يكون على أساس العدل والمساواة. فلا يكون هناك تمييز بين المواطنين، الفرص تكون متكافئة، والحقوق أيضًا مشتركة والواجبات كذلك. وهذا يعني أن على كل المواطنين أن يتحملوا المسؤولية اتجاه وطنهم.

الكلام حول الوطن والوطنية ليس الكلام عن الحقوق فقط؛ وإنما عن الواجبات، على الجميع أن يتحملوا واجبهم ومسؤوليتهم في حماية الوطن، وفي الارتقاء بالوطن، وفي الدفاع عن الوطن، خاصة وأن أوطاننا مستهدفة ممن يريد اختراق أمنها وتهديد استقرارها، فلا بدّ وأن نتحمل جميعًا هذه المسؤولية، فالوطن لنا جميعًا وهو أمانة في أعناقنا، وأجيالنا أيضًا ستسائلنا عن تصرفاتنا وممارساتنا، خاصة وأننا نعيش في وطن ليس كسائر الأوطان؛ وإنما هو وطن فضّله الله سبحانه وتعالى على جميع بقاع الأرض بالحرمين الشريفين، وبانبثاق نور الإسلام من أرض هذا الوطن. ولهذا فهذه

الكلمة بالفعل هي استلهام من مبادئنا وقيمنا وتعزيز لأصالتنا.

□ **عبدالعزيز قاسم (مقدم البرنامج): الشكر لك، الله يجزاك خير، أنا أعود إليك واستفاض بنا الشيخ سعد في موضوعين: في الموضوع الأول بالنسبة للتعايش هو فرق بين التعايش وبين التقارب، قال عن التعايش إنها ضرورة وضرورة أمنية ومصلحة شرعية، فيما وصف التقارب بأنها خرافة ووصفني بأنني أحد مدلسي الحديث تفضل.**

فضيلة الشيخ حسن الصفار: في الواقع أنا كنت سعيداً جداً بما أكد عليه الدكتور في بداية حديثه بأننا لا نريد لهذه الحلقة أن تكون امتداداً ولا تكرارًا للمناظرات المذهبية التي كانت في المستقلة، لكن الدكتور يبدو أخذه الحماس وراح في هذا الموضوع.

□ **عبدالعزيز قاسم (مقدم البرنامح): هو دلل على موضوع التقارب بأنه لا يمكن أن نتقارب..**

فضيلة الشيخ حسن الصفار: موضوع التفريق بين مصطلح التعايش والتقارب نتحدث حوله، ولكن أقول إن الدكتور اسْتُدْرِج، استدرجته أنت أو هو تحمس وتحدث عن قضايا فيها تفاصيل، السكوت عنها قد تبدو وكأنني موافق على كل الحديث الذي سبق، والرد عليها يدخلنا في المناظرات المذهبية التي لا نريد أن ندخل إليها.

وفي الواقع أنا أقول إن الدكتور يعرف أن مسألة القول بصيانة القرآن، هذا قول مجمع عليه عند الشيعة الآن،

□ **عبدالعزيز قاسم (مقدم البرنامح): أنت تتحدث عن إجماع يا شيخ حسن،**

فضيلة الشيخ حسن الصفار: نعم الآن مجمع عليه. كان هناك في الماضي أفراد يقولون بهذا القول ـ أي التحريف ـ، لكن الرأي السائد لمعظم علماء الشيعة وآرائهم تقول بصيانة القرآن عن التحريف. وقد كتبوا في ذلك كتبًا، أكثر من ثلاثين كتابًا ومؤلفًا

شيعيًا في التأكيد على صيانة القرآن، والرد على أسطورة التحريف، وهي مطبوعة.

وقبل سنتين أو ثلاث سنوات، الشيخ عبد الله المنيع جزاه الله خيرًا في الشرق الأوسط كان عنده كلام جميل؛ أن هذا الكلام تجاوزه الزمن، لا أحد من الشيعة يقول بتحريف القرآن، والشيعة مساجدهم مفتوحة، ومجتمعاتهم مفتوحة، ليس هناك قرآن آخر غير هذا القرآن.

ولذلك أنا أرجو أن نترك إثارة مثل هذا الموضوع؛ لأنه ليس له واقع خارجي، ليس هناك أحد من الشيعة الآن يقول هذا هو القرآن الآخر، القرآن واحد عند الشيعة وعند السنة، فإثارة مثل هذا الكلام في كل وقت وفي كل آن، يصنع بعض التوترات والتشنجات ويعيدنا إلى نفس الحلقة المفرغة، قلتم ونقول وماذا جوابكم وماذا.... هذا لا نحتاج إليه. وكذلك بالنسبة إلى الصحابة أيضًا، الشيخ جزاه الله خيرًا أشاد بي، لكن قد يفهم من كلام الشيخ بأنني الوحيد من الشيعة، أقول مثل هذا الكلام...

بينما كثر من علماء الشيعة كتبوا وتحدثوا وخطبوا وأعلنوا، وبياناتهم أيضًا منشورة وواضحة....

□ **عبدالعزيز قاسم (مقدم البرنامح): يا شيخ حسن، اسمح لي فقط أقاطعك في هذه النقطة، لأنه أيضا كما استبق الشيخ الحلقة بمحاضرتين، أنت أيضًا استبقت الحلقة بحوار في صحيفة «عكاظ» بالأمس، وأيضًا كان اليوم تصريح لك في موقع «المعترك» وقلت فيه بأن من كفر الصحابة متأولًا أو جاهلًا بعد أن يُناقش وتوضح له الشبهة وأصرّ على موقفه، خرج من الملة. قلت هذا يا شيخ**

فضيلة الشيخ حسن الصفار: أقول ليس هذا كلامي أنا وحدي، وإنما أغلب ومعظم علماء الشيعة ومفكري الشيعة هذا هو رأيهم، وإذا كان من يقول خلاف ذلك فهي آراء شاذة، وهي آراء يتحمل أصحابها مسؤوليتها.

لذلك أنا أؤكد أننا لا نريد أن ننزلق إلى منزلق المناظرات المذهبية، والكلام الذي

ذكره أخي الدكتور الشيخ سعد في كثير من تفاصيله فيه نقاش، لكنني إذا أردت أن أناقش هذا الكلام وأرد وآخذ وأعطي، سأخالف ما بدأ به الدكتور أننا لا نريد الانزلاق إلى المناظرات المذهبية..

ولكن بكلمة أقول، في كثير من الأحيان الشيعة يتحدثون عن التاريخ الماضي، وفي التاريخ الماضي كان هناك قمع، وكان هناك إيذاء لكثير من الشيعة. لا نستطيع نحن أن نلغي ذلك التاريخ، ولكن نقول لأبنائنا الشيعة وإخواننا الشيعة أن السنة ليسوا مسؤولين عن المظالم التي حصلت في التاريخ.

حكام وسلاطين حكموا وتصرفوا إنها ممارساتهم هم، لا يتحمل السنة تلك المظالم. وكذلك في تراث الشيعة هناك أشياء سلبية في تراث الشيعة كما في تراث السنة، لا يصح أن نحمل الشيعة مسؤولية السلبيات التي هي في التراث، علينا أن نتجاوز هذا الأمر، خاصة وأن كلمة خادم الحرمين الشريفين حول الوطن، فعلينا أن نتحدث حول الوضع في مجال الوطن.

أما الكلام عن التبشير الشيعي في المناطق المختلفة، ويرد عليه كلام من الشيعة حول التبشير السني في المراحل السابقة واللاحقة أيضًا، هذا لا نريد أن ندخل فيه. نريد أن نتكلم حول الوطن، وكيف يتحقق للمواطنين في المملكة العربية السعودية ما ينص عليه دستورهم ونظامهم الأساسي للحكم من العدل والمساواة، وأن نعيش في سلام وفي تآخٍ، وفي لحمة، وفي وحدة وطنية حقيقية.

الدكتور قال التحصين؛ أن نحصن السنة. طبعًا الشيعة أيضًا لهم حق أن يحصنوا مجتمعهم الشيعي، لكن التحصين تارة يكون بعرض معتقدات كل فئة أمام جمهورها، وتارة يكون بتعبئة الفئة ضد الفئة الأخرى.

من حق أي علماء وأي دعاة أن يحصّنوا مجتمعهم وجمهورهم ويعرضوا عقائدهم ومعارفهم، لكن لا يصح أن يصل إلى مستوى التعبئة ضد الآخر، والتحريض على الآخر. نعود إلى المصطلح، المصطلح ليس مشكلة...

والتقارب فيما أفهمه ليس هو التقارب بين المذاهب، هذا التباس في المصطلح؛ التقارب بين أتباع المذاهب، بين أبناء المذاهب؛ لأن المذاهب في الأصل في نظري هي متقاربة، تختلف في بعض الفروع العقدية والفقهية، ولكنها تنهل من منبع واحد، وتدين بالأسس الإيمانية الواحدة؛ وإنما الكلام حول التقارب بين أتباع المذاهب.

البعض حينما يقرأ التقريب والتقارب، يتصور أن يتنازل أهل هذا المذهب قليلًا، وأهل هذا المذهب قليلًا، حتى يلتقوا في منطقة وسط. هذا ليس صحيحًا، المقصود بالتقارب هو التقارب الاجتماعي ، هو التآلف، هو التواد، هو في مواجهة حالة القطيعة والعزلة، ولذلك لا مشاحة في المصطلحات، تعايش تقارب ليس فيه مشكلة بالنسبة لي لا مشكلة في الموضوع...

وعلق الشيخ الصفار على مداخلة الدكتور صادق الجبران من الأحساء عن معوقات هذا التعايش المثالي و فتاوى التكفير من قبل الآخرين فقال الشيخ الصفار:

في الواقع نحن نريد أن نتلمس المشكلة حتى نعالجها، وليس من أجل أن نتاجر بها أو أن نعمقها. الحمد لله الآن الدولة، دولتنا دولة عزيزة، وما عاد هناك مشكلة في الإشارة إلى بعض السلبيات أو النواقص، لا أحد من المسؤولين يدعي الكمال؛ وإنما هناك نواقص تحصل. وسابقًا لم يكن هناك حديث عن بعض المشكلات في الوطن. الآن أصبحنا نجد الحديث عنها على صفحات الجرائد وفي الندوات وفي المؤتمرات، مثل إصلاح مناهج التعليم، ومثل قضايا حقوق الإنسان، ومثل مشكلة الفقر.

أنا أعتقد أن من المشاكل التي ينبغي الإفصاح عنها، والحديث حولها؛ أن المواطنين الشيعة يشكون من بعض الممارسات التمييزية. هذه الممارسات تقوم بها بعض الجهات، بعض الموظفين، بعض الجهات الدينية الموجودة التي عندها نوع من التشدد، هذه الممارسات التمييزية لا بدّ وأنها تسبب ردود فعل عند الناس. ردود الفعل عند كل إنسان حسب إمكاناته.

الحمد لله أن الشيعة في المجمل لم ينزلقوا إلى منزلقات العنف، ولم يدخلوا في متاهات الإرهاب والحمد لله في المملكة. وهذا ما أكده النائب الثاني وزير الداخلية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز في لقاء له مع الشيعة حينما جئنا لتهنئته بهذا المنصب، أشار إلى هذه القضية.

ولكن في بعض الأحيان حينما يتعرض المواطن إلى ما يرى أنه إذلال، إلى ما يرى أنه انتقاص من حقوقه الوطنية كمواطن، تحصل عنده حالة انفعال، تحصل عنده حالة تشنج، فقد يقول كلامًا غير إيجابي.

أنا أعتقد أن من مهماتنا، ولمصلحة الوطن، أن نقف أمام هذه الممارسات التمييزية في التمييز الطائفي، هي مخالفة للنظام الأساسي في الحكم، هي مخالفة لتوجيهات قيادة البلد، ولكن كما نعلم أجهزة الدولة فيها موظفون، هؤلاء الموظفون قد يحصل من بعضهم فساد، قد يحصل من بعضهم انحراف، ولذلك خادم الحرمين الشريفين شكل لجنة تحقيق فيما حصل في جدة إذا كان هناك فساد. ولذلك أنا أدعو إلى أن يكون هناك بحث حول هذه المشكلة.

نحن الشيعة نرى أن هناك ممارسات تمييزية تمارس ضدنا كمواطنين من قبل بعض الأجهزة، من قبل بعض الجهات، نطالب بأن يكون هناك بحث ومناقشة لهذه المشكلة، لا يصح التستر عليها وإنكارها.

الحال العام الحمد لله، طيب، ولكن الممارسات التمييزية هذه تثير وتسبب التشنج. الأمر الآخر؛ التعبئة والتحريض، وأعتقد أن الدكتور صادق الجبران أشار إلى هذه القضية.

في الحرب العراقية الإيرانية صارت تعبئة مذهبية. طبعت كتب وفتاوى، وإلى الآن، كلما حصل حدث سياسي في الخارج، يكون هناك تعبئة مذهبية في الداخل، مثل الدعاء على الشيعة في المساجد وعلى المنابر، وهذا ما سمعناه في بعض المساجد، لا أقول كل المساجد. بعض الكتابات، بعض الخطابات، تكفير للشيعة، كلام ضد

الشيعة، هذا التحريض يسبب أثراً سلبياً، الشيعي يشعر بإهانة واحتقار، بعض السنة المتشددين يأخذون هذا الكلام كتشريع لممارساتهم التمييزية، فتحصل الكثير من المشاكل فيما بين المواطنين.

ولذلك أنا أدعو أخي الدكتور الشيخ سعد البريك، كما سبق أن دعوت بعض المشايخ والدعاة وقلت لهم: أنتم والحمد لله أهل دين وأهل ورع وأهل تقى، ولا يرضيكم أن يظلم أحد وأنتم تتفرجون على ظلامته. وولاة الأمر أيضًا لا يرضيهم ذلك، لكن بعض الجهات تتصور أن لها الحق في أن تقوم بهذا الأمر. ولهذا أنا أرجو أن يكون هناك مناقشة لهذا الموضوع، ومعالجة لهذه المشكلات حتى نقي الوطن من المضاعفات ومن السلبيات.

وحول ما أثاره الشيخ سعد البريك من نقد وتهجم على بعض المقولات في التراث الشيعي، قال الشيخ حسن الصفار:

قبل ذلك أحب أن أعقب على بعض ما تفضل به الدكتور الشيخ سعد. لا شك أن الشيعة كمذهب لهم آراؤهم العقدية والفقهية، والكلام ليس عن السعي لتغيير آرائهم وعقائدهم. كل مذهب له خصوصياته وله آراؤه، ربما يتمنى الشيعة أيضًا لو أن السنة يغيرون معتقداتهم.

الشيعة يعتقدون أن وجهة نظرهم هي الحق وهي الصحيحة في موضوع الإمامة، وفي موضوع أهل البيت وفي مختلف القضايا، وهم عند النقاش يناقشون ويستدلون ويحتجون ولهم أدلة. أحد علماء الشيعة؛ العلامة الحلي ألف كتابًا اسمه: «الألفين في إمامة أمير المؤمنين» ألف دليل من النقل وألف دليل من العقل.

وهناك الشيعة أيضًا عندهم إشكالات على أهل السنة، كما أن أهل السنة عندهم إشكالات على الشيعة، وأحد العلماء المعاصرين ألف كتاب: «ألف إشكال وإشكال على أهل السنة» بالتالي بين المذهبين هناك جدل، هناك كلام.

إذا كان أهل كل مذهب وضعوا شرطًا؛ أن يتغير أهل المذهب الآخر في عقائدهم وآرائهم، فهذا يعني لن يتحقق هناك تعايش.

الاختلاف المذهبي مُعْتَرَف به، ومُقَر ومتروك للحوار وللبحث العلمي، ولكن أن نهيّج به الناس على بعضهم بعضًا، هذا خطأ كبير. أنا حينما آتي وأتحدث حول بعض المسائل التي تهيّج أبناء الشيعة على السنة، أو تهيّج أبناء السنة على الشيعة، هذا ليس في مصلحة الناس، وليس في مصلحة الوطن.

ولذلك أنا أطلب من الأخ الشيخ الدكتور سعد أن بعض هذه المسائل التي كما قال ملّ فلان من طرحها نتجاوزها. لماذا يكون الشيعة دائمًا في قفص الاتهام؟ كل يوم عليك أن تصرح أنك لا تقول بتحريف القرآن؟ كل يوم عليك أن تصرح أنك لا تسبّ الصحابة والخلفاء؟ علينا أن نتجاوز هذا الأمر، خاصة وأن هذه الآراء وهذه الممارسات هي محدودة.

أشار الشيخ إلى أني درست كتبًا في الحوزات، والله لم أدرس كتابًا فيه تكفير لأهل السنة، ولا يوجد عندنا كتاب يدرس في الحوزات فيه مثل هذا الأمر، وقلت في المكاشفات...

لا يوجد عندنا كتاب ندرسه ويقول بتحريف القرآن. وحتى ما أرسله الدكتور، الشيخ سعد... إرسال المسلمات أن السيد السيستاني يقول بأن من يجحد الإمامة فهو كافر، هذا كلام غير صحيح، هذا افتراء على السيد السيستاني.

السيد السيستاني لا في رسالته العملية، ولا في كتبه، ولا في فتاواه.. وقد ذكرت ذلك في مقال ناقشت فيه الدكتور سعد، ولكن يمكن لم يصل إلى الشيخ سعد، ولذلك كرر الكلام مرة أخرى الآن في هذه الحلقة.

الرجل موجود، السيد السيستاني موجود، وكتابه الفقهي وفتاواه موجودة، وآراؤه موجودة، وهناك مجلد كامل النصوص الصادرة عنه موجودة، وأنا الآن لست في

مورد الدفاع عن السيد السيستاني في هذه الحلقة. لكن أقول: ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ﴾ كما أمرنا القرآن الكريم. علينا أن نتثبت، إذا كان هناك موقع على الإنترنت محسوب على السيد السيستاني وفيه كتب الشيعة السابقة ككتب رقمية... لا يُحاسب رجل عن الكتب الموجودة في مكتبته، المكتبة الرقمية التي على الأنترنت هي مثل المكتبة الورقية. نحاسب السيد السيستاني على كل كلمة وردت في أي كتاب من الكتب، كان في مكتبة رقمية في موقع على الإنترنت تابع له؟

نحاسب الرجل على فتاواه، إذا كان هناك فتوى، إذا كان هناك شيء في كتابه، فيمكننا أن نتناقش حول الموضوع. موضوع التعازي وأن الشيعة عندهم احتفاء وتعازي على أهل البيت، أنا أقول للشيخ سعد إننا نرى أن هذه التعازي ليست مجرد مجالس للبكاء أو لاجترار الحزن. وأنا وأمثالي تحدثنا كثيرًا حول هذا الموضوع، هي محاضرات توعوية. المجالس هذه الموجودة هي محاضرات للتوعية، ولذكر تفسير القرآن وسيرة أهل البيت، وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله.

المصيبة هي شيء محدود، أو قراءة مظلومية أهل البيت هي شيء محدود في هذه المجالس. ونحن نرى الآن في بعض الفضائيات، حينما تطرح مثل هذه الأمور المبالغ فيها من التعازي، هذه لا تعبر عن كل الواقع الشيعي، يعني مثلًا برامج المقاومة الإسلامية في لبنان، في كل ليلة عندهم برنامج ويبث على الهواء في قناة المنار، موضوعها حول قضايا الأمة، حول قضايا المجتمع، حول قضايا الناس. فإذن التعازي ليست مجالس البكاء والرثاء فقط ...

وبالتالي هذه الجزئيات إذا ذكرت وأردنا أن نناقشها يطول الأمر، ويخرج بنا عن مسار الحلقة...

ولذلك أرجو أن الشيخ سعد حفظه الله يترك هذه الجزئيات، كل جزئية هي تناقش.

وحول نص سؤال قرأه الشيخ البريك وجه للسيد السيستاني وهو: «هل يعتبر مسلم من لم يؤمن بأحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام؟

الجواب: إذا استلزم إنكاره تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغه عن الله في الأئمة فهو كافر»

قال الشيخ الصفار: هذا حتى أنت تقول به لأنه شرط مشروط؛ إذا استلزم... أنا لم أطلع على الفتوى، لكن أقول إذا استلزم...

عفوًا أنا أؤكد أنه لو استلزم أي موقف ليس فقط في هذه المسألة... إذا استلزم التكذيب، فالكفر على استلزام التكذيب.

تعليق الشيخ الصفار حول مداخلة الدكتور محمد السعيدي حول أن التراث الشيعي يحتاج إلى غربلة جديدة ونقد صريح. لا سيما وأن معظم الكتب تعج بهذا التكفير، قال الشيخ الصفار:

في الواقع أنا أومن بأن التراث الإسلامي كله، التراث السني والشيعي يحتاج إلى مراجعة وليس فقط التراث الشيعي. لا يستطيع أحد أن يبريء التراث السني أيضا. إذا أخذنا كل التراث، يعني كل كتب الحديث، وكل كتب الفتاوى، وكل كتب التفسير هي الأخرى أيضًا ليست كل ما ورد فيها صحيح، ولذلك هناك صحاح معينة فقط، وما عداها قابل للأخذ والرد والنقد. تراث الشيعة وتراث السنة يحتاج بالفعل إلى تمحيص وإلى غربلة، لكنني آخذ على كثير من إخواننا أهل السنة كيف يتوجهون إلى بعض السلبيات في التراث الشيعي، ويغضون الطرف عن كثير من الإيجابيات الموجودة فيه.

الصحيفة السجادية فيه دعاء للصحابة؛ الصلاة على صحابة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. في «نهج البلاغة» فيه فقرات كثيرة للإمام علي في الإشادة بالصحابة. وكذلك حتى في كتب الشيعة حتى في بحار الأنوار وحتى في سائر الكتب تجد فيها أشياء كثيرة إيجابية أيضًا.

وفي الكافي أيضًا أشياء كثيرة إيجابية .

مداخلة للشيخ سعد البريك: لماذا لم يأخذ بها الشيعة؟

الشيخ الصفار: نعم، عملًا يأخذون بها، يعني الشيعة الآن نحن الشيعة في المملكة هل كل شيعي في المملكة كل يوم يسب الصحابة؟

...وله قرآن محرف؟ من يأخذ بها؟ الآن الشيعة في المملكة الموجودون خلال هذه السنين، من منهم أظهر شيئًا فيه تحريف للقرآن؟ من منهم سبّ ولعن الصحابة من العلماء؟ لماذا إثارة هذا الموضوع في كل يوم؟ وحتى في الأسماء التي استشهد بها، يقول عن الإمام الخميني، يأتي بكتاب قديم للإمام الخميني ويغفل عن عشرات أو مئات البيانات التي أصدرها الإمام الخميني يدعو فيها إلى الوحدة بين السنة والشيعة.

أنا لست هنا في مقام الدفاع عن أحد، لكن أدعو إلى الموضوعية. الخميني أعلن أسبوعًا سماه أسبوع الوحدة بين السنة والشيعة، ويصدر بيانات، ودعا الشيعة لكي يصلوا خلف السنة في الحرمين الشريفين.

لماذا نحن نأخذ شيئًا ونترك شيئًا...

أنا كلامي حول ملاحظة للشيخ السعيدي أنه لا يصح أن نختصر التراث الشيعي كله في بعض الروايات أو بعض المرويات...

وفي كتب السنة ماذا تصنعون في المرويات؟

وفي فتاوى السنة ماذا تصنعون في المرويات؟

وحول مداخلة الشيخ سعد البريك بأن السنة عندهم تعصب لصحة الحديث وسلامة السند، ولا غضاضة أن يقال أن هذه المسألة مردودة على هذا العالم قال الشيخ الصفار:

نعم أحسنت، فأنا أقول إذن لا ينبغي أن نشغل أنفسنا ونشغل الناس بما في كتب التراث. تعالوا نصنع واقعًا جديدًا، تعالوا نتحدث حول مشاكلنا وقضايانا التي نعيشها.

□ **وحول سؤال الشيخ سعد البريك: عن المراجع هل نحترمها أو نحرقها أم نلغيها أم نهدرها؟**

فضيلة الشيخ حسن الصفار: كبقية كتب التراث نأخذ منها ما نراه موافقًا للكتاب والسنة وكما هو موجود عند الشيعة، الإمام الصادق نروي عنه وكل الشيعة يأخذون بهذه الرواية...

ما ورد عنا فاعرضوه على كتاب الله وسنة رسوله، ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فاتركوه....

□ **عبدالعزيز قاسم: نعم ولكن في مثل هذه الدعوة يا شيخ حسن هل لها قبول في الأوساط الشرعية الشيعية؟ بكل صراحة دعنا نتحدث بكل صراحة، ما تقوله يأسر اللب الحقيقة، ويجعلنا ننجذب إلى هذا الخطاب الجميل وكلنا نوافقك فيه، ولكن ما مدى قبوله لدى المرجعيات الشيعية؟**

فضيلة الشيخ حسن الصفار: نعم، تعال إلى ملاحظة أخرى قالها الدكتور السعيدي، إن موضوع المواطنة وحقوق المواطنين هذا لا يهم طلبة العلم؛ وإنما ينبغي أن يكون الحديث فيه مع الدولة. أنا أريد أن أعلق هنا أن الدولة أعزها الله تعطي اعتبارًا كبيرًا لطلبة العلوم الشرعية وللجهات الدينية، وأنا أعتقد أن بعض الجهات الدينية تُحَرّض بعض أجهزة الدولة ضد المواطنين الشيعة للانتقاص من حقوقهم.

أجهزة الدولة لا مانع لها أن يبنى مسجد للشيعة. أجهزة الدولة وقوانين الدولة لا مانع لها أن تبنى حسينية للشيعة، أجهزة الدولة لا تمنع أن يتساوى المواطن الشيعي مع بقية المواطنين في كل المجالات والحقوق. ولكن تحصل حالات من التحريض، مثلًا، ولا أريد أن أفتح كل الملفات، في مجال التعليم، تعليم الذكور ما عندنا مشكلة أن تكون مدارس أهلية في مناطقنا في القطيف والأحساء، عندنا مدارس أهلية كثيرة، ولكن في تعليم البنات هناك ممانعة أن تكون هناك مدارس أهلية، رغم أن المدرسة الأهلية هي تلتزم بالمنهج الرسمي وتحت إشراف المؤسسة الرسمية.

لماذا في تعليم الأولاد يسمح، وفي تعليم البنات لا يسمح؟

الجواب: لأن في تعليم البنات هناك جهات دينية ترفض ذلك. وهكذا بالنسبة للمساجد والحسينيات. الحمد لله الآن من سنوات جزاه الله خيراً أمير المنطقة الشرقية الأمير محمد بن فهد والنائب الثاني وزير الداخلية جزاهم الله خيراً سعوا في حل مشكلة بناء المساجد في مناطق الشيعة في القطيف والأحساء، ولكن في غير القطيف والأحساء لا زال الشيعة يعانون من هذه المشكلة، لماذا؟ بسبب الجهات الدينية. ولذلك أنا أقول من المهم جدًا...

...أن نتحدث مع طلبة العلوم الدينية حول هذا الموضوع، عدم تحريض أجهزة الدولة على هؤلاء المواطنين الشيعة للانتقاص من حقوقهم...

□ **عبدالعزيز قاسم (مقدم البرنامج): طيب أنت أوصلت رسالتك، وإن كان لم تجب عن سؤالي ولم تجب عن سؤال الدكتور محمد السعيدي، سأتنازل عن سؤالي في مقابل من تقصدون بـ: يا لثارات الحسين»؟**

فضيلة الشيخ حسن الصفار: «يا لثارات الحسين» ليست عبارة مقدسة، نحن لا نعتقد أن أهل السنة قتلوا الحسين، نعتقد أن الظلم والطغيان قد قتل الحسين. وهذا يوافق عليه أهل السنة..

تعليق الشيخ على نتيجة الاستفتاء التي كانت:

هل تعتقد بأهمية إقرار وثيقة للتعايش بين الطوائف والمذاهب المختلفة في وطننا؟

نعم: ٣٤٪

لا: ٦٥٪

لا أدري: ١٪

فضيلة الشيخ حسن الصفار: نتيجة الاستفتاء تعني أن علينا مسؤولية كبيرة في أن نبذل جهدا لتشجيع مسيرة التقارب والتعايش، وأن وجود متوجسين من الطرفين

يحملنا مسؤولية كبيرة بمعالجة هذه التوجسات عبر التوعية السليمة المطلوبة.

بالنسبة إلى ما ذكر الشيخ عوض، هناك كلام ونقاش، هو أشار إلى أن بعض المجاميع الشيعية عملت في السنة في العراق، وكأنه نسي دور أبي مصعب الزرقاوي والمجاميع التي فجرت في مناطق الشيعة...

هناك مشاكل في الجانبين، والبداية في العراق كانت من التكفيريين؛ من أبي مصعب الزرقاوي. متى حصلت حوادث من الشيعة؟ إذا حصل شيء فهو بعد تفجير سامراء؟

أنا أريد أن أقول إننا بحاجة إلى أن نوقف أي كلام يسبب تعبئة أو تحريضًا. خطابات بعض الدعاة تساعد على هذه التعبئة....







حوار وكالة رسا الإيرانية للأنباء[1]

كيف رأيتَ شخصية الشهيد مطهري؟

أجاب الشيخ حسن الصفار:

كان الشهيد مطهري ﵀ عالمًا منفتحًا في اتجاهين مهمّين لا يمكن لعالم الدين في عصرنا الحاضر أن ينطلق في ممارسة رسالته دون أن يتوجه في عمله من خلالهما:

الاتجاه الأول: الانفتاح على المحيط الاجتماعي: فالشهيد مطهري لم يكن عالم دين منـزوٍ، بل كان نشطًا اجتماعيًّا وثقافيًّا، ولا أدلّ على ذلك حضوره الكبير من خلال محاضراته التي تحوّل معظمها إلى كراسات وكتب تربى جيلًا كاملًا على أفكارها ورؤاها المعاصرة.

والاتجاه الآخر: الانفتاح على العلوم والثقافات الحديثة: ولعلّ لوجوده مدرسًا في كلية الإلهيات بجامعة طهران أثر كبير في الإطلاع على هذه العلوم والمعارف الحديثة، كما أن احتكاكه بالطبقة الجامعية كان سيفرض عليه نوعًا من الانفتاح عليها.

إن معايشة عالم الدين لقضايا مجتمعه ومحيطه المحلي والعالمي يشكّل فرصة جيدة له لفهم واقع الحياة بصورة أفضل، وهو ما ينعكس تاليًا على تطبيقه للمفاهيم والأحكام الشرعية ومعاصرتها لواقع هذه الحياة، حيث سيكون لذلك دوره في إعطاء

---

(١) حوار مع سماحة الشيخ حسن الصفار حول الشهيد الشيخ مرتضى المطهري (١٩٢٠ -١٩٧٩م) أجرته وكالة رسا الإيرانية للأنباء. نشر بتاريخ ١ مايو ٢٠١٠م.

الرؤية لكثير من مجرياتها الحديثة بصورة أقرب إلى الواقعية.

وعن تأثير شخصية الشهيد مطهري في عصره قال الشيخ الصفار:

يمكن أن نضع تأثيره في اتجاهين، الاتجاه الأول فيما يرتبط بتقديم الصورة المشرقة للإسلام، إذ الشهيد مطهري كما كان له ارتباطه بالدرس الديني التقليدي (الحوزوي)، كان له ارتباطه بالدرس الجامعي، وكان لهذا تأثيره في القضايا التي عالجها في محاضراته ومؤلفاته العديدة، وكذلك في أسلوب تناوله لهذه القضايا، وهو ما أسس تاليًا لما عرف لاحقًا بـ(علم الكلام الجديد)، ذلك أنه عالج كثيرًا من المسائل العقدية بأسلوب ونمط ينسجم والطروحات الحديثة، وبالإضافة إلى ذلك استحدث بعض القضايا التي لم تكن مطروقة سابقًا في علم الكلام، حيث عالجها من زاويتها الإسلامية وفق الرؤية الإمامية وبأصالة عميقة.

وهو بهذا السبق كان يطرح الصورة المشرقة للإسلام في مبدئيته وقانونيته التي يمكن طرحها في قبال المبادئ والعقائد والأيديولوجيات والتشريعات الحديثة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان للشهيد مطهري دوره البارز في رفد الجماهير الإيرانية بالثقافة الإسلامية الواعية التي انطلقت مع حركة الإمام الخميني الراحل لتصنع حركة جماهيرية رائدة لا مثيل لها في هذا العصر، ولتقدم نموذجاً ثورياً باهراً أطاح بأعتى النظم الاستبدادية، وأقام نظاماً دينياً شعبيًا.

وعن مدى الاستفادة من آثار آية الله مطهري العلمية أجاب الشيخ الصفار:

تزخر الدول الإسلامية ـ وفي مقدمتها الجمهورية الإسلامية في إيران ـ بوجود العديد من الجامعات والصروح العلمية، وهذه الجامعات بيئة خصبة لتنمية العلوم والمعارف الإسلامية، وما أقترحه هنا للاستفادة الأكبر من تراث وفكر الشهيد مطهري هو تبني جامعاتنا الإسلامية لأعلامنا المعاصرين ولما طرحوا من أفكار، وذلك من خلال إنشاء العديد من الكراسي العلمية داخل الجامعات، ومن هؤلاء الأعلام

الذين يستحقون منّا كل اهتمام وتقدير هو الشهيد مطهري، إذ من الممكن أن تتبنّى الجامعات كرسيًّا علميًّا باسم الشهيد مطهري يكون تحت إشراف أحد المتخصصين في الدراسات الإسلامية الأكاديمية وتخصص فيه العديد من الدراسات حول أفكار وتراث الشهيد مطهري العديدة والمتنوّعة.

من ناحية أخرى يجب تكثيف نشر أفكار الشهيد مطهري على المستوى العالمي وبمختلف اللغات وتشجيع حركة التطوير لما أنجزه من أبحاث وأفكار.

ورداً على سؤال: كيف حقق الشهيد مطهري هذا الموقع وهذه الشعبية قال الشيخ الصفار:

ربما كان ذلك لعوامل عدّة، يمكن الإشارة إلى بعضها، وهي:

١. إخلاصه العميق لله سبحانه وتعالى الذي منحه التوفيق والبركة في مسيرته.

٢. احتكاكه الدائم بالجمهور، ويشهد لذلك العدد الكبير من المحاضرات الدينية والثقافية والعلمية التي كان يحاضرها.

٣. ارتباطه بأجواء الجامعة، إذ الشريحة الجامعية شريحة شابّة متعطّشة إلى المعرفة، حيث كان حضوره وسط هذه البيئة عاملاً مهمًّا لأن يتعرّف حاجات هذه الشريحة، كما أن الطلبة الجامعيين سيتعرّفون ـ من خلاله ـ كثيرًا من المفاهيم والمعارف الدينية، ما يجعله عالم الدين الأقرب إليهم وإلى أفكارهم ورؤاهم حول الدين والحياة والإنسان.

٤. جرأته في طرق بعض الموضوعات الدينية التي لم يكن مألوفًا مناقشتها، وذلك من قبيل محاضراته العاشورائية التي كان يناقش فيها العديد من الوقائع التي تذكر في واقعة كربلاء، داعيًا الجمهور إلى عدم تلقّف أحاديث الخطباء دون تمحيص وتدقيق أو محاسبة، وكذلك معالجته لبعض المشكلات مع علماء الدين، وهي المشكلات التي لم تكن لتطرق وسط الأجواء أو المجتمعات

المتديّنة، وغير ذلك من الأمثلة .. إن تناول هذه النقاط سيثير جدلاً في مثل هذه الأوساط، وغالبًا ما تتلقف الشريحة الشابّة مثل هذه الأحاديث بالقبول، ويكون ملقيها موضعًا للإعجاب لدى كثُر من هذه الشريحة، وكذلك للأجيال اللاحقة.

٥. الجِدَّة في معالجة كثير من القضايا الدينية، حيث لم يعالجها معالجة تقليدية مكرورة، إنما كان يطرحها طرحًا مغايرًا وعصريًّا مستفيدًا في ذلك من ثقافته المعاصرة وإطلاعه الواسع.

٦. وسام الشهادة الذي منحه الله تعالى له ليكون مسك الختام لحياته الطيبة.

وتعليقاً على ما قاله الإمام الخميني حول الشهيد مطهري عندما قال: «مطهري ثمرة حياتي» قال الشيخ الصفار:

إنها تعني أن الإمام كان يرى في الشهيد مطهري أفضل مستوعب لآرائه وأفكاره، وخير ملتزم بالأهداف العليا التي كان ينشدها الإمام في نهضته، وأنه النتاج النموذجي لتربية الإمام الخميني العلمية والحركية.

٧ حوار صحيفة صدى الوطن[1]



صدى الوطن

الرئيسية | محليات | ميشيغن | اميركا | إنتخابات | أوباما | قضاء وقدر | العالم العربي | منوعات | مقالات | دنيا الناس

مظاهرة في د

محليات

الشيخ والمفكر الصفار يستعرض مع "صدى الوطن": واقع الشيعة في السعودية.. الإسلام والإرهاب والغرب

Sunday, 05.16.2010, 06:35 AM

ديربورن - خاص "صدى الوطن"

ولد الشيخ حسن بن موسى الصفار في مدينة القطيف، في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية عام 1958 حيث أتم دراسته الأكاديمية، قبل أن يسافر إلى النجف الأشرف في العراق لدراسة العلوم الدينية، وبعدها إلى إيران لإكمال دراساته الفقهية في مدينة قم، وكان ذلك قبل قيام الثورة الإسلامية، وبعدها انتقل إلى الكويت، ثم عاد إلى السعودية حيث بدأ ممارسة نشاطه الديني لعدة سنوات، قبل أن يغادرها مجددا..

ويقول الصفار عن سبب مغادرته لبلاده سنة 1980 أنه حصلت في المنطقة الشرقية بعض النشاطات السياسية ذات الطابع الثوري للدفاع عن حقوق الشيعة الذين كانوا يعانون الكثير من الضغوط والمضايقات الأمر الذي دفعه الى الخروج ليتمكن من ممارسة عمله السياسي والإعلامي المعارض من الخارج، (في ايران وفي سوريا)..

استمر الوضع على حاله حتى عام 1990، إبان احتلال الكويت، وعلى خلفية تلك الأحداث رغبت السلطات السعودية بالحوار مع المعارضين الشيعة.

وبسبب إيمان الشيخ الصفار بأن المعارضة هي لتلمس الحلول وليست لمجرد المعارضة، أبدى الكثيرون من علماء الشيعة استعدادهم للتفاهم مع الحكومة السعودية بمجرد فتح الحوار، ويقول الصفار عن هذه المرحلة "حصل بيننا تفاوض تناول تحسين أوضاع المواطنين الشيعة، وهكذا عدنا إلى المملكة عام 1994. وبالفعل

أجـرت صحيفة «صـدى الوطن» حـوارًا مع الشيخ حسن الصفار على هامش زيارته إلـى ولايـة ميشيغن بالولايات المتحدة الأمريكية وذلك في «المركز الإسلامي في أميركا» في مدينة ديربورن، في ما يلي نصه:

□ **منـذ العـام ١٩٩٤، طـرأ تحسـن في العلاقـات بين الطائفة الشـيعية والنظـام السـعودي، فما هـي طبيعة تلك التحسينات؟**

■ يمكن القول إن المعارضة الشيعية في المملكة بدأت في العام ١٩٨٠، بسبب الإهمال الذي كانت تعاني منه المناطق الشيعية، وخاصة لجهة البنى التحتية من مدارس ومستشفيات وشوارع وغيرها، ولكن وللإنصاف، فإن ذلك الإهمال لا يختص بمناطقنا فقط، ولكن منطقتنا هي منطقة البترول والثروة النفطية، وكان من

(١) نشر الحوار بصحيفة صدى الوطن بتاريخ ١٥-٢١ مايو٢٠١٠م، العدد: ١٢٦٦. وهي صحيفة عربية تصدر أسبوعيًا باللغتين العربية والإنكليزية في ولاية ميتشيغان الأمريكية. تأسست في أغسطس ١٩٨٤م.

حقها الاستفادة من العائدات النفطية. وقد بدأت الدولة الاهتمام بالجانب العمراني، وتحسنت البنى التحتية بشكل ملحوظ، نتيجة الحوار والتفاهم بيننا وبين الحكومة السعودية.

وعلى الصعيد الديني والمذهبي حصل حوار بنّاء، فقد كان ممنوعًا في السابق بناء مساجد شيعية ولمدة أربعة عقود من الزمن، وبعد الحوار والمتابعة، صدر والحمد لله قرار يسمح للشيعة ببناء المساجد في مناطقهم، في القطيف والإحساء، وأما المناطق التي ليس فيها كثافة شيعية فما زال حتى الآن غير مسموح بناء مساجد شيعية فيها..

□ **ما هي آلية بناء المساجد داخل المملكة؟**

■ بشكل عام، تشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على بناء المساجد وتحمل نفقاتها، لكن الشيعة يريدون إدارة مساجدهم بأنفسهم، هم يعيّنون الإمام والمؤذن، ويريدون أن يكون نشاطهم الديني نشاطًا مستقلاً، وهذه عادة الشيعة في كل المناطق، أن يكون نشاطهم مرتبطًا بمرجعياتهم الدينية، ولا يرتبط بالحكومات، وعلى هذا الأساس بدأت الوزارة تعطي الرخص للشيعة في المناطق المعروفة تاريخيًّا بكثافة شيعية، ولكن التمويل وتكاليف البناء فهي من خلال المتبرعين وليس من أموال الدولة.

أما الحوزات الدينية، فهناك غضّ طرف عنها، وقد أقيمت حوزات للشيعة في القطيف والإحساء. وكذلك أصبحت الكتب الشيعية مسموحة في معظمها، بعدما كان دخول الكتب الشيعية يعاني من رقابة كبيرة في السابق، هذا بالإضافة إلى السماح بطباعة الكتب الشيعية داخل المملكة. الحمد لله كما قلت تحسن الوضع كثيرًا، وأصبح قسم كبير من الكتب الشيعية يدخل البلاد، ليس كلها، وليس كل ما يحتاجه الناس، وبالنسبة للطباعة أصبحت مسموحة، وأنا شخصيًّا طبعت بعض الكتب، وغيري من الكتاب ومثقفي الشيعة طبعوا كتبًا لهم، هناك شيء من الرقابة، لكنها ليست بصعوبة الفترة السابقة إلى درجة أنه أصبح لدينا دور نشر شيعية.

□ **كم يبلغ عدد سكان الطائفة الشيعية في السعودية؟**

■ ليس هنالك إحصائيات دقيقة؛ لأنه لا يوجد فرز في الهوية، وهذا جيد والحمد لله، ونحن لسنا من دعاة الفرز والتصنيف الطائفي والمذهبي، لكن تقريبًا يتراوح عددهم بين (١,٥-١,٨) مليون نسمة من أصل ١٨ مليون مواطن سعودي. وأغلب الشيعة يتواجدون في المنطقة الشرقية، كما يوجد بعض الشيعة في المدينة المنورة، ويوجد كذلك شيعة إسماعيليون في منطقة نجران ويبلغ عددهم حوالي نصف مليون نسمة.

□ **وكيف تتعامل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مع المذهب الجعفري، هل تعترف به، وهل من تمثيل له؟**

■ لا يوجد اعتراف معلن بهذا الاسم، ولكن الاعتراف العملي قائم.. وعلى هذا الأساس تمنح وزارة الأوقاف تصاريح السماح ببناء مساجد للشيعة. وهناك مجلس شورى في المملكة، وأعضاؤه يعينون ولا ينتخبون. ويوجد في مجلس الشورى ٥ أعضاء معينين من الشيعة، وهم يمثلون الشيعة ضمنًا. وقد حصلت عندنا قبل ٥ سنوات انتخابات بلدية في كل المناطق، ومن بينها المناطق الشيعية، وهذه المجالس يتم تعيين نصف أعضائها والنصف الثاني يكون بالانتخاب، وبالتالي فالشيعة في مناطقهم هم أعضاء في المجالس البلدية بالانتخاب وبالتعيين.

□ **هل هناك تمييز ضد الشيعة في التوظيف وفي العمل؟**

■ في المجمل ليس هناك تمييز، ولكن في المراتب المتقدمة للوظائف من الواضح جدًّا أنه لا يوجد موظفون شيعة في مجلس الوزراء. لا يوجد أي وزير شيعي في الحكومة السعودية، ولا يوجد وكلاء وزارات. المراتب العليا من المرتبة الـ١٤ حسب التصنيف المحلي، في الغالب لا يصل إليها شيعة، وبعض الوزارات تكاد تكون مغلقة في وجه الشيعة مثل وزارة الخارجية، ومرة واحدة فقط كان لدينا سفير

شيعي هو الدكتور جميل الجشي، الذي كان سفير المملكة لدى إيران، وكانت قد تحسنت العلاقة بين البلدين في ذلك الوقت، وهو من خارج الملاك، يعني أنه لم يكن من موظفي وزارة الخارجية، وإنما كان عضوًا في مجلس الشورى، وتم تعيينه لمدة ٤ سنوات، ويبدو أنه تقاعد، ولم تكرر الحالة.

□ وماذا عن المؤسسات الأخرى؟

بعض المؤسسات مغلقة دون الشيعة. مع أنه من الناحية النظامية والقانونية فإن النظام الأساسي للحكم في المملكة يقرر المساواة بين جميع المواطنين، والقيادات السياسية وعلى رأسهم الملك وولي العهد ووزير الداخلية جميعهم يتحدثون عن المساواة بين المواطنين، وبأنهم لا يقبلون التمييز الطائفي، لكن على الأرض توجد ممارسات تمييزية، وهذه الممارسات يواجهها الشيعة في عدد من المجالات، ونأمل إن شاء الله عبر التواصل مع الدولة، والانفتاح والحوار الوطني، أن يتم التغلب على هذه الأمور.

□ في المستوى الفكري والعملي هل هناك حوار مع المذاهب الأخرى، وبالتحديد مع الوهابيين، وما هي الأسس التي تعتمدونها في هذه الحوارات في حال وجودها؟

■ قام الملك عبدالله خادم الحرمين الشريفين بمبادرة جيدة جدًّا، حين أعلن عن إطلاق مؤسسة للحوار الوطني، تحمل اسم مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني. وكان من قبل قد دعا الى حوار بين مختلف الأطياف، وحصل لقاء في العاصمة الرياض اجتمع فيه ممثلون من مختلف الاتجاهات: الشيعة والإسماعيليون والسنة وهم طوائف ومذاهب، وصار أول اجتماع للحوار الوطني، وكان اجتماعًا طيِّبًا، كسر الكثير من الحواجز، وأنهى حالة القطيعة. ولما نجح أول لقاء للحوار تم تحويله الى مؤسسة، وهذه المؤسسة لها فعاليات تجمع الكثيرين مرة أو مرتين كل عام، ومن

مختلف الطوائف والاتجاهات. وقد كان الحوار يستهدف بالأصل بناء الجسور بين مختلف المكونات، وفيما بعد تحول إلى مناقشة قضايا عامة، بعيدًا عن العلاقات الخاصة بين هذه الفئة أو تلك، ولكنه على العموم حوار جيد، ويمنح الأطراف جميعها فرصة للتلاقي.

هذا على مستوى الحوار ضمن هذه المؤسسة، لكننا لا نقتصر على هذه المؤسسة، إذ بدأ تبادل الزيارات بيننا وبين علماء السنة، وكان لي لقاء مع مفتي المملكة الراحل الشيخ عبدالعزيز بن باز، والمفتي الحالي الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، والتقيت الكثير، ودعونا بعض العلماء السنة وزارونا وهم من العلماء السلفيين. الوضع الآن على هذا الصعيد أفضل بكثير من السابق. في السابق كان هناك قطيعة. الآن يوجد تواصل وتزاور وتشاور وتبادل أراء، لكن لا تزال هناك فئات وجهات متشددة ترفض اللقاء مع الشيعة، والحوار معهم، ومع من يخالفهم في الرأي حتى ولو كان من أهل السنة.

□ **ما هو انطباعك عن زيارتك إلى أميركا وكيف رأيت عمل المؤسسات الإسلامية في ولاية ميشيغن؟**

■ هذه زيارتي الثانية لأميركا، فقد سبق وزرتها في العام ١٩٩٦ وجئت خلالها إلى ميشيغن. كانت الزيارة الماضية مختصرة.. الآن وجدت جالية كبيرة وأنشطة ومؤسسات ذات برامج فعالة ونشطة، والتقيت أئمة وعلماء يمتلكون مستوى متقدمًا من الوعي، مثل الشيخ عبداللطيف بري، والسيد حسن القزويني، وبقية العلماء الموجودين في المنطقة. وزرت المؤسسات والمساجد، وأنا سعيد وفخور بما شاهدت واطلعت عليه، من برامج تستهدف نشر الوعي الديني، ونشر الثقافة الإيجابية بين هؤلاء الناس، ووجدت اهتمامًا بالحوار مع الآخر والعلاقة معه. خاصة الحوار بين المذاهب الإسلامية، بين السنة والشيعة. وسمعت عن لقاءات على مستوى الحوار الإسلامي المسيحي، وهذا هو المطلوب من الجالية الإسلامية المقيمة في أميركا، بل المطلوب من كل مسلم أن يكون منفتحًا؛ لأن القرآن الكريم يربي على الانفتاح.

□ **كيف تصف الوضع الإسلامي في ظل الانقسام الطائفي والمذهبي في العالم الإسلامي، وتحديدًا بين السنة والشيعة، فمن الواضح أن هنالك أزمة وتأزمًا كبيرين بين المذهبين، أليس ما يقلق في هذا السياق؟**

■ أشعر بقلق كبير وبالغ، بسبب حالة التوتر والتشنج المذهبي، ولكنني أعتقد أنها مضبوطة ومنضبطة سياسيًّا، وأن القرار السياسي عند الأنظمة السياسية في العالمين العربي والإسلامي هي التي تتحكم في هذه المسألة. وأرى أن القرار السياسي هو الذي يثير، وهو الذي يدفع بهذه الفتن الطائفية، وإذا ما قررت الأنظمة أن هذه الفتنة ليست في مصلحتها فإنها سوف تضع لها حدًّا.

صحيح أن أرضية الخلاف موجودة تاريخيًّا بين السنة والشيعة، وهناك تراث مليء بالكراهية والبغضاء بين الطرفين، ولكن تفعيل هذا التاريخ وهذا التراث يتأثر بالقرار السياسي، ونحن رأينا آثار ذلك في لبنان والعراق على سبيل المثال. ورأينا كيف أن الفتن تكون متأججة، فإذا ما اتفقت الأطراف السياسية على حل، تخمد تلك الفتنة. ففي لبنان كانت التشجنات على أشدها، ولكن حينما حصل اتفاق الدوحة أصبحت الساحة تميل إلى الهدوء، وفي العراق كانت هناك توترات كبيرة، ولكن حينما انخرطت كل الأطراف في العملية السياسية خفت حالة التوتر المذهبي. ولذلك أقول إن المسألة ترتبط بالقرار السياسي أكثر مما هي مرتبطة بالحالة الأهلية الشعبية.

□ **ما هو الدور المنوط بالمسلمين في الغرب، ومن خلال اطلاعك على عمل بعض المؤسسات الإسلامية في منطقة ديترويت، هل هي تقوم بالعمل الصحيح، وهل هي قادرة على تغيير صورة الإسلام في الغرب التي يشوبها الكثير من التشويه؟**

■ عمومًا.. أعتقد بأن الوجود الإسلامي في أميركا وفي الغرب بشكل عام لا يزال مشغولاً بداخله أكثر من اهتمامه بالعلاقة مع محيطه، وفي هذا نقص وخلل كبير. نحن نعيش في هذا المحيط، وعلينا أن نصنع جسورًا معه، وأن نرسم الصورة التي نريدها

لأنفسنا. نحن نعلم أن هناك جهات تريد أن تشوه سمعة العرب والمسلمين، بسبب الصراع السياسي القائم في الشرق الأوسط، ومشكلة إسرائيل. نعم هناك جهات تريد أن تشوه سمعتنا وصورتنا، ومع الأسف الشديد فإن عدم تحركنا بالشكل الصحيح يتيح للآخرين أن يرسموا صورة مشوهة لنا، يجب أن نتحمل المسؤولية ونرسم الصورة الصحيحة عنا، كأمة وكدين، وهذا يستدعي أن نرصد جزءًا من جهدنا وطاقتنا واهتمامنا في هذا الاتجاه.

وأغلب المراكز الإسلامية التي رأيتها في أميركا وفي الغرب مشغولة بداخل الجالية والمسلمين، والجهد الذي يبذل في العلاقة مع الخارج لا يزال قليلاً ومحدوداً. ولكن ولحسن الحظ بدأت بعض المؤسسات تعي هذا الأمر، مثل مؤسسة مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية (كير) وهي تقوم بأعمال جيدة، وعلى المراكز الإسلامية الاهتمام بالتواصل مع المحيط الذي تعيش فيه، للحفاظ على مصالحها ومكاسبها، ومن أجل أن تعطي الصورة المناسبة لدينها ولنفسها أمام الآخرين. أنا أعتقد أن هناك تقصيرًا كبيرًا على هذا الصعيد، وأن علينا أن نبذل جهودًا أكبر في هذا المجال.

□ **ترتبط صورة الإسلام بالإرهاب في الغرب، من هو المسؤول عن هذه الصورة، هل هو الغرب وحده، أم ترى أن البعض منا يساهم في تكوين ورسم صورة سيئة عن الإسلام، كيف تنظر إلى هذه المسألة؟**

■ أعتقد أن هناك نوعًا من الفهم للدين ينتج التطرف. الدين فيما نعتقده لا يؤيد التطرف ولا يدعو إليه، بل يدعو إلى السلم والسلام والتسامح، ولكن هناك بعض الجهات لديها فهم ديني ينبت التطرف ويشجعه. هذا نعترف به.. ويساعد على ذلك واقع اجتماعي سيئ فيه الكثير من الفقر والحرمان، وتراجع في التنمية البشرية، أضف إلى ذلك وجود أنظمة سياسية استبدادية في دول العالمين العربي والإسلامي، ويضاف إليها الوجود الإسرائيلي الذي ينتج الكثير من القهر والظلم والقتل، وقد تضافرت هذه الأمور وساعدت في إنتاج التطرف لدى بعض الجماعات التي تدعي العمل باسم

الدين، ولكننا نعتقد أن معالجة التطرف يجب أن تتم من خلال المسارات الثلاثة: من خلال نشر ثقافة التسامح، مما يقلص فرص الجهات المتطرفة داخل المجتمع الإسلامي، والاهتمام بالتنمية الإنسانية في بلدان العالمين الإسلامي والعربي، والإسراع في إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية، ونأمل أن تتمكن إدارة الرئيس أوباما من الوفاء بما وعدت به، وأن تكون جادة في حل هذه المشكلة، التي يستفيد المتطرفون من بقائها عالقة على هذا النحو.





٧

تطوير الدورات الدينية الصيفية

وجّهت إدارة حسينية الزهراء في الكويت للشيخ الصفار رسالة تحمل عدداً من الأسئلة حول تطوير دورة الدراسات الإسلامية الصيفية التي ترعاها، وفيما يلي إجابات الشيخ الصفار على تلك الأسئلة.

دورة الدراسات الإسلامية الصيفية من الأنشطة المهمة التي ترعاها حسينية دار الزهراء وتسعى إلى تطويرها، ومؤخرًا أدخلت عليها بعض البرامج العملية التي يحتاجها الشباب، ونلاحظ أن هناك هجمة يتعرض لها شبابنا على جميع المجلات الإعلامية وغيرها.

□ **من خلال تجاربكم وخبرتكم ما هي المواد التي تعمق المفاهيم الإسلامية ويمكن طرحها بأسلوب شديد وجذاب يمكن إضافتها للمناهج؟**

قبل الإجابة، أودّ أن أهنئكم على ما تقومون به من أدوار دينية واجتماعية وثقافية، وهي الأدوار التي أتمنى أن تلقى صداها في مجتمعكم، وبخاصّة فيما يرتبط بتفعيل الصروح الدينية كالمساجد والحسينيات، بحيث لا ينحصر دورها في أداء الجماعة وإقامة مآتم الأحزان ومناسبات الأفراح.

كما أودّ الإشارة إلى نقطة مهمّة فيما يتعلّق بمسألة المناهج، ذلك أنها عملية متقدّمة جدًّا تتنافس في إتقانها الشعوب والمجتمعات المتحضّرة، وتحتاج في إتقانها إلى درجة مقبولة إلى أمرين مهمّين، هما:

١. التخصص في المناهج، حيث نحتاج في مؤسساتنا التعليمية الدينية ذوي الاختصاص في كتابة ووضع المقرّرات الدراسية، وذلك لتواكب هذه المقرّرات التطوّرات والنظريات الحديثة في تصميم وكتابة المنهج الدراسي.

٢. الخبرة المتراكمة، وهي ما يتحصّل عليها الإنسان من الممارسة والتجربة، لذا أشدّ على أيديكم للبدء في كتابة ووضع المناهج من أجل اكتساب هذه الخبرة، مع عدم إغفال الجانب الأول، وذلك لتطوير هذه التجربة بما يتلاءم ومتطلبات الحياة المعاصرة. ولا بأس هنا (في جانب الخبرة) من الاستفادة من التجارب السابقة في المجال الديني.

أما فيما يرتبط بإجابة السؤال عن المواد التي من شأنها أن تعمّق المفاهيم الإسلامية في أنفس طلابكم وناشئتكم، فأشير إلى بعض النقاط المهمّة بخصوصها، دون أن أحدّد مادّة معينة من شأنها أن تعمّق هذه المفاهيم والقيم:

فلقد جاء الإسلام من أجل أن يعمر الإنسان الأرض ويستفيد من خيراتها التي من المفترض أن يتقاسمها جميع أبناء البشر بالتساوي، دون أن يكون هناك أي فضل لشعب أو مجموعة على أخرى، لينعم الإنسان بالسعادة في هذه الدنيا، وهذا ما فطر الله الإنسانَ عليه، ولكن الإنسان ـ بسبب وسوسات الشيطان ونزعاته الشريرة ـ تسلّط على أخيه الإنسان، وقد بعث الله أنبياءه ليحيوا القيم والمبادئ التي فُطِر عليها الإنسان، سواءً على الصعيد الفردي أو الاجتماعي، وما هو مفترض أن تقوم به هذه الدورات الدينية أن تقدّم إلى الإنسان ما يثير فيه تلك القيم التي فطر عليها وأن تحييها داخل نفسه، لذلك عليكم في مثل هذه الدورات أن تركّزوا ـ فيما تقومون به جهود ـ على تغيير السلوك لدى الطلاب نحو الخير والصلاح والنداءات الفطرية داخل نفوس الطلاب وأن يتخرّج الطالب عندكم وهو يملك العديد من المهارات السلوكية والحياتية التي تمكّنه من مواصلة طريقه فيما بعد بما يتلاءم وحياتنا المعاصرة وفق الضوابط الشرعية والرؤية الإسلامية في الحياة، وأن تحدث فيه هذه الدورات تغييرًا

سلوكيًّا بارزًا، فعندما يمارس الإنسان هذه السلوكيات الطيبة والخيّرة ستتعمّق في نفسه نداءات الرسالات الإلهية.

□ بنظركم، ما هو الأسلوب الأمثل لتدريس الشباب وتشويقهم للالتحاق بمثل هذه الدراسات؟

تحيط بالإنسان اليوم العديد من وسائل الترفيه والتثقيف ونشر المعرفة، ولذلك قد يكون جذب عدد كبير من الأفراد نحو هذه البرامج صعبًا، ولعل الأسلوب الأفضل لجذب أكبر شريحة نحو برامج الدورات التعليمية هو تنويع البرامج فيها وعدم حصرها في مسألة التدريس ضمن الحلقات التقليدية، ويمكن الاستفادة من الإمكانيات الحديثة، وكذلك الاستفادة من برامج الأنشطة الرياضية والترفيهية والفنية، وتدريس بعض العلوم والمعارف الحديثة، وذلك لرفع حالة الملل والروتين عن نفوس الطلبة والملتحقين، وكذلك لئلا يكون هناك لبس لدى الطالب بأن ممارسة مثل هذه الأنشطة يتعارض والالتزام الديني.

ولا بأس أن أقترح عليكم الاحتفاظ بهذه التجربة وتسجيلها صوتًا وصورة، بحيث يمكن عرض الدروس التي تقومون بإعدادها على بعض الفضائيات أو توزيعها على صورة أقراص ممغنة في بعض المناسبات الاجتماعية أو الدينية، وذلك لاستهداف شريحة أوسع وأكبر.

□ ما هي مواصفات المعلم الناجح؟

يمكن التعرف إلى مواصفات المعلم الناجح من الآية الكريمة التي تصف الرسول الأكرم كمعلم للبشرية جمعاء، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[سورة الجمعة، الآية:٢]، حيث تشير الآية إلى أن الله بعث رسوله إلى (الأميين) وهم أهل أم القرى، أي إنه بعثه إلى قومه، ولذلك على المعلم الناجح أن يحرص أن

يبثّ علمه وفكره عند أهله وقومه قبل أن يبثّه لدى أقوام آخرين، وأن تكون لديه النية الصادقة في توجيه خدماته وأنشطته الثقافية بين أهله ومجتمعه، ثم تنتقل الآية إلى وصف الرسول ﷺ بأنه كان ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾، بمعنى أنه ﷺ كان يقوم بتعليمهم القرآن وما يعقب ذلك من شرح وبيان لآياته والأحكام الواردة فيها، ولذا على المعلم في هذه الدورات الدينية أن يتمثّل الرسول ﷺ في تعليم القرآن وشرح القيم والمبادئ التي يبشّر وينادي بها. ثم يشير تعالى إلى أن النبي ﷺ كان ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾، أي كان يقوم بالعناية الفائقة بالجانب التربوي والتغيير السلوكي لدى المسلمين، وكذلك ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وهذا المقطع يشير إلى دور مهم كان يمارسه ﷺ، وهي عملية الموازنة في التعاليم التي كان يبثّها ﷺ بين أصحابه، فكما كان يبذل جهدًا في بيان أحكام الكتاب، كان يبث فيهم تعاليم الحكمة والعقل الراجح وموازنة الأمور في حياتهم العامّة، وفي ختام الآية يقول تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وهي مسك الختام، إذ يشير هذا المقطع إلى الفرق بين الحال التي وصلها المسلمون بقيادة الرسول ﷺ وتعاليمه السامية وبين الوضع السابق، حيث كانوا في ضلال مبين، فالآية توجهنا إلى ما يعرف اليوم في علم الإدارة الحديث بمسألة التغذية الراجعة أو المرتدّة، والمراد منها تعرّف العامل على نتيجة عمله من خلال المقارنة بين الوضع السابق واللاحق، ولذلك على المعلم أن يقارن دائمًا بين نتائج الطلبة ما قبل وما بعد العملية التعليمية ليكون على بيّنة من ثمرة جهوده.

- كلمة للدارسين وأخرى للمعلمين وثالثة لمنظمي الدورة.
- للإخوة الطلبة والمتعلمين: أسأل الله لهم التوفيق، وأن يكون التحاقهم بمثل هذه البرامج فاتحة طيبة لمزيد من الالتزام بما يليها من برامج وفعاليات يخدمون بها مجتمعهم ووطنهم.
- وللإخوة المعلمين: أتمنى أن تكتب هذه الأعمال في موازين أعمالهم، وأن تكون فرصًا جيدة لنصح وإرشاد هؤلاء الناشئة، ومحطّة يبذلون فيها قصارى

جهودهم للتغيير في سلوكيات أبنائهم الطلبة نحو الأفضل.

وللمنظمين: بارك الله جهودهم التي نغبطهم عليها، ففيها الثواب والأجر العظيم، فهم يرفعون الواجب الذي من المفترض أن يتكفّل به المجتمع كاملاً، فجزاهم الله خير الجزاء ووفقهم إلى المزيد والمفيد.

السبت : ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ

الموافق ٥ / ٦ / ٢٠١٠ م



المحتويات

